

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بغداد
كلية التربية – ابن رشد

الاتجاهات السياسية والفكرية عند الحشاشين وأثرها على بلاد المشرق وبلاد الشام

أطروحة تقدم بها

ظافر أكرم قدوري إبراهيم

إلى مجلس كلية التربية – ابن رشد – جامعة بغداد ، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ الدكتور

كاظم ستر العلاق

1433هـ *2012م*



Baghdad University
College Of Education / Ibn Rushd
Department Of History

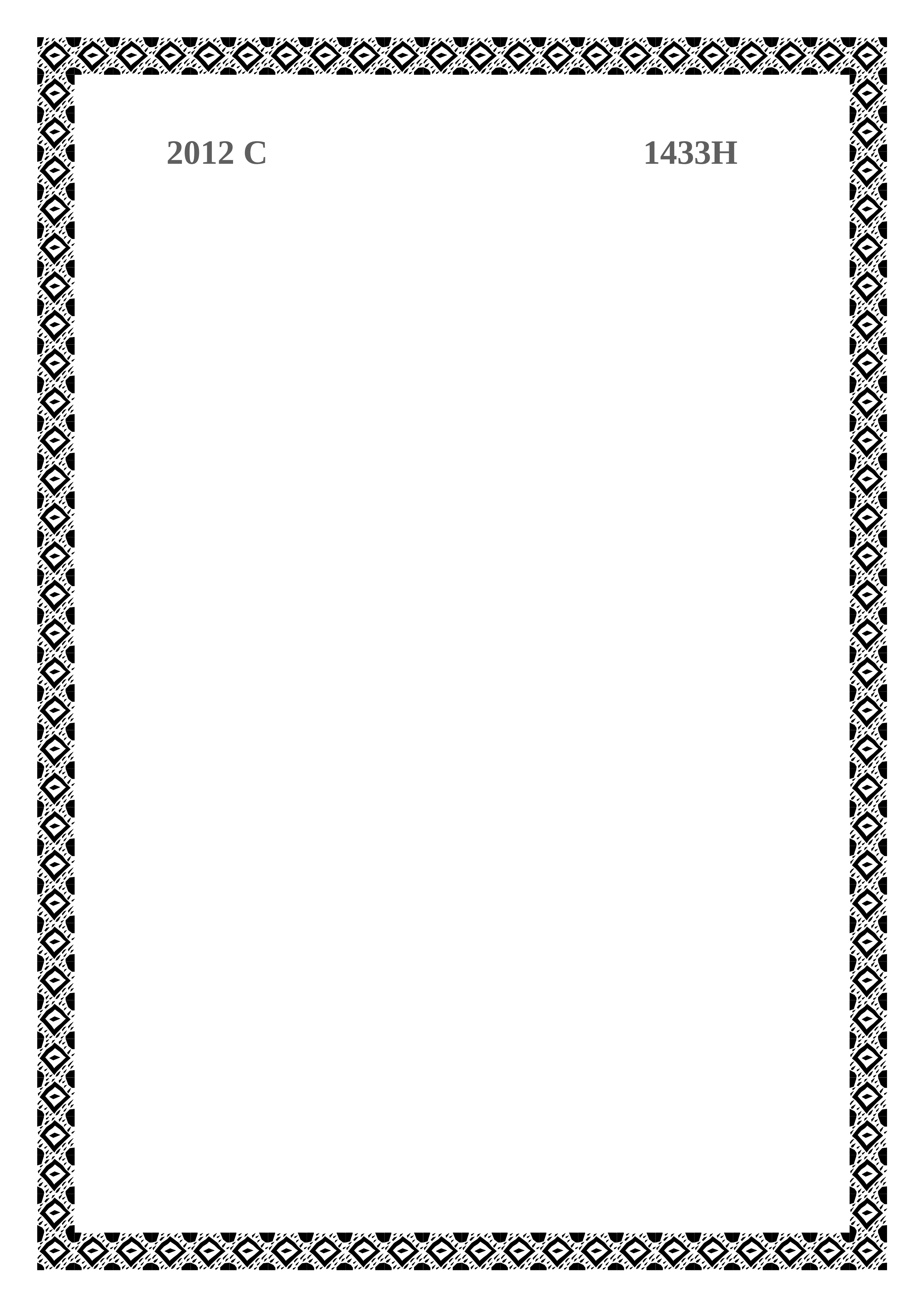
The thought and political directions at ALhashasheen and it's action on bilad ALmashriq and Bilad ALsham

A Thesis Submitted By

Thafir Akram Qadory

To The College Of Education / Ibn Rushd , Department Of History , Baghdad University In Partial Fulfillment Of The Requirement To The Degree Of Philosophy In Islamic History

Supervised By
Prof .Dr.Kazem Siter Alalaaq



2012 C 1433H

ٱ ٻ ٻ

ڇ ڳ ڱ ڲ ںں

ڻ ڻ ڈ ۀ ڇ

صدق الله العظيم
سورة المائدة : من الآية 48

الإهداء

إلى ..

أبي ... مثلي الأعلى في الحياة ..

وإلى .. والدتي ... نبع الحنان الذي لا ينضب ..

وإلى .. زوجتي ... وتحتار فيها الكلمات ..

وإلى .. بناتي ... رند .. تيجان .. لارسا ..

وإلى .. أخوتي ... تأميم .. عطاء .. علي ..

وإلى .. خالتي ... ظافرة .. أبقاك الله ظلاً وارفاً ..
وإلى .. روح ابن عمي محمد الذي رحل شهيداً ذات مساء من تموز ..
إليكم جهدي المتواضع هذا لعلهُ يكون بعضاً من وفاء

ظافر



الشكر والتقدير

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك ، اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا .

من دواعي سروري واعتزازي ان أشكر أستاذي الدكتور (كاظم ستر العلاق) لتحمله أعباء الإشراف على هذه الأطروحة ، ورعايته لها ولما قدمه لي من توصيات ، ونصح وملاحظات أوصلت هذه الأطروحة إلى ما هي عليه فأسأل الله له التوفيق والسداد .

وأشكر أساتذتي الأفاضل في قسم التاريخ وعلى رأسهم الدكتور (نعمة شهاب) رئيس القسم المحترم ، وأساتذتي في السنة التحضيرية لما قدموه من عون ومساعدة ولاسيما (أ.د عبد الحسين مهدي الرحيم) الذي كان لهُ الفضل الكبير في صياغة عنوان البحث ولما قدمهُ من ملاحظات قيمة للكثير من مسار الأطروحة والدكتورة الفاضلة (سهيلة مزبان) ، لتوجيهاتها ورعايتها القيمة والأستاذ الدكتور (عبد الأمير دكسن) والدكتور (حسين داخل) ، والدكتور (محمود اللهيبي) والدكتور (داود سلمان خلف) لما أبداهُ من ملاحظات قيمة وأراء سديدة أغنت الدراسة فشكراً لهُ لسعة صدره ودماثة خلقه وأطال الله في عمره . كما أتقدم بالشكر الجزيل للدكتور (مثنى فليفل) لما أبداه من عون ومساعدة وللطبيب الدكتور (عادل حسن الحسيني) لتشجيعه وتأييده لي فشكراً لهما .

ولا يفوتني ان أشيد بالجهود التي بذلها أساتذتي في قسم التاريخ كلية التربية – جامعة ديالى ، لاسيما الأستاذ الدكتور (تحسين حميد مجيد) لما أبداهُ من ملاحظات وأراء قيمة حيث لم يدخر جهداً في توجيهي ونصحي لما هو أفضل فلهُ من وافر الشكر وجزيل التقدير ، والأستاذ الدكتور (عاصم إسماعيل كنعان) الذي كان عوناً وناصحاً أبقاهما الله ذخراً للعلم والمعرفة والدكتورة (سميعة عزيز محمود) أطال الله

عمرها ، وللدكتورة (سماهر محيي موسى) ، والدكتورة (بهار أحمد جاسم) لما أبدوه من مساعدة ونصح وتمنيات بالنجاح ، فلهم مني كل الاعتزاز .

ويدعوني واجب الوفاء لان أشكر صديقي وأخي العزيز الأستاذ (قحطان فرهود) لما بذله من جهد في مدي بالمصادر والكتب التي بحوزته التي ما كنت لأحسب ان الدراسة ستصل إلى ما هي عليه لولا جهده فله مني كل الشكر والتقدير ولزملاء الدراسة في السنة التحضيرية أخوةً وأصدقاء وأحبة ، لما أبدوه من تعاون ومساعدة وهم الزملاء (محمد نجيب) و(بشار) و(بهمن) و(رغد) و(ازهار) و(زينب) و(سمية) و(إسماعيل) فلهم مني وافر الاحترام والمحبة .

ولا يفوتني كذلك شكر بعض الزملاء الذين كانوا لي عوناً في هذه الدراسة والبحث عن مصادرها وهم زملائي (الاستاذ. نبيل خليل) أخي وزميلي لما تحمله معي من عناء السفر ومشاق البحث ، وزميلي (حاتم عبد اللطيف) وزميلي (محمد فخري) لما أبدوه من استشارات وأراء فلهم مني كل التقدير .

ولا يفوتني كذلك شكر كادر المكتبة المركزية في جامعة بغداد لما أبدوه من مساعدة ، وكذلك ملاك مكتبة بهرز لاسيما مديرة المكتبة (الست رابحة آل يحيى) المحترمة ، والأستاذ (سامي محيي) المحترم لما قدموه من عون ، ولا يفوتني شكر ملاك مكتبة بعقوبة المركزية ومديرها الأستاذ (ثابت نايف) لجهوده في حصولي على مصادر أغنت هذه الدراسة فلهُ مني كل الود والاحترام .

واشكر زميلي (جهاد) الذي أشرف على طباعة وتنضيد هذه الأطروحة فشكراً لهُ لسعة صدره .

أما من أسهم معي ووقف بجانبي وشد من أزري وفاتني ذكرهُ فليعذرني لانشغالي ونسياني ولهُ مني كل الاحترام والاعتزاز .

ومن الله التوفيق

الباحث

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة والتقويم اطلعنا على الأطروحة الموسومة بـ(الاتجاهات السياسية والفكرية عند الحشاشين وأثرها على بلاد المشرق وبلاد الشام) والمعدة من قبل الطالب (ظافر أكرم قدوري إبراهيم) . وقد ناقشنا الطالب بمحتوياتها وفيما له علاقة بها ، ونقر انها جديرة بالقبول لنيل درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي بتقدير ( ) .

رئيس اللجنة

التوقيع :

الاسم : أ.د. عاصم إسماعيل كنعان

التاريخ : / / 2012

عضو

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. نعمة شهاب جمعة

التاريخ : / / 2012

عضو

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. داود سلمان خلف

التاريخ : / / 2012

عضو

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. غنية ياسر كباشي

التاريخ : / / 2012

عضو

التوقيع :

الاسم : أ.م.د. هيفاء عاصم الطيار

التاريخ : / / 2012

عضواً ومشرفاً

التوقيع :

الاسم : أ.د. كاظم ستر العلاق

التاريخ : / / 2012

صادقت عليها مجلس كلية التربية / ابن رشد – جامعة بغداد في جلسته المرقمة ( ) والمنعقدة بتاريخ : / / 2012

د. كاظم كريم رضا الجابري

عميد كلية التربية / ابن رشد – جامعة بغداد

التاريخ : / / 2012

قائمـــة المحتويـــات

الموضوع	الصفحة
- المقدمة .	أ – ق
الفصل الأول : الحشاشون تسميتهم وجذورهم العقائدية والفكرية :	1 – 123
المبحث الأول : الحشاشون نشأتهم وجذورهم .	1 – 50
الحشاشون لغةً واصطلاحاً .	1 – 21
الحشاشون وجذورهم الإسماعيلية بداية التأسيس .	22 – 27
ظهور الإسماعيلية على المسرح السياسي .	28 – 41
جذور الإسماعيلية وبواكيرها الأولى .	42 – 50
أ- الخطابية .	42 – 47
ب- المباركية .	48 – 50
المبحث الثاني : الحشاشون وصلتهم بالعقائد الإسماعيلية .	51–105
الإمامة .	57 – 65
دور الستر "الأئمة المستترون الأسباب والنتائج" .	66 – 80
فلسفة الاعداد عند الإسماعيلية والرقم سبعة .	80 – 85
الإسماعيلية بين الظاهر والباطن وعلاقة ذلك بتسمية الباطنية .	86 – 93
رسائل أخوان الصفا والإسماعيلية .	93 – 105
المبحث الثالث : ظهور الخلافة الفاطمية وصلتها بالحشاشين .	106–123
سير الدعوة وظهور القرامطة .	106–116

الموضوع	الصفحة
الخلافة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب .	116
الخلافة الفاطمية في مصر .	119-117
الانشقاقات زمن الفاطميين – الدروز – .	123-119
الفصل الثاني : الحشاشون ظهورهم ونشاطاتهم في بلاد المشرق :	230-124
المبحث الأول : ظهور الحشاشين وبداياتهم الأولى .	148-124
ظهور الحشاشين على مسرح السياسة .	126-124
مصر البدايات الأولى للحشيشية .	132-126
الحشاشون في بلاد المشرق .	139-132
بلاد المشرق وجذور الدعوة الأولى .	145-139
الحسن بن الصباح والإسماعيلية في بلاد المشرق .	148-145
المبحث الثاني : ظهور الحسن بن الصباح وإجراءاته في بلاد المشرق.	180-149
سياسة الاستحواذ على القلاع عند الحشاشين .	152-149
إجراءات الحسن بن الصباح وقلعة الموت .	162-152
الصدام بين الحسن بن الصباح والسلاجقة .	167-162
الإسماعيلية وهجوم الفقهاء .	175-167
الحسن وشرعية الحكم في الموت .	180-176
المبحث الثالث : عصر القوة والتنظيم .	230-181
الحسن بن الصباح والتنظيم داخل القلاع .	202-181

الموضوع	الصفحة
الحشاشون زيادة القوة وتوسع النفوذ .	216-202
الأثر السياسي للاغتيال زمن الحسن بن الصباح .	228-217
موت الحسن ونظام الحكم في الموت .	230-228
الفصل الثالث : العلاقات السياسية لخلفاء الحسن بن الصباح حتى نهاية حركة الحشاشين في بلاد المشرق سياستهم ، علاقتهم بالمحيطين :	327-231
المبحث الأول : خلفاء الحسن في العصر السلجوقي .	267-231
كيابزرك أميد يخلف الحسن في حكم الحشاشين (518هـ-532هـ/1124م-1137م).	238-231
عهد بزرك أميد والعلاقات مع الفاطميين .	245-238
العلاقات بين الحشيشية ودويلات المشرق .	250-245
وفاة كيا بزرك أميد والتحول في نظام الحكم في الموت ، فترة حكم محمد بن كيا بزرك أميد (532هـ-557هـ/1137م-1161م) .	267-250
المبحث الثاني : خلفاء الحسن بن الصباح بعد حادثة اعلان القيامة .	288-268
الحسن الثاني بن محمد بن بزرك أميد (557هـ-561هـ/1161م1165م) .	271-268
حادثة اعلان القيامة .	280-271
مقتل الحسن بن محمد ونهاية حكمه في الموت .	280
نور الدين محمد الثاني بن حسن الثاني بن بزرك اميد (561هـ-1165م-607هـ/1210م) .	283-281

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
الحشاشون وعلاقتهم بالإمارة الغورية والخوارزمية.	287-283
وفاة نور الدين محمد بن الحسن مسموماً ونهاية حكمه في الموت .	288-287
المبحث الثالث : بدايات دور الضعف والسقوط .	327-289
فترة حكم جلال الدين حسن الثالث بن محمد بن بزرك أميد (607هـ-618هـ/1210م-1221م) .	301-289
مراسلات جلال الدين مع المغول ووفاته مسموماً .	303-301
حقبة حكم علاء الدين بن جلال الدين (618هـ-653هـ/1221م-1255م) .	305-303
العلاقة بين الحشيشية والخوارزميين .	312-305
علاء الدين ومشكلة الحكم في الموت ومقتله بسبب ذلك .	314-313
حقبة حكم ركن الدين خورشاه ونهاية الحركة (653هـ-654هـ/1255م-1256م) .	319-315
المغول والحملة على قلاع الحشيشية .	327-319
الفصل الرابع : الحشاشون في بلاد الشام ، والنزعات الفكرية عند الحركة :	469-328
المبحث الأول : الدعوة الإسماعيلية النشأة والتكوين في بلاد الشام .	372-328
بداية الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام وجذورها .	335-328
النجاحات التي حققتها الحشيشية في بلاد الشام .	341-335

الحركة وأولى الاغتيالات .	347-341
الحركة وإجراءاتها بعد مذبحة حلب .	353-347
دور بهرام بن موسى ودعوته في دمشق .	356-353
إجراءات بهرام في قلعة بانياس .	362-356
مقتل بهرام وأثرهُ .	369-362
الحشاشون يعيدون ترتيب صفوفهم .	372-370
المبحث الثاني : عهد راشد الدين سنان حتى نهاية الحركة .	434-373
راشد الدين سنان ودوره في تطور الحركة في بلاد الشام .	378-373
إجراءات راشد الدين سنان .	382-378
العلاقات الخارجية في عهد راشد الدين .	384-383
علاقاتهم مع الصليبيين .	394-385
علاقة الحشاشين بصلاح الدين .	406-394
إعلان القيامة وراشد الدين .	411-406
وفاة راشد الدين سنان وأثرها في سير الأحداث .	413-411
أوضاع الحشيشية في بلاد الشام بعد راشد الدين .	424-413
عهد الانحلال وسقوط القلاع .	434-424
المبحث الثالث : النزعات الفكرية عند الحشاشين .	469-435
الجويني ومكتبة الموت .	438-435
النتاج الفكري عند الحشاشين .	447-438

الموضوع	الصفحة
أدب الحشيشية وبعض من مؤلفاتها .	456-448
الحشاشون والتصوف .	460-456
الحشاشون وعلاقتهم بالمفكرين والعلماء .	465-461
الغزالي والإسماعيليون والأثر الفكري للكتابة بينهما .	469-466
- الخاتمة .	472-470
- قائمة المصادر والمراجع .	552-473
- الخلاصة باللغة الانكليزية .	A - C

المقدمة

تعددت الدراســـــات والأبحاث التي خاضـــــت غمار البحث فيما يخص الفرق والحركات الإسـلامية ، التي نشـأت بعد وفاة النبي { ρ } ، وكانت تلك الدراسـات في الغالب تأخذ موقف المنحاز إلى وجهة نظراً معينة ، معادية تارة ومنحازة أخرى، وفي الغالب كان يمثل جانب الانحياز أو العداء موقف الســـلطة ممثلة بالخلافة في أغلب الأحيان ، وعلى الرغم من التقدم بالدراســـات وبأدوات البحث العلمي إلا ان كثيراً من الدراســـات الحديثة لازالت تحمل في أبعادها وطياتها ذات النظرة التي تبناها القدماء ، ولم يســلم من هذه الرؤية حتى المســتشــرقين والباحثين الذين تبنوا موقفاً وســطاً جهد المستطاع من تلك الفرق ، محاولين في اغلب الأحيان استخراج الحقائق ، لكن القارئ المدقق ليجد ان هؤلاء فاتهم الكثير أو خفي عنهم بقصد أو غير قصد .

وحركة الحشـاشـين هي احدى الفرق الإسـلامية التي لاقت العداء قديماً وحديثاً، ففي الماضــــي نجد كثير ممن كان يهاجم تلك الفرقة متهماً إياها بالإلحاد والإباحية والمروق عن الدين ، وحديثاً جاء دراسـات المستشـرقين وان لم يكن جميعهم لتؤكد ذات النظرة ، وقد تكون مجانبة الصواب قديماً عند دراسة تلك الفرقة لهُ ما يبررهُ ربما بسبب شــح المعلومات وقلتها ، وعدم التقدم بالدراســات الإســماعيلية – وهي الفرقة الأم التي انشــقت عنها الحشــيشــية أو الحشــاشــون – إلا أن المكتشــفات الحديثة التي أزاحت الغموض عن الكثير من المخطوطات والوثائق لم تبقِ لأي معاند بعد ذلك من حق للتهجم واتخاذ ما من شـــــأنه مهاجمة تلك الحركة ، وعلى الرغم من اننا لا ننكر ان البحث عن تاريخ تلك الحركة لا يزال يكتنفه الغموض ، لأن المعلومات الشـــحيحة تجعل من الباحث مضـــــطراً لان يســـتقي معلوماته عنهم كما قال أحد الباحثين من مستنقعات أعدائهم .

بأي حال فقد جاءت هذه الدراســـة لتميط اللثام عن تاريخ تلك الحركة ، وأهم أسباب ظهورها وجذورها وأفكارها مستفيدة من الدراسـات التي سبقتها في الوصـول إلى

أهم المصـــادر والكتب التي أشـــارت للفرقة وزعمائها ، وعلى الرغم من كبر المســاحة التاريخية والرقعة الجغرافية ، فان الدراســة حاولت جاهدة تغطية أهم وأبرز الجوانب في تاريخ تلك الحركة .

وحركة الحشاشين أو فرقة الحشاشين هي احدى أبرز الفرق الإسماعيلية ، والتي انشقت عن فرقة الإسماعيلية والتي حملت ذات التوجهات العقائدية والفكرية للفرقة الأم – أي الإسماعيلية – التي انشقت عنها . وان اختلفت بعض الشيء طبقاً للمحيط الذي نشـــطت فيه ، وأقامت أولى مواقعها فيه ، ولما كانت الظروف المحيطة تفرض على الفرقة دائماً نمطاً جديداً ليس من التعامل مع الآخرين فقط بما في إنتاج ما يلائم المحيط ، حتى لا تصـــبح الحركة بعقائدها ورجالها طعماً للآخرين الذين اشـــتهروا بعداوتهم لتلك الفرقة على الأغلب ، إذ توجه هؤلاء للقضاء على الحركة وقتالها ، وكان أبرز مثال على ذلك تلك ما تعرضـــت لهُ الحركة عبر تاريخها الطويل من نكســـات تمثلت بالكثير من المذابح والحصارات والحروب .

وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وضحت فيها أهمية الموضوع مع تحليل لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في هذه الدراسة واشتملت أيضاً على أربعة فصول فضلاً عن الخاتمة وثبت بأسماء المصادر والمراجع وملخص للأطروحة باللغة الإنكليزية .

وللأهمية القصوى للجذور الأولى لفرقة الحشاشين ، وهي جذورها الإسماعيلية فقد أفرغت الدراســة فصــلاً كاملاً لعقائد الإســماعيلية وبواكيرها الفكرية وأهم المرتكزات التي قام عليها اعتقادها ، وهو الفصل الأول ، وقد ابتدأت الدراسة أولاً بالتسمية ، ومن أين جاءت وأسـبابها مناقشــةً لذلك بشــيء من التفصـيل مبينة أصــل الكلمة في اللغة العربية وإلى الكتابات التي تناولت التسمية .

ثم تناولت الدراسة الحشاشين وجذورهم الإسماعيلية وأسباب انشقاق الإسماعيلية في الأساس عن الشيعة لينتج بعد ذلك فرقتين هما الإسماعيلية ويقابلها الاثنى عشرية

أو الإمامية نسبة إلى عدد الأئمة (عليهم السلام) ، ثم أثر ذلك الانشقاق حيث أصبحت الإسماعيلية تحمل اسم السبعية في أحد تسمياتها لوقوفها عند الامام الصادق عليه السلام ، وطوعت تبعاً لذلك كثيراً من عقائدها للرقم سبعة وتقسيمها الدوري للتاريخ وفلسفتها بصورة عامة ، ونتيجة لما مرت به الحركة من طورٍ طويل ممعنٍ ومغرق في السرية ، كان سببه تتبع الخلافة العباسية لقادتها ، فقد نتج عن ذلك ما عرف بدور الستر ، الذي أشارت إليه الدراسة ، وللأساليب التي انتهجها قادة الإسماعيلية وعلى رأسهم قائد الفرقة وإمامها من أنماط التخفي والاستتار واستعارة الأسماء والكنى ، وأثر ذلك في الحفاظ على قيادات الحركة ودعاتهم وما قابله من جدل طويل حول أسماء الدعاة ومناطق وجودهم بل وحتى على شخص الإمام المستور ، وهو ما عرجت عليه الدراسة وأفرغت له باباً بعنوان دور الستر ، ثم تناولت أبرز وأهم عقائد الإسماعيلية في الإمامة ورسائل أخوان الصفا ونسبتها إليهم والظاهر والباطن كاحدى العقائد وأثر ذلك في علاقتهم واستعمالهم للرموز السرية في المراسلات اما جذور الفرقة – أي الإسماعيلية – فقد أخذت الدراسة نموذجين هما فرقة الخطابية والمباركية ، وأثر رجالات تلك الحركتين في الفرقة بصورة عامة .

وقد تطرق الفصل الأول لسير الدعوة ومحاولتها بث الدعاء وإشراف الإمام الإسماعيلي وتنظيمه وأسباب نجاح ذلك في أفلاته من قبضة ملاحقيه ، الذي تكلل أخيراً بقيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب العربي وانتقالها إلى مصر .

اما الفصل الثاني فقد خصص للانشقاق الذي حدث في الفرقة والذي نتج عنه فرقتي المستعلية نسبة إلى الخليفة الفاطمي المستعلي بالله والنزارية أو الحشاشين – خاصة البحث والذي نحن بصددهم ونشاطهم الأول في مصر مع لمحة سريعة عن جذور الدعوة في بلاد المشرق وأبرز دعاتهم وصولاً إلى لمحة مقتضبة عن الحسن بن الصباح الذي انشأ تلك الفرقة بعد الخلاف حول أحقية الإمامة أو الخلافة أثر وفاة المستنصر بالله الخليفة الفاطمي ، ولم تتطرق الدراسة لحياة الحسن بصورة مفصلة

وذلك لوجود دراسات أخرى سبقت هذه الدراسة والتي أمدت البحث ببعض المعلومات القيمة بصورة عامة عن بواكير الحركة الأولى .

تناولت بعد ذلك نشاط الحسن بن الصباح وتنظيمه ، الحياة السياسية والاجتماعية ، وسياسة استحواذه على القلاع وأثرها في توسيع الحركة وتنظيمها ، وسياسة الاغتيال أسبابها ونتائجها ، وأثرها في بقاء الحركة طويلاً ، والأثر السياسي لسياسة الاغتيال في تحقيق مكاسب جديدة قد تعادل قتال الجيوش وجهاً لوجه ، كما تطرقت الدراسة لتنظيم الحسن بن الصباح للمجتمع داخل قلاع الإسماعيلية وتقسيمه، وتنظيم ما عرف بالفداوية أو الفدائية ، وهي الفئة التي انشأها الحسن بن الصباح لحماية الحركة والدفاع عنها وتنفيذ عمليات الاغتيال ضد مناوئيها ، وخضت في صراع الحسن بن الصباح مع السلاجقة وهم أكبر قوى الشرق ، وأعداء الحشاشين التقليديين ولمدة طويلة من الزمن ونوع العلاقات بين الطرفين والحصارات والمعارك التي تعرضت لها الحركة طيلة تزعم الحسن لها وهجوم الفقهاء على الحركة ، وجاء بأمر من الخلافة العباسية وبعض قادة السلاجقة ، وكان على رأسهم نظام الملك الطوسي الذي كان أول ضحايا الحركة حيث مثل اغتياله أو بوادر ضعف السلاجقة .

ثم تناولت الدراسة بعد ذلك وفاة الحسن بن الصباح ، وانتخابه أحد أبرز دعاته من بعده لقيادة الحركة .

اما الفصل الثالث فقد خصص لخلفاء الحسن الصباح ، ونظام الحكم في دولة القلاع التي أسس بواكيرها الأولى الحسن الصباح ، وتحول النظام – أي نظام الحكم – إلى نظام وراثي وأثر ذلك في الحركة ، ثم نوهت الدراسة لعلاقة قادة الحركة بالسلاجقة القوى الكبرى آنذاك في المشرق الإسلامي ، وأبرز الحملات التي قادها هؤلاء في مهاجمة قلاع الدعوة ومحاصرتها ، وسياسة الاغتيال تارة والمهادنة أخرى للبقاء في ذلك الوسط المعادي وأثر تلك الصراعات في ضعف السلاجقة بصورة عامة وانهيارهم لتحل محلهم قوة أخرى – الخوارزميون – وعلاقة الحشاشين بهم وبالخلافة العباسية ،

التي كانت متحكمة إلى حد بعيد بالأمور هناك وأثرها في توجيه السلاجقة لحرب الحشاشين ، ثم بعد ذلك الدخول بين الخوارزميين والحشيشية في الصراع الجديد وكان قد طرأ في تلك الأثناء أمرٌ جديد وهو محاولة أحد زعماء الحركة التقرب عموماً من الخلافة العباسية والمحيطين ، ولو ان ذلك لم يدم طويلاً حيث انتهى هذا الأمر بوفاته ليظهر الخطر الأكبر بظهور المغول ، ومحاولة الحشاشين إقامة العلاقات مع الآخرين وبضمنهم الخوارزميين للتصدي لذلك الخطر وعلى الرغم من ان حركة الحشاشين أصبحت هي وقلاعها ملاذاً أمناً لكثير من الذين إلتجأوا إليها هرباً من مجازر المغول لكن ذلك لم يكن ليدوم طويلاً ، حيث أفزع التقدم السريع والمذابح الوحشية التي أقدم عليها المغول قادة الحركة الذين آثروا الاستسلام طمعاً بانقاذ أرواح المنتمين للحركة التي وكالعادة تعرضت لخيانة المغول ونكثهم بالعهود لابشع المجازر والمذابح ، على الرغم من ان بعض القلاع صمدت طويلاً بوجه ذلك الزحف ولم تستتلم لمدة طويلة كانت أكثر من ثلاث عشرة سنة .

اما الفصل الرابع فقد خصص لنشاط الحركة ووجودها في بلاد الشام ، وبوادرها الأولى هناك وعملها الطويل الذي تكلل أول الأمر بكثير من الاخفاقات وصعوبة تثبيت جذورها هناك وأول دعاتها ، على الرغم من صعوبة ذلك الأمر لعدم وجود ما يشير صراحة إلى أسماء أولئك الدعاة وطريقة عملهم ، للسرية والتخفي الطويل الذي انتهجته الحركة ، ثم محاولة زعمائها هناك الحصول على موطئ قدم لها متمثلاً بحصن أو قلعة تكون منطلقاً لهم بعد ذلك ، وعلى الرغم من كل الاخفاقات التي منيت بها الحركة إلا انها أفلحت أخيراً وبعد وصول أبرز وأهم قادتها هناك وهو راشد الدين سنان – الذي نقل الحركة من طور التشرذم والصراعات إلى الاستقرار والنجاح ، وقد حاولت الدراسة إماطة اللثام عن الكثير من الخفايا التي لحقت بتلك الشخصية وإمكانياتها وعلاقتها مع المحيطين وعلاقتها بحشيشية بلاد المشرق ، ومثلما واجه الحشاشون في المشرق الإسلامي المغول فان حشيشية بلاد الشام وجدت نفسها بين نارين الأول عداء

المحيطين لها مثل صلاح الدين الذي انهى الخلافة الفاطمية وعلاقته بالحشاشين حيث لم يفلح بالقضاء على الحركة بسبب خشيته من محاولات الاغتيال التي تعرض لها ، والخطر الآخر الذي تمثل بالصليبيين ، وأفلحت الحركة وبعد التعاون بينها وبين صلاح الدين بتنفيذ أخطر وأقوى الاغتيالات في صفوف الصليبيين ، وقد أعطت تلك العمليات التي قامت بها مجموعة من الحشاشين كانت تعرف بالفداوية – أعطت الشكل الأبرز الذي تبلور فيما بعد بانتقال لفظ الحشاشين أو الحشاش الذي رمز إلى القاتل باللغات الغربية إلى الصليبيين فيما بعد وأصبح دلالة على القاتل .

وقد الحق المبحث الذي يضم بعضاً من أفكار الحشاشين بالفصل الرابع تحت عنوان النزعات الفكرية عند الحشاشين ، ويعود السبب لعدم وضوح صورة الحياة الفكرية عند الحشيشية بشكل كامل لجملة أسباب منها فقدان كتبهم وإحراقها على أيدي المغول بعد اجتياحهم لقلاع الدعوة الإسماعيلية في بلاد المشرق ، فأبادوا مكتبتهم الشهيرة في قلعة الموت ، واحرقوا جميع كتبها التي حملت خلال أكثر من (170) سنة ، ولم يصل إلينا إلا الذي نقله الجويني الذي رافق المغول بحملتهم تلك وأطلع على مكتبة القلعة ونقل نتفاً من كتبها كما ذكر وصفها ، وقد عد الجويني المصدر الأهم والرئيس في حفظ ما تبقى من فكر الحشيشية ، اما ما نجا من الحرق والتخريب بعد ذلك فقد تعرض للتحريف والتلف ، اما نتاج الحشاشين في بلاد الشام فقد تعرض هو الآخر للمصير نفسه ، وان نجا من أيدي المغول وكذلك الصليبيين لكن نتاجهم تعرض سنة 1339هـ/1920م للحرق والتخريب على أيدي الدروز ، وهو ما أشارت إليه الدراسة ، واما ما تبقى من ذلك النتائج وأفلح في الوصول إلينا فهو يمثل البحث عن أبرة في كومة قش ؛ إذ أن كثيراً من ذلك النتاج لا يزال مخطوطاً لم يحقق وهو بأيدي بعض زعماء وقادة الحركة أو وجهائها ، ولا يمثل في الغالب تاريخاً بقدر ما يمثل عقائد تلك الفرقة التي تشابهت إلى أقصى الحدود حد التماثل مع الإسماعيلية التي انشقت عنها . وقد أسهب البحث في ذكر عقائد فرقة الإسماعيلية كما أشرنا في الفصل

الأول ، وهي ذات العقائد وتوجهات فرقة الحشاشين وما أضفناه في المبحث الأخير من الفصل الرابع كان يمثل ما أنتجه الحشاشون خلال سني وجودهم وهو ما أفلح في الوصول إلينا .

وأخيراً فقد جاءت الخاتمة لتبين أهم وأبرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة عن الحركة وأصولها .

وقبل ان نأتي على تحليل وذكر لأهم المصادر التي أمدت الدراسة بتلك المعلومات ، فقد كان الجم الغفير من تلك المخطوطات بحوزة بعض من المختصين بالدراسات والأبحاث الإسماعيلية أمثال فلاديمير ايفانوف المستشرق الروسي ، الذي يُعد أحد أهم وأبرز الأوائل الذين بعثوا تراث الحركة ، وتمثل جهوده في البحث عن تراث الإسماعيلية جهود فريق من الباحثين ، حيث أفلح في إماطة اللثام وكشف كثير من الحقائق ، وكانت دراسته بداية ومفتاح لكثيرين من بعده ، وقد تمكنت من الوصول إلى بعض من كتبه ودراسته ، التي تعدُ من النوادر لقلتها وقدمها وتفرقها ، اما الباحثون الآخرون فقد لعبوا دوراً مهماً في إزاحة باقي الغموض عن أسرار الحركة والفرقة بشكل عام وهم أمثال الباحث الدكتور مصطفى غالب والدكتور عارف تامر اللذان اشتهرا بغزارة إنتاجهما ووفرة بحوثهم ، وكتبهم وعدد المخطوطات التي قاموا بتحقيقها على الرغم من ان بعض تلك المخطوطات لا يزال بحوزتهما – رحمهما الله – وقد حاولت الوصول إلى أماكن وجودهم في سوريا وتحديداً في سلمية ، لكن الأوضاع الأمنية هناك حالت بيني وبين ذلك الأمر .

اما دراسة المستشرق الأمريكي برنارد لويس فهي الأخرى شكلت باعاً مهماً في الحصول على كثير من المعلومات فقد جاءت تلك الدراسة بكثير من الأمور الجديدة وتقصت إلى حد بعيد كثير من المعلومات الدقيقة ، وقد مثلت دراساته عن الحركة وأصولها الإسماعيلية أولى المحاولات لكشف ما خفي من أسرار تلك الحركة بما متوافر آنذاك من مصادر ومعلومات .

ولم تخل هذه الدراسة من كثير من الصعوبات التي واجهتها ، كان يقف على رأسها قلة المعلومات وندرتها وتفرقها في ثنايا الكتب ، بشكل جمل وعبارات تحمل في الغالب صفة العداء ، من جهة ومن جهة أخرى فان معظم الدراسات والبحوث الحديثة لم تصل إلينا فكان لزاماً البحث والسفر والتحري عن أصول تلك الدراسات وآخر الاصدارات التي تناولت الحركة وجذورها وبعموم الحال فان دراسة الإسماعيلية كانت الأوفر حظاً والأكثر من دراسة حركة الحشاشين .

- عرض لأهم المصادر والمراجع :

اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع المتعددة الأصيلة منها والثانوية ، وأفدتُ كثيراً من الدراسات والأبحاث العربية والأجنبية التي سبقت هذه الدراسة وأشارت إليها ، فضلاً عن بعض المصادر التي كتبت باللغة الفارسية والتي نقلت جزءًا مهما من موضوع الدراسة ، وأمدت الرسائل الجامعية والدوريات وبعض البحوث المنشورة داخل بعض الكتب والمجلات العلمية البحث بالكثير الذي أوصل الدراسة إلى ما هي عليه وتوثيق الكثير من المعلومات والآراء، وسأتناول بعض هذه المصادر والمراجع حسب أهميتها لمادة الموضوع :

- كتب العقائد الإسماعيلية :

تُعد كتب العقائد الإسماعيلية المنبع المهم لكل باحث في الشؤون الإسماعيلية ، ورغم ان حركة الحشاشين انشقت عن الإسماعيلية إلا انها بقت تحمل ذات الجذور الفكرية والعقائدية ، وان اختلفت بعض الشيء ، وقد مثلت تلك المصادر المفتاح المهم لفتح لغز الكثير من عقائد الإسماعيلية وفلسفتها التي برعت بها حتى وصف الإسماعيليون بانهم فلاسفة خاضوا غمار الفلسفة فبرعوا فيها ، ويكفي ان أحد المستشرقين نعت القرن الهجري الرابع بانه القرن الإسماعيلي ، لكثرة المنتج الفكري للحركة آنذاك .

بأية حال فان الكثير من ذلك النتاج كان نصـــيبه الضـــياع أو الاحراق لكن المتبقي يوحي بعظمة وكثرة ما كتب آنذاك وتقف على رأس تلك المؤلفات كتب وأبحاث ورســائل بعض من أهم وأشــهر دعاة الإســماعيلية أمثال القاضــي أبو حنيفة النعمان (ت363هــ/973م) والشهير أيضاً بابن حيون ، وهو أكبر منظري الخلافة الفاطمية ، ورغم ضــياع الكثير من مؤلفاته وكتبه والتي أشــار البعض على انها جاوزت الأربعين كتاباً لم يصل إلينا سوى نصف هذا العدد أو أقل منه ، وكان من أهم ما اعتمدت عليه الدراسة هي كتب أو رسائل لذلك الداعية مثل كتاب المجالس والمسايرات ، حيث أشار إلى علاقة الإمام أو الخليفة الفاطمي بالدعاة ، وطرق تنظيم الدعوة وبث الدعاة ، وأهمية المشرق الإسلامي بالنسبة للخلفاء الفاطميين قديماً قبل ظهور الحسن الصباح ، حيث كانت تلك ممهدات لنشــر الدعوة ونجاح الحســن هناك ، كما شــكلت كتباً أخرى مثل كتاب افتتاح الدعوة أو رســالة افتتاح الدعوة شــكلاً أخر عن إعطاء صــورة عن بدايات الدعوة ونجاحها في وصـــول عبيد الله المهدي إلى بلاد المغرب العربي ســـنة 297هـ/909م وتحديداً إلى مدينة رقادة ، ناهيك عن كتب أخرى لهذا الداعية مثل كتبه التي تناولت موضــوع الإمامة والأشــعار الإســماعيلية التي قيلت فيها ومن تلك الكتب كتاب الارجوزة المختار في الإمامة ، وشرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار وكتاب الهمة في آداب اتباع الأئمة والمناقب والمثالب والمجالس والمسايرات .

ومن الموارد الأخرى للبحث كذلك كتب بعض الدعاة مثل كتاب إثبات الإمامة للنيســابوري أحمد بن إبراهيم (المتوفى بداية القرن الخامس الهجري) والداعية جعفر بن منصور اليمن (ت380هـــ/990م) وكتبه سرائر وأسرار النطقاء وكتاب العالم والغلام الذي اتضـحت فيه طريقة كسـب الأعضــاء للدعوة الإسـماعيلية في حوارٍ فلسـفي بين المسـتجيب للدعوة ، واحد الدعاة بشـكل فلسـفي وكتاب الكشـف وهو تأويل إسـماعيلي لآيات القرآن الكريم .

وهو يعطي صورة عن التفسير الإسماعيلي لآيات القرآن الكريم كما تتضح في الكتاب فلسفة الإسماعيلية والكثير من عقائدها . جاءت بعد ذلك كتب أخرى لدعاة آخرين أمثال الداعية حميد الدين الكرماني (411هـ/1020م) الملقب بحجة العراقين ، وكتبه التي تناولت عقائد وفلسفة الدعوة الإسماعيلية مثل كتاب راحة العقل ورسالة النظم في مقابلة العوالم وكتاب الأقوال الذهبية وكتب أخرى شكلت مفتاحاً مهماً لمعرفة أبرز خصائص الفكر الإسماعيلي ، وقد جاءت بعد ذلك كتب المجالس التي عقدها كبار دعاة الإسماعيلية لتشكل مورداً أخر من موارد البحث والتقصي ، ومنها كتب الداعية الفاطمي الشيرازي هبة الله الشيرازي المؤيد في الدين (ت470هـ/1077م) ،وقد جمعت المحاضرات التي كان يلقيها على المستجيبين للدعوة الإسماعيلية تحت عنوان المجالس المؤيدية وهي مقسمة من المئة الأولى وصعوداً ، ويبدو من خلال تلك المجالس أبرز وأهم عقائد وتوجهات الفكر الإسماعيلي الذي شكل الرافد الأهم والأبرز لفرقة الحشاشين ، وكما يظهر وبوضح تأثر الحسن الصباح بهذا الداعية والذي لم يلتقيه – أي الحسن أثناء وجوده في مصر حيث كان قد توفي آنذاك لكنهُ أطلع على مؤلفاته وناقش تلامذته فأثار الإعجاب ولفت الأنظار ، ولعبت سيرة الشيرازي ، والتي دونها بنفسه مصدراً مهماً من مصادر البحث ، وربما تكون تلك السيرة هي ما أوحى للحسن لكتابة سيرته والتي عرفت فيما بعد بـ(سركذشت سيدنا) أي سيرة سيدنا التي نقل الجويني منها فصولاً.

ثم جاءت بعد ذلك الرسائل الإسماعيلية التي ألفها بعض الدعاة الإسماعيليون، وهي تمثل الحلقة المهمة في تطور الفكر الإسماعيلي ، ويمثل ظهورها والكشف عنها طوراً جديداً في معرفة كثير من خفايا الفكر الإسماعيلي . ومن أمثلة تلك الرسائل الرسالة الكافية لمحمد بن سعيد بن داود المعروف بالرفنة (ت854هـ/1450م) ، والذي تتضح فيها بعض عقائد الإسماعيلية وفلسفتها في الأرقام ، وكذلك رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس لشهاب الدين ابن نصر بن ذي الجوشن أبو فراس المنيقي

(ت883هـــ/1478م) حيث ضمت قسماً من عقائد الإسماعيلية مع بعض الروايات التاريخية .

- كتب الفرق الإسلامية :

حيث لا يمكن لأي باحث في الفرق الإسـلامية الاسـتغناء عن من كتبوا في الفرق الإسلامية ، رغم مواقفهم بصورة عامة عن الفرقة ، أو الحركة المراد البحث عنها ، وقد أغنت هذه المؤلفات الدراسة وأعطت صورة واضحة عن جذور الفرقة الإسماعيلية وعن حركة الحشاشين ، وما تميزت به الأخيرة عن الأصل الذي خرجت منه ومن تلك الكتب كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الاشعري القمي (ت300هـ/913م) وهو من الكتب التي تناولت جذور الفرقة الإسـماعيلية والانقسـامات التي أصـابت الفرقة وأسباب نشوئها .

والكتاب الأخر هو كتاب فرق الشـيعة للحسـن بن موسـى بن محمد (ت310هـــ/922م) ، وأماط اللثام عن بعض من أسباب ظهور الإسماعيلية والدعوة لاسماعيل بن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

والكتاب الآخر كان كتاب مقالات الإسـلاميين واختلاف المصـلين لعلي بن إسماعيل الأشعري (ت324هـــ/36م) حيث أمد الدراسة ببعض المعلومات عن عقائد الفرقة ومسـارها . ثم كتاب الفرق بين الفرق لابو منصـور البغدادي عبد القاهر بن طاهر (ت429هــ/1037م) والذي أوضح جملة من عقائد الفرقة – أي الإسماعيلية – وأسباب تسميتها بالباطنية وبواكيرها الأولى .

اما كتاب الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت458هــ/1153م) ، فهو من الكتب التي أوضحت الصـورة عن الاختلاف بين حركة الحشـاشـين والفرقة الإسماعيلية ، فقد نقل المؤلف نصوص مهمة عن كتاب الحسن الصباح زعيم ومؤسس حركة الحشـاشـين وهو كتاب (الفصـول الأربعة) ، وبين مدى الاختلاف بين دعوة

الحسن التي سميت بالدعوة الجديدة ودعوة الإسماعيلية التي أطلق عليها أو سميت بالدعوة القديمة ويأتي كذلك من الكتب التي نقلت عن دعوة الإسماعيلية وازدياد نفوذها وأثرها لاسيما في بلاد المشرق كذلك كتاب فضائح الباطنية أو المستظهري لأبي حامد بن محمد الغزالي (ت505هـ/1111م) وعلى الرغم من ان الكتاب حمل صورة العداء للفرقة ككل وللحركة بشكل خاص إلى انهُ نقل كثير من معتقداتهم وتسمياتهم لغرض الرد عليهم فكانت تلك مناسبة لحفظ بعض مما كان من عقائد الحركة وأفكارها .

- كتب التاريخ :

وكانت هذه الكتب وبكل أنواعها واحدة من أهم الموارد لدراسة تاريخ الحركة والظروف المحيطة بها بصورة عامة ، والأسباب التي جعلت الحركة تنتهج سياسات معينة حيال المحيطين بها أو حيال من وضعوا أنفسهم في خانة الأعداء لها ، وكانت تلك الكتب على الرغم من مواقف أصحابها تنقل الأحداث التاريخية بشيء من التفصيل مع الأشخاص والتواريخ وهو ما أماط اللثام عن بعض الغموض في تاريخ الحركة على الرغم مما أخفت تلك المصادر من بعض الحقائق سواء عن قصد أو غير قصد ، وهو ما شكل جهداً مضاعفاً للبحث والتقصي عن ما ضاع أو خفي عن تاريخ وأصول الحركة ، وكان من تلك الكتب كتاب تاريخ دولة آل سلجوق لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني (ت597هـ/1200م) ، وسلط الضوء على علاقات السلاجقة بالإسماعيلية الحشيشية وأبرز الحوادث التي وقعت بين الطرفين من قتال واغتيالات ، واستعرض لنشاط الإسماعيلية وتطوره واستملاكها القلاع وبراعتها في نقل الاخبار وتسللها إلى داخل بلاطات الأمراء السلاجقة .

وأفاد الباحث من كتب أخرى للمؤرخ نفسه وهما كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان حيث سلطت الروايات التي تضمنها الكتاب على بعض نشاطات الحشاشين ومن الكتب الأخرى التي عرفت الدراسة بنشاطات الحشاشين وتنظيماتهم

كان كتاب المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لعبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت597هـ/1200م) ، وأشارت كذلك لنشاطات الحركة واغتيالاتها وتوسعها ونقلت نتفاً من عقائدها . يأتي بعد ذلك كتاب الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت630هـ/1232م) وقد كان من المصادر المهمة جداً لأنه نقل الكثير من أخبار الإسماعيلية الحشيشية واستعرض لأهم الحصارات التي تعرضت لها الحركة وسلط الضوء عن نشوء الحركة وزعميها وبعض قادة الحركة هناك سواء في بلاد المشرق أو بلاد الشام وبشيء من التفصيل تخلو باقي المصادر عن مثلهِ ، وأشار لأغلب النكبات التي حلت بالحركة ورجالاتها ، ولأهم وأبرز قلاعها المنتشرة في أماكن نشاط الإسماعيلية .

ومن الكتب الأخرى كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لعبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن شهاب الدين المعروف بأبي شامة (ت665هـ/1266م) ، وسلط الكتاب الضوء على نشاط الحركة في بلاد الشام وبذورها الأولى هناك ويشكل هذا الكتاب مع كتب أخرى لابن العديم عمر بن القاضي مجد الدين أحمد بن هبة الله بن جرادة (ت660هـ/1261م) وهما كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب وزبدة الحلب يشكلان مصادر مهمة عن تاريخ ونشاط الحركة في بلاد الشام .

ويعد كتاب تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ/1347م) من الكتب التي أشار لأبرز الحوادث التاريخية المتعلقة بنشاط الحشاشين ، ووجودهم ويشكل هذا الكتاب مع كتاب أخر لنفس المؤرخ وهو كتاب العبر في خبر من غبر مصدرين مهمين للمعلومات حول طبيعة الظروف التي تعرضت لها الحركة الإسماعيلية .

اما كتاب تاريخ ابن الوردي لعمر بن المظفر ابن الوردي (ت749هـ/1348م) فقد أماط اللثام عن بعض النصوص والروايات التي وضحت صورة العلاقة بين

الحشاشين والسلاجقة واستملاكهم القلاع وما دار بين الاثنين وبداية نشاطهم والخلاف مع الفاطميين وانفراق الدعوة وظهور حركة الحشاشين ونشاط زعيمها الحسن بن الصباح .

وكان كتاب تاريخ ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ/1405م) هو الآخر من كتب التاريخ التي تطرقت لنشاط الحركة في بلاد المشرق وبلاد الشام، وعلاقتها بالسلاجقة والخوارزميين من بعدهم ، وأشار للعلاقات بين الحشاشين وبعض الخلفاء العباسيين .

اما كتاب عيون الاخبار وفنون الآثار لادريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن عماد المعروف بعماد الدين القرشي (ت872هـ/1467م) ، فكان من أبرز المصادر ، إذ أفاد الدراسة بشكل كبير ، وتتبع أخبار الأئمة الفاطميين ونشاطهم في دوري الستر والظهور واختفاء أول أئمتهم ونشاطه ودور دعاته في بث الدعوة وصولاً إلى قيام الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر ومستعرضاً لتلك الحوادث بشيء من التفصيل .

- المصادر الفارسية :

شكلت هذه المصادر الحلقة الأهم والأبرز ربما في دراسة تاريخ حركة الحشاشين ونشاطهم ، وربما كان سبب أهميتها لأنها نقلت كثير من الحوادث وانفردت بها دون المصادر الأخرى لأسباب عدة كان منها ان مؤرخي تلك المصادر كانوا على مقربة من نشاط الحركة وأعضائها – أي في بلاد المشرق – والسبب الأخر ان البعض أمثال الجويني أطلع على كتب قلعة الموت ومكتبتها هناك وهو ما أتاح لهُ الانفراد بمعلومات دقيقة عن الإسماعيلية وعن حركة الحشاشين وزعيمها الحسن بن الصباح .

وكان من تلك الكتب كتاب تاريخ بيهق لعلي بن زيد ظهير الدين أبي الحسين (ت565هـ/1169م) الذي أشار إلى معلومات متفرقة عن نشاط الحركة في مدينة بيهق وأهم وأبرز الحملات التي نفذها السلاجقة ضدهم ، ثم يأتي بعد ذلك كتاب تاريخ فاتح

العالم (جهانكشـــاي) لعلاء الدين عطا ملك بن الصـــاحب بها الدين الجويني (ت683هـــ/1284م) ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر التاريخية المعتمدة في دراسة حركة الحشاشين ، إذ ان صاحب الكتاب – الجويني – كان مرافقاً لحملات المغول في بلاد المشرق وعند فتح قلاع الحشاشين وقد أطلع بنفسه على مكتبة قلعة الموت ونقل سيرة الحسن بن الصباح التي وجدها داخل المكتبة وأشار كذلك لكثير من عقائدهم وتاريخهم وفلسفتهم ، وأشار إلى نشاط الحشاشين وعلاقتهم بالسلاجقة مشيراً بذلك إلى خشية هؤلاء بعد تنامي عمليات الاغتيال ضدهم، وأعطى صورة ولو سريعة عن زعماء وقادة الحركة وأبرز الحوادث في فترات حكمهم ، وقد عد الجويني أحد المصـــادر الرئيسية لمن جاء من بعده .

والمصـــدر الآخر الذي يوازي الجويني هو كتاب جامع التواريخ (القسم الخاص بالإسـماعيلية) قسـمت إسـماعيليان وفاطميان ونزاريان وداعيان ورفيقان لرشـيد الدين فضل الله الهمذاني (ت718هــ/1318م) الذي تناول بشيء من التفصيل تاريخ الحركة وأبرز عقائدها وأسباب انشقاقها عن الإسماعيلية وأبرز أسماء المغتالين وسياسة الحركة حيال القوى الأخرى وأبرز زعمائها ومدة قوة وضـــعف الحركة بوجه عام ، مشـــيراً إلى أسماء بعض من دعاتها .

اما كتاب تاريخ كزيدة لحمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصـر المعروف بحمد الله مستوفي (ت730هــ/1329م) فهو الآخر قد أغنى الدراسة بالمعلومات التي تناولت تاريخ الحركة والأحداث المحيطة بها ويشكل هذا الأخير مع كتاب تاريخ روضة الصفا لغياث الدين بن همام الدين الحسـيني المعروف بخواند امير (ت903هـــــ/1497م) يشكلان مصدرين مهمين في معرفة كثير من الحوادث والأخبار التي أغفلت المصادر التاريخية ذكرها وقد تناول الأخير – تاريخ روضـــة الصـــفا – عقائد الحركة وأسـباب نشـــوئها ورحلة الحســن بن الصـــباح وتحصــــنه داخل القلاع ، وتنظيمه للمجتمع الإسماعيلي في بلاد المشرق .

- كتب التراجم والسير :

وقد تكون هذه الكتب من الأهمية ، في كشـف كثير من المعلومات عن قيادات الحركة وزعمائها وإمكانياتها ونبوغهم ، فقد أمدت الدراســـة بمعلومات عن الحركة وتاريخها وعن الحديث عن زعمائها وقادتها ويمكن القول ان كتب التراجم حفظت الكثير من المعلومات التي أغفلتها أو تجاهلتها كتب ومصادر التاريخ الأخرى ومن هذه الكتب كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي ســـعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي المعروف بابن خلكان (ت681هـــ/1282م) ، حيث أشار لأبرز قادة الحركة في بلاد الشام وهو راشد الدين سنان وحفظ جزءًا من أشعاره وصفاته وإمكانياته وعلاقته بصلاح الدين الأيوبي .

وقدم لنا الصفدي صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1362م) صورة أوفى عن شخصيات الحركة وصفاتها ، وما اشتهرت به حيث تناول نتفاً من سيرة الحسن وبعض قادة الحركة في بلاد المشرق ذاكراً العلاقة بينهم وبين السلاجقة ، وأشار لسيرة راشد الدين سنان معرجاً لتاريخ الدعوة وذاكراً أسباب انفراقها عن الإسماعيلية ، وما دار بين راشـــد الدين وصـــلاح الدين وطبيعة العلاقة بين الطرفين كما تناول المحاورة والأشعار التي دارت بين الاثنين .

ثم يـأتي مؤرخ أخر وهو محمـد بن أحمـد بن عثمـان بن قـايمـاز الـذهبي (ت748هـــ/1347م) وكتابه سير اعلام النبلاء حيث احتفظ بكثير من المعلومات عن الدعوة وسيرة رجالها مستعرضـاً لأبرز الحوادث التي رافقت إنشـاء الحسن بن الصـباح للحركة ونشاطه في بلاد المشرق ، وأشار كذلك لنشاط راشد الدين سنان وصفاته وما تمتع به من إمكانيات .

امـا شـــهـاب الـدين بن نصـــر بن ذي الجوشـــن أبو فراس المنيقي (ت883هـــ/1478م) فقد نقل سيرة راشد الدين سنان تحت عنوان مناقب المولى راشد

الدين سنان ، وقد زودت تلك السيرة الدراسة بكثير من المعلومات والروايات عن شخصية راشد الدين سنان ، وتنظيمه الدعوة ، وتحصينه للقلاع مع محاولته إنشاء مدرسة لتدريب الفداوية ، وأعطت صورة عن كثب لعلاقة راشد الدين وتعاونه مع صلاح الدين الأيوبي في مواجهة الخطر الصليبي .

- كتب البلدانيين :

ومن الكتب التي أثرت الدراسة وامدتها بكثير من المعلومات القيمة حول الطبيعة الجغرافية ومناطق نفوذ الحركة ومناخها ، وقد كانت تلك المصادر منبعاً لمعرفة الكثير عن خصائص ووعورة الأرض التي نشط فيها الحشيشية مما كشف عن سر بقاء الحركة لمدة طويلة وفشل الحملات العسكرية التي توجهت للقضاء عليها ، كما أشارت بعض الكتب الرحالة لورود تسمية الحشاشين وذكرها ويبدو من خلال ما نقله هؤلاء ان كثير من معلوماتهم كان قد نقل من السكان المجاورين للحركة .

ومن كتب البلدانيين تلك كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لمحمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي (ت نحو 380هـ/990م) ، وذكر بعض المدن والبلدان التي وردت في أثناء هذه الدراسة وخصائص وطبيعة تلك المدن وأجوائها وأهميتها ، ثم كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد بن محمد الادريسي (ت560هـ/1164م) ، وأعطى صورة عن بعض المناطق التي نشطت فيها الدعوة من خلال ذكره لبعض القرى والمدن وطبيعة سكانها . يأتي بعده بنيامين بن يونة التطيلي النباري الأندلسي (ت561هـ/1165م أو 569هـ/1173م) حيث كان من المصادر الأولى التي ورد عنده ذكر لمصطلح أو كلمة الحشاشين وقد نوه لمناطق وجودهم وبعض من خصائص المنطقة الجغرافية التي وجدوا فيها مع ذكر لمن كان بجوارهم وبأي حال فان بعض معلومات هذه الرحالة كان يحمل صفة العداء ويبدو انه استقى معلوماته تلك من السكان المحليين الذين كانوا مجاورين لقلاع الحشيشية .

اما كتاب معجم البلدان لأبي عبد الله ياقوت الحموي بن عبد الله الرومي (ت626هـ/1288م) فقد أغنى البحث بتعريفهِ لكثير من المناطق الجغرافية وكذلك لذكره قلاع الدعوة الإسماعيلية وحصانتها وتاريخ بناء بعضها وقد انفرد الحموي بذكر بعض المواقع التي لم أجد لها تعريفاً في مصادر أخرى لغزارة ووفرة معلوماته الجغرافية الدقيقة .

ثم كتاب آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القاضي المعروف بالقزويني ، حيث وردت فيه بعض الروايات التي انفرد بها ، حول قلاع الحشاشين وطرق مراسلاتهم وعلاقاتهم بالآخرين فكان إلى جانب كونه مصدراً من مصادر الجغرافية قد نقل نصوصاً تاريخية توضح طبيعة التنظيم عند الحركة .

- الدراسات الحديثة :

حيث تناول كثير من الدارسين والباحثين تاريخ الإسماعيلية بشكل عام وتاريخ حركة أو فرقة الحشاشين مستندين بذلك إلى ما وقع بين أيديهم من مصادر وروايات وكان بعض تلك الدراسات قديماً ولم تتح لهُ الفرصة للاطلاع على ما تم الكشف عنه من مخطوطات ورسائل قام بعض الباحثين بالكشف عنها وتحقيقها ونشر البعض قسم من أصول بعض تلك الرسائل ، ومن هذه الدراسات ما قام به بعض المستشرقين ومنهم المستشرق الروسي فلاديمير ايفانوف ، ويعد من الباحثين الأُوَل في مجال الدراسات الإسماعيلية ومن كتبه المعربة في هذا المجال كتاب الموت ولامسار ، وتناول فيه وصف لقلعتي الموت ولامسار وطبيعة المنطقة الجغرافية التي زارها بنفسه واطلع على موقع القلعة وطبيعتها الجغرافية ما ذكر ما أشار إليه الجويني لبعض الروايات التي تخص الدعوة بصورة عامة ، وكتابه الآخر باللغة الانكليزية الذي حمل عنوان عقيدة الفاطميين (ACREED OF FATIMIDS) وأشار إلى بعض من عقائد الفاطميين وتوجهاتهم

الفكرية كما قام ايفانوف بنشر بعض الكتب الإسماعيلية والتي تمكنت من الحصول عليها مثل الذي حصل في كتابه (المنتخب من بعض الكتب الإسماعيلية) .

اما المستشرق الآخر فهو برنارد لويس ، وقد أماط اللثام عن كثير من خفايا الحركة والدعوة الإسماعيلية بجملة من كتاباتها المعربة مثل كتاب "أصول الإسماعيلية" وخصصه لنشأة الخلافة الفاطمية ، وأشار كذلك في كتبه الأخرى مثل كتاب الحشيشية الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية حيث عرجت دراسته على بعض من اغتيالات الحركة ونشاط زعمائها ، وانتشارها في بلاد المشرق والشام ، وجاء بعد ذلك كتابات فرهاد دفتري مثل كتاب الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم وكتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط وخرافات الحشاشين هي الأخرى مفيدة للدراسة .

ولا ينكر ما للباحثين الإسماعيليين د. مصطفى غالب ود. عارف تامر من جهد في نشر كثير من المؤلفات وتحقيق كثير من المخطوطات والكتب الإسماعيلية التي أمدت الدراسة بسيل من المعلومات على الرغم من ان صعوبة الحصول على بعض كتب هذين الباحثين ومن أبرز الكتب التي اعتمدت في هذه الدراسة للدكتور عارف تامر كتاب تاريخ الإسماعيلية وكتاب الغزالي بين الفلسفة والدين ، إذ ضم الكتاب الأول معلومات استقاها الباحث من بعض المخطوطات التي بحوزته ولم تنشر . اما الباحث الأخر د. مصطفى غالب فقد مثلت كتاباته رافداً آخر من روافد هذه الدراسة في كتبه المتعددة مثل كتاب اعلام الإسماعيلية الذي تتبع فيه بعض قادة وزعماء الحركة ، وكتابه الآخر الحسن الصباح الثائر الحميري . وأفدت كذلك من كتب وباحثين آخرين أمثال كتابات د. علي حسن موسى وكتابه شيوخ الجبل الإسماعيلية وباحث آخر هو حسام خضور الذي يعد كتابهُ (أهم القلاع الإسماعيلية في سوريا) من الدراسات المهمة لمعرفة قلاع الحشيشية هناك وطبيعتها وما أميط اللثام عنه حديثاً حول طبيعة تلك القلاع .

فضلاً عن ذلك فقد اعتمدت الدراسة على كثير من الدوريات والرسائل والأطاريح ومن تلك الدوريات مجلة الموسم التي أفرغت ثلاثة من أعدادها للدراسات الإسماعيلية نشرت خلالها بعضاً من المخطوطات النادرة التي بحوزة بعض دعاتها ، ونشرت كثير من الأبحاث لباحثين عرب ومستشرقين تخص تاريخ الحركة وعقائدها وتنظيماتها .

وأخيراً وليس آخراً وقبل الختام نأمل ان نكون قد وفقنا في إعطاء لمحة عن هذه الدراسة التي تناولت حركة الحشاشين واتجاهاتها السياسية والفكرية والأثر الذي تركته في أماكن وجودها سواء في بلاد المشرق أو بلاد الشام ، وأكون قد أسهمت بجزء متواضع في إعطاء صورة عن تاريخ الحركة ونشاطها محاولاً تفادي ما وقع فيه أغلب من خاضوا غمار البحث في تاريخ وعقائد هذه الحركة .

ولابد ان أشير إلى اني قد بذلت في هذا البحث ما استطعت من جهد ومقدرة وتحملت عناء السفر والبحث عن المصادر والدراسات والتي شحت أغلبها هنا وتطلب البحث عنها جهداً وأخيراً أرجو ان أكون قد وفقت واما ما فاتني ذكره والإشارة إليه : چ **ى ې ې ډ ډ ئا ئا**چ (سورة البقرة : من الآية 286) فلا كمال إلا لله جل وعلا .

الباحث

الفصل الأول

الحشاشون تسميتهم وجذورهم العقائدية والفكرية

- المبحث الأول : الحشاشون نشأتهم وجذورهم .
- الحشاشون لغةً واصطلاحاً .
- الحشاشون وجذورهم الإسماعيلية بداية التأسيس .
- ظهور الإسماعيلية على المسرح السياسي .
- جذور الإسماعيلية وبواكيرها الأولى .
- أ- الخطابية .
- ب- المباركية .
- المبحث الثاني : الحشاشون وصلتهم بالعقائد الإسماعيلية .
- الإمامة .
- دور الستر "الأئمة المستترون الأسباب والنتائج" .
- فلسفة الاعداد عند الإسماعيلية والرقم سبعة .
- الإسماعيلية بين الظاهر والباطن وعلاقة ذلك بالتنظيمات السرية .
- رسائل أخوان الصفا والإسماعيلية .
- المبحث الثالث : ظهور الخلافة الفاطمية وصلتها بالحشاشين .
- سير الدعوة وظهور القرامطة .
- الخلافة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب .
- الخلافة الفاطمية في مصر .
- الانشقاقات زمن الفاطميين – الدروز - .

الفصل الأول
المبحث الأول
الحشاشون نشأتهم وجذورهم

- الحشاشون لغةً واصطلاحاً :

قبل الخوض في ما تعنيه كلمة الحشـاشـين ، والاختلافات التي قيلت حولها ، لابد لنا ان نسـتعرض ما جاء في معاجم اللغة العربية حول جذور وأصـول تلك الكلمة التي احتار فيها الدارسون كثيراً ، وفي نسبتها إلى الفرقة التي نحن بصددها .

ذكر ابن منظور ان الحشـاشـين كلمة جاءت في اللغة من أولئك الذين يقطعون الحشـيش في البادية إذ يقول في معرض تعريفه لكلمة شـكبان وهو "شـباك يسـويها الحشـاشـون في البادية من الليف والخوص تجعل لها عرى واسـعة يتقلدها الحشـاش فيضع فيها الحشيش"[1] .

والحشـاش الجوالق فيها الحشـيش ومن كل شـيء جانبه وهما حشـش واحشـة والحشـاشـي يقال حشـاشـاك ان تفعل كذا ومبلغ جهدك وغايتك والحشـاشـة[*] بقية الروح في المريض ويقال ما بقي من الشـمس إلا حشـاشـة نازع وما بقي من المروءة إلا

(1) الأزهري ، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت370هـ/980م) ، تهذيب اللغة ، ط1 ، تح : محمد عوض مرعي ، دار النشـر دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م ، مادة (كشـب) : 19/10 ، ابن منظور الأفريقي ، محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م) ، لسان العرب ، ط1 ، دار صار ، بيروت ، د.ت ، مادة (شـكب) : 506/1 ، مرتضـى الزبيدي ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض (ت1205هـ/1790م) ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د.م ، د.ت ، مادة (شكب): 155/3 .

(*) ورد عند إحدى قصائد المتنبي بيت شعر يقول فيه :

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا   فلم أدري أي الظاعنين أشيع

ينظر : العكبري ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمن أبو البقاء البغدادي (ت690هـ/1291م) ، ديوان المتنبي ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة، بيروت ، د.ت : 93 . وهي إشارة لبقية الروح في الجسد .

حشاشة محتضر "على التشبيه" (والحش) الاحشوش والبستان والنخل المجتمع والكنيف والمتوضأ ، والحشة القمة العظيمة ينبت ويبيض فوقها الحشيش"[1] .

وأورد الدنيوري في معرض تعريفه بالحشـــيش "يبس العشـــب ولا يقال للرطب حشـــيش ، وقد حش يحش إذا جف ، وحشـــت يد الرجل إذا جفت ، والحش هو جز الحشيش"[2] .

هذا أهم ما أمدتنا به كتب المعاجم من المعنى اللغوي للكلمة ، وهو ما ســـنراه مفيداً من خلال عرض ما ذكره الباحثون في أصل الكلمة الاصطلاحي . أول ما وردت كلمة الحشاشين ، عند الرحالة بنيامين التطلي وهو رحالة يهودي الأصل ، إذ قال في كتابه المعروف برحلة بنيامين التطلي ، وهو يصـــف مدينة جبلة "وهي بلعجاد الواردة في التوراة في سفوح جبال لبنان ، وبظاهرها تقيم الطائفة المعروفة بالحشيشيين"[3] .

---

(1) الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت170هـــ) ، كتاب العين ، تح : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، د.ت ، مادة (حش) : 11/3 ، الرازي ، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر شمس الدين (ت660هـ/1261م) ، مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، طبعة جديدة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1995م ، مادة (حشش) : 167 ، الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم (ت817هـ/1414م) ، القاموس المحيط ، دار الرسالة ، بيروت ، د.ت ، مادة (حش) : 761/1 .

(2) الدنيوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/895م) ، كتاب النبات ، تح : بزلوين ، مطبعة بريل – ليدن ، 1953م : 130-131 .

(3) التطيلي ، الربي بنيامين بن يونة النباري الأندلسي (ت569هـ/1173م) ، رحلة بنيامين التطيلي ، ط1 ، ترجمة : عزرا حداد ، وتقديم : عباس العزاوي ، دار الوراق للنشر المحدودة ، بيروت ، 2011م : 114-115 ، وحول أصل المؤلف ونبذة عن حياته وقيمة رحلته راجع مقدمة الكتاب ص38 وما بعدها .

ووردت كلمة الحشاشين مرة أخرى عند بنيامين في وصف لبلدة نهاوند وان فيها أرض الملاحدة وبأنها الأرض التي تسكنها طائفة ... يعتصم اتباعها بالجبال المنيعة ويطيعون "شيخ الحشيشيين"[1] .

يبدو من هذا النص ان الرحالة التطلي لم يصل أرض الحشاشين تلك وانهُ اكتفى بذكر أخبارهم بصورة مقتضبة ، وانهُ استحصل تلك المعلومات عن طريق التجار والواردين فيها ، فهي ليست بالضرورة صحيحة . وهو ما يوضحه التضارب الوارد في الرواية ذاتها من جهة ، ومن جهة أخرى تبين ان لفظة الحشاشين أطلقت على الفرقة الموجودة في بلاد المشرق ، وأطلقت على الفرقة الموجودة في بلاد الشام[*] ، وهو ما نلاحظ خلافهُ عند الحديث أكثر عن التسمية ، وقد أشار لذلك المستشرق برنارد لويس بالقول حول معلومات بنيامين ؛ إذ ذكرها قائلاً : "ويبدو انهُ لم يعرف أكثر من ذلك"[2] .

لكننا نلمس من رواية بنيامين تلك ان كلمة الحشاشين ظهرت عند أول رحالة كان قد زار مناطق تواجدهم وهي تظهر وللمرة الأولى نشاط الحشيشية في بلاد المشرق وبلاد الشام وفي وقت مبكر .

ثم تظهر لدينا معلومة جديدة ، أكثر تفصيلاً من خلال ما ذكره الرحالة ماركبولو Marco Polo الرحالة الإيطالي الشهير الذي زار إيران سنة (672هـ/1273م) وذكر

---

(1) التطلي ، رحلة بنيامين ، 185 .

(*) وقد أوضح أحد الباحثين تعليقاً حول هذا الأمر بالقول ان بنيامين كان ضيفاً على الخليفة العباسي المستنجد بالله (555-566هـ/1160-1170م) لذا قال بما كان سمعه من العباسيين عن جماعة ابن الصباح . ينظر : رشيد الخيون ، لا إسلام بلا مذاهب ، ط1 ، الناشر دار مدارك ، بيروت، 2011م : 114 .

(2) Jemes of vitry , Bongards , Geste Dei per francos, Hanover, p. 1611 : 1062
وينظر كذلك : برنارد لويس ، الحشيشة الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية ، ترجمة وقدم له وزاده : أ.د. سهيل زكار ، ط2 ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، دمشق ، 2006م : 164 .

الجنة التي انشأها الحسن الصباح في قلعة آل موت(*) ، ويضيف ماركبولو بانهُ سمع المعلومات التالية عن هذا الرئيس من أشـــخاص متفرقين "كان يســـمى علو الدين وهو على دين محمد "إذ أنشأ الحسن بن الصباح – وهو مؤسس فرقة الحشاشين كما سنأتي على ذكره – انشـأ في واد مونق محصـور بين جبلين شـامخين انشـأ بسـتاناً فاخراً جمع فيه أشـــهى الثمرات وأعطر النباتات التي اســتطاع إليها وصـــولاً(**) ... ويترســـل هذا الرحالة بذكر تلك الجنة التي ملئت حجراتها بالصـــور الزاهية وبالأثاث المكســـو بأفخم أنواع المجوهرات وقد استخدم أنابيب صـغيرة صـممت في هذه المباني وبواسطتها كانت أنهار اللبن والخمر والعســـل وماء فرات تشـــاهد وهي تفيض في كل اتجاه ، وقد زينت تلك القصور بالحوريات الرشيقات الجميلات واللواتي دربن حتى اتقن جميع فنون الغناء واللعب على جميع أنواع الآلات الموســـيقية والرقص ، وأتقن بوجه خاص أفانين الغزل والإغراء والدلال ، وكن يشـــــاهدن دوماً وهن يرتدين أبهى الثياب وأثمنها وهن يلاعبن ويسلين أنفسهن في الحديقة ولا يسمح لهن بالظهور . اما هدف تلك الجنة فكان حسب قول ماركوبولو هو محاكاة الجنان التي وعد الله بها المتقين الذين يطيعون الرســـــول { ρ } والهدف الذي أنشـــأت من اجله كان كالآتي هو ان شـــيخ الجبل كان يتحدث لاتباعه يومياً في موضـــوع الجنة التي بشـــر النبي { ρ } وعن قدرته هو على الانعام

(*) أل موت : قلعة حصـــــينة من ناحية روذبار بين قزوين وبحر الخزر على قلّة جبل ، وحولها وهاد لا يمكن نصـب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها . وهي كرسـي ملك الإسماعيلية ، قيل: ان بعض الديلم أرســل عقاباً للصـــيد وتبعها ، فرآها وقعت على هذا الموضـــع فوجده موضـــعاً حصـيناً ، فاتّخذه قلعة وسماها إله أموت أي تعليم العقاب بلسـان الديلم . ومنهم من قال: اسم القلعة بتاريخها لأنها بنيت في سـنة سـت وأربعين وأربعمائة وهي (م و ت) . ينظر: القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـــــ/1283م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صـــادر ، بيروت ، د.ت : 301 .

(**) يذكرنا ذلك الوصف بوصف يأجوج ومأجوج والتي ورد ذكرها في سورة الكهف وكيفية وصف بعض السكان لهم . للمزيد ينظر : السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت911هـ/1505م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر ، بيروت ، 1993م : 441/5.

بالدخول إليها على المقربين "كما كان يأمر بإعطاء الأفيون لعشــرة أو دســتجة (أثنى عشـر) من هؤلاء الشـبان فإذا صـرعهم النوم فأصـبحوا نصـف موتى أمر بحملهم إلى الأجنحة العديدة للقصـــور المتناثرة في البســتان . فإذا اســتفاقوا من حالة التخدير ، صــعقت حواســهم جميع الأشـياء البهيجة التي سـلف وصـفها ، ووجد كل منهم نفســه محوطاً باوانس فاتنات يغنين له ويلعبن بالآلات ويســتهوين لبه وحواســه بافتن أنواع المداعبة والعناق ، ويقدمن إليه أشـهى اللحوم وأفخر الخمور ، ولا يزلن به حتى يسـكر بما هو فيه من فرط المتعة وما حوله بالفعل من أنهار ومن لبن وخمر حتى يعتقد انهُ في الفردوس ويحس بعزوف عن التخلي عن مباهجتها فإذا انقضـــت بهم على تلك الحال أربعة أيام أو خمســة دفعوا بهم ثانية إلى حالة من النعاس(*) وحملوا إلى خارج البستان(**)"(1) .

(*) أشار إلى ذلك أيضاً ولو أنه لم يذكر تخدير الأتباع بواسطة الحشيشة . الكاتب الغربي بورشار دوستراسبورغ عند وصفه تأثير شيخ الجبل زعيم الحشاشين في أنصاره وأعوانه وتربيته للمقربين . ينظر للاستزادة رواية بورشـارد دوسـترابورغ تحت موضـوع "الحشـاشـون والدروز والنصـيريون" وفقاً للمراجع الغربية في القرون الوســطى . ضــمن كتاب مســيحيون ومســلمون زمن الحروب الصليبية بين المواجهة واللقاء ، طبعة باريس ، لسنة 2007م : 36-37 .

(**) هناك جذور لفكر وجود الجنة في الجبال عند الزرادشـــتية ، وهي ديانة المجوس ، إذ اعتقد هؤلاء الزرادشـتيون ان موضـع الجنة فوق جبل (اهاز) لاعتقادهم ان أول ما خلق الله هو الجبال . ونجد التشــابه الأكبر والأكثر بين قصــة أو رواية ماركبولو في وصــف جنة الحشـيشــة وما وصــف أيضــاً في الجنة المفترضــة في جنوبي العراق واسـومديدن تحديداً وكيف ان تلك الجنة كانت مؤلفة من قصـــور تحيط بها حدائق يجري فيها ماء الحياة . للمزيد ينظر: الخفاجي ، د. مزهر ، البحث عن جنة الفردوس دراسة في أساطير الحضارات القديمة ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2008م : ص22 ، وص91 .

(1) ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو ، ترجمها إلى الإنجليزية : وليم مارســدن ، وإلى العربية : عبد العزيز جاويد ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1995 : 90-91 .

ويكون الغرض من كل هذا الأمر هو ان يكون هؤلاء الفتية طوعاً بيد زعيمهم لتنفيذ ما يطلبه منهم ، وهو بالدرجة الأســـاس اغتيال الأشـــخاص المعادين للحركة أو الذين يشـكلون خطراً سـياسـياً أو فكرياً على فرقتهم ، ولكن بصـورة قد تجعل المنفذين لتلك العملية وكأنهم ينفذون عملاً أشـــبه بالانتحار عند قتل الخصـــم وهو في الغالب يكون محاطاً بالحرس أو الخواص من أتباعه أو من ذوي الجاه والمكانة[1] .

ان ما يثير التساؤل ان تلك الجنة ووصفها لم يرد في أي من المصادر التاريخية القديمة ، عدا كتاب الرحالة ماركوبولو[*] ، ومما يدفع إلى التساؤل ان أعداء الحشيشة لم يذكروا تلك الجنة وعلى رأســـهم علاء الدين عطا ملك الجويني والذي رافق هولاكو عند اقتحامه لقلاع الحشاشين وكان من ألد أعدائهم كما أفصحت بذلك كتاباته عنهم[2]

.

---

(1) ينظر : ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو : 1/90-91 ، برنارد لويس ، الحشـــيشـــة : 166، عثمان ، هاشـم ، الإسـماعيلية بين الحقائق والأباطيل ، ط1 ، منشـورات مؤسـسـة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1998م : 252 .

(*) أشـــار لويس لأمر مهم حول تنفيذ تلك الرواية بالقول ان هذه القصـــة رغم ظهورها المبكر وانتشـارها الواسـع تكاد تكون غير صـحيحة إطلاقاً ، ان اسـتخدام الحشـيش وآثاره كان شـيئاً معروفاً في ذلك الوقت ولم يكن بالســـر المجهول أو وقفاً لزعماء تلك الفرقة ولم يذكر أحد من الكتاب الإسماعيليين أو الكتاب الآخرين الجادين ان الإسماعيليين كانوا يستخدمون هذا المخدر ، وحتى كلمة (حشيشي) كانت قاصرة الاستعمال على سوريا ولعلها لفظة شعبية استخدمت في غير محلها ، وكل الدلائل تشـير إلى ان الاسـم هو الذي أوجد القصـة لا العكس، ومن بين التفسيرات المختلفة التي عرضت يبدو ان الأكثر احتمالاً إنه تعبير يدل على احتقار العقائد لفئة والسلوك المعيب لأعضاء تلك الفرقة فهو تعبير ساخر عن سلوكهم أكثر من كونه وصفاً حقيقياً لأفعالهم . ينظر : برنارد لويس ، الحشـاشـون فرقة ثورية في تاريخ الإسـلام ، تعريب: محمد العربي موسى ، ط2 ، دار ازال للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1986م : 30.

(2) ينظر : الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن الصاحب بهاء الدين محمد (683هـ/1284م)، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي ، نقلهُ عن الفارسية وقارنه بالنسخة الأنكليزية : د. محمد التونجي

ولم يشر الغزالي وهو الآخر ممن كان يكن لهم العداء وألف في ذلك كتاباً أسماهُ فضائح الباطنية – لم يشر إلى تلك القصة عن الجنة أو تلك التسمية[1] .

وان الملفت للنظر ان الجويني لم يشر عند تفقده قلاع الحشاشين بعد افتتاحها من هولاكو لأي أثر لتلك الجنة .

وقد ذهب الأستاذ الخشت لتفنيد هذه الرواية في وجود ذلك الفردوس في إقليم وعر وشديد البرودة وإمكانية بقائه لمدة نصف العام في السنة الواحدة[2] .

يبقى الرأي الآخر الذي رجحه المستشرق الروسي ايفانوف وغيره من العلماء المهتمين بالأبحاث الإسماعيلية ، إذ أرجعوا كلمة (الحشاشين) إلى أربعة أوجه هي كالآتي :

1- (assassant) (اساسان) معناه القتلة وهذه لفظة الفرنسيين الصليبيين على الفدائية الإسماعيلية الذين كانوا يفتكون بملوكهم وقادة جيوشهم فخافوهم ولقبوهم بـ(الاساسان) .
2- (Asoassins) نسبة إلى رئيس الفدائية (الحسن بن الصباح) أي (حساسان).
3- حساسون – ذوو حس وشعور .

، ط1 ، دار الملاح للطباعة والنشر ، حلب ، 1985 ، ينظر الفصل الخاص عن ذكر حركة هولاكو لفتح قلاع الملاحدة : 248 وما بعدها . وكذلك ينظر : العلي ، فيصل كاظم أحمد ، علاء الدين الجويني وكتابه (تاريخ جيهان كشاي) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة البصرة ، بإشراف : أ.د. تحسين حميد مجيد ، سنة 1996م/1416هـ ، راجع الفصل الثاني : 86-87 .

(1) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ/1111م) ، فضائح الباطنية ، تح : د. عبد الرحمن بدوي ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1964م .

(2) الخشت ، د. محمد عثمان ، حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، 1988م : 66 .

4- عساسون[*] – يقضون الليالي في قلاعهم وحصونهم[1] .

ويقترب أحد الباحثين أكثر إذ يصف تصور مؤرخي أوربا عن الحشاشين بالقول ان أوربا عرفت كلمة (Assasins)[**] (السفاكين) لأنها تبنت مبدأ الاغتيال

(*) ورد عند ابن منظور ان كلمة العس في إحدى معانيها من "عس يعس إذا طلب واعتس الشيء طلبه ليلاً وقصده ... والعسوس والعسيس الذئب كثير الحركة والذئب العسوس الطالب للصيد ويقال للذئب العسعس والعساس لأنهُ يعس الليل ويطلب ... وقيل ان هذا الاسم يقع على كل السباع إذا طلب الصيد بالليل" . ينظر : لسان العرب ، مادة (عسس) : 139/6، وويشير صاحب المصباح إلى معنى آخر للكلمة فيقول (عس) (يعس) (عسا) من باب طلبة القتل إذا طلب أهل الريبة في الليل . ينظر : ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت321هـ/933م) ، جمهرة اللغة ، ط1 ، تح : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1987م ، مادة (سعع) : 1008/2 ، الفيومي : أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس (ت770هـ/1368م) ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، دار النشر المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت ، مادة (العس) : 409/2 .

(1) غالب ، مصطفى ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت : 265 ، دفتري ، فرهاد ، خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين ، ترجمة: سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 1996م : 223-238 ، السيد ، د. عبد اللطيف عبد الهادي ، الحشاشون دراسة في ظاهرة الإرهاب في الماضي والحاضر ، منشورات المكتب الجامعي الحديث ، مصر ، 2011م : 17-20 .

(**) كلمة حشاشين إنما ترجع في أصولها إلى الكلمة العربية حساسين وجاء في المعجم الوسيط ان كلمة حساس تعني رديءالخلق أو مشؤوم وكلمة حس تطلق عند الألم المفاجئ . ينظر: = = إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، دار النشر دار الدعوة ، مصر ، د.ت ، مادة (حساس) : 173/1 . وجاءت أيضاً في احدى معانيها – حساس – بانها الشيطان . الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (حس) : 542/15 . وجاءت في نفس المصدر بمعنى القتل والحس بالفتح تعني الشر : 543/15 . كل تلك المعاني تشير إلى ان الكلمة انتقلت إلى الأوربيين وكانت تدل على القتل ، وربما تكون قد استعيرت من العرب وهي في جذورها عربية وكانت تعني القتل خيراً أو شراً أو الشؤم وهي كلمة ومعاني تبلورت في تلك

السياسي والإرهاب وسيلة لتحقيق أهدافها[1] .

من ذلك يمكننا الاستنتاج ان فكرة مؤرخي أوربا عن حركة الحشاشين جاءت بالدرجة الأساس بسبب ما كانت تقوم به الحركة من عمليات اغتيال وتصفية للخصوم . وهي فكرة لابد انها جاءت بعد تبلور التسمية بوقت ليس بالقصير ، ثم بعد وصول الصليبيين إلى المشرق فيما بعد واحتكاكهم بتلك الحركة . اما جذور الكلمة وأصولها العربية فهو احتمال ترجحه الأبحاث ونحن نميل من خلال ما استعرضناه للقول به وهو ما ذهب لهُ أحد الباحثين بالقول "لم يحل القرن الثالث عشر حتى كانت كلمة "حشاش" (Assassin) قد دخلت بأشكال مختلفة في الاستعمال الأوربي بهذا المعنى أي معنى القاتل المحترف المأجور"[2] ، ثم نقل نصاً ورد في تقرير كتبه مبعوث أرسله الإمبراطور فريدريك بربروسه إلى مصر وسوريا عام 571هـ/1175م يصف فيه حال الحشاشين وأماكن وجودهم المجدبة فيقول : "ولما كانت بلادهم ليست خصبة بما فيه الكفاية لذلك فانهم يعتمدون على ماشيتهم"[3] ثم يستدرك بعد ذلك في وصف جنان هؤلاء الحشيشية .

الكلمة ، وقد أكد على ذلك قاموس اكسفورد بالقول ان الأصل في اللفظ الأوربي للكلمة هي حشاش و"حشيشية" العربيتان ويدلل على ذلك بان اللفظ لم يظهر بمعناه الحالي في اللغات الأوربية إلا في عصر الحروب الصليبية . وللاستزادة ينظر : دفتري ، خرافات الحشاشين : 223-224 ، الحشاشون بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، مجلة الموسم ، موسوعة فصلية تعني بالآثار والتراث ، تصدر في هولندا ، العددان 69-70 ، السنة العشرون ، 2008م ، 1429هـ : 83 وما بعدها .

(1) النقيب ، مرتضى حسن ، تاريخ إيران دراسة في التاريخ السياسي لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسطية (21هـ/641م-906هـ/1500م) ، منشورات بيت الحكمة ، مطبعة التعليم العالي، بغداد ، 1989م : 187 .

(2) لويس ، الحشاشون فرقة ثورية : 14-15 .

(3) لويس ، الحشاشون فرقة ثورية : 14-15 ، برنارد لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة ، نقله إلى العربية : د. سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، د.م ، 1971م : 13-14 ، راجع حول ذلك آراء مطولة للباحثة : د. سميرة بن عمو ، أل. موت وإيديولوجيا الإرهاب الفدائي، ط2 منقحة ،

والنص يبين مرة أخرى المعلومات المشوشة عن التسمية التي تعطي الصورة الحقيقية عنهم ، على الرغم من وجودهم في قلاع قريبة من الصليبيين في بلاد الشام لكنها تتمتع بالسرية وكتمان طرائق التنظيم .

وعلى الرغم من ان تسمية الحشاشين أطلقت على إسماعيلية الشام دون إسماعيلية إيران، وهذا ما أوضحته بعض المصادر[1] على أقل تقدير ، لكن نصاً يرد عن رسالة عرفت برسالة "إيقاع صواعق الارغام على أولئك اللئام" تؤرخ لعصر الآمر بأحكام الله[2] إذ جاء فيها مخاطباً حشيشية بلاد الشام حين وصلت تلك الرسالة إليهم فجاء في معرض تلك الرسالة النص الآتي "ووقف عليها من جماعة الحشيشية فلت غربهم وكدرت شربهم"[3] .

المراجعة اللغوية : د. عبد الكريم حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1996م : 9 وما بعدها .

(1) عماد الدين الأصفهاني ، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1200م) ، تاريخ دولة أل سلجوق اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري ، طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية مطبعة الموسوعات ، مصر ، 1900م ، الصنهاجي ، محمد بن علي بن حماد بن عيسى أبو عبد الله (ت628هـ/1230م)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح وتعليق : جلول أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت: 73 ، ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت677هـ/1278م) ، أخبار مصر ، انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1441م) ، حقق مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه : د. أيمن فؤاد السيد ، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1981م : 102 .

(2) ينظر : ابن ميسر ، تاريخ مصر : 70 ، يوضح ان الحاكم جاء إلى الخلافة في سنة (495هـ/1101م) وجاء بعد موت المستعلي .

(3) مؤلف مجهول ،إيقاع صواعق الارغام في إبطال حجج أولئك اللئام ، عني بتصحيحها أصف بن علي أصغر فيضي ، الناشر سفري لمفرد اكسفورد ، لندن ، 1938م : 27 .

وتعد تلك المخطوطة بحق من المصـــادر المهمة ان لم تكن حســـب وصـــف الدكتور الشـيال من أهم الوثائق التي وصـلتنا عن العصـر الفاطمي[1] ، إذ تشـير إلى نص قديم حسبما تذهب للبحث عنهُ حول أصل التسمية ، وحشيشية بلاد الشام هم أول من أطلق عليهم هذا الاســـم ، وقد ذُكر في مقدمة هذه الوثيقة انها وردت من الدعاة الفاطميين بدمشق رسالة يقولون عنها انهُ في يوم 27 ذي الحجة (ولم تذكر السنة) ... تقدم إلى الداعي صـاحب المجلس رجلان احدهما من أتباع الفاطميين والثاني من أتباع النزارية الحشيشية بالشام وجلسا في حضرة الداعي ، ثم أخرج النزاري من كمه نسخة من "الهداية الامرية" كان قد خصه بها صاحبه الفاطمي ، وذكر انهُ بعد قراءته للهداية الامرية أشتبه عليه أمره وضاق به ذرعاً فمضى بهذه النسخة إلى رئيس الدعوة النزارية الحشـيشـية بالشـام ... فاجابه رئيسـه على هذه الشـكوك ، وسـجل رده كتابةً في آخر نسخة الهداية "إذ كان البياض يسع الجواب"[2] .

ويرجح الشيال ان الرسالة كتبت في شوال من سنة 516هـ/1222م[3] .

وإذا صحت تقديرات الشيال تلك فان تلك الوثيقة تكون من أقدم الوثائق التي ورد فيها اسم الحشيشية وكان المخاطب فيها هم حشيشية بلاد الشام وهو ما يفسر ربط بعضهم كما ذكرنا نقلاً عن ابن ميسر والاصفهاني واللذين مر ذكرهما إطلاق التسمية على حشيشية بلاد الشام حصراً . وان صحت تلك التقديرات فيكون أول من أطلق على

---

(1) مجموعة الوثائق الفاطمية وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، ط1 ، جمعها وحققها : د. جمال الدين الشـــيال ، الناشـــر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002م : 55 ، ينظر كذلك : مجلة الموسـم ، موسـوعة فصـلية مصـورة تعني بالآثار والتراث تصـدر في هولندا ، السـنة العشرون لعام 2008م/1429هـ ، العددان : 67-68 : 178 وما بعدها .

(2) مجموعة الوثائق الفاطمية : 78-79 .

(3) المصدر نفسه والصفحات أنفسها . وينظر للاستزادة : الأمين ، حسن ، الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي، ط3 ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ، قم المقدسة ، 2005م : 107-108.

الحشـــاشـــين تلك التســـمية هم الفاطميون ، إذ تذهب تلك التقديرات واســـتناداً إلى تلك المخطوطة ان الفاطميين هم الذين بدأوا بنعت الإسماعيلية الحشيشية بهذا الوصف ، وحددت هذه الوثيقة في عهد الخليفة الامر أي بعد نشوب النزاع بين المستعلي[*] ونزار بنحو عشرين سنة ، ويفسر الشيال وفقاً لهذه المخطوطة إطلاق هذا الوصف على الحشيشية بانهُ كان للتشهير بهم بمعنى أنهم في قولهم بإمامة نزار إنما كانوا يخرفون كما يخرف الحشيشية ، أي ان الفاطميين لم يتهموهم باستعمال الحشيش ؛ بل وصفوهم بأوصاف مستعملية بما يطرأ على عقولهم من التخريف[1] . وحُصرت تلك التسمية بالإسماعيلية الذين كانوا يحتلون أيام الحروب الصليبية الحصون الجبلية في الشام وغيرها من ربوع المسلمين ، والذين جبلوا على التخلص من عدوهم بالاغتيال[2] . وان كلمة الحشاشين جاءت من كلمة حشيشيون العربية ومعناها (متعاطو الحشيش) والحشيش يجهز من القنب (Canabisindica) الذي يستعمله صوفية[**] المشرق

(*) ستتطرق الدراسة بشكل مستفيض لذلك الصراع ، الذي أدى لنشوء فرقة الحشاشين .

(1) مجموعة الوثائق الفاطمية : 77 وما بعدها ، الأمين ، الإسماعيليون ونصير الدين : 107 .

(2) نقلاً عن دائرة المعارف الإسلامية أصدرت بالألمانية والانجليزية والفرنسية واعتمد في الترجمة العربية على الأصلين الانجليزي والفرنسي ، يصدرها بالعربية : أحمد الشنتاوي وآخرون ، المجلد الخامس ، مادة (الحشاشون) : 434 .

(**) الصوفية : من التصوف وهو مذهب إسلامي روحي معروف وكلمة صوفية مشتقة من الصفاء أي صفاء القلوب أو من صوفيا ومعناها الحكمة اليونانية أو من الصوف وهو اللباس الذي كان يرتديه الصوفيون وأصل التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله = = والإعراض عن الدنيا ، وفناء الجسد بالعبادة وقد تفرعت الصوفية إلى عدة مذاهب وإلى فرق عديدة باد بعضها والبعض الآخر لا يزال موجوداً في بلدان عديدة من العالم الإسلامي. ينظر: تامر ، د. عارف ، معجم الفرق الإسلامية ، دار المسيرة ، بيروت ، 1990م : 96.

أحياناً ليبلغوا حالة الوجد والسكر[1] . وكان ذلك النوع من المخدر وهو القنب الهندي مشهور في مصر وسائر المشرق من قديم الزمان[2] وقد رجحت تسميتهم وقرنت بمدخني الحشيش ، وكان بدوره نبات مسكر يذهب العقل[3] . وأرجع بعضهم تلك التسمية لا لتعاطيهم الحشيش كما يذهب الآخرون ، وإنما لغوصهم وتبحرهم في أمور الفلسفة[*] ، ولأنهم ذهبوا بتعليلهم إلى الأقوال والأفعال قولاً يخالف باقي الفرق ، ولأجل هذا أطلقت عليهم تلك التسمية من قبل أعدائهم وخالفوا الآخرين فأصبحت حالهم كحال متعاطي الحشيش[4] .

---

(1) موسوعة دائرة المعارف الإسلامية ، مادة (الحشاشون) : 434/5 . وللاستزادة ينظر : سورمايان، ارادا فازد ، تاريخ حلب ، ترجمه عن الأرمينية : د. الكسندر كشيشيان ، ط2 ، دار النهج ، حلب ، 2003م : 244/1-247 ، حيث تطرق لاستخدام الحشيش والتبغ والافيون .

(2) المصدر نفسه والجزء والصفحة . وللاستزادة ينظر : العلوي ، هادي ، الاغتيال السياسي في الإسلام ، ط3 ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2001م : 112 .

(3) ينظر : سزكين ، فؤاد ، الحشاشون ، بحث منشور في مجلة الموسم ، موسوعة فصلية مصورة تعني بالآثار والتراث، العددان 69-70، السنة العشرون، 1429هـ/2008م: 88.

(*) حول هذا الموضوع أحيل القارئ إلى كتاب مهم للباحث حاتم عيسى بعنوان فلسفة العقائد الإسماعيلية – الإسماعيلية مذهب ديني أم فلسفي ؟ . يوضح فيها الباحث جذور التفكير الفلسفي عند الإسماعيلية وكيفية استخدام الإسماعيلية للفلسفة ونظرتهم إليها وكيف استخدم الدعاة الإسماعيليون الفلسفة بالشكل الصحيح في كتب تأييد الأنصار . ينظر : ط1 ، دار الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، 2010م : المقدمة ، وص37 وما بعدها .

(4) ينظر : القاسم ، محمود عبد الرؤوف ، الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط1 ، دار الصحابة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1987م : 785 ، بورلو ، جوزيف ، الحضارة العربية ، نقله إلى العربية : ريمة الفوال ، وراجعه وقدم له : د. سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، 2001م : 219 ، وينظر : المنيقي ، شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي أبو فراس (ت883هـ/1478م) ، مطالع الشموس في معرفة النفوس ، ضمن أربع رسائل إسماعيلية ، ط2 منقحة ، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1978م .

ويمكن الافتراض ان تسـمية الحشـاشـين جاءت أولاً من الفاطميين ثم أخذت منحى آخر عند الآخرين حسب هذه الرواية ويبدو ان الحشيشية تميزوا بآرائهم الفلسفية عن الفاطميين حتى وصفهم أعداؤهم بالتسمية – أي الحشاشين – لكن ليس للسبب نفسه الذي ابتكره الفاطميون ولكن لخوضهم في الفلسفة وهو ما يفسر تسمية بعضهم لهم – أي للحشيشية بالتعليمية لأنهم خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج[1] . وعلى الرغم من ان التسمية بهذا الاسم أطلقت عليهم لأسباب أخرى[2] . لكن اهتمامهم بالفلسفة ربما جر عليهم كره الآخرين ، وإذا عرفنا نظرة الازدراء التي نظر بها علماء المسلمين للفلسفة والفلاسفة حد تكفيرهم وعدِّهم خارجين عن ملة الإسلام لمدة طويلة أمكننا معها معرفة ما ذهب إليه من نعتهم بهذا الاسم لهذا السبب[3] ، لقد استمر العداء للفلسفة كما أشرنا طويلاً، وكانت النظرة العامة إلى الفلاسفة أنهم كفرة وضالون ، وبقيت تلك النظرة ملازمة لهم[4] . وهو ما يفسر

---

(1) ينظر : الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر (ت548هـ/1153) ، الملل والنحل ، تح : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، 1983م : 1/192-193 .

(2) ينظر للمزيد : الغزالي ، فضائح الباطنية : 17/9 ، السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1166م) ، الأنساب ، ط1 ، تح : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، بيروت ، 1998م : 1/468 ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت597هـ/1200م) ، تلبيس إبليس ، ط1 ، تح : د. السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1985م : 1/128 .

(3) لفترة طويلة كان يؤخذ على الفلسفة والمشتغلين بها نظرة أهل الكفر والضلال وقد أتهم الكثير بالإلحاد لأنهم اشتغلوا بالفلسفة والعلوم العقلية حتى ان ابن سينا مثلاً طعن في معتقده كونهُ كان فيلسوفاً . ينظر : ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت774هـ/1372م) ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د.ت : 11/224 .

(4) يشير مروة إلى الغزالي – صاحب فضائح الباطنية وأحد ألد الأعداء للإسماعيلية – بانهُ كان النموذج البارز والمهم في طرف الصراع ومنذ الغزالي أخذت تتجلى مواقف القدماء من الفكر الفلسفي الذي أصبح المظهر لتراث الفكر العربي الإسلامي ، فقد أصبح الاتجاه =

ربما العداء بين الحشاشين وغيرهم ، وذلك بسبب ميولهم الفلسفية ، وهي تعكس جذورهم الإسماعيلية التي كانت سبباً في عداء الكثير للإسماعيلية لتبحرهم في الفلسفة .

والمنطقي ان ترتبط التسمية بموقف فكري سياسي كما هو مألوف في تسميات الفرق الأخرى[1] .

وأعود وأقول ان التسمية التي أطلقها عليهم الفاطميون وأسبابها ، هو ما ذهب إليه بعضهم في انها اختصت بالإسماعيلية في بلاد الشام ، فيمكننا القول ان النبتة التي كان يستخلص منها الحشيش كانت موجودة بمصر ، إذ ذُكر ان القنب[*] الهندي الذي يستخرج منه الحشيش المخدر كان قد عرف وعرفت آثاره وهو ما أشارت إليه إحدى الروايات بالقول "ومن القنب الهندي نوع ثالث يقال لهُ القنب ولم أره بغير مصر ويزرع في البساتين ويسمى الحشيشة أيضاً وهو يسكر جداً إذا تناول منهُ الإنسان يسيراً قدر درهم أو درهمين حتى ان من أكثر منهُ أخرجه إلى حد الرعونة،

= الغالب لتلك المواقف هو اتجاه الغزالي نفسه وهو الذي أعلن الحرب على الفلسفة والفلاسفة وهو الذي حدد – إلى مد بعيد – أشكال النظر الوحيد الجانب إلى هذا التراث في مباحث المتكلمين الأشعريين المتأخرين وغيرهم . للمزيد حول هذا الموضوع ينظر : د. مروة ، حسين ، النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ط2 ، دار الفارابي، بيروت، 2008م : 60/1 ، وانظر حول الموضوع بصورة أعم واشمل : 62/1–90 .

(1) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

(*) حول تأثيرات هذه النبتة وطرق استخدامها وآثارها وأماكن بيعها وخصائص متعاطيها . ينظر : شوقي خليل ، غوستاف لوبون في الميزان ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر ، بيروت ودمشق ، 1990م : 144 .

وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم وأدى بهم الحال إلى الجنون وربما القتل"[1] .

اما بلاد المشـــرق فهي الأخرى لم تكن بعيدة عن معرفة تلك النبتة المخدرة ومفعولها قبل الإسلام ، إذ ذُكر ان أول من أدخلها إلى هناك شيخ من الهند وكان ذلك في زمن الأكاسرة[2] .

يبدو ان استعمال الحشيشة انتشر بشكل كبير حتى غدت عادة تعاطي الحشيش من الأمور التي اســتوجبت تأليف الكتب حولها وحول تحريمها[*] ، وربما يكون وجود الحشيشة وتعاطيها دفع كثير للتساؤل حول تحريمها مع عدم وجود نص قرآني يوضح ذلك . لكن مع كل ذلك يمكننا القول ان مصـــر عرفت تأثير ذلك المخدر أكثر من غيرها وان استخدامه شـاع فغدا نوعاً وشكلاً معروفاً لدى السكان وللقرب بين مصـر وبلاد الشام ووجود الحشاشين في بلاد الشام فقد كان تأثير حشيشية بلاد الشام أنكى

---

(1) ابن حجر الهيثمي ، أحمد بن محمد بن محمد بن علي (ت974هـــ/1566م) ، الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ط2 ، تح : مركز الدراســات والبحوث بمكتبة نزار مصـــطفى ، دار النشـــر المكتبة العصـرية ، صـيدا ، 1999م : 420/1 ، ابن حجر الهيثمي ، الفتاوى الفقهية الكبرى، دار الفكر ، بيروت ، د.ت : 232/4 ، العظيم آبادي ، محمد أشــرف بن أمير بن علي حيدر أبو الطيب (ت1329هـــ/1911م) ، عون المعبود وشـرح سنن أبي داود ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م : 99/10 .

(2) ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت852هـ1448م) ، الإصابة في تمييز الصــحابة ، تح : علي محمد البجاوي ، ط1 ، دار الجبل ، بيروت ، 1992م : 350/1 .

(*) كان من بين تلك الكتب ما ألفه قطب الدين أبو بكر التوزري المتوفي سنة 686هـــ/1287م وكتابه بعنوان تتميم التكريم لما في الحشـــيش من التحريم وكتاب تكريم المعيشـــة في تحريم الحشيشة، وكتاب آخر لابن أبي الربيع الأندلسي المتوفي (672هـــ1273م) واسم الكتاب زهر العريش في تحريم الحشيش . ينظر : حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (ت1067هـ1656م) ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، داور الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م : 1120/2 ، 1661 ، 618/3 .

وأكثر وقعاً على الفاطميين . ولابد ان ذلك التقارب كان سبباً لخلق تلك التسمية والتي اتخذت أول الأمر جانب العداء حتى وصل التعبير والتشبيه لهم بما ذهبنا إليه ، حتى ان شيوع استخدام الحشيشية في بلاد الشام وصل أمراً جعل مؤرخاً كالذهبي يذكر في حوادث سنة (690هـ/1291م) أمراً حول انتشارها فيقول "وفيها أمر الشجاعي(*) فنودي في دمشق بإبطال العمائم للنساء وان لا تزيد المرأة على المقنعة وبإبطال صباغات النساء ... وان لا يأكل أحد حشيشة ولا يشرب خمراً وتوعد على ذلك"[1] .

نستطيع القول من خلال هذه النصوص التاريخية ، ان انتشار ظاهرة تعاطي الحشيشة في بلاد الشام ومصر كان أمراً مألوفاً ، وهو الذي دفع على الأرجح بالفاطميين أول أمرهم إلى الاستخفاف بهم ، من خلال هذه التسمية وإلصاقها بهم .

أما الافتراضات الأخرى لتلك التسمية فلا يمكن استبعادها ، لكن يبقى الميل إلى ما توصلت إليه الدراسة ، وما كشفته الدراسات الحديثة عن تلك التسمية والافتراضات التي قيلت حولها ، إذ ذهب أحد الباحثين إلى ان واقعية تلك التسمية يرجع إلى مواقف صمودية كانت تقفها الحركة في مواجهة ضروب الحصار التي كانت تفرضها عليها الجيوش المضادة لمدة طويلة فكان يصمد رجال الحركة في قلاعهم بعد

(*) الشجاعي : سنجر الأمير الكبير علم الدين الشجاعي المنصوري وزير الديار المصرية ومنشد دواوينها ونائب سلطنة دمشق ، كان رجلاً طويلاً تام الخلق أبيض اللون أسود اللحية عليه وقار وهيبة وسكون وفي أخلاقه شراسة وفي طبيعته جبروت وانتقام وله خبرة تامة بالسياسة والعمارة ولي الديار المصرية ثم الوزارة ثم ولي نيابة دمشق فدام سنتين ثم عزل . ينظر : الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/1362م) ، الوافي بالوفيات ، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، 2000م : 289/15 .

(1) الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تح : د. عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987م: 55/51 .

فناء المؤن والأطعمة ، معتمدين في غذائهم فقط على أكل الحشائش (العشب أو الكلأ) ومن هنا جاءت تسميتهم بالحشاشين"[1] .

ويعرض الباحث هاهنا إلى حصارات عديدة وقاسية سنورد تفاصيلها تعرضت لها تلك الفرقة أبان وجودها متحصنة بالقلاع سواء في بلاد المشرق أو بلاد الشام[2] .

ان استقراءً سريعاً وقراءة متأنية لما أوردناه يوضح ان لفظة الحشاشين التي وردت عند ماركوبولو ومن قبله الرحالة اليهودي بنيامين يشوبها الغموض ، ففي الوقت الذي كان هولاكو يتقدم في بلاد المشرق هو وجيوشه وهو على أهبة الاستعداد للقضاء على سلطة الحشاشين هناك[3] . أي في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، كان ماركوبولو يصف تلك الجنة التي انشأها زعيم الحشيشية ، وقد عد هذا الرحالة المصدر المهم لمؤرخي الحروب الصليبية فيما بعد إذ أخذوا منهُ حتى تسمية شيخ الجبل وهي لفظة أطلقت على الرجل المسن والأمير إذ سماه ماركوبولو باسم (عجوز الجبل) [4] .

---

(1) الخشت ، حركة الحشاشين : 5 .

(2) القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ/1160م) ، ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1908م : 348 ، ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1232م) ، الكامل في التاريخ ، ط2 ، تح : عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1994م : 137/9 ، الجويني ، تاريخ فاتح العالم : 312-317 ، حول حصارات الحشيشية ، الجميلي، د. رشيد عبد الله ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية العصور العباسية المتأخرة ، ط1 ، حقوق الطبع محفوظة للجامعة المستنصرية ، بغداد ، 1989م : 132-133 .

(3) المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت845هـ/1441م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط1 ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م : 477/1 ، 490 .

(4) ماركوبولو ، رحلات : 228/1 .

ويمكن لنا ان نفترض ان حكاية أو خرافة الجنة تلك إنما جاءت من العمارة والزروع التي أحدثها الحسن الصباح عندما استولى على قلعة الموت إذ طور أنظمة الري ونشر زراعة المحاصيل في وادي الموت وقام بزراعة العديد من الأشجار(1).

ويبدو ان اهتمام الحسن بن الصباح بالزراعة هو ما دفع ماركوبولو وبعض ممن أشاع عن جنان الحشاشين ما أشاع ودفع البعض لتناقل تلك الرواية .

ويبقى من أمر التسمية أمران : الأول : إذ أوضح الأستاذ حسن الأمين، ان التسمية إنما جاءت من كلمة الحشائشي أي جامع الحشائش التي تستخدم للأغراض الطبية وصناعة الأدوية ، ويربط بين كلمة الحشائشي والحشاشين إذ يقول نقلاً عن كتاب بعنوان (سيد الموت) لمؤلف أوربي هو بول امير في أصل التسمية بان الاسم كان يطلق على من يقوم بجمع الحشائش البرية التي تستعمل في صناعة الادوية ، وعمل النزاريون في ذلك بشكل واسع فكان لهم في سفوح جبالهم قرى ودساكر(*) ومزارع كان ينطلق فيها حتى النساء والأطفال لجمع الحشائش الطبية التي كانوا يتوسعون في زراعتها ولا يقتصرون على ما تنبته الطبيعة ، حتى لقد كانوا يزرعونها في حدائق البيوت . ويذكر ان ألموت عرفت جمع الحشائش وكان لديها وكلاء يقومون بنقل تلك

---

(1) أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب (ت732هـ/1331م) ، المختصر في أحوال البشر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت : 200/1 ، 214 ، زهرة ، أحمد علي ، دولة القلاع قراءة في المذهب الإسماعيلي وأحلام المدينة الفاضلة ، ط1 ، نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2004م : 56 .

(*) دساكر : مفردة دسكر والدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي . والدسكرة أيضاً يكون فيها بيوت ومنازل للخدم والحشم والدسكرة أيضاً الصومعة والكلمة ليست بعربية محضة وإنما هي معربة . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (دسكر) : 285/4-286، المقدسي، عبد الله بن بري بن عبد الجبار (ت582هـ/1186م هـ)، في التعريب والمعرب المعروف بحاشية ابن بري، تح: د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985م : 89.

الحشــائش إلى الري(*) وكاشــان(**) وأصــفهان(***) وســائر المدن[1] ، وكان جامعو الحشائش في الحقول والبراري يبيعون ما يجمعونه إلى أشخاص معنيين متصلين بسيد ألموت إذ يصدرونها إلى مختلف المدن ، وكان في كل مدينة سوق خاص يسمى سوق الحشائش وكانت الحشائش تجمع في ألموت في جوالق(****) يكتب عليها اسم المرسل إليه واسـم المدينة مع كلمة (سـوق الحشـاشـين)... وبذلك كانت ألموت معروفة بانها إحدى المراكز الكبرى للأدوية الحشـائشـية واسـتيرادها ثم تصـديرها ، ومن هنا لصـق بالنزاريين لقب الحشائشيين ثم استغله خصومهم فطوروه إلى (الحشاشين) [2] ، ويذهب

(*) الري : مدينة مشـــهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، كثيرة الخيرات وافرة الغلات والثمرات قديمة البناء بناها شـيخ بعد كيومرث وقيل بناها راز بن خراســان وهي مدينة في فضــاء من الأرض وإلى جانبها جبل أقرع لا ينبت شــيئاً يقال له طبرك . وقيل ان فيها الذهب وان دورها تحت الأرض ، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً وإلى قزوين سبعة وعشرون فرسخاً ، ومن قزوين إلى أبهر أثناء عشر فرسخاً وطولها خمس وثمانون درجة وعرضـها سبع وثلاثون درجـة . ينظر : الحموي ، يـاقوت بن عبـد الله الرومي أبو عبـد الله شـــهـاب الـدين (ت626هـ/1228م) ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت : 116/3 ، القزويني ، آثار البلاد : 375-376 .

(**) كاشان : بالشين المعجمة وآخره نون مدينة ما وراء النهر على بابها وادي اخسيكث . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 430/4 .

(***) أصـفهان : مدينة عظيمة من اعلى المدن ومشـاهيرها ، جامعة لاشـتات الأوصـاف الحميدة من طيب التربة وصـــحة الهواء وعذوبة الماء ، وصـــفاء الجو وصـــحة الأبدان وفيها الفواكه والزروع ذكر ان أهلها برعوا في الصـــناعة بشـــكل كبير ، وأما أرباب العلوم كالفقهاء والأدباء والمنجمين والأطباء فأكثر من أهل كل مدينة . ينظر : القزويني ، آثار البلاد : 296-297 .

(1) الأمين ، الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي : 209 .

(****) جوالق : بكسـر الجيم واللام وبضـم الجيم وفتح اللام وعاء معروف والكلمة معربة بالجيم الفارســية المنقوطـة بثلاث من تحت ج . ينظر : الزبيدي ، تـاج العروس ، مـادة (جلق): 129/25 .

(2) الأمين ، الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي : 209-210 .

الأســـتاذ الأمين معتقداً بهذا الرأي ان أرض الحشـــاشـــين كانت ولا تزال غنية بتلك الحشـائش حتى ان قلاعهم لا يزال ينبت فيها بعض تلك الأنواع . ويعود بعد ذلك ليؤكد ان التسمية جاءت من خصومهم للاستهزاء بهم بالقول أنهم باعة حشائش لا أصحاب دولة ومذهب وعقائد(1) .

والأمر الاخر هو : التشــابه بين كلمة الحشـاشـين التي وصـلت إلى الأوربيين لتصــبح دلالة على القاتل أو القتل ، وجذور الكلمة في اللغة العربية التي جاءت أحياناً كما تطرقنا لها بمعنى القتل أو رديء الخلق فهي في حقيقتها لم تأتِ بشكلها المعروف حشــاش أو حشــاشــون وإنما جاءت كمرادفة أو قريبة في اللفظ مثل كلمة عســاســون وجذرها عس يعس وهي من باب طلب القتل كما ذُكر(*) . فان ذلك إنما جاء من التشـابه بين كلمة الحشـاشـين واسـتنتاجات بعض الباحثين ، حين أخذت الكلمة المعنى الأخير في مدلولاتها وهو القتل ، أما الجذور لتلك الكلمة فهي ربما تكون وبحســـب ما بين أيدينا من المصادر والآراء ما ذهبنا إليه في استعراض لأصل التسمية .

- الحشاشون وجذورهم الإسماعيلية :

الحشـاشـون فرقة من الفرق الإسـماعيلية ، والإسـماعيلية إحدى الفرق الإسـلامية التي انشقت عن الشيعة بعد وفاة الإمام جعفر بن محمد الصادق { υ } ، وقد أنكرت أي – الإســـماعيلية – موت ابن الإمام جعفر الأكبر إســـماعيل في حياة أبيه وذكر

---

(1) المصدر نفسه والصفحة .

(*) ينظر ص8_9 من الموضوع .

النونبختي ذلك بالقول "قالوا كان ذلك على جهة التلبيس من أبيه على الناس لانهُ خاف فغيبه عنهم ، وزعموا ان إسماعيل لا يموت حتى يملك الأرض يقوم بأمر الناس"[1] .

ولابد لنا قبل حديثنا عن الإسماعيلية ان نتطرق بحديثنا عن الشيعة وأصولها "والشيعة في اللغة هم القوم يجتمعون على الأمر وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع ، والشيعة الذي يتبع بعضهم بعضاً ولبس كلهم متفقين ، والشيع مقدار من العدد[2] . وشيعة الرجل بالكسر أتباعه وأنصاره والفرقة على حدة[3] .

وقد أشار ابن خلدون للفظ الشيعة بالقول "واعلم ان الشيعة لغة هم الصحب والأتباع ، ويطلق في عرف الفقهاء والمتكلمين من الخلف والسلف على إتباع علي وبنيه {رضي الله عنهم} "[4] . وهناك من يرى غير ذلك[5] .

تشير بعض النصوص ان الإسماعيليين ظهروا على مسرح التاريخ أثر وفاة الإمام جعفر الصادق { υ } في العام (148هـ765م) [6] .

---

(1) النوبختي ، الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد (ت310هـ/922م) ، فرق الشيعة ، دار الأضواء، بيروت، 1984م: 68 ، المجلسي ، محمد باقر بن محمد تقي بن مقصود علي الأصبهاني (ت1111ه/1699م)، بحار الأنوار، ط2 المصححة، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1983م: 10/37.

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (شوع) .

(3) الرازي ، مختار الصحاح ، مادة (شيع) : 354 ، الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، مادة (شوع) : 949 .

(4) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن ابن محمد بن جابر الحضرمي (ت808ه/1405م) ، مقدمة ابن خلدون ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، 1984م : 196 .

(5) علي ، محمد كرد ، خطط الشام ، طبع في المطبعة الحديثة ، دمشق ، 1925م : 251/5 .

(6) ينظر للاستزادة ، اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ/904م) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت : 123/2 ، الشهرستاني ، الملل والنحل : 146/1 ، كاشف الغطاء ، محمد حسين ، أصل الشيعة وأصولها ، ط1 ، تح: علاء آل جعفر ، دار النشر مؤسسة الإمام علي υ ، مطبعة ستارة ، طهران ، 1994م : 53-

لكن بعض الباحثين أشاروا مستندين إلى الشهرستاني ان نشوء هذه الحركة يعود إلى عام 128هـ/745م[1] ، وكانت ولادة الحركة أول الأمر في العراق ولكنها مجرد فكرة عام 143هـ/760م وهو العام الذي يعدهُ بعض المؤرخين عام وفاة إسماعيل بن جعفر[2] . لكن ذلك العام كان مؤشراً لأمور أخرى فهو قريب الشروع ببناء مدينة بغداد وينقل لنا ابن الوردي[3] في ذلك رواية في جملة أسباب بناء المدينة فيقول "لأنهُ كره سكنى هاشميته لوقعة الراوندية[*] ولجوار أهل الكوفة حذراً منهم فاختار موضع

54 . عنوان بدء نشأة التشيع وتكونه وانه كان على عهد النبي ρ ، مغنية ، محمد جواد ، الشيعة في الميزان ، ط4 ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، 1979م : 13 وما بعدها .

(1) وهنا تحديداً تعد فرقة الإسماعيلية ان وفاة إسماعيل لم تكن حقيقة وإنما هي عملية مبرمجة تمت بمساعدة الكيميائي المعروف جابر بن حيان تلميذ الإمام جعفر الصادق υ إذ قام ببعض الأعمال الطبية تبرز فيها صورة إسماعيل بصورة الميت ثم ستر ليقود فيما بعد الحركة الإسماعيلية بصورة سرية وبذلك تبدأ عند الإسماعيلية مرحلة الستر وهذه الرواية عند مؤرخ الفرق الإسلامية . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : 191/1 ، نوح ، علي ، الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر ، إشراف : د. علي زيعور ، دار الينابيع للطباعة والنشر ، دمشق ، 1994م : 45 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 177/5 .

(3) زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) ، تاريخ ابن الوردي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م : 186/1 .

(*) وقعة الراوندية : كانت زمن المنصور والراوندية قوم من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة العباسيين . ينظر : القلشندي ، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت821هـ/1418م) مآثر الانافة في معالم الخلافة ، ط2 ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، دار النشر مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1985م : 178/1 ، ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت874هـ/1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار النشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر ، د.ت : 337/1 ، 345 .

بغداد(**) ، وبالإمكان الإفادة من هذه الروايات التي تضـمنت إشـارات مهمة، لتوجس الإمام جعفر الصـادق من الملاحقة من قبل العباسـيين، وهو ما يفسـر في الوقت ذاته عملية دفن الإمام جعفر υ لولده إسماعيل إذ ذُكِر ان إسماعيل لما توفي في حياة أبيه "أظهر أمره وأعلن وفاته وحملت جنازته إلى البقيع وكان أبو الصـادق υ يأمر به فينزل ويكشف عن وجهه وينظر إليه ، وهو يسار به إلى البقيع ، ويقول لمن حضره : أليس هذا أبني إسماعيل ؟ فيقول : نعم . وفعل ذلك مراراً"[1] .

نستطيع القول واستناداً إلى هذه الرواية ، ان الإمام جعفر الصادق { υ } كان يريد ان يُعلم العباسيين بوفاة أبنه إسماعيل ، وإلا فما الداعي للتحقق من هوية المتوفي أكثر من مرة أمام المشيعين ، وهو على ما يبدو كان في ظاهره إيصـال رسـالة مفادها

(**) وهنا نريد إيضـاح علاقة هذا الأمر ببناء بغداد والقصـة التي سنوردها هو للتدليل على تغير الأحوال بالنسبة للعباسيين واستتباب الأمر لهم إذ انتقلوا بعد ان تغيرت الأمور السياسية وتفرغوا لتصـفية المناوئين أو من يعتقدون أنهم سـيقومون بدور في معارضـة حكمهم يقول عماد الدين القرشي "فلما قويت دولة بني العباس ، وجهدوا في إطفاء نور الله الذي به الهدى للناس لتصفو لهم دنياهم ولا يعارضهم معارض فيما تأتي لهم وللتابعين لهم ... [وكان المسمى المنصور] أبو الدوانيق قبل دولتهم ممن يعتزي إلى شـيعة الإمام الصـادق υ وقد عرف انه صـاحب أمر الإمامة ... وعلم إقبال الشـيعة عليه وولايتهم له وان الإمامة في ولده... فلم يزل يطلب الذي أشـار إليه الإمام الصـادق { υ } في خلافته من بعده ، ويبلغ فيها غاية جهده ، إلى ان مات الإمام إسماعيل بن جعفر υ . ينظر : عماد الدين القرشي ، إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم (ت872هـ/1467م)، عيون الأخبار وفنون الآثار ، تقديم وتحقيق : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، د.ت ، السبع الرابع : 348-349 .

(1) ابن حيون ، النعمان بن محمد بن منصور أبو حنيفة بن حنيفة التميمي (ت363هـ973م) ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، ط2 ، تح : السيد محمد الحسيني الجلالي ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، (قم – 1993م) : 309/3 ، النوبختي ، فرق الشيعة : 57-58 ، عماد الدين ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع : 335 .

ان إسماعيل قد انتقل إلى رحمة الله ، وانهُ لم يعد يشكل خطراً على العباسيين ، وهو ما قد يشير في الوقت ذاته إلى نشاط إسماعيل المبكر في قيادة الدعوة الإسماعيلية .

لكن الإسماعيلية ذهبت إلى غير ذلك ، وربما كان ذلك الأمر الغرض منه هو محاولة إبعاد وفاة إسماعيل إلى ما بعد وفاة الإمام جعفر الصادق { υ } ، وهو أمر لا تؤيده الروايات ، وليس بأكثر من إثبات وفاة إسماعيل ان الروايات لا تروي أي نشاط بعد سنة وفاته ، رغم ان الإسماعيلية تشير إلى ان اختفاء إسماعيل – حسب قولهم – كان للابتعاد عن أعين المراقبة[1] ، ويبدو ان ما فعله الإمام الصادق υ كان في محله إذ ذُكر ان أبا جعفر المنصور طلبه – يقصد إسماعيل – فشهد لهُ عامل المدينة بانهُ مات[2] ، وذهب بعضهم في ان موتهُ كان تقية من خلفاء بني العباس ومنهم من سلم بموته ولأن الإمام جعفر الصادق كان قد نص عليه إماماً في حياته فان

---

(1) وهناك رواية تفيد بما ذهبنا إليه نوردها للاستفادة فيما ذكرناه ، ذكر "ان المنصور قضى حجة وخرج إلى الزبدة وجاء رباح ليودعه فأمر بأشخاص بني حسن ومن معهم إلى العراق فأخرجهم في القيود والأغلال وأردفهم في محامل ويذكر ابن خلدون تلك الحادثة في سنة (144هـ/761م) أي بعد سنة على وفاة إسماعيل وهي صورة ربما تعطي توجس الصادق υ مع ما فعلهُ مع جثمان أبنه إسماعيل هذا إذا ما سلمنا ان توجس الصادق سبق أفعال المنصور بالمناوئين لهُ . ينظر : ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م) ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن = = عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، 1984م : 238/3 ، ولزيادة في التفاصيل ينظر : مؤلف مجهول ، أربعة كتب إسماعيلية ، مسائل ورسائل عني بتصحيحها قسم الدراسات في دار التكوين اعتماداً على نسخة رودلف شتروطمان ، ط3 ، دمشق ، 2009م ، مسائل مجموعة من الحقائق والدقائق والأسرار السامية : 21 وما بعدها .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 39/4 ، العصامي المكي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي الشافعي (ت1111هـ/1699م) ، سمطّ النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1998م : 157/4 .

النص صـــحيح ولا يرجع قهقرى والفائدة في النص بقاء الإمامة في أولاد المنصـــوص عليه من دون غيرهم[1] . ويتذرع من قال ببقائه حياً إلى بعد وفاة أبيه بحادثة إذ زعموا انهُ رئي بالبصرة وقد مر على مقعد فدعا له فبرئ باذن الله تعالى "فبعث المنصور إلى الصـادق : ان إسـماعيل بن جعفر في الأحياء وانه رئي بالبصـرة: فانفذ السـجل إليه وعليه شـهادة عامله بالمدينة"[2] ، ويبدو ان إجراءات الإمام الصـادق υ في تثبيت وفاة ولده إسماعيل إمام عامل العباسيين في المدينة ، إنما كانت توجساً من ذلك .

ومنذ ذلك التاريخ أنقســم الشــيعة إلى فرقتين أحدهما عرفت بالأثنى عشــرية والأخرى بالإســماعيلية . ويرجح الباحث عارف تامر ان ذلك الانفصـــال كان ســنة (148هــ) أي بعد وفاة الإمام جعفر الصادق {عليه السلام } ، إذ جعل الاثنا عشرية ولاءهم للابن الأصــغر للإمام موســى الكاظم { عليه الســلام} وكرس الإســماعيليون ولاءهم للابن الأكبر للإمام جعفر { عليه السلام } ، ومنهُ استمدت الإسماعيلية أسمها ، وبقي الإســماعيليون على امتداد تاريخهم يعيشــون في ظل قيادة إمام تولى منصــبه بالوراثة"[3] .

---

(1) الشهرستاني ، الملل والنحل : 167 .

(2) المصدر نفسه : 153 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 63/9 . دائرة المعارف الإسلامية ، مادة الإسماعيلية : مج188/2.

(3) النوبختي : فرق الشيعة : 78 ، ابن حيون ، شرح الأخبار : 309/3 ، أبو منصـور البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـــــ/1037م) ، الفرق بين الفرق ، ط2 ، دراســة وتحقيق : محمد عثمان الخشـــت ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1977م : 47 ، الفخري ، علي بن محمد (القرن التاســع الهجري) ، تلخيص البيان في ذكر أهل الأديان ، ط1 ، تح : رشـــيد الخيون ، الناشـــر : دار مدارك ، بيروت ، 2011م : 207 ، تامر ، عارف ، تاريخ الإســماعيلية ، ط1 ، رياض الريس للكتب والنشـر ، لندن ، قبرص ، 1991م: 45/1 ، الجزء الخاص بالدعوة والعقيدة .

يبدو ان أهم أوجه الاختلاف بين الاثنى عشرية والإسماعيلية ، هو في استحقاق الإمامة إذ تعتقد الإسماعيلية ان الإمامة من حق إسماعيل فيما ترى الاثنى عشرية ان الإمامة في شـخصـية الإمام موسـى الكاظم { υ } وعلى هذا الأسـاس صـاغت الإسـماعيلية نظرتها في الإمام ، ليكون اعتقادها بأئمة يبدأ دورهم بالإمام علي { υ } ويقف عند الإمام السابع وهو إسماعيل بن جعفر فيما يعتقد الأثنى عشرية بان الإمامة تبدأ بالإمام علي υ وتنتهي بالمهدي المنتظر وهو الأثنى عشر في تعدادهم[1] .

- ظهور الإسماعيلية على المسرح السياسي :

احتفظت الإسـماعيلية بالكثير من التقاليد والأفكار الثورية ، وعملت على تنظيم نفسها تنظيماً جديداً ليواكب بذلك متغيرات الظروف والزمن ، والتي فرضتها المعطيات الجديدة ، إذ شـهد العقد الرابع من القرن الثاني للهجرة الكثير من الثورات والحركات المناهضـة للعباسـيين وقد أوجد ذلك اندماج الطبقات المختلفة وازدياد التقارب والاتحاد بين مختلف الشـعوب التي كان يتألف منها مجموع الرعايا من عرب وموالي مما أدى إلى تقسـيم جديد للطبقات يعتمد بشكل أو بأخر على العامل الاقتصـادي والاجتماعي أكثر منه على العامل الدموي والعنصـري كما كان الأمر في القرن الأول الهجري ومما سهل هذا التقسيم الاجتماعي هي العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي واكبت التطور السياسي للخلافة الإسلامية[2] . ويرجح ذلك الافتراض أيضاً المستشرق بارنولد ولو انهُ

---

(1) النوبختي ، فرق الشـيعة : 85 وما بعدها ، والشـهرسـتاني ، الملل والنحل : 136-140 ، وينظر كذلك : دهش ، سـهيل نجم ، الحركة الإسـماعيلية في بلاد الشـام للفترة من 150هـ/767م-672هـ/1273م ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد ، 2006م : 6 .

(2) لويس ، د. برنارد ، أصـول الإسـماعيلية بحث تاريخي في نشـأة الخلافة الفاطمية ، نقله إلى العربية : خليل أحمد جلو وجاسـم محمد الرجب ، وقدم له : د. عبد العزيز الدوري ، طبع بدار الكتاب العربي ، مصر ، د.ت : 97 .

يدفع بزمن المتغيرات إلى أبعد مما ذهب إليه الرأي الذي أشـــرنا إليه إذ يقول "واتجهت الدعاية الإســـماعيلية في نهاية القرن الخامس الهجري إلى جهة جديدة فاســـتولى الإسماعيلية على أماكن كثيرة حصينة في كل أرجاء إيران بل في سورية أيضاً . وهذا يدل على ان هذه الحركة لم تكن حركة قومية محضـــة ويجب ان تكون منافع الطبقات ذات شأن خطير فيها كما حدث في القرن التاسع عشر بل كان بين أصحاب القلاع المحصنة وبين سكان المدن"[1] .

يشـير أحد الباحثين إلى أن ظهور الإسـماعيلية والانشـقاق الذي حصـل بينهم وبين الاثنى عشـــرية مرجحاً ان ذلك كان ليس فقط حول الإمامة بعد وفاة الإمام الصـــادق υ أو في حياته سـواءً كانت في إسـماعيل أم في أخيه الإمام الكاظم υ بل كانت إحدى أسبابه هي خيبة الأمل التي مني بها العلويين لوصول العباسيين إلى دفة الحكم، وأنهم – أي العباسيين وصلوا تحت أحقية أهل البيت {عليهم السلام} (شعار الرضى من آل محمد) ومن جهة أخرى فان العباسيين الذين كانوا ينادون بالمساواة بين العرب والموالي لم يفوا بوعودهم وقد عبر عن ذلك الســـخط جمهور من العلويين[2] . وهو رأي لا يمكن نكران مصداقيته في ضوء معطيات الواقع الذي ألم بظهور الحركة .

هذه اللمحة التي أوضـحناها تبين ان الإسـماعيلية لم تكن كما وصـفها البعض بأنها حركة قومية[*] عنصـــرية بل كانت أممية وأنها كانت حركة اجتماعية اقتصـــادية

---

(1) ف . بارتولد ، تاريخ الحضـــارة الإســـلامية ، ط3 ، ترجمة : حمزة طاهر ، دار المعارف ، القاهرة ، 1958م : 116 ، جوزي ، بندلي ، من تاريخ الحركات الفكرية في الإســـلام ، دار الروائع ، بيروت ، د.ت : 143-144 .

(2) رستم ، سعد ، الفرق والمذاهب الإسـلامية منذ البدايات النشـأة والتاريخ – العقيدة – التوزيع الجغرافي ، ط3 ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، 2005م : 281-283 ، جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية : 142-143 .

(*) يســـتعرض الدكتور عبد العزيز الدوري لرأي مهم حول اتهام الإســـماعيلية وظهورها وأفكارها وتنظيماتها إلى الفرس نتيجة لزوال الإمبراطورية الساسانية التي أزالها الإسلام وان هؤلاء أخذوا

سـياسـية في غاياتها ولا يتعارض هذا مع كونها بالطبع حركة إسـلامية . والمؤرخون المسلمون ينسبون الحركات إلى أشخاص ولا يدركون الجهود الاجتماعية التي تقوم بها جماعات التي تسـتغرق مدة طويلة لتتخذ شـكلاً معيناً بل هم ينسـبون نظم الحركة وتعقيداتها إلى أشخاص كما فعلوا بنسبة الحركة إلى ميمون(*) القداح وابنه عبد الله في حين ان الحركة استغرقت وقتاً طويلاً وأسـهمت في بنائها جهود الكثيرين حتى اتخذت شكلها المعروف[1] .

هكذا بدأت الحركة تنظيماً سرياً دقيقاً شـأنها شـأن الحركات المناوئة الأخرى ، لكنها تميزت عن الأخريات بأنها حركة دقيقة التنظيم والسـرية فاقت في سـريتها ما عهدته باقي الحركات وما ذلك إلا من حسـن تنظيم أتباعها وإفادتهم من التجارب السـابقة التي تعرض أتباعها في الكثير من الأحيان إلى التنكيل والقتل[2] . أدى ذلك

يبثون ويثيرون الفتن والدسائس وأشاعوا العقائد المناهضة للعقيدة الإسلامية ... ويعتقد أصحاب هذا الرأي ان للفرس تأثيراً على الفرق الباطنية عموماً وعلى الإسماعيلية خصوصاً . ينظر : حول تلك الآراء ، الغزالي ، فضائح الباطنية : 40 ، أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت : 50-52، الجوير ، د. محمد بن أحمد ، الإسماعيلية المعاصرة ، تقديم : عبد الله بن عبد الرحمن ، ط4 ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 2008م : 32 ، وتناسـى هؤلاء الباحثون ان الدعوة العباسـية كان منبتها بلاد المشـرق الإسلامي ولولاه لما استطاع العباسيون الوصول إلى الحكم وإذا كان الفرس هم من ساعد في نجاح الإسماعيلية في المشرق وغيرها فكيف نفسر نجاح الإسماعيلية في إقامة دولة في المغرب الإسلامي وفي مصر .

(*) سنأتي على ذكره .

(1) لويس ، أصول الإسماعيلية : 9-10 ، المقدمة ، د. عبد العزيز الدوري ، وينظر الكبيسي، د. حمدان عبد المجيد ، قرمط وأصـول الحركة القرمطية ، بحث منشـور في مجلة دراسـات في التاريخ والآثار ، مجلة علمية محكمة تصدرها جمعية المؤرخين والآثاريين ، العراق ، 2001م ، السنة العشرون ، العدد السابع : 3 .

(2) عماد الدين القرشـي ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، السبع الخامس : 92-94 ، الحسـني ، هاشـم معروف ، الانتفاضـات الشـيعية عبر التاريخ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ،

على حد قول أحد المؤرخين ان بقي العلويون في ظل الخلافة العباسـية متفرقي الكلمة متوزعي النشـاط إذ لم تكن لهم زعامة موحدة فتعرضـوا لذلك لأسـباب الاضـطهاد وإلى كثير من العنت والشدة[1] .

بعد تلك الفترة وهي طور الظهور سـاقت مجموعة بقيادة ميمون القداح – وهو أحد دعاة الإسماعيلية – الإمامة إلى محمد بن إسماعيل[2] .

تبدو الدعوة الإسماعيلية في عهد الإمام إسماعيل أكثر غموضاً مما هي عليه في عهد أبنه الإمام محمد بن إسماعيل ، فلقد اتسمت بتوفر الروايات وتظهر في عهده صورة عبد الله بن ميمون القداح على انهُ مؤسس للإسماعيلية ، وانهُ الشخص المسؤول عن تعريف الإسماعيلية بالفكر اليوناني ، وقد سعى – غويار – إلى إثبات تلك النظرية

1990 : 82 وما بعدها ، فان فلوتن ، الشيعة والسيادة العربية والاسرائيليات ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1934م : 133 .

(1) القلشندي ، أحمد بن علي بن أحمد الغزاري (ت821هـ/1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الانشا، تح : عبد القادر زكار ، دار النشر ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1981م : 234/13.

(2) البغدادي ، الفرق بين الفرق : 16 ، عضد الدين الايجي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت756هـ/1355م) ، كتاب المواقف ، ط1 ، تح : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1997م : 676/3 ، فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين أبو عبد الله (ت606هـ/1209م) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، تح : علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1981م : 76-77 .

مســـتنـداً إلى قول لابن تيميــة يرجح تطــابق بين عقيــدة أخوان الصـــفــا(*) والإسماعيليين(1) .

ونتيجةً للضــغط المتزايد على الحركة وإتباعها ، اتخذت لأجل ذلك تكتيكاً جديداً وهو ما عرف فيما بعد "بدور الســـتر" ، وفي تلك المرحلة أخذت تتوطد وتنمو دعائمها الفكرية ، إذ عمل رجالها على تأليف المصنفات التي تنظر لدعوتهم وتدعو إليها ، وقد ظهرت في هذه المدة الغامضـــة والتي امتدت من وفاة إســماعيل حتى ظهور عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية مجموعة رسائل أخوان الصفا ، التي أشرف على تأليفها الإمام أحمد(*) أحد الأئمة المشـــهورين(2) ، وهي المفارقة التي جمعت بين الاســـتتار والتخفي من جهة وبين ظهور ذلك الأثر الفكري الذي ثار جدلاً حول مصـــــنفي تلك الرسائل ونسبتها وما حملته من أفكار .

(*) ان ذلك القول لا يسـتند إلى الحقائق العلمية لان رسـائل أخوان الصـفا ظهرت في عهد الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن إســـماعيل أي بعد ذلك التاريخ ، وحتى إذا جارينا بعض الرواة فيما ذهبوا إليه من ان عبد الله هو ابن محمد بن إسماعيل – وهو سند لا يجاري الحقيقة – فان رسـائل أخوان الصـفا ظهرت بعدهُ أي في عهد الإمام أحمد ويذكر عماد الدين ان ما دعا الإمام أحمد إلى تأليفها هو ما شـــاع من علوم اليونان زمن المأمون العباس . ينظر : عماد الدين ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، الســبع الرابع : 367 . وحول النســب . ينظر : الســمعاني ، الأنســاب : 458/4 ، وســنتطرق لتفصــيل أكثر عند دراســة رســائل أخوان الصــفا وعلاقتها بالإسماعيلية . وسنأتي لتفصيل أكثر حول ذلك : ينظر : رسائل أخوان الصفا والإسماعيلية : ص93_105 من الدراسة .

(1) دفتري ، فرهاد ، الإســماعيليون في العصــر الوســيط ، ترجمة : سـيف الدين القصــير ، دار المدى للثقافة والفنون والنشر ، دمشق ، 2003م : 83-84 .

(*) الإمام أحمد أحد الأئمة الذين يعودون بنسبهم إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق υ .

(2) عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار وفنون الآثار ، السبع الرابع : 367 وما بعدها ، الخشت ، محمد عثمان، الأصـول التاريخية لحركة الحشـاشـين ، بحث منشـور في مجلة كان التاريخية ، مجلة دورية ، العدد الأول ، مصر ، 2008م : 8 .

تعود البدايات الأولى لتنظيم الدعوة على ما يبدو لعصـــر الإمام محمد بن إسـماعيل ، لكننا لا ننكر الدور الذي اضـطلع به الإمام إسـماعيل(*) بن جعفر على الرغم عدم إشارة المصـادرة لذلك الدور فضـلاً عن اضـطراب الروايات التي أتسم بها عصـــر الأئمة المســتترين ، وهو ما دفع بأحد الباحثين إلى القول بأنه "مهما يكن من أمر إسماعيل فالتاريخ يجهل جهلاً تاماً كيف بدأت الدعوة لإمامته ، أي – إسماعيل – فنحن لا نستطيع ان نحدد تاريخ ظهور دعوته لأول مرة"[1] . لكن ما نلمسه في عصر الإمام محمد بن إســـماعيل كان أكثر وضـــوحاً ، وهو ما تؤيده الروايات التي ذكرت خروجه من المدينة بعد وفاة الإمام الصـادق { υ } بعد ان جمع من بقي من نقبائه(*)

(*) يتضـح ذلك من بعض الروايات التي أشارت في الحديث الذي دار بين الإمام جعفر الصـادق υ وبين المفضـل بن عمر الجعفي وكان على صـلة بفرقة الخطابية ان الصـادق υ قال له "مالك ولابني يعني إسـماعيل وكان منقطعاً إليه يقول فيه مع الخطابية وفي رواية ... ما تريد إلى ابني تريد ان تقتله ورغم ان المفضل بن عمر كان جليل القدر ومن أهل الأسرار والمكانة العالية فيبدو ان الصادق υ كان يعلم بالمراقبة الشـديدة لابنه إسـماعيل ومن معه من قبل العباسـيين وهو ما جعل لويس يستدل بتلك الرواية عن العلاقة بين إســـماعيل والنشـــاط المميز في وقت مبكر لقيادة الفرقة التي عرفت فيما بعد بالإسـماعيلية . ينظر : عماد الدين القرشـي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 332 ، الميرزا النوري ، حسين النوري الطبرسي (ت1320هـــ/1902م) ، خاتمة المستدرك ، ط1 ، تح : مؤسسة آل البيت عليهم السـلام لاحياء التراث ، الناشر مؤسسـة آل البيت { υ } ، مطبعة ستارة ، إيران ، 1994م : 107/4 ، الخاقاني ، علي ، رجال الخاقاني ، ط2 ، تح : محمد صـــادق بحر العلوم، مكتب الاعلام الإسـلامي، د.م، 1983م: 155 ، الأمين ، حسـن ، مسـتدركات أعيان الشـيعة، ط2 ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ، 1997م : 317/3، لويس ، أصول الإسماعيلية: 111 .

(1) حسـين ، د. محمد كامل ، طائفة الإسـماعيلية – تاريخها – نظمها – عقائدها ، ط1 ، مكتبة النهضة المصرية للنشر والطبع ، القاهرة ، 1959م : 14 .

(*) والتاريخ لا يذكر أســماء هؤلاء النقباء أو عددهم ، ويبدو ان ذلك الأمر كان مرهوناً بالســتر والتخفي الشديدين .

وحججه[**] ، وأرسـل من يطلب لهُ دار هجرة ، ثم سـتر نفسـه بعد ذلك وأولاده وبثوا دعاتهم في سـائر أقاليم الأرض ، وبعد ان فرق الدعاة السـيارة في جزائر[***] الأرض وأمر "أهل الجزائر بإقامة الدعوة باسـمه ، فعمرت الأرض وانتشـر الخبر ، واقبلوا في السياحة لنصب دار هجرة ، واشتد طلب الظالمين عليه"[1] .

تبدو آراء بعض المسـتشـرقين عن تلك الحقبة أكثر غرابة ومجانبة للحقيقة إذ ذكر أحد المستشرقين وهو R.Levy ، ان جميع الفرق – يقصد الفرق الشيعية التفت

(**) الحجة : إحدى مراتب التنظيم السري الإسماعيلي ، وأطلق على الحجة داعي دعاة الجزيرة ، فالسنة عند الإسماعيلية مقسمة إلى أثني عشر شهراً وعليه يجب ان يقسم العالم إلى أثني عشر قسماً وأطلق على كل قسـم جزيرة ولهُ ثلاثون داعياً على أسـاس ان الشـهر ثلاثون يوماً ، وهم المسـاعدون له في عمله ولكل داع نقيب . ينظر : غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 28–29 ، كذلك :

Ivanow , F . Alleged Founder of Ismails , Bombay , 1946 , p: 125 .

(***) جزائر الأرض : وتعني في تنظيمات الإسماعيلية والتي بني عليها الإسماعيلية دعائمهم في مرحلة الستر إذ قسموا كما قلنا العالم إلى أقاليم وقد قسموا الإقليم إلى اثنتي عشرة جزيرة وكان يتولى قيادة كل جزيرة داع يسـمى داعي الدعاة أو داعي دعاة الجزيرة ويذكر المقريزي ان هذا التنظيم اختص به الإسـماعيليون دون غيرهم فيقول "لا أعرفها في دولة من الدول إلا في دولة الفاطميين بمصـر خاصـة" . ينظر : المقريزي ، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت845هـ/1441م) ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تح : د. أيمن فؤاد سيد ، مؤسـسـة الفرقان للتراث الإسـلامي ، لندن ، 1995م : 94/1 وص100 وما بعدها ، وكذلك ينظر : غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 18–19 .

(1) منصور اليمن ، جعفر بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان الكوفي (ت380هـ/990م)، سرائر وأسرار النطقاء ، ط1 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984م : 259–262 .

حول محمد بن إســـماعيل وتوحدت كلها تحت قيادة واحدة وفيهم القســـم الأكبر من الخطابية(*) (1) .

وحول محمد بن إسماعيل كان محور نشـوء الإسـماعيلية . وهو ما أشـار إليه لويس قائلاً بعد ان اسـتخلص الكثير من الروايات والأحداث حول نشـوء الإسـماعيلية وقارن بين ما وقع في يديه من روايات قائلاً "نسـتطيع ان نجمل الكلام حول الأصـول الأولى للإســـماعيلية في ضــوء ما درســناه من وثائق بالآتي : انشـأ أبو الخطاب وإسـماعيل متعاونين على ما يحتمل نظام عقيدة صـارت أسـاسـاً للمذهب الإسـماعيلي فيما بعد ، وسعياً كذلك إلى تكوين فرقة شيعية ثورية لتجمع كل الفرق الشيعية الأخرى على إمامة إسـماعيل وذريته . ثم افترقت بعد وفاة أبي الخطاب وإسـماعيل وجعفر فرقاً كثيرة ذات أفكار متضــاربة ورؤســاء متخاصــمين ثم التفت هذه الفرق حول محمد بن إسماعيل"(2) .

وعلى حد ما متوافر بين أيدينا من مصـــادر وروايات فلا يوجد دليل على هذا الرأي ، ولا توجد رواية في مصـادر الكتب تشير إلى هذا الزعم ، نعم ان هناك إشارات إلى صــلة أبي الخطاب بالإمامين محمد الباقر وجعفر الصـــادق { υ } . وهو ما سـنبينه لاحقاً لكن المعلومات المتوفرة حول حياة إسـماعيل بن جعفر الصـادق υ كما ذكرنا كانت شحيحة إلى درجة يصعب معها القول ان ظهور الفرقة ولو بشكلها السري كان زمن إسماعيل ، ومن جهة أخرى ان الانشقاق كان بعد وفاة الإمام جعفر { υ } وهو ما نتج عنهُ ظهور الاثنى عشـرية تنادي بالابن الأصـغر موسـى الكاظم { υ } إماماً لها ، والإســماعيلية على ما ذكرنا . ومنذ ذلك التاريخ فاننا نســتطيع القول ان

(*) ينظر ص42_47 من الدراسة .

(1) The History OF Ismaili devant its Literatnra during the Isar Phase of the Fatimid Empire J.R.A.S , 1932 , p : 519 .

(2) لويس ، أصول الإسماعيلية : 115 .

الانشقاقات التي أنتجت فرقاً أخرى تدين بولائها[*] للشيعة كان السمة البارزة فكانت تلك الحركات تنتسب إلى الأصول الشيعية لكنها تختلف في العمل والتنظيم[1] وبأي حال فقد ظهر في تلك المرحلة دور الدعاة ، وكان من بين أبرزهم ميمون القداح ، وتكمن أهمية ذلك الداعية في تنظيم الدعوة في بواكيرها الأولى ، وقد ذهب بعض المتحاملين على الإسماعيلية ان أطلقوا اسم ذلك الداعي على فرقة الإسماعيلية "ومن أسمائهم في خراسان الميمونية نسبة إلى ميمون أخي قرمط"[2] .

(*) وفي ذلك يقول فلوتن "ان الحزب الشيعي الذي فشل عبر محاولات عديدة في استلام الحكم ، كان عرضة كأي حزب في هذا الموقع للانقسام ولظهور اتجاهات متطرفة ، ربما بحدة أكثر إزاء "الحزب" الذي انشقت عنه . وكان موقف الأئمة زعماء الحزب – رافضاً – لأي نوع من المغالاة والأفكار المستوردة ، حتى ان هذه الواقعية التي التزموا بها في تلك المرحلة عادت عليهم فيما بعد بالضرر الكبير ، وذلك مع ظهور تيار ثوري انفصالي ، أدى إلى ما يمكن ان نسميه بالمحنة الكبرى أو محنة الحزب التي أسفرت عن انشقاق الفرقة الإسماعيلية. ينظر : فان فلوتن ، السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية ، ترجمة: د. إبراهيم بيضون ، دارة النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1996م : 165–166 .

(1) وكان الخلاف الأبرز حول الإمامة والتي هي أصل من أصول الدين وسنذكر ذلك . ينظر : القمي، سعد بن عبد الله الاشعري (ت300هـ/912م) ، المقالات والفرق ، تعليق : محمد جواد مشكور ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1963م : 64 ، الفيومي ، د. محمد إبراهيم ، الشيعة العربية والزيدية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2002م : 281–282 ، الشيعة في الميزان ، 291–294 ، بدوي ، عبد الرحمن ، مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1997 : 838 وما بعدها ، جولد تسهير ، أجناس ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، نقله إلى العربية : محمد يوسف موسى وآخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت، 1946م : 210–211 ، جلي ، د. أحمد محمد أحمد ، دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، ط2 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، 1988م : 162–164 .

(2) الحمادي المعافري ، أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت أواسط القرن الخامس الهجري) ، كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، حققه وعلق حواشيه : محمد بن علي بن الحسين الاكوع ، ط1 ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، 1994م : 8 ، السلومي ، د. سليمان عبد الله ، أصول الإسماعيلية ، دار الفضيلة ، الرياض ، د.ت : 198–199 .

وقد التبس على بعض الباحثين تلك التســمية إذ ان الميمونية فرقة من الخوارج الشــخرية ، ســموا بهذا لاتباعهم رجلاً كان اســمهُ ميمون بن عمران[1] أو ميمون بن خالد[2] وليس ببعيد ان ســرية الحركة وكتمان أســرارها كانت ســبباً للكثيرين نســبته لشخصية ميمون وذلك بسبب اختفاء الإمام محمد بن إسماعيل ، ويسوق أحد الباحثين أمراً مهماً عن الإمام محمد بن إسماعيل إذ يقول عنه أنهُ كان شديد الحذر وعلى جانب كبير من الذكاء وبعد النظر والنشـاط والثقافة الواسـعة وسرعة التنقل والتخفي واستطاع الإفلات من العباسـيين ومن قبضــتهم ولم يســتكن إلى الهدوء أو يتوقف عن النشــاط واستقطاب الأنصـار والمؤيدين وتنظيم مراكز الدعاية ويبدو انهُ استطاع ان يسكن في بلدة صــغيرة كان اســمها ســملا[*] ثم أقام بعدها بمدينة تدمر[**] وكانت تلك البلدان ملتقى القوافل التجارية بين دمشـــق وبغداد ، وقد أطلق عليها مدينة الصــــحراء ومقر

---

(1) أبو منصــور البغدادي ، الفرق بين الفرد : 64 ، الرازي ، اعتقادات فرق المســلمين : 48 ، الاسفراييني ، طاهر بن محمد أبو المظفر ، (ت471هــ/1078م) ، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين ، ط1 ، تح : كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت، 1983م : 24 .

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل : 129/1 .

(*) سـملا : أو شـمبلة بفتح أوله وثانيه وميم سـاكنة وباء موحدة بلدة من ناحية دبناوند قريبة من ويمة لها زروع وبســاتين وأعناب كثيرة وجوز وهي أشــد تلك النواحي برداً ويضــرب أهل جرجان وطبرســتان بقاضيها المثل في اضطراب الخلقة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 360/3 . ويذكر الجويني ان إليها تنســب محمد اباد وفيها توارى محمد بن إســماعيل ومن هناك ذهب إلى قندهار من ولاية الســند واستقر بهم المقام هناك ، الجويني ، تاريخ فاتح العالم: 276/2 .

(**) تدمر : من مدن الشـام بالبرية ، يقال ان الجن بنتها لسـليمان { υ } ومن حلب إليها وإلى دمشــق خمســة أيام ويذكر ان أسـمها كان تدورة وان الزباء الملكة كانت تصـيف بها وقيل انها سـميت بتدمر نسـبة إلى تدمر بنت حســان بن اذنبة . ينظر : البكري الأندلســي ، عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد (ت487هـ/1094م) ، معجم ما استعجم ، ط3 ، تح : مصطفى السقا، عالم الكتب ، بيروت ، 1982 : 306/1-307 ، الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت900هــــ/1494)، الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، تح : احسان عباس ، مطابع دار السراج ، بيروت ، 1980م : 131/1 .

القوافل العربية وهناك نزل الإمام محمد بن إسماعيل فاتخذ لنفسه اسماً هو "القداح" و"ميمون" الفارسي وبذلك مارس طبابة العيون وأخفى اسمه الحقيقي عن كل الناس ، وأدعى انهُ من أتباع الإمام محمد بن إسماعيل المستور وعلى هذا الأساس وجه اهتمامه ودعاته إلى سواد الكوفة وبلاد الشام والبحرين وإلى أوساط القبائل العربية التي تنزل بوادي بلدة تدمر ... ثم يذكر أولاده ومنهم عبد الله الذي عرف في بعض المصادر بعبد الله بن ميمون القداح(1) . ويؤيد هذا الرأي لويس نقلاً عن الأمير مأمور(2)(***) .

وفي الحقيقة لم أجد أياً من المصادر والروايات الأخرى ذكرت أو أشارت لمثل هذا الموضوع لكن ذلك الخلط يمكن ان نعزوه للسرية والكتمان الشديدين اللذين كانا سمة الإسماعيلية في عهد محمد بن إسماعيل وقد أوجد ذلك الخلط ان ذُكر عن الداعي ميمون القداح انهُ كان مولى للإمام "محمد الباقر { υ } وابنه جعفر ويقال انهُ من آل

---

(1) تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 119/1 .

(2) لويس ، أصول الإسماعيلية : 81 .

Prince Mamour, Polemicson thorigon of the fatimid caliphs, London, 1934 p: 52.

وينظر كذلك : د. حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ط3 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1964م : 40 .

(***) ينقل هذا الرأي صاحب كتاب الشجرة المباركة ويقول ان محمد بن إسماعيل اختفى وتسمى بميمون القداح ، ويذكر ان هذه الرواية وردت عند الشهرستاني ، ولم أجد هذه = = الرواية عند الأخير ، ثم يعود صاحب الشجرة المباركة لينقض قول الشهرستاني لأن مدعي هذا الأمر ربط بين هذه الرواية وبين نسب الإمام المهدي الفاطمي ، وميمون بن ريعان الفارسي ، والرواية تتضح أو يتضح فيها التضارب . ثم عاد فذكر ان ميمون القداح تسمى بالقداح تقية وتفالاً باليمن وتقدح العلم فوقع لهذا السبب اسم ميمون القداح على ابن إسماعيل . ينظر : فخر الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين القرشي (ت606هـ/1209م) ، الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ، ط2 ، تح : مهدي الرجائي ، اشراف: محمود المرعشي ، مطبعة حافظ ، قم ، 1998م : 117 ، وقد أشير في باب آخر ان القداح سمي بذلك لأنهُ مارس طب العيون ومن ذلك كان هناك من طعن في نسب الفاطميين وقد رد على تلك الإدعاءات. ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبو الكرم محمد بن محمد (ت630هـ/1232م) ، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، 1980م : 17/3.

عقيل بن أبي طالب وترجعه بعض المصادر إلى ديصان(*) الثنوي ، اما الإسماعيلية فترجعه إلى سلمان الفارسي الصحابي الشهير"(1) .

يبدو ان ذلك الخلط كان في احد أسبابه ، نشاط ميمون وتنظيم للحركة الإسماعيلية ، بعد اتصاله بالعديد من الشخصيات ، وبعد ان قبض عليه في أواخر عهد أبي جعفر المنصور (ت136هـ-158هـ/735م-774م) الذي سجنه في الكوفة ، ومن هناك اشترك مع آخرين كان منهم محمد بن الحسين المعروف بدندان وجماعة كانوا يعرفون بـ(الجهاربجة) ، ووضعوا حسب الرواية(*) أعلاه القواعد الأولى للإسماعيلية ولما خرجوا من السجن ظهرت دعوتهم(2) .

وحول الالتباس في الاسم فقد أشار لذلك صاحب كتاب أعيان الشيعة إذ ذكر ان هناك شخصين يحملان ذات الاسم الأول هو ميمون بن ديصان المعروف بالقداح

(*) وهناك إشارة لما وضع حول شخصية القداح بالقول "ميمون بن الأسود القداح المكي أحد موالي بني مخزوم، وقد قامت مصادر غير شيعية لاحقة بوضع كل أشكال الخرافات والأساطير ونسبتها إلى ميمون وولده عبد الله وكان ابن زرام أول من وضع ولفق رسالة جدلية مقدماً نسخة من الجدل الفاطمي معادية للإسماعيليين ، ومع ان هذا العمل قد فقد ، إلا انهُ استخدم بشكل مكثف من قبل اخي محسن (ت حوالي 375هـ/985م) من أجل الحط من سمعة الحركة الإسماعيلية ، إضافة إلى انهُ أصبح أساساً لمعظم الكتابات اللاحقة حول الموضوع . غير انه جرى تصحيح ذلك من قبل المستشرق الروسي ايفانوف وأوضح ان قصة القداح المؤسس المزعوم للإسماعيلية ما هي إلا أسطورة تعليلية جرى اختراعها مصادفة ثم حرفت تدريجياً وطورت أثناء تناقلها شفوياً وكتابةً في ان معاً . ينظر : ر. لالاني ، الرزينة، الفكر الشيعي المبكر، تعاليم الإمام محمد الباقر ، ترجمة : سيف الدين القصير ، ط1 ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2004م: 155.

(1) أبو منصور البغدادي ، الفرق بين الفرق : 266 ، الذهبي ، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز أبو عبد الله (ت748هـ/1347م) ، سير أعلام النبلاء ، ط9 ، تح : شعيب الارناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1992م : 147/15-148 .

(*) أي من خلال وجودهم في السجن . ينظر : كذلك حول نشاط ميمون القداح ، غالب ، د. مصطفى، الحركات الباطنية في الإسلام، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2006م: 79-92 .

(2) طاهر الاسفراييني ، التبصير في الدين : 141 ، فياض ، نبيل ، الطائفة الإسماعيلية ، جسد يربط العقل بالدين ، بحث منشور في مجلة الموسم ، مجلة فصلية تعني بالتراث والآثار ، هولندا ، 1999م ، العددين 43-44 : 152 .

والآخر هو ميمون بن الأسود القداح ويبدو التشابه بين الاسمين واضحاً لكن مواطن الشخصين تختلف الواحدة عن الأخرى[1] .

ظهرت إمكانية القداح في اعتقاد بعضهم من انه الواضع للأفكار الإسماعيلية فهو واسع العلم والمعرفة "وكاد ان يطلع على جميع مقالات الخليقة فرتب له مذهباً وجعلهُ في تسع دعوات ، ودعا الناس إلى مذهبه فاستجاب له خلق ، وكان يدعو إلى الإمام محمد بن إسماعيل وظهر من الأحواز ونزل بعسكر مكرم[**] فصار لهُ مال ، واشتهر دعاته فانكر الناس عليه وهموا به ، ففر إلى البصرة ومعه من أصحابه الحسين الأهوازي فلما انتشر ذكره طلب فصار إلى بلاد الشام وأقام بسلمية[2] . ان تلك الفترة شكلت أشد الفترات غموضاً بالنسبة للحركة ويرجع البعض صعوبة دراسة الحركة في تلك المرحلة إلى لجوء غالبية فرق الشيعة الاثني عشرية والإسماعيلية إلى التقية والعمل السري[3] . واننا لنجد إشارات متفرقة في كتب السير والأخبار قد أفادت الدراسة بإعطاء صورة عن ظهور الحركة وقيادتها ، فقد أورد أبو نصر البخاري مثلاً رواية حول ذلك

---

(1) الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة ، ط1 ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ت : 85/8 وما بعدها .

(**) عسكر مكرم : بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء ، بلد مشهور من نواحي خوزستان منسوب إلى مكرم بن معزاء الحارث أحد بني جعونة بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة تنسب إلى مكرم مولى للحجاج وهي مدينة كبيرة حسن على نهر المسرقان . = = ينظر: الإدريسي ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (ت560هـ/1164هـ)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط1 ، عالم الكتاب ، بيروت، 1989م : 395/1 ، الحموي ، معجم البلدان : 123/4 .

(2) المقريزي ، المواعظ والاعتبار : 134/2 . وهي إشارة ربما للاسم المستعار للإمام الإسماعيلي .

(3) سيد ، د. أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ، 2007م : 93 .

بالقول "وكان محمد بن إسماعيل بن جعفر مع عمه موسى الكاظم { υ } يكتب له كتب السر إلى شيعته من الآفاق"[1] . ورغم السرية الشديدة والحذر والحيطة في العمل إلا ان ذلك الأمر لم يكن ليفلح على الدوام فقد ذُكر ان المأمون العباسي ظفر بكتب كتبها "محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق إلى أهل الكرخ وغيرهم من أعمال أصفهان يدعوهم فيها إلى نفسه"[2].

وعلى أية حال فقد غادر الإمام محمد بن إسماعيل المدينة لزيارة أنصاره في العراق وفارس ، ويعتقد أنه دخل في مرحلة الستر بعد ذلك ، ولم يكن مكان وجوده معروفاً سوى لقلة من تلامذته الموثوقين إذ صار يعرف بين أتباعه بناء على ذلك بـ"المكتوم" ويروى ان خلفاءه استمروا في العيش مجهولي الشخصية مدة قرن ونصف قرن وأخفوا هويتهم الحقيقية تحت أسماء مستعارة وشخصيات تجار أثرياء أو ملاك كبار أذ يمكن ان تجري أعمالهم ونشاطاتهم من دون ان يقتفي أثرها عملاء العباسيين[3] .

ان البحث عن تاريخ الإسماعيلية في طورها السري إنما يمثل ما بقي وربما نسي أو انمحى من الذاكرة أو تحول إلى نقولات شفوية أو ملاحظات مبتسرة أو جزءًا

---

(1) أبو نصر البخاري، سهل بن عبد الله بن داود بن سليمان ابن ابان بن عبد الله (ت341هـ/952م)، سر السلسلة العلوية ، المكتبة والمطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1962م : 35 .

(2) ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد الحسيني عز الدين أبو حامد (ت655هـ/1257م)، شرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار احياء الكتب العربي، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بيروت ، 1962م : 111/16 ، التستري ، محمد تقي ، قاموس الرجال ، ط1 ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1998م : 117/9 .

(3) أيبو جمال ، ناديا ، الناجون من الغزو المغولي نزاري قوهستان واستمرارية التقليد الإسماعيلية في إيران ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2004م : 46-47 .

من سيرة الرجال[1] ، فهو عملية جمع لروايات مبعثرة بين ثنايا الكتب . وهو ما سنجد بعضاً من أثره عند الإشارة لجذور الإسماعيلية ، وفرقها الأولى .

- جذور الإسماعيلية وبواكيرها الأولى :

بعد ان عرضنا بشكل سريع لظهور الإسماعيلية نرى من المناسب عرض جذور تلك الفرقة ، وما نراهُ مهماً لتوضيح الأمور المبهمة والمتعلقة بالجذور الأولى لتلك الفرقة ، وحتى نتجنب الخوض بالتفاصيل والابتعاد عن الموضوع الرئيس فقد اقتصر توضيحنا لجذور تلك الفرقة في اثنتين من الفرق الرئيسة التي شكلت الباع الأكبر في الفروع الأولى أو الرئيسة للإسماعيلية :

1- الخطابية[*] :

---

(1) المهاجر ، جعفر ، التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية ، ط1 ، دار الملاك للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م : 70 .

(*) نسبة إلى أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بن بني أسد وفي رواية الصفدي محمد بن أبي ذئب الأسدي ، أسر في معركة بينه وبين عيسى بن موسى زمن العباسيين بعد ان قاتلهم جميعاً وتحصنوا في مسجد الكوفة هو وسبعين رجلاً من أتباعه قتلوا جميعاً إلا شخص واحد صلبه بعد ذلك عيسى بن موسى وقتل الجميع وأرسلت رؤوسهم إلى المنصور وتشير بعض الروايات إلى ان أبا الخطاب كان من أتباع الإمام جعفر الصادق υ . ينظر : النوبختي ، فرق الشيعة : 69-70 ، القمي ، المقالات والفرق : 81-82 ، الكشي ،

إحدى الفرق والبواكير الأولى للإســـماعيلية ، ويبدو ان الخطابية تتكون من خمس فرق حسـب الروايات[1] . إذ ذكر النوبختي وهو أول من تحدث بالذكر عن تلك الفرقة قائلاً "وقد دخلت منهم فرقة [يقصـد الخطابية] في فرقة محمد بن إسماعيل وأقروا بموت إسماعيل بن جعفر في حياة أبيه ، وهم الذين خرجوا في حياة أبي عبد الله جعفر بن محمد { υ } فحاربوا عيسى بن موسى ... وكان عاملاً على الكوفة"[2] .

وقد أشـار القاضـي النعمان بن محمد بن حيون إلى خبر أبي الخطاب وما كان من أمره قائلاً "ثم كان أبو الخطاب في عصــــر جعفر بن محمد υ من أجل دعاته، فأصـابه ما أصـاب المغيرة(*) فكفر وادعى أيضـاً النبوة وزعم ان جعفر بن محمد υ إله

أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت340هـ/951م) ، معرفة أخبار الرجال ، المعروف برجال الكشــي ، دار صــادر ، بيروت ، د.ت : 246-248، داود ، نبيلة عبد المنعم ، نشـأة الشيعة الإمامية ، ط1 ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، 1994م : 240.

(1) الأشعري ، علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن (ت324هــ/935م) ، مقالات الإسلاميين واختلاف المصـــلين ، ط3 ، تح : هلموت ريتر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت: 20 ، الشهرستاني ، الملل والنحل : 179/1 .

(2) النوبختي ، فرق الشـــيعة : 69 ، أبو جعفر الطوســـي ، محمد بن الحســـن بن علي (ت460هـ/1067م) ، اختيار معرفة الرجال ، تصحيح وتعليق : مير داما الاسترابادي ، وتح : مهدي الرجائي ، مطبعة بعثت ، قم ، 1983م : 641/2 ، التفرشــي ، مصـطفى بن الحسـين الحسيني (ت في القرن الحادي عشر) ، نقد الرجال ، ط1 ، طبع مطبعة ستارة ، قم، 1997م : 298/2 ، زناجي ، محمد نجمي ، تاريخ فرق إســـلامي ، انتشـــارات دانشـــكاه ، طهران ، 1921م : مج158/1 .

(*) المغيرة : المغيرة بن سعيد العجلي كان على مذهب المحمدية وهؤلاء يقولون بانتظار محمد بن عبد الله بن الحســـن بن علي بن أبي طالب ويقولون انه لم يمت وانه حي في جبل حاجر من ناحية نجد ، وكان يدعو لذلك وقد دخل في دعوته جماعة من أهل المدينة وأهل مكة واليمن خرج بعد ذلك وغلب على نواحي البصرة في عهد المنصور فبعث إليه عيسى بن موسى فقتله . ينظر : الاسفراييني ، التبصير في الدين : 35/1 .

، تعالى الله عن قوله ، ... فبلغ أمرهُ جعفر بن محمد { υ } فلم يقدر بأكثر من ان لعنه وتبرأ منه ... وعظم ذلك على أبي عبد الله جعفر بن محمد υ واستقطعه واستهاله"(1) .

وهنا تتضارب الروايات حول أبي الخطاب(*) ، لكن ذلك ربما يكون بداية النشاط ضد العباسيين ، على الأقل بالنسبة للإسماعيلية .

ورغم عدم الإشارة لكيفية خروج أبي الخطاب(2) . لكن النوبختي يثبت رواية في فرق الشيعة قد تميط اللثام عن بعض الغموض الذي اكتنف الخطابية ، إذ يظهر

---

(1) ابن حيون ، أبو حنيفة بن محمد بن منصور بن أحمد القاضي النعمان (ت363هـ/973م)، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام ، تح : اصف بن علي أصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة، 1963 : 49-50 ، الاسفراييني ، التبصير في الدين : 126 ، الميرزا النوري ، خاتمة المستدرك : 138/1 ، القمي ، عباس ، الكنى والألقاب ، تقديم : محمد هادي الأميني، مكتبة الصدر ، طهران ، د.ت : 64/1 .

(*) حول التضارب في الروايات ذكر ابن قتيبة الخطابية فقال "هم ينسبون إلى أبي الخطاب ولا أدري من هو" . ينظر : ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م) ، المعارف ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م : 340 ، لاحظ كيف لف الغموض أفكار هذه الفرقة ثم قارن بين ما ذكره ابن رزام والذي أوضحناه وكيف انهُ أصبح مصدراً للكثير من رواة الأخبار عن الإسماعيلية .

(2) من ناحية الزمن ذكر الطبري ان عيسى بن موسى كان والياً على الكوفة في عهد الخلفاء العباسيين السفاح والمنصور وبقي عشرة سنة إلى ان خلعه المنصور وفي رواية أخرى ان انقطاع أبوة الخطاب عن مجلس الصادق υ كان سنة 138هـ/755م ، وهي نفس وفاة الإمام إسماعيل . ينظر : الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م) ، تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 232/4 و551 ، الطوسي ، اختيار معرفة الرجال : 586/2 ، ويمكن القول ان ذلك حدث قبل خلع المنصور لعيسى بن موسى ومع مجيء المنصور سنة ست وثلاثين ومائة وإذا قارنا بين انقطاع أبو الخطاب عن مجلس الصادق υ سنة 138هـ/755م نستطيع ان نضع تاريخاً مقارباً بعد سنة 138هـ/755م لوقوع تلك الحادثة ، وقد أشار ابن عساكر لتاريخ 143هـ/760م لحادثة أبو الخطاب وانها كانت في موقع يعرف بالكناسة وهو موقع معروف

للقارئ ان فشـــل حركة أبي الخطاب كان من نتائجها "خروج من قال بمقالته من أهل الكوفة وغيرهم إلى محمد بن إســـماعيل بن جعفر بعد قتل أبي الخطاب فقالوا بإمامته وأقاموا عليها"[1] .

يتبين من هذا النص أمرين مهمين فهو فضــلاً عن الإشــارة إلى الجذور الأولى لتشـكيل فرقة الإسـماعيلية ، كان وجود اعداد أخرى غير من كان مع أبي الخطاب أو من قتل معهُ داخل الكوفة ومن خارج الكوفة ولم يحدد النوبختي أعدادهم لكننا نسـتطيع القول أنهم لم يكونوا قلة لان فيهم وحســـب الرواية من غير أهل الكوفة "خرج من قال بمقالته من أهل الكوفة وغيرهم" . وكان ظهور تلك الجماعة يُمثل أول صدام مسلح بين الطرفين . لكن ذلك الصـدام وان قضـى على أبي الخطاب ومن معه إلا أنهم لم يكونوا ليمثلوا إلا عدداً قليلاً أمام جموع أخرى كانت تنادي بالولاء لإسماعيل أو هكذا توضحت أفكارها فيما بعد .

بعد ذلك الاســـتعراض لابد لنا من الإشـــارة إلى خطأ وقع فيه بعض الباحثين مستندين إلى إشـارات أو ومضـات في كتب السـير والأخبار ، حول التعاون بين الإمام إسـماعيل بن جعفر υ وأبي الخطاب والذي أثمر عن فرقة الإسـماعيلية فيما بعد وكان هؤلاء الباحثون[2] ، قد أشـاروا إلى الدور المميز الذي أداه أبو الخطاب في تأسيس تلك

بالكوفة لبني أسد وبنو تميم يطرحون فيه كناستهم . ينظر : ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت603هـ/1206م) ، تاريخ مدينة دمشق ، تح : محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، 1995م: 48/13-14 ، وانظر في موضع الكناسة ، البكري ، معجم ما ساتعجم : 136/4.

(1) النوبختي ، فرق الشيعة : 71 .

(2) ينظر في ذلك : لويس ، أصـول الإسـماعيلية : 100 ، كلود كاهن ، تاريخ العرب والشـعوب الإســلامية ، ط2 ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1972 : 256-257 ، ظهير ، احســان الهي ، الإسـماعيلية ، تقديم : د. سـيد بن حسـين ، ط1 ، دار ابن حزم ، القاهرة ، 2008م : 58 وما

الفرقة وحجتهم كتب الفرق الإسلامية[1] . وعند البحث لم نجد نصاً صريحاً يؤيد أو يشير صراحة إلى التعاون بين إسماعيل وأبي الخطاب حول إنشاء فرقة الإسماعيلية وقد استدل المستشرق لويس على وجود جذور مشتركة في بعض العقائد الخطابية وما ذهب إليه الإسماعيليون فيما بعد[2] . وهذا الأمر لا لبس فيه لأن أبا الخطاب كان من أتباع الإمام الصادق { υ } .

ان ذلك الرأي ربما كان مرجعه في أحيان كثيرة بين الإسماعيلية كفرقة بعد ان اكتملت عقائدها وتبلورت أفكارها بصورة نهائية . ولابد ان ذلك أخذ وقتاً ليس بالقصير ، ومن جهة أخرى فان سرية عقائد تلك الفرقة لابد وانهُ أضاع الكثير من أسرارها[*] .

بعدها ، الدوري ، عبد العزيز ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007م : 128 ، الجوير ، الإسماعيلية المعاصرة : 26–27 .

(1) الأشعري ، مقالات الإسلاميين : 10 ، الشهرستاني ، الملل والنحل : 29/1 و167–168.

(2) لويس ، أصول الإسماعيلية : 100–101 ، ظهير ، الإسماعيلية : 58–59 .

(*) ننقل هنا آراء عدة حول صعوبة الحصول على معلومات بخصوص الإسماعيلية في مراحلها الأولى يقول أحد الباحثين ان من كتب في الماضي عن الإسماعيلية وهو من أعداء الإسماعيلية كالغزالي ومحمد بن الحسين الديلمي ويحيى بن حمزة العلوي وغيرهم من علماء السنة والشيعة والزيدية "فأنهم مع عدم إحاطتهم بجميع الجوانب العقدية لم يبنوا معلوماتهم إلا على السماع كثيراً لعدم تمكنهم من الحصول على كتب القوم ، ومن تمكن منهم كالديلمي – كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه – لم يحصل إلا على العدد القليل الضئيل العدد الذي لا يسمن ولا يغني من جوع للذين يريدون البحث والتنقيب في العقائد الإسماعيلية . ينظر : احسان ، الإسماعيلية : 21 ، وقد دفع هذا الأمر بالداعي الإسماعيلي علي بن الوليد لأن يرد على الغزالي وكتابه فضائح الباطنية . ينظر : والد الجميع ، علي بن محمد بن الوليد (ت612هـ/1215م) ، دامغ الباطل وحتف المناضل ، تقديم وتحقيق : د. مصطفى غالب ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982م ، وتذكر باحثة أخرى ذلك الأمر بالقول "وثمة معلومات قليلة حول (سيرة) الدعاة الإسماعيليين الأقدم باستثناء أسمائهم وتفاصيل نزيرة عن نشاطاتهم ... وقد يكون سببه قلة المعلومات هذه ان الدعاة أنفسهم كانوا يعلمون بشكل سري" ينظر : ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 49 ، حول سرية الحركة ينظر

ان الخلط بين الخطابية والإسماعيلية نجده واضحاً في بعض الروايات إذ ذلك القمي رواية عن الإسماعيلية الخالصة يقول فيها "فهم الخطابية أصحاب أبي الخطاب"[1] ، لكن هذا النص لا يوضح نوع التعاون بين الإمام إسماعيل وأبي الخطاب ، ويجيب أحد الباحثين عن ذلك الأمر بالقول "ونحن إذ نستغرب ان يأتي مستشرق مشهور مثل برنارد لويس ليطلع علينا بآراء خاطئة تدل على قصر باعه في الأبحاث الإسماعيلية ، نقول بان جميع المخطوطات التي بين أيدينا تنفي ان تكون للإسماعيلية أي علاقة بالخطابية لأن جميع المصادر الإسماعيلية وأغلب المصادر التي تتحدث عن الفرق والمذاهب تعترف بعدم تلك العلاقة"[2] .

وهنا أيضاً تقع إشكالية أخرى . فقد أوردنا نصاً للنوبختي يشير صراحة إلى انحياز من نجا من القتل بعد حادثة أبي الخطاب إلى محمد بن إسماعيل[3] .

فان كان هذا القول صحيحاً إذن نستطيع التمييز بين الخطابية كفرقة اندمج رجالها أو من نجا منهم وانضوى تحت لواء محمد بن إسماعيل وبين الخطابية كفرقة .

ولقد حاول أحد الباحثين الربط بين ميمون القداح وأبي الخطاب[4] . مستنداً في ذلك إلى رأي نقله عن ماسينون[5] ولكننا لن نجد لماسينون هكذا قول وإنما كل الذي ذكرهُ ان الإسماعيلية هم أتباع ميمون القداح[6] .

أيضاً أبو جوهر ، محمد أمين ، الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع ، ط2 ، دار التكوين للطباعة والنشر ، دمشق ، 2006م : 64 وما بعدها .

(1) المقالات والفرق : 50 .

(2) غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 127 .

(3) النوبختي ، فرق الشيعة : 71 .

(4) ظهير ، الإسماعيلية : 63 .

(5) بدوي ، عبد الرحمن ، شخصيات قلقة في الإسلام ، ط2 ، مزيدة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1964م ، مقالة لوي ماسينون ، "سلمان الفارسي والبواكير الروحية للإسلام في إيران" ، مقالة داخل الكتاب : 4 وما بعدها .

(6) ينظر : المصدر نفسه : 44 .

2- المباركية :

إحدى الفرق التي اقترن أسمها بالإسماعيلية في جذورها الأولى ، كان اعتقادهم بان إسماعيل لما مات انتهت إلى ولده محمد بن إسماعيل الإمامة[1] ، ويقال ان التسمية إنما جاءت من مولى لإسماعيل بن جعفر { υ } يسمى المبارك[2] . وذكر الأشعري ان المباركية قالوا "ان محمد بن إسماعيل قد مات وإنها في ولده من بعده"[3] . والأصح هو إقرارهم بموت إسماعيل لا بموت أبنه محمد لأن الخلاف كان على وفاة إسماعيل في حياة أبيه . ويبدو التضارب والغموض واضحاً أيضاً في الروايات عن هذه الفرقة .

ويذهب بعض الباحثين إلى ان المباركية قالت ان إسماعيل توفي في زمن أبيه غير انهُ نص على أبنه محمد قبل وفاته فكان الإمام بعده وهؤلاء هم "القرامطة وهم المباركية ونسبهم إلى القرامطة برجل من أهل السواد يقال لهُ قرموطية ، ونسبهم إلى المباركية برجل يسمى المبارك مولى إسماعيل ابن جعفر والقرامطة أخلاف المباركية والمباركية سلفهم"[4] .

يبدو ان المباركية استندوا في حقهم بانتقال الإمامة من إسماعيل إلى أبنه محمد رغم موت إسماعيل في حياة أبيه في ان الإمامة لا تنقل من أخ إلى أخ بعد الحسن

---

(1) أبو منصور البغدادي ، الفرق بين الفرق : 47 ، فخر الدين الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين : 54 .

(2) النوبختي ، فرق الشيعة : 69 ، الأشعري ، مقالات الإسلاميين : 27 .

(3) المصدرين أعلاهما ، نفس الصفحات .

(4) الشريف المرتضى ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ-1022م) ، الفصول المختارة ، ط2 ، تح : علي مير شريفي ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م : 306 ، المجلسي ، بحار الأنوار : 10/37 .

والحسين {عليهما السلام} . ولا تكون إلا في الاعقاب[1] . ويوضح النوبختي الجذور الأولى لنشوء المباركية وانشقاقها عن الخطابية فيقول "وصنوف الغالية افترقوا بعد [يقصد بعد مقتل أبي الخطاب] على مقالات كثيرة واختلفوا ما في يد سلف أصحابهم ومذاهبهم ... ثم ساقوا الإمامة في ولد محمد بن إسماعيل وتشعبت منهم فرقة المباركية"[2] .

وهنا تحديداً يمكننا ان نلحظ بوضوح بعض الظواهر في تأسيس ونشوء تلك الفرق : الأول التداخل والتشابه في العقيدة والأهداف هذا من جانب وظاهرة التسلسل الزمني لتلك الحركات إذ ان كل حركة تأخذ بزمام الأخرى فما تكاد تختفي حركة إلا وتظهر أخرى تجمع فلول أتباع من قبلها مع التغيير في العناوين والأسماء والألقاب[3] . وهو ما أشار إليه دفتري بالقول "وشهد الإسماعيليون أنفسهم العديد من الانقسامات الرئيسة والثانوية غيرت مسيرة تاريخهم المليء بالأحداث ودارت الانقسامات في العادة حول أحقية الوراثة للإمامة"[4] .

يتضح انحياز تلك الفرق إلى بعضها البعض كما في الخطابية مثلاً ومن ثم تصوغ أفكارها الجديدة وفقاً لمعطيات أو متغيرات الأوضاع آنذاك . وقد كان التمييز

---

(1) الطوسي ، نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت672هـ/1273م) ، قواعد العقائد ، تح : علي رباني ، الناشر لجنة إدارة الحوزة العلمية ، قم ، 1995م : 27/5 ، الشريف المرتضى ، الفصول المختارة : 306 .

(2) النوبختي ، فرق الشيعة : 71 ، كذلك النوبختي الحسن بن موسى ، والقمي ، سعيد بن عبد الله ، فرق الشيعة ، ط1 ، حققه وصحح نصوصه وعلق عليه وقدم له بدراسة وافية : د. عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992م : 81 .

(3) السلومي ، أصول الإسماعيلية : 214/1 .

(4) فرهاد دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2001م : 12 .

في بداية نشوء تلك الفرق صعباً على ما يبدو وهو ما دفع أحد أئمة الزيدية وهو يعدد فرق الشيعة فلما وصل إلى الإسماعيلية قال فيهم "وهم الإسماعيلية ، وهم المباركية والخطابية"[1] . وقد ذكر الحميري قولاً مشابهاً لهذا الأمر حين عدد فرق الشيعة في اليمن فقال "وباليمن من الشيعة فرقتان الجارودية من الزيدية ، والمباركية من الإسماعيلية"[2] .

وهي تبين نظرة بعض المؤرخين حول أصول الإسماعيلية وعقائدها أول الأمر . ولكن من الممكن ان نلاحظ انها أي تلك الحركات اشتركت بولائها إلى محمد بن إسماعيل ، ونستطيع ان نقول ان ذلك مرجعه نشاط محمد بن إسماعيل في قيادة الدعوة وتنظيمها كما ذكر في رواية أبي نصر البخاري[3] .

المبحث الثاني
الحشاشون وصلتهم بالعقائد الإسماعيلية

---

(1) المتوكل على الله ، أحمد سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق (ت560هـ/1164م) ، كتاب حقائق المعرفة ، مراجعة وتصحيح : حسن بن يحيى اليوسفي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1935م : 537 .

(2) نشوان الحميري ، نشوان بن سعيد أبو سعيد (ت573هـ/1177م) ، الحور العين ، ط1 ، مطبعة مصر ، مصر ، 1947م : 166 وما بعدها .

(3) سر السلة العلوية : 35 .

على الرغم من الأهمية البالغة للعقائد الإسـماعيلية في نشـأة الحركة وتطورها يذكر المستشرق ايفانوف قولاً يبين أي بحر يلج من يدخل في عقائد الإسماعيلية واصفاً ذلك بقوله "اسـتقى المؤرخون معلوماتهم عن الإسـماعيلية من مسـتنقعات أعداء مذهبهم"[1] .

وعلى الرغم من هذه النظرة أو المقولة فإننا نسـتطيع ان نبين صـورة أوضـح للإسماعيلية، يقول أحد الباحثين واصفاً الإسماعيلية بانها "العقيدة الفلسفية التي تتطور وتتكيف مع الزمن ... أو بلغة أصـح هي انطلاقة الفكر الوثاب في هذا العالم اللامتناهي"[2] .

لقد آمن الإسـماعيليون بسـيادة "العقل وبإمكانية اسـتيعاب الكون ، كما آمنوا بالجدلية باعتبارها أسلوب الوصول إلى الحقيقة"[3] . ويُرجع أحد الباحثين سبب الثراء الفكري الذي امتاز به الإسـماعيليون إلى ان علمائهم قاموا "بدفع الاتهامات التي انصـبت عليهم وردوا على مخالفيهم فكان الجدال بين الإسـماعيلية وأعدائها سـبباً في ثروة علمية شغلت الفكر زمناً طويلاً"[4] .

ويبدو للقارئ أثر الفلسـفة والفلسـفة الأفلاطونية تحديداً واضـحاً جلياً في كتابات فلاسفة الإسماعيلية ، وقد استعان الإسماعيليون بهذه النظرية – الافلاطونية – لينفذوا

---

(1) اس . بيكلي ، مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية ، دار الباحث ، سلمية ، 1994م : 6 ، الحمد ، محمد عبد الحميد : الافلوطونية المحدثة والتوحيد الإسماعيلي ، ط1 ، منشورات الحمد ، سوريا ، 2003م : 7 .

(2) غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 21 .

(3) أبو جوهر ، الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع : 64 .

(4) حسين ، طائفة الإسماعيلية ، المقدمة : 1 .

إلى صـــميم الإســـلام فبدأوا بنظرية الفيض الأفلاطونية[1] ، وهو ما دفع الدكتور المرزوقي للقول معقباً على جذور الفرق الإسلامية التي خاضت غمار الفلسفة منوهاً لجذور تلك الفرق بالقول "وكان اللقاء بين فرع الفلسفة الوصــلي الذي يرد الافلاطونية المحدثة إلى الأرسطية السوفسطائية (المشائية) وفرعها الفصلي المخلص لها من الأفلاطونية (الرشدية) ... مما جعل الفرق الشيعية تكون أفلاطونية محدثة فلسفياً بالرد إلى أفلاطون وصلاً أو بالتخليص من أرسطو فصلاً"[2] .

أوضح التوجه الإسماعيلي الفلسفي وعقائده وتوجهاته الفكرية في أغلب مؤلفات دعاتهم وبرز ذلك واضـــحاً في كتاب الداعية الإســـماعيلي أحمد حميد الكرماني والمعروف بحجة العراقين في كتابه راحة العقل[3] ، إذ ناقش الوجود ونظرة المسلمين له ونظرة الفلاسفة القدماء القائلين بنظرية الفيض والعلة الأولى وأطلق الكرماني على هذا الموجود الأول اسم المبدع الأول واسم العقل الأول كما يطلق عليه اسم المحرك الأول بوصــفه مبدأ الحركة لجميع الحركات ... ويستعرض بعد ذلك الآراء الفلســفية للعقل

---

(1) انظر عن ذلك الموضوع الشهرستاني ، الملل والنحل : 191/1 وما بعدها ، ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد (ت456هـــ/1064م) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت : 57/5 و85 وما بعدها . وينظر كذلك للاســتزادة : الوليد، حســين بن علي بن محمد بن الوليد (ت667هــ/1268م) ، المبدأ والمعاد في الفكر الإسماعيلي ، ط1 ، تح : خالد المير محمود ، دار علاء الدين للنشـــر ، دمشـــق ، 2007م : 31 وما بعدها ، عيسى ، فلسفة العقائد الإسماعيلية : 41 .

(2) المرزوقي ، د. أبو يعرب ، اصلاح العقل في فلسفة العربية من واقعية أرسطو وأفلاطون إلى أسمية ابن تيمية وابن خلدون ، ط3 ، اعداد مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001م : 28 .

(3) ينظر كذلك ، برها نبوري ، قطب الدين سليمان جي (ت1241هـــ/1825م) ، منتزع الأخبار في أخبار الدعاة الأخيار ، تح : سامر فاروق الطرابلسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2008م : المقدمة ص 20 وما بعدها .

الأول وترتيب العقول وكيفية انبعاث العقل الأول عن العقل الثاني ويرى الكرماني ان العقل الثاني موجود عن طريق العقل الأول بوساطة الانبعاث ومن هنا أطلق الكرماني على العقل الثاني المنبعث وأطلق على العقل الأول المبدع وهذا المنبعث الأول هو ما يسمى في السنة الالهية القلم[1] .

وتتضح صورة الوسائط أكثر بمظهرها الفلسفي عند الإسماعيلية ، بما وصفه الشهرستاني نقلاً عن الإسماعيلية ، ان الله أبدع بطريقة العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم يتوسطه إبداع النفس التالي الذي هو غير تام ونسبة النفس إلى العقل كنسبة النتيجة إلى المنتج .... واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدثت الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضاً فتركبت المعادن والنبات والحيوان والإنسان متميزاً عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه في مقابلة العالم[2]

---

(1) ينظر : حجة العراقين ، حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني (ت411هـ/1020 على الأرجح)، راحة العقل ، تح وتقديم : د. محمد كامل حسين ود. محمد مصطفى حلمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت : 57 و101 وما بعدها ، وانظر كذلك لنفس المؤلف : كتاب الرياض في الحكم بين (الصادين) صاحبي الاصلاح والنصرة ، تحقيق وتقديم : عارف تامر ، دار الثقافة ، بيروت ، 1960م : 101-110 . ولنفس المؤلف أيضاً ، الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، ط1 ، تحقيق ودراسة : د. محمد عيسى الحريري ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت ، 1987م : 115 ، الوليد ، حسين بن علي بن محمد (ت667هـ/1268م) ، تاج العقائد ومنبع الفوائد ، ط2 منقحة ، تح : عارف تامر ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت، 1982م : 42 وما بعدها ، المينقي ، شهاب الدين ابن القاضي نصر بن ذي الجوشن الديلمي ، الإيضاح ،ط1 ، حققه وقدم له : د. عارف تامر ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ، 1965م: 40 ، الحامدي ، إبراهيم بن الحسين (ت557هـ/1161م) ، كنز الولد ، تح : مصطفى غالب ، دار صادر ، طباع بمساعدة المعهد الألماني ، بيروت ، 1971م : 67 وما بعدها .

(2) السجستاني ، إسحاق بن أحمد السجزي أبو يعقوب (ت331هـ/942م) ، الينابيع ، ط1 ، تقديم وتح : د. مصطفى غالب ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1965م : 79 في ان العقل الأول أول مبدع ، الشهرستاني ، الملل والنحل : 193/1 .

، وان ذلك القول كان يعزى إلى الفلاسفة[1] ، وهو الذي دفع كثير من الباحثين لاتهامهم بالكفر والإلحاد وتأليف الكتب للرد عليهم[2] على أغلب الظن .

تمثلت فلسفة العقل الأول في أشعار الإسماعيلية واضحةً جلية للعيان :

ومنها ظهور العقل فاعقل وفيضه   عليها لها منها بكل غريبة

ويتلوه عقل ثم عقل فانه   زحارف قول من أصالة

ولكن عقل الكل عين لجملة   العقول بقول مشبع ذي رصانة[3]

اما سرية عقائدهم وتوجهاتهم الفكرية وعلومهم الخاصة بهم والتي لا يعرفها إلا الخواص من العلماء والدعاة الذين أوتوا بنصيب وافر من العلوم الفلسفية والعقائدية فقد توضحت في إحدى قصائد الداعي الإسماعيلي محمد بن الحسن الصوري[4] .

يضاف أمرٌ آخر إلى أمور عدة تقع في فهم عقائد الإسماعيلية في تاريخ مبكر من مرحلة التأسيس ، وهي ان عقائدهم كانت قد انتشرت على يد مجموعة من الدعاة الذين كانوا ينشطون بشكل سري في أقاليم متعددة من العالم الإسلامي ، ما بين أسيا الوسطى وبلاد فارس والعراق وشبه الجزيرة العربية ، واليمن وشمال أفريقيا . وخلال

---

(1) الشهرستاني ، المصدر نفسه : 192/1 ، البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت885هـ/1480م) ، مصرع التصوف (تنبيه الغبي إلى تكفير أبي عربي) ، تح: عبد الرحمن الوكيل ، دار النشر عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة ، 1980م : 34 ، المازنداني ، محمد صالح (ت1081هـ/1670م) ، شرح أصول الكافي ، ط1 ، تح وتعليق : أبو الحسن الشعراني وعلي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت : 465/12 .

(2) ينظر حول ذلك . الملطي ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت377هـ/987م) ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تح : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر، 1997م ، الحمادي ، كشف أسرار الباطنية ، والغزالي ، فضائح الباطنية .

(3) البصري ، عامر بن عامر (ت700هـ/1300م) ، الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية ، تح : المستشرق ايف ماركيه ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م : 18-20 .

(4) للمزيد حول ذلك الموضوع ينظر : الصوري ، محمد بن علي بن حسن (ت490هـ/1096م) ، القصيدة الصورية ، تح وتقديم : عارف تامر ، دار بيبلون ، باريس، 2008م : 18-19 .

الحقبة المبكرة من تاريخ الإسـماعيليين والسـابقة للحقبة الفاطمية ، بدأ نشـر تعاليمهم شـفهياً[*] ومع ذلك فقد كان من الممكن نقل المعتقدات الرئيسـة للإسـماعيليين الأوائل الذين عرضوا ورسخوا أسس الثيولوجيا الإسماعيلية والبعض الآخر من مناهج جماعتهم العقلانية"[1] .

ومع ذلك يبدو ان الإسـماعيليين ألفوا كثيراً من عقائدهم من معطيات عصـرهم، ولذلك تأثروا بالمتغيرات فحركة الترجمة الكبرى التي كانت تحت رعاية العباسـيين – خاصـة في عهد المأمون – كانت قد أسـهمت إسـهاماً كبيراً في لفت نظر المفكرين الناطقين باللغة العربية وقد كان المسلمون يبحثون عن المعارف المقيدة ، ولذلك ترجموا تلك المواد التي كانت عملياً تناسبهم ، وكما ان العلوم الإسـلامية تطورت بسـبب رغبة الناس في اكتسـاب المعارف والانتفاع الذي شـهدته الحياة العربية آنذاك ، فقد نشـطت بسـبب ذلك وترافقت معهُ حركة الاهتمام بالتراث الأغريقي الكلاسـيكي ، وانتخب المسـلمون منهُ ما يناسـبهم . وظهرت الحاجة إلى الفلسـفة لدى أولئك الذين يريدون استعمالها في المحاكاة ، وفي استحضار البراهين أثناء المناقشات الفكرية خاصة عندما يكون لعلم المنطق دور يلعبه في الجدال الفلسـفي ... واتجهت الأنظار نحو آراء

(*) أورد أحد الباحثين الذين حققوا أحد كتبه الإسـماعيلية المهمة وهو كتاب شـرح الأخبار – مقالة مهمة حول صعوبة التعرف على توجهات الإسماعيلية الفكرية خاصة في الأوقات المبكرة للدعوة بالقول حول ذلك الكتاب "انه من الكتب العزيزة النزيرة النسـخ ولعل السـبب في ذلك ... تفرقهُ في البلاد وقلة الناسخين فلم يتعد ناسخوه المعدودين بالأصـابع المنتسبين إلى الفرقة الإسماعيلية التي تحرص أشد الحرص للحفاظ على كتبها لئلا يطلع عليها من هو خارج عن هذا الفرقة" . ينظر : ابن حيون، شـرح الأخبار : 1/المقدمة ص7، وهو يوضح بجلاء ان كثيراً من تعاليم تلك الفرقة كانت تعاليماً شفوية لقلة المكتوب من جهة وخوفاً على كشف أسرار تلك الفرقة في بداية أمرها .

(1) دفتري ، فرهاد ، الحياة الفكرية بين الإسـماعيليين ، مقالة لهُ في كتاب المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام ، ط1 ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2004م : 144 .

أرسطو طاليس وحججه المنطقية[1] ، ولم يكن الإسماعيليون بمنأى عن عصرهم وهو ما يفسر تبحرهم وتوجههم في الدراسات الفلسفية وخوضهم في بحور الفلسفة حتى كان لهم الباع الطويل في الرد على الطاعنين بالإسلام ديناً وبالنبوة والرسالة السماوية[2]، وقد ساعدهم في ذلك إطلاعهم الواسع على كافة الديانات والثقافات كافة فابان لهم ان الضغط الاجتماعي حصل في مجتمعات غير إسلامية كما حصل في المجتمع الإسلامي ، ونسبوا قسماً كبيراً من مسؤولية الشقاء إلى الدين ذاته – والأصح الاستغلال للدين لأغراض غير الأغراض التي جاء بها – فشجعوا الفلسفة[3] .

لقد تمتع الفلاسفة الإسماعيليون بخصائص عقلية نادرة وعمق نظر وإلمام واسع بجميع العلوم ، وكانت مؤلفاتهم مصدر ثروة فكرية ، وثورة عقلية قوضت دعائم الخرافات الدخيلة على المعتقدات الإسلامية الصحيحة[4] .

لم يكن بالطبع هذا الذي عرضناه إلا ما تمثل في مهاجمتهم للجمود الفكري والقبول بالروايات على علاتها ، وتبحرهم بالفلسفة لابد وانهُ كان سبباً مع أسباب أخرى لظهور فكرة الظاهر والباطن ، وقد كان اعتقادهم في ذلك ان الظاهر من التشريعات الدينية التي نطق بها الرسل تعرض للتغيير مع مرور الزمن[5] . أو كما قال التوحيدي

---

(1) كنيدي ، هيو ، الحياة خلال القرون الأربعة الأولى للإسلام ، مقالة منشورة في كتاب المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام : 57–58 .

(2) بدوي ، عبد الرحمن ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، ط2 ، دار سينا للنشر ، القاهرة ، 1993 : 186 وما بعدها و234 .

(3) الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة : 25 .

(4) السجستاني ، الينابيع ، المقدمة : 16–17 .

(5) دفتري ، الحياة الفكرية بين الإسماعيليين (من كتاب المناهج والاعراف العقلانية) : 145 .

عن نظرتهم إلى الشريعة "قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة لأنها حاوية الحكمة الاعتقادية والمصلحة الاجتهادية"[1] .

ويربط دفتري ولوج الإسماعيلية وخوضهم غمار الفلسفة بمتغيرات العصر الذي وجدوا فيه وبين المقارنة بين علوم اليونان والفرس وبين بساطة الحياة العربية[2] .

وعلى وفق هذه المعطيات صاغ الفلاسفة الإسماعيليون نظرتهم وتوجهاتهم الفكرية، وكان لتبحرهم بالفلسفة أثرُ في معاداة الفرق الأخرى لهم .

- الإمامة :

والكلمة جاءت من أم القوم وأم بهم ، تقدمهم وهي الإمامة ، "والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم"[3] ، والإمام كل من ائتم به قوم من رئيس أو

---

(1) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 31/15 ، المحبي ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محب الدين (ت1111هـ/1699م) ، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر ، بيروت ، د.ت : 8/4 ، حسن الأمين ، مستدركات أعيان الشيعة : 226/3 ، سعدييف وسلوم ، د. ارثور ود. توفيق ، الفلسفة العربية الإسلامية ، الكلام المشائية – التصوف ، ط1 ، دار الفارابي ، بيروت ، 2000م : 126 .

(2) دفتري، الحياة الفكرية بين الإسماعيليين ، ضمن كتاب المناهج والأعراف العقلانية : 145.

(3) النيسابوري ، أحمد بن إبراهيم (ت أوائل القرن الخامس الهجري) ، اثبات الإمامة ، تح : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – 1996 : 60 ، ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (أمم) : 22/12 .

غيره[1] ، وهو المؤتم به إنساناً ان كان يقتدى بقوله أو فعله أو كتاباً أو غير ذلك محقاً كان أو غيره وجمعه أئمة[2] . ولهُ الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً[3] .

والإمامة عند الفرق الشيعية جميعها هي ركن من أركان الإسلام فقد ورد عند الكليني نقلاً عن أبي جعفر { υ } انهُ قال : "بني الإسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية ، فأخذ الناس بأربع وتركوا هذه – يعني الولاية"[4] .

لكن القاضي النعمان ابن حيون وهو من أشهر فقهاء الإسماعيلية جعل في كتابه دعائم الإسلام ، أركان الإسلام أو دعائمه سبعة على رأسها الولاية ثم الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد[5] ، ويُرجع أحد الباحثين الخلاف بين الإسماعيلية وفرق الشيعة الأخرى إلى نقطة هي ليست من صميم الدين إنما كان

---

(1) الزبيدي ، تاج العروس : 7613/1 .

(2) أبو القاسم ، الحسين بن محمد ، مفردات غريب القرآن ، تح : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، لبنان – د.ت : 24 .

(3) الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت816هـ/1413م) ، التعريفات ، ط1 ، تح : إبراهيم الأنباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1984م : 53 ، المجددي ، محمد عميم الاحسان المجددي البركتي ، قواعد الفقه ، ط1 ، دار النشر ، الصدف ببلشرز ، كراتشي ، 1986م : 190 .

(4) البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت274هـ/887م أو 280هـ/893م) ، المحاسن ، ط1، تصحيح وتعليق : جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، 1950 : 286/1 ، الكليني، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت329هـ/940م) ، الأصول في الكافي ، ط4 ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1945م : 18/2 ، ابن أبي جمهور الإحسائي ، محمد بن زين الدين علي بن حسام الدين إبراهيم بن حسن (ت880هـ/1475م) ، عوالي اللئالي ، ط1 ، تحقيق وتقديم : اقا مجتبى العراقي وشهاب الدين النجفي ، مطبعة سيد الشهداء ، قم ، 1983م : 65/3 ، المجلسي ، بحار الأنوار : 329/65 .

(5) ابن حيون ، شرح الأخبار : 51/1 .

الخلاف حول شـخص الإمام[1] ، وكان ذلك الخلاف مع الإمامية – الإثنى عشـرية – ينصب في أعداد الأئمة إذ ان الإمامية أجمعت على ان الأئمة بعد النبي أثنى عشر ، بينما افترقت الإسماعيلية واختلفت حول إمامة إسماعيل[2] ، وهو الإمام السابع عندهم وهو ما أكسب الرقم سبعة أهمية عندهم .

وتوضح المصادر الخاصة بالإسماعيلية أنهم يؤكدون ان الإمامة ليست فرضاً فحسب بل هي المحور الذي تدور حوله والأساس الذي تقوم عليه أفكارهم سواء في بناء الدولة كما في الخلافة الفاطمية أو كما الإسماعيلية مذهباً ومجتمعاً ودولةً[3] .

ويبدو ان الخلاف بين فرق الشيعة في مسألة الإمامة كان على وجهين أحدهما ان الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار والثاني القول بان الإمامة تثبت بالنص والتعيين[4] ، أي انها تثبت بالنص من الرسول { ρ } ومن الإمام السابق بالإجماع[5]. ويرى

---

(1) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 3 .

(2) اليماني ، محمد بن الحسن الديلمي (من علماء أوائل القرن الثامن الهجري) ، قواعد عقائد آل محمد ، عرف الكتاب وقدمه محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، 1987م : 35 ، تامر ، عارف ، الإسماعيلية والقرامطة ، بحث منشور ضمن مجلة المشرق ، تصدرها كلية الآباء القديسين ، السنة الثالثة والخامسة، بيروت ، 1959م : 557 .

(3) ينظر في ذلك ، المستنصر بالله ، أبو تميم معد بن علي (ت487هـ/1094م) ، السجلات المستنصرية سجلات وتوقيعات وكتب الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، تقديم وتحقيق : د. عبد المنعم ماجد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1954م : 54 وما بعدها ، علم الإسلام ثقة الإمام ، داعي من دعاة الفاطميين شخصية مجهولة والأرجح انه كان في زمن الإمام المستنصر بالله المار ذكره أعلاه ، المجالس المستنصرية ، ط1 ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، 2006م : 28–30 و58–60 ، مجموعة الوثائق الفاطمية : 22 وما بعدها ، نظام الخلافة وولاية العهد ، وينظر كذلك : نوار ، د. صلاح الدين محمد ، الخلافة أو الإمامة وتطورها السياسي والديني ، الناشر منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996م : 14 .

(4) الشهرستاني ، الملل والنحل : 28/1 .

(5) عضد الدين الايجي ، المواقف : 589/3 .

عامة الشـيعة والإسـماعيلية منهم ان الإمامة تثبت بالنص من رب العالمين وكل إمام ينص على إمام بعده فهو ينص من الله سـبحانه وتعالى وفي ذلك يروون حديثاً عن الإمام الصادق { υ } انهُ قال : "أترون ان الوحي منا يوصي إلى من يريد ؟ لا ولكنه عهد من الله ورسوله لرجل فرجل حتى ينتهي الأمر إلى صاحبه"[1] .

وقد ألف الإسماعيليون عقائدهم في الإمامة على وفق نظام الأرقام ، وقد أطلقوا في ذلك لقب الوصـي[*] على الإمام علي υ وهو ما جاء في أشـعار أحد دعاتهم جرياً على التوفيق ليكون إسماعيل سابق أئمتهم يقال داعيهم :

وبعد كل ناطق وصـي   يخلفه منتجب مرضـي

مبيناً تأويل ما أتى بـه   من سنة الله ومن كتابـهِ

---

(1) الصفاء ، محمد بن الحسن بن فروخ الصفاء أبو جعفر القمي (ت290هـ/902م) ، بصائر الدرجات ، تصـحيح وتعليق وتقديم : ميرزا حسـن كوجه باغي ، مطبعة الأحمدي ، طهران ، 1983م : 492 ، ابن بابويه القمي، أبو الحسن علي بن الحسين القمي (ت329هـ/940م)، الإمامة والتبصرة ، ط1 ، الناشر مدرسة الإمام المهدي υ ، قم المقدسة ، 1983م : 38 .

(*) ورغم ان كلمة وصـي هي ليست من مبتكرات الإسـماعيلية ألا أنهم أول من قالوا بها إذ ذكرها قبلهم أحد الشعراء وكان يقصد منها محمد بن الحنفية υ وقد كان أصحابه من الكيسانية يقولون انهُ لم يمت ولكنه اختفى بجبل رضـوى وقد جاء ذكر كلمة الوصـي في أحد أشـعار السـيد الحميري إذ قال :

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يرى   وبنا إليه من الصبابة أولـق

حتى متى وإلى متى وكم المدى   يا بن الوصي وانت حي ترزق

والحميري هذا أسمه أبو هاشم إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة الحميري وله مدائح بديعة في أهل البيت υ وكان يسـكن البصـرة ثم بغداد ، للمزيد ينظر : ابن عسـاكر ، تاريخ مدينة دمشـق : 322/54 ، أبو الحجاج الزكي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف بن علي (ت744هـ/1343م) ، تهذيب الكمال ، ط1 ، تح : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م : 151/26 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 45/8 .

ثم يقيم بعده أئمـــة   مطهرين ينشرون الحكمـة

في قومه ويحفظون ما شرع   ناطقهم من افترا ذوي البدع(1)

وقد حاول الإســـماعيليون على ما يبدو التوفيق بين ما ذهبوا إليه في إمامهم السابع إسماعيل ، وما ذهبت إليه الإمامية – الاثنى عشرية – يبدو ذلك الأمر واضحاً من خلال تفســير احد دعاتهم للأرقام(*) والافلاك إذ قال "ثم فلك المحيط الذي تلا هذه الحياة ، وأقر بما أقر به خليفة العاشـر له ونفى عمن سبقه ، خليفته عنه نفاه الكواكب الســبعة وأفلاكها والبروج الاثنى عشــر ، التي أملاكها ملاكها المتصــورة جميعاً لما تصورته الحياة ، الواجب بذلك امتزاجها معها ، واشتباكها لأنها فرقة واحدة ، وطبقة لا باقية على المكابرة ولا جاحدة وبينها التباين في التأخر والسبق"(2).

كـان جوهر الخلاف في الإمـامـة بين الإســـماعيلية والاثنى عشـــريـة ، ان الإســـماعيلية قالت ان موت إســـماعيل لا ينفي عنهُ الإمامة وإنما فائدة النص عليه بانتقال الإمامة منهُ إلى أولاده خاصــة كما نص موسـى على هارون عليهما السـلام ثم مات هارون في زمن حياة أخيه وإنما فائدة النص انتقال الإمامة منهُ إلى أولاده فان النص لا يرجع قهقرى والقول بالبداء(*) محال ولا ينص الإمام على واحد من أولاده إلا

---

(1) الوداعي ، علي بن حنظلة ابن أبي سـالم (ت626هــــ/1228م) ، سـمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية، حققه وعلق عليه المحامي : عباس العزاوي ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1953م ، 41 .

(*) يرجع اهتمام الإســـماعيلية بالأرقام والأفلاك على حد قول البعض لأنهم في جوهرهم عقيدة فلسفية ، ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : 129/1 ، البقاعي ، مصرع التصوف : 34، ماسينون ، لويس ، الأم الحلاج ، ترجمة : الحسين مصطفى حلاج ، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق ، 2004م : 282 وما بعدها .

(2) اليماني ، علي بن الوليد (ت612هـــــ/1215م) ، الذخيرة في الحقيقة ، تح : محمد حســن الأعظمي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1971م : 41 .

(*) البداء : تجدد العلم ، والبداء ظهور الرأي بعد ان لم يكن . الجرجاني ، التعريفات : 62 ، المناووي، محمد عبد الرؤوف (ت952هـــــ/1622م) ، التوقيف على مهمات التعاريف ، ط1 ، تح: د. محمد رضوان الداية ، دار الفكر ودار الفكر المعاصر ، بيروت ودمشق ، 1981م : 118 .

بعد السـماع من أبائه"[1] . وهو بلا شـك رأي الإسـماعيلية ونظرتها بعموم الحال إلى مفهوم الإمامة .

ميزت الإسماعيلية نفسها عن باقي الفرق الأخرى بالقول "نحن الإسماعيلية لاننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص"[2] .

والشيعة بفرقها والإسماعيلية معها تتفق على ان من "مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية"[3] ، بل ذهب أحد دعاة الإسـماعيلية إلى أبعد من ذلك حينما فسـر قوله تعالى : **ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ**[4] نقلاً عن الصـادق υ : "أما جاهلية الكفر فما كان قبل مبعث النبي { ρ } وأما جاهلية الضـلال فهي من جهل إمام زمانه فضـل عن معالم دينه وغرق في طوفان البدع والضلالات"[5] .

لقد شـبه الإسـماعيليون الإمام في الأهمية برأس الإنسـان بالنسـبة لباقي الجسـد "ومن الأعضاء الباطنة أفضلها وأجلها الدماغ فكذلك الإمام هو بمنزلة الرأس من الجسد

(1) الشهرستاني ، الملل والنحل : 191/1 ، نشوان الحميري ، نشوان بن سعيد بن نشوان العيني الطبري (ت573هـ/1177م) ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ، ط1 ، تح : أ.د. حسين عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، 1999م : 19/1-140 .

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 .

(3) الشيخ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن عبد السلام بن جابر (ت413هـ/1022م)، الأمالي ، ط2 ، تح : حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر غفاري ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م : 23 ، الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت460هـ/1067م) ، الرسائل العشر ، ط2 ، تح : علاء آل جعفر ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م : 317 .

(4) سورة الأحزاب ، الآية 33 .

(5) الشيرازي ، داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله (ت470هـ/1077م) ، المجالس المؤيدية المائة الأولى ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1974م : 92 .

وبمنزلة المفكر ، وعليه تدور أمور الخلق ، كما ان الدماغ يدور عمل البدن وان من القوى التي في الإنسان أفضلها وأشرفها العقل"[1] .

والإمام عند الإسـماعيلية هو "علة المخترعات وحياة الكل ، وبه ترتب الخلق والدين ، وهو موجود غير مفقود ، ولا يدركه الزمان ولا يدخل تحت حوادث الأيام،... أبدع الله به الحدود الروحانية ، واخترع الهياكل الجرمانية ، وخلق الأشخاص الإنسانية فإذا فرغت مدته وحان وقته انتقل هذا الأمر إلى شـخص آخر من ذريته وهو الذي ينص عليه ويشـير إليه ، فاعلم ذلك يا أخي وتأمله تجد مطلوبك وقصـدك وسـبب نجاتك"[2] .

وحسب هذه الأفكار فان الإسماعيلية وافقوا باقي فرق الشيعة في ان الأرض يجب ان لا تخلو من إمام "فما ينقرض إمام من الأئمة الذين هم آيات الله وأعلامه وأركان دينه وقوامه بموت طبيعي واحترام جسـمي إلا ويقيم مقامه مثله في فضـله أو أمثل منه"[3] ، ووضـعوا لذلك عند الكلام عن الحدود ومجاورة الأمور لبعضـها مكاناً للإمام هو منتهى حدود الدعوة "فالدرجات بإزائها في عالم المعاد محفوظة فكل واحد منهُ إلى الحد الذي هو فوقه كما نقول ان منتهى حدود الدعوة هو الإمام ومنتهى الأئمة هو الوصي ومنتهاه هو النبي { ρ } وعليهم بتسلسل ذلك إلى كلمة الله تعالى الأولى

---

(1) النيسابوري ، اثبات الإمامة : 53 .

(2) المنيفي ، رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس : 32-33 .

(3) الشيرازي ، المجالس المؤيدية : 81 ، ينظر كذلك للاستزادة : الطوسي ، خواجة نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن حسن (ت597هـ/1200م) ، أخلاق محتشمي ، تصحيح وتحقيق: محمد تقي دانش بزوده ، مؤسسة انتشارات دانشكاه ، طهران ، 1957م : 16-25، (عنوان في النبوة والإمامة وخلو الزمان عنه) .

ونقول بان هؤلاء الحدود الجسمانيين أئمة في حد القوة كما قدمنا القول ان الإنسان ملك في حد القوة وهم متصلون بالإمام المطلق القائم بالفعل"[1] .

ولكي يســايروا الأدوار التي نظموها لأئمتهم وهما دوري الســتر والظهور فانهم صاغوا حول ذلك نظرتهم في ان الأرض لن تخلو من "إمام حي قائم أو ظاهر مكشوف ، واما باطن مستور "[2] .

وهناك نص على جانب كبير من الأهمية يبين ما ذهب إليه دعاة الإســماعيلية عند استتار أمامهم الأول في دور الستر محمد بن إسماعيل إذ اجتمع هؤلاء النفر وهم ســبعة من الدعاة[*] فقالوا "قد فقدنا إمامنا ، ولا صــلاة لنا ولا صــوم إلا بإمام"[3] والإسماعيلية تروي حديثاً عن الإمام الصادق { υ } يوضح الصورة التي تمسك بها الإســماعيليون بإمامة إســماعيل وهو ما دعاهم على ما يبدو إلى الافتراق عن الاثنى عشرية إخوتهم في العقيدة وهذا الحديث جاء فيه "ان البداء والمشيئة لله في كل شيء إلا الإمامة"[4] وقد ذكر ان الإســماعيلية تكتفي بالنص على الإمامة تسلســلاً بدون

---

(1) الشيرازي ، هبة الله المؤيد في الدين (ت470هـ/1077م) ، المجالس المؤيدية المائة الخامسة ، تحقيق وتقديم : د. حســام خضــور ، دار الغدير ، ســورية ســلمية ، د.ت ، المجلس الثالث والأربعون من المائة الخامسة : 131 .

(2) ابن بابويه القمي ، الإمامة والتبصرة من الحيرة : 5 ، الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 ، الصفدي ، الوافي بالوافيات : 63/9 .

(*) وهؤلاء ؤالدعاة هم أبو عفير ، وأبو ســلمة ، وأبو الحســن بن الترمذي ، وجياد بن الخثعمي وأحمد بن الموصــلي ، وأبو محمد الكوفي . ينظر : النيســابوري ، أحمد بن إبراهيم (ت أواخر القرن الخامس الهجري) ، كتاب اســتتار الإمام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه ، ضــمن كتاب اخبار القرامطة ، في الاحساء والشام واليمن ، ط2 مزيدة ومنقحة ، جمع وتحقيق ودراسة : د. سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1982م : 111/1 .

(3) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

(4) اليمن ، سرائر وأسرار النطقاء : 256 ، ايفانوف ، المنتخب من بعض الكتب الإسماعيلية ، تقديم : د. صــباح جمال الدين ، مراجعة وتعليق : عمار المير أحمد ، الفرات للنشر والتوزيع، بيروت ، 2011م : 104 .

التوقف[1] . اما الاثنا عشرية فتذهب إلى القول في اختفاء آخر الأئمة وهو الإمام الاثنا عشر .

لقد ولد الخلاف على الإمامة صدعاً بين المسلمين ، ولقد أشير إلى سبب هذا الخلاف "ما اختلف المسلمون في أمر اختلافهم في الإمامة وهذا الخلاف لم ينشأ عن أي أثر من الغموض في التعاليم الإسلامية أو من الجهل بتفهم نصوص القرآن الكريم أو تفسيره أو تأويله إنما وقوع كل ذلك كان بدافع سياسي بحت والسياسة ما كانت إلا أداة للتفرقة والانقسام"[2] .

وحول ذلك الخلاف كانت الإسماعيلية تتناقل شعراً يوضح وجهة النظر الإسماعيلية في إمامة إسماعيل[3] . وتجدر الإشارة إلى ان هذه الأشعار ما هي إلا محاولة لاثبات وجود إسماعيل حياً بعد وفاة أبيه الإمام الصادق { υ } ، وما يترتب عن هذا الأمر بالنسبة للإسماعيلية في أحقية الإمامة .

- دور الستر :

أ- الأئمة المستترون الأسباب والنتائج :

---

(1) الأمين ، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين (ت1371هـ/1951م) ، أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ت : 71/6 هامش الكتاب.

(2) تامر، الإمامة في الإسلام ، ط1 ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، بيروت ، 1998م: 64.

(3) حول تلك الأشعار وما تضمنته للاستزادة ينظر : ابن شهر اشوب ، زين الدين محمد بن علي ابن شهر أشوب المازنداني (ت588هـ/1192م) ، مناقب آل أبي طالب ، ط1 ، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1956م : 230/1 ، محسن الأمين ، أعيان الشيعة : 317/3 ، و381/6 .

من أوائل التنظيمات التي استندت إليها الإسماعيلية في تنظيم دعوتها بصورة سرية ، ما عرف بدور الستر الذي لم يكن بالنتيجة من العقائد أكثر من كونه تنظيماً أو مرحلة فرضتها الظروف والمعطيات للحفاظ على الدعوة وإمامها سالماً من ملاحقة العباسيين ، يقول الدكتور حسن إبراهيم "كانت النتيجة الطبيعية لما حل بالعلويين من حبس وقتل ، ان عمدوا إلى نشر دعوتهم في الخفاء وتلمسوا أماكن يختفون فيها ويتخذونها ملاجئ يدرؤون بها عن أنفسهم ما كان يوقعه العباسيون بهم من حبس وآلام ، إلا ان تقوى دعائم دعوتهم وإذ ذاك يستطيعون الظهور"[1] .

ويبدو ان الإمام محمد بن إسماعيل أدرك بثاقب بصره استحالة بقاء الأمور على حالها ، وبقائه في المدينة ، بعد اشتهار أمره من جهة والقضاء على الثورات التي قامت بوجه العباسيين زمن الرشيد الذي سمي عصرهُ بالذهبي إذ استطاع اخماد ثورات إدريس بن عبد الله[*] وأخيه يحيى ، واستطاع في الوقت ذاته ان يراقب حركات محمد بن إسماعيل ويعمل على اقتناصه ، ولكن محمد بن إسماعيل أدرك خطر الرشيد على دعوته فأعد للأمر عدته فاتخذ سرداباً له في داره بالمدينة حتى إذا ما شعر بدنو الخطر فر هارباً[2] ، وفي ذلك يقول أحد دعاء الإسماعيلية معدداً الأئمة مبتدئاً بالنبي محمد { ρ } ، حتى وصل إلى الإمام محمد بن إسماعيل ليقول "ومن أخفوا أشخاصهم من عقبهم في تلك الأزمنة لظلم الظالمين ، وهم ثلاثة نفر عبد الله وحسين وأحمد سلام

---

(1) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 34 .

(*) ينظر حول ذلك الموضوع ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 291/5 وما بعدها ، كذلك : القلقشندي ، مآثر الأنافة : 192/1 وما بعدها .

(2) منصور اليمن ، سرائر وأسرار النطقاء : 263 ، حسن وشرف ، إبراهيم حسن وطه أحمد، عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، مطبعة الشبكشي بالأزهر ، مصر ، 1947م : 37-38 .

الله عليهم ، وعلى أولهم وآخرهم – إلى ان اذن الله تعالى وكشـف وفرج وظهر المهدي بالله عبيد الله بن أحمد أبو محمد"[1] .

من خلال هذا النص يتضح لنا ان محمد بن إسماعيل هو أول الأئمة المستترين ، ولكن أحد الباحثين[2] عدّ وفاة محمد بن إسـماعيل وتولي أبنه الإمام أحمد من بعده قيادة الدعوة هي بداية لدور السـتر ، وينقل في ذلك رواية عن الداعي الإسـماعيلي نوردها لعلاقتها بالموضوع "فلما انتقل الإمام محمد بن إسماعيل إلى دار البقاء تسلمها ولده المستور أحمد (الوفي) وهو أول من ستر نفسه عن الأضداد من أهل عصره المخالفين لأن زمانه كان زمان فتنة ومحنة ، وكان المتقلبون من بني العباس يطلبون من يشار إليهم منهم حسداً وبغضاً"[3] .

والرواية توضح بوقوع خطأ في تسلسل الأئمة فبوفاة الإمام محمد بن إسماعيل انتقلت الإمامة إلى ولده الإمام رضي الدين عبد الله بن محمد بن إسماعيل ثم جاء من بعده الإمام أحمد[4] هذه من جهة ، ومن جهة أخرى فان المراقبة لأئمة الإسـماعيلية تعود بزمانها قبل وفاة الإمام إسماعيل ، ثم ان هناك رواية تفيد ببداية دور الستر وانهُ كان في زمن الإمام محمد بن إسماعيل ومرجع تلك الرواية ان دور الستر كان نتيجة لنجاح العباسيين في دعوتهم واعتمادهم على السرية والتخفي مما أثر في ظهور نظام الأئمة المستترين وكان البادئ في ذلك هو الإمام محمد بن إسـماعيل إذ عمل على تجنب غضب العباسيين عليه وأخذ يستتر ويمعن في التخفي فكان يعرف عنه أشياعه

---

(1) ينظر : حجة العراقين ، الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله : 93-94 .

(2) حسن ، علي ناجي ، الحسن الصباح ونزارية آل – موت ، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، بإشراف : أ.د. زكية حسن إبراهيم ، بغداد، 2010م : 25 رسالة غير منشورة .

(3) غالب، مصطفى ، سنان راشد الدين ، ط1 ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1967م : 34.

(4) ينظر : عماد الدين ، عيون الاخبار ، السبع الرابع : 357 و 367 .

"بالإمام المكتوم أو المستتر"[1] ، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون إذ يقول حول محمد بن إسماعيل مؤكداً على أسباب ذلك الأمر "وهو أول الأئمة المستورين ، لأن الإمام عندهم قد لا يكون له شوكة فيستتر ويكون دعاته ظاهرين إقامةً للحجة على الخلق وإذا كانت لهُ شوكة ظهر وأظهر دعوته"[2] .

هذه الروايات تؤكد ان دور الستر بدأ في عهد محمد بن إسماعيل ، وقد ذكر مؤرخ الإسماعيلية القرشي ان الإمام الصادق أخفى ولديه إسماعيل محمد وعلي بعد موت إسماعيل خوفاً عليهم من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، ولما مات الإمام الصادق { υ } ومات أبو جعفر المنصور بقي محمد بن إسماعيل مستتراً بنفسه ينتقل من بلد إلى بلد وأكثر معوله على الوقوف في بيت جده الصادق υ بالمدينة لا يعلم به إلا خواص شيعته ... ولكن الأمور تغيرت بعد خلافة هارون الرشيد إذ أنهُ جد في طلب الإمام محمد بن إسماعيل υ حتى علم مكانه ولكن الأخير استطاع الخروج قبل ان يقع في يد الرشيد فخرج الإمام محمد بن إسماعيل قاصداً الري"[3] .

لقد ولد خروج الإمام محمد بن إسماعيل واستتاره عن الأعين بما في ذلك عن المقربين والخواص أول الأمر ، فلسفة جديدة في عقائد الإسماعيلية اتضحت من خلال ذكر أحد دعاة الإسماعيلية موضحاً أهمية التقصي عن شخص الإمام المستتر إذ يقول

---

(1) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت808هـ/1405م) ، المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، 1984م : 39/4 ، عماد الدين القرشي ، إدريس بن الحسن بن عبد الله بن علي بن محمد (ت872هـ/1467م) ، زهر المعاني ، ط1، تقديم وتحقيق : د. مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1991م : 49-50 ، العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي : 157/4 .

(2) ابن خلدون ، المقدمة : 201 .

(3) الجويني ، تاريخ فاتح العالم : 275/2-276 ، عماد الدين ، عيون الاخبار ، السبع الخامس : 351-353 .

في ذلك "ولا يهتم لشدة التعب أو ما يلاقيه من العدو ، فيضيق صدره ، وتتزعزع نيته ، وتهبط عزيمته ، فأوصيك يا أخي بالصبر والإيمان ، لتصل إلى معرفة إمام الزمان"[(1)] .

وهو ما أضـــاف إلى تلك الفترة – أي دور الســتر – أمراً جديداً في تنظيمات الدعوة الإسماعيلية ، ويبدو ان الحشاشين قد افادوا من ذلك الأمر فيما بعد كما سنبين . إذ ذكر الدكتور العبادي ان دور الســتر خلق نوعين من الأئمة : الأول هم الأئمة المستورون وهؤلاء أولاد إسماعيل بن جعفر الصادق .

والثاني : المســتودعون أو الحجج وهم الدعاة الذين قاموا بالدعوة للأئمة المســتورين ، وكان ميمون القداح أول من أتخذه الأئمة المســتترون حجة ونائباً لهم ، ويعد أبنهُ عبد الله من المؤسسين الحقيقيين للمذهب[(*)] الإسماعيلي ، ويذكر أيضاً ان تلك المدة – أي دور الســتر – هي التي جعلت هؤلاء الدعاة يتسمون باسماء الأئمة المستورين ويتلقبون بألقابهم للتستر عليهم ، وهذا هو السبب الذي جعل بعضهم يخلط بين الفريقين وينسب الفاطميين إلى ميمون القداح[(2)] .

أسـهمت تلك الإجراءات والتنظيمات في نجاح الإسـماعيلية ، وهو ما أدى إلى بقائها طويلاً ، وقد أفادت الحشيشية من ذلك كثيراً ، ووصلت درجة الكتمان ان أصبح مكان وجود الإمام محمد بن إسماعيل سراً إلا للبعض من الموثوقين ، واستمر خلفاؤه بالعيش مجهولي الشخصية مدة قرن ونصف القرن تحت أسماء مستعارة وشخصيات

---

(1) النيسابوري ، إثبات الإمامة : 63 .

(*) ان هذه العبارة تعوزها الدقة ، إذ ان عبد الله ووالده ميمون كان لهما الفضل الكبير في تنظيم الدعوة ، اما المذهب الإسماعيلي فهو استمرار للمذهب الشيعي وان كانت الإسماعيلية قد مالت إلى آراء جديدة صاغتها أو فرضتها ظروف العصر وقد نوهنا لذلك في بداية هذه الدراسة .

(2) العبادي ، د. احمد مختار ، في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت : 221-222 .

تجار أثرياء[*] أو ملاك كبار إذ يمكن ان تجري أعمالهم ونشاطاتهم من دون ان تقتفي أثرها عيون العباسيين ... وقد مكنت سياسة السرية هذه الأئمة الإسماعيليين بلا شك من تفادي مصير أقربائهم من المذهب الاثنى عشري الذين قتل عدد منهم على أيدي السلطات العباسية[1] . ولأجل ذلك كان دعاة الإسماعيلية كما ذُكر يسمون هؤلاء الأئمة "بأسماء مختلفة ما أتفق في ذلك منها اثنان حتى أصبحت تلك الظاهرة شائعة فيما بعد حتى ذكر ان عهد عبد الله بن محمد بن إسماعيل أمر فيه كل واحد من حججه ان يتسمى باسم الإمام فمن أخذ العهد على مستجيب سمى لهُ أولئك الحجب حتى يمضي الوهم إليه ستراً على صاحب الأمر υ وجرت بذلك السنة والقضية في الأئمة المستورين الثلاثة"[2] ، ولأجل ذلك لم يكن الدعاة فيما بينهم يسمون الإمام باسمه الصريح ولكنهم كانوا يسمونهُ بالحكيم الصادق ، وهو ما أشار إليه د. عارف تامر بالقول ان الحكيم الصادق اصطلاح إسماعيلي كان يطلقه الدعاة على الإمام في عصر الستر[3] وزيادة في التحفظ على شخصية الإمام مضافاً إلى ما ذكرناه ، فان الإمام يأذن لأحد الأشخاص – من أتباعه الموثوق بهم بالطبع – ان يعلن نفسهُ إماماً بدلاً عن الإمام الحقيقي لسبر غور الأمور وكان هذا الشخص الموكل له يسمى الإمام الحفيظ[4] .

(*) وهو ما سنراه فيما بعد أصبح طريقاً للمتخفين من الدعاة وحتى من فرق الاغتيال التي كانت ترسل من قبل زعماء الحشيشية .

(1) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 46 .

(2) عماد الدين القرشي ، زهر المعاني ، الباب السابع عشر : 209 ، ايفانوف ، المنتخب من بعض كتب الإسماعيلية : 74-75 .

(3) القرمطي ، عبدان (مجهول الوفاة) ، كتاب شجرة اليقين ، ط1 ، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م ، المقدمة : 7 .

(4) ناصر خسرو ، أبو معين القيادياني المروزي (ت بعد 450هـ/1058م) ، جامع الحكمتين، ترجمه عن الفارسية وقدم له : د. إبراهيم الدسوقي شتا ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1974م ، مقدمة الكتاب : 12 .

وهذا الأمر يقودنا إلى استنتاج مهم هو ان الدعاة كانوا يضحون بأنفسهم فداء للحفاظ على شخص الإمام المستور ، وهو ما يمكننا معهُ القول انهُ بذور التضحية عند فدائيي الحشيشية والتي أذهلت أصحاب الأخبار من الذين دونوا التاريخ في عصر الحروب الصليبية وغيرهم فنسبوا لتلك التضحية بالنفس نزولاً عند ما يؤمرون به من قبل زعيمهم عند تنفيذهم لأوامر الاغتيال تناولهم الحشيش المخدر .

وبالعودة إلى دور الستر فلقد ظهر في ذلك الدور مصطلح الإمام المستودع (المستأمن) الذي يتولى الإمامة لفترة من الزمن بالوكالة عن مالكها الحقيقي[1] .

ولأجل ذلك قال الإسماعيلية حين حاججهم الشيعة في الحسن بن علي υ الذي كان إماماً باتفاق الشيعة جميعاً في حين ان ابنهُ لم يكن إماماً فقالوا كان إماماً مستودعاً ، أي لم يكن ثابتاً ، وكانت إمامته استعارة ولكنها استقرت عند الحسين υ قال تعالى : چ ڑ کچ[2] إشارة إلى ذلك ويقولون لا يظهر الإمام دائماً يبدو حيناً ويختفي حيناً كتعاقب الليل والنهار ، وفي مرحلة ظهوره قد تكون دعوته مستورة ، في حين انهُ إذا كان مخفياً فان دعوته تكون علنية حتماً[3] .

يعرض ايفانوف نصاً يبدو فيه الغموض واضحاً ، من كتاب غاية المواليد يقول فيه الآتي "وغيبة إسماعيل وولده محمد بن إسماعيل في حد الطفولية ، ولم تكن الإمامة ترجع القهقرى منهُ كما لم ترجع من غيره ، فأودع حجته المنصوبة بين يديه ميمون القداح مقامه لولده وإقامة ستر عليه وقدمه بين يديه واستكفله إياه إلى بلوغه أشده سلام الله عليه"[4] ، وهو بهذا النص يشير إلى ان دور الستر قد بدأ في عهد

---

(1) هالم ، هانيس ، الغنوصية في الإسلام ، ترجمة : رائد الباش ، ومراجعة : د. سالمة صالح، منشورات الجمل ، بيروت وبغداد ، 2003م : 64 .

(2) سورة الأنعام ، الآية : 98 .

(3) الشهرستاني ، الملل والنحل : 191/1 ، الجويني ، تاريخ فاتح العالم : 276/2-277 .

(4) ايفانوف ، المنتخب من بعض الكتب الإسماعيلية ، من الباب الرابع من كتاب غاية المواليد: 52 .

إسماعيل وكان محمد طفلاً والمعلوم ان إسماعيل كان قد توفي وان دور الستر قد بدأ في عهد محمد كما ذكرنا ، ولكن راوي تلك الرواية ربما أراد ان يعطي دور الستر بداية بالإمام محمد بن إسماعيل ؛ لكونه السابع ، وفي الوقت ذاته أراد ان يوافق بين ما ذكرته احدى رسائل الإسماعيلية في غيبة إسماعيل والتي كانت حسب اعتقادهم في حياة أبيه الإمام جعفر υ وان أخاه الإمام موسى υ كان ستراً عليه إلى حين استلام محمد بن إسماعيل الإمامة "وهذا الأمر لا يعرف سره إلا أولوا الألباب"[1] .

وقد حاول الإسماعيلية لأجل ذلك تقسيم التاريخ إلى دورات يبدأ أولاً بأدم مقسمين في ذلك الأدوار إلى دور للنبوة والإمامة وقد حاولت في ذلك التوفيق بين أدوار الإمامة والوصاية وصولاً في كل دورة إلى الرقم سبعة[2] .

أنتج دور الستر عند الإسماعيلية أمراً مهماً وخطيراً على صعيد سياستهم في التعامل مع الآخرين وكان ذلك الأمر ما عرف عندهم بنظرية الإمام المستودع والإمام المستقر فالمستودع والذي أشرنا إليه هو في نظرهم إسماعيل ، وان كان له كثيرون والعارف بأسرار الإمامة كلها وأعظم أهل زمانه ما دام قائماً بالأمر ، إلا أنهُ لا حق له في تفويض الإمامة إلى ذريته الذين يكونون سادة ولا يكونون أئمة أبداً، اما الإمام المستقر فهو بامتيازات الإمامة كلها ، وله الحق في ان يفوضها لاخلافه"[3] وحول تلك

---

(1) الرفنة ، محمد بن سعيد بن داود (ت854هـ1450م) ، الرسالة الكافية ، من كتاب ثلاث رسائل إسماعيل، ط1، تح: د. عارف تامر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983م: 28.

(2) الرفنة ، المصدر نفسه : 27-28 ، السجستاني ، أبو يعقوب إسحق (كان حياً بعد سنة 331هـ942م حسب ما ذكره عارف تامر) ، رسالة تحفة المستجيبين ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية : 15 وما بعدها ، وانظر كذلك : أبو المعالي ، حاتم بن عمران بن زهرة (ت497هـ/1103م) ، رسالة الأصول والأحكام ، ضمن خمس رسائل إسماعيلية ، تح وتقديم : د. عارف تامر ، دار الأنصاف للتأليف والطباعة والنشر ، سوريا ، 1956م : 105 وما بعدها .

(3) لويس ، أصول الإسماعيلية : 126 ، غالب ، الحركات الباطنية في الإسلام : 76-78 .

القاعدة التي صاغها الإسماعيلية سيكون الانشقاق الذي أنتج فرقة الحشاشين فيما سنذكرهُ .

يرى الإسماعيليون ان مرتبة الاستيداع تمثل مرتبة النبوة والرسالة ، اما مرتبة الاستقرار فهي مرتبة الوصاية ويستشهدون بذلك ليوم غدير خم عندما سلم الرسول { ρ } مرتبة الاستقرار إلى علي بن أبي طالب υ ولأولاده الأئمة من بعده {عليهم السلام} ولإمام الاستقرار صفات الإمام المستودع إلا الرسالة والنبوة ، على ان تجتمع المرحلتان في قائم القيامة فيكون محمد الثاني[1] ، وطبقاً لذلك يرى الإسماعيليون ان نظرية الاستيداع والاستقرار تطبيقها ظهرت على أقوى صورة لدى الإمام جعفر الصادق υ[2] ، وقد أشار لذلك الأمر بعض دعاتهم شعراً :

واشتدت المحنة بعد جعفر فانصرف الأمر إلى التستر[3]

لقد نشأ دور الستر عقب حوادث عدة المت بالتشيع ، كما ان دور الستر عند الإسماعيلية نشأ بعد الانقسام بينهم وبين الاثنا عشرية ، وكمحاولة من بعض الإسماعيليين للتقريب كما يبدو بينهم وبين الاثنى عشرية ، فقد حاولوا من خلال نظرية الإمام المستودع والمستقر لهكذا موضوع فقالوا : ان الإمام المستودع(*) لم يكن ميمون

---

(1) مقلد ، د. علي محمود ، النبوة والإمامة عند نصير الدين الطوسي ، ط2 ، مراجعة وتحرير: هيثم مزاحم، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2010م : 96-97.

(2) النشار ، د. علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط8 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968م : 361/2 ، نقلاً عن مخطوط ، عناية المواليد ، للخطاب بن الحسين : 37 .

(3) ابن حيون ، القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت363هـ/973م) ، الارجوزة المختارة في الإمامة ، تح : إسماعيل قربان يونوالا ، دار بيبليون، باريس ، 2008م : 191 ، ذكر استتار الأئمة بعد جعفر بن محمد (عليهم السلام) .

(*) إذا أخذنا بما ذهب إليه الباحث تامر في تعريفه للإمام المستودع وما جاء فيه من أنهُ الذي يتسلم شؤون الإمامة في الظروف الاستثنائية الصعبة نيابة عن الإمام المستقر ويكون له نفس الصلاحيات ، إلا انه لا يحق له توريث الإمامة ولا النص عليها ومن ألقابه "نائب غيبة" .

القداح وإنما كان موسى الكاظم υ ، لأنهُ لابد ان يكون المستودع من الدوحة العلوية ، وان ميمون كان حجة للإمام محمد بن إسماعيل"[1] .

وقد علل الإسماعيلية ذلك في كتاباتهم بالقول "ان قصة إسماعيل بن جعفر مع أخيه عبد الله الأكبر لدليل على ذلك ، وهي كمثل قصة إسحاق مع إسماعيل بن إبراهيم ، لأن إسماعيل كان مستوراً وأخوه إسحق ستراً عليه ، وهكذا كانت غيبة إسماعيل[**] بن جعفر في حياة أبيه ، فان أخاه موسى كان ستراً عليه إلى حين استلام محمد بن إسماعيل"[2] .

ونستطيع ان نقول ان دور الستر كان له أثر في إحداث بعض الارتباك في الدعوة ، وفي ذلك يقول أحد دعاة الإسماعيلية "ولما وقعت المحنة على الأولياء صلوات الله عليهم بغيلة الأضداد ، واشتدت من أول زمان السابع حتى الحقهم الاستتار واضطربت أمور الدعوة باستتارهم ، وأمسك الحجج عن الدعوة خوفاً ، ولزموا التقية والصمت ، كما أمر النبي { ρ }[3] .

ينظر : د. عارف تامر ، الإمامة في الإسلام : 144 ، إذ ما ذهبنا مع رأي تامر في هذا الموضوع يتضح لنا ان ميمون القداح يمكن عده إماماً مستودعاً لأنهُ لم يذكر ان الإمام المستودع يجب ان يكون من الدوحة العلوية المطهرة ، وإنما بالاعتقاد ان هذا الرأي يصب فيما ذهبنا إليه من انهُ محاولة للتوفيق بين الخطين الاثنى عشري والإسماعيلي ، وانهُ إنما كان بعد ان استقر الحال بالإسماعيليين وكونوا الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب ومصر .

(1) النشار ، نشأة الفكر الفلسفي : 361/2 .

(**) بحسب اعتقاد الإسماعيلية فان إسماعيل لم يمت وإنما توارى عن الأنظار .

(2) الرفنة ، الرسالة الكافية : 28 .

(3) حجة العراقيين ، أحمد حميد الدين الكرماني (ت411هـ1020م) ، الرسالة الموسومة بالحاوية في الليل والنهار ، مجموعة رسائل الكرماني ، ط2 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م : 108 .

لابد وان ذلك الأمر أي اختفاء الأئمة كان ذا تأثير في سير الدعوة وطبيعة خططها . اما دعاة الإسماعيلية ، وحتى في ذلك الدور ، فيبدو أنهم كانوا في الأغلب من الاثنى عشرية(*) الذين تحولوا إلى الإسماعيلية وفي ذلك يعلق الدكتور حسن إبراهيم بالقول "وظلت طائفة الإمامية الاثنا عشرية معيناً يمد طائفة الإمامية الإسماعيلية بمشهوري الدعاة الذين كان لهم أثر كبير في تاريخ الإسماعيلية مثل ابن حوشب(**) وابن فضل(***) اليمني ... وأبي عبد الله الشيعي(****) المحتسب الذي يرجع إليه الفضل في نشر الدعوة الإسماعيلية ، وتأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ويشير حسن إبراهيم وآخرون ، ان تحول هؤلاء الدعاة كان من أسبابه ، هو وجود

(*) ومن أمثلة ذلك الحسن الصباح مؤسس فرقة الحشاشين والتي نحن بصدد دراستها .

(**) ابن حوشب : هو الحسن بن فرج بن حوشب بن داران الكوفي ، وكان من أجلة الدعاة ، وخيارهم وثقاتهم ومن أهل الصدق والورع والفضل والدين ، وإخلاص الولاية لأولياء الله تعالى ، وكذلك كان ، وعليه مات ، وكان اتصاله واطلاقه داعياً باليمن من قبل ان يظهر المهدي في أيام الإمام الذي سلم الأمر إليه في حياته وقد وصل إلى اليمن في أول سنة تسعين ومائتين بعد ان اذن له في الجهاد فنصر ولم يقم أحد فسمي المنصور . ينظر : ابن حيون ، شرح الأخبار : 403/3 ، وقد اختلفت الروايات في تسميته وكنيته وقد ورد أسمهُ على عدة صور عند المؤرخين وأحياناً يلاحظ أسماء متعددة عند مؤرخ واحد ، ولأجل المزيد ينظر : القصير ، سيف الدين ، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993م: 31 وما بعدها

(***) ابن فضل اليمني : اختلفت أقوال الرواة في نسبه وكنيته وأماكن ولادته ويذكر انه أحد شخصيات الاثنى عشرية التي رغب الإسماعيليون بضمها إليهم وحول ذلك الموضوع ينظر: القصير ، ابن حوشب : 50 وما بعدها .

(****) أبو عبد الله الشيعي المحتسب : الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي القائم بدعوة عبيد الله المهدي جد ملوك مصر قيل انهُ من الكوفة وقيل ان أصله من صنعاء ، وكان لهُ علم ودهاء وقد أرسلهُ أبن حوشب إلى المغرب لما رأى منه إمكانيات عقلية . ينظر: ابن خلكان ،= = أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/1282م) ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تح : احسان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، د.ت : 192/2 ، الجندي اليمني ، بهاء الدين أبو عبد الله يوسف بن يعقوب (ت723هـ/1323م) ، السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ط2 ، تح : محمد بن علي بن الحسين، دار النشر مكتبة الإرشاد ، صنعاء، 1995م : 204/1 .

الإمام الإسماعيلي حياً ولو مستوراً ، وان ذلك الأمر دفعهم لتغيير الأحوال على أرض الواقع وانهم كانوا "يؤثرون على ذلك انتظار الإمام الثاني عشر الذي طالت غيبته"[1] .

ويمكن الافتراض ان ذلك التحول لم يكن في بداية الدعوة التي أخذت تعمل طويلاً في السر والكتمان[2] ، ان انتشار الإسماعيلية وتحقيقها بعض من النجاحات هو ما دفع بعض الشخصيات إلى الانضمام إلى اليها ، وهناك من الإشارات في كتب الروايات ما يؤكد أسباب تحول هؤلاء الدعاة إلى الإسماعيلية[3] .

---

(1) حسن ، إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط14 ، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية ، بيروت والقاهرة ، 1996 : 201/3 ، النشار ، نشأة الفكر الفلسفي : 363/2 ، وللمزيد حول ذلك الموضوع ينظر : ابن حيون ، القاضي النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت411هـ/1020م) ، افتتاح الدعوة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ، 2005م : 26 ، المصري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان (ت363هـ/973م) ، رسالة الغفران ، تح : عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969م : 376 .

(2) جلي ، دراسة في تاريخ الفرق : 269 ، عشري ، عثمان عبد الحميد ، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية، المكتبة التاريخية للنشر ، القاهرة ، د.ت : 3 من المقدمة.

(3) أوردت بعض الروايات أشعاراً في طول الانتظار من قبل هؤلاء الدعاة للإمام المهدي υ ورغم ان تلك الأشعار تعود بزمنها لمدة سبقت تحول الدعاة إلى الإسماعيلية إلا انها تكفي على ما يبدو للتأكيد على ما ذهب إليه حسن إبراهيم وغيره ممن خاضوا غمار البحث ونحن نذكر جزءاً من ذلك الشعر كإشارة لما ذهب إليه هؤلاء :

الا قل للوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما =

= أضر بمعشرٍ والوك منا ... وسموك الخليفة والإماما

وعادوا فيك أهل الأرض طرا ... مقامك عندهم ستين عاما

ينظر : أبو الفرج الأصفهاني ، علي بن الحسين بن الهيثم القرشي (ت256هـ/869م) ، الأغاني ، تح : علي مهنا وسمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت : 20/9 ، والمقصود بهذا الشعر كان محمد بن الحنفية ، وهذا التاريخ يسبق تحول الدعاة إلى الإسماعيلية لكن الشعر يعطي صورة تصور البعض عن طول انتظار الإمام المهدي υ ، وهو يوضح جانب من افتراضات الباحثين الذين ذكرناهم في افتراضاتهم . ينظر : الاسفراييني ، التبصير في الدين : 32-33 . وللمزيد راجع حسين مروة ، النزعات المادية: 42/2 وما بعدها .

ومن الأمور الأخرى التي امتاز بها دور الستر ، هو الاختلاف في عدد أبناء الإمام محمد بن إسماعيل فهناك من يقول ان عددهم كان ثلاثة أئمة حتى ظهور عبيد الله المهدي الذي نجح في تأسيس الدولة الفاطمية[1] ، بينما تجعلهم بعض الروايات سبعة أئمة ، ويرجع لويس ذلك العدد إلى شمول الأئمة العلويين والقداحين[2] ، بينما جعل بعضهم عدد الأئمة في تلك المرحلة خمسة فقط[3] .

يبدو ان نجاح الإسماعيليين في دور الستر لم يكن مقتصراً على ما ذكرناه من أمور فقط في تخطيطهم وإتباعهم السرية والتنظيم فقط وإنما كان لاختيارهم مدينة سلمية[*] معقلاً لهم ولأبناء وأحفاد الإمام[4] محمد بن إسماعيل حتى قيام الخلافة الفاطمية ، إذ ان تلك المدينة امتازت بميزات جعلتها سبباً مهماً في نجاح أمر الدعوة فهي من ثغور الشام[5] وعلى طرف البادية[6] ، ولابد ان بعدها عن مركز الخلافة وقربها من الثغور جعلها مدينة بعيدة عن أعين الرقباء ويسهل فيها الاختفاء، وكإجراء احترازي ، يبدو ان عبد الله بن ميمون سبق الإمام إلى سلمية واشترى هناك ضياعاً

---

(1) عماد الدين القرشي ، زهر المعاني : 208-209 ، القرشي أيضاً ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 353 وما بعدها .

(2) لويس ، أصول الإسماعيلية : 130-131 .

(3) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 15-16 ، جلي ، دراسة عن الفرق : 268.

(*) سلمية : بفتح أوله وثانيه وسكون الميم وياء مثناة من يقال انها قديمة وان المؤتفكة الذين أنزل الله بهم العذاب رحم منهم مائة نفس فنجاهم فانتزحوا إلى سلمية فعمروها وسكنوها فسميت سلم مائة ثم حرف الناس أسمها فقالوا سلمية ثم ان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس أتخذها منزلاً وبنى لولده فيها الأبنية ونزلوها وبها المحاريب السبعة يقال تحتها قبور التابعين وهي من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة وعرضها سبع وثلاثون درجة . ينظر : البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م) ، فتوح البلدان ، عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م: 140، الحموي، معجم البلدان: 3/240-241 .

(4) حول أهمية تنظيم الدعوة ينظر : برهانبوري ، منتزع الاخبار : 20-21 .

(5) الحميري : الروض المعطار : 320 .

(6) الإدريسي ، نزهة المشتاق : 1/49 و210 .

وبث الدعاة إلى ســواد الكوفة[1] ، ســاعد هذا الأمر – أي بث الدعاة منها – ما جاء على لسان محمد بن عبد الله بن صالح الذي قام بعمارة سلمية فقال "إني قد وقعت في مدينة في طرف الدنيا ولكن أحب عمارتها فتامر لي بالنداء في الأمصـــار التجار ان يحضروا سوقها"[2] هذا الأمر جعلها ملتقى الطرق الكبرى الآتية من البادية[3] ، وهو ما يفسر تنكر الدعاة بزي التجار لكي لا تثار حولهم الشكوك[4].

وزيادة في التكتم والحيطة في نقل الأموال والذخائر التي كانت تحمل من كل بلد من قبل الدعاة إلى الإمام في ســلمية فان الإمام حفر ســرداباً في الأرض من الصحراء إلى جوف داره بسلمية طوله اثنا عشر ميلاً ، وكانت الأموال والذخائر تحمل على الجمال فيفتح لها باب السرداب في الليل وتنزل فيها باحمالها عليها حتى تحط في داخل الدار وتخرج في الليل ويغمى على باب السرداب بالتراب فلا يدري به أحد"[5] .

وفي الحقيقة فان هذه الرواية تثير الكثير من الأسـئلة ونحن لا نسـتطيع الجزم بصحتها ولا نفيها ، لكن بالإمكان الافتراض ان مسافة السرداب قد يكون فيها شيئاً من المبالغة أو ان تلك المســافة لم تكن قد حفرت في وقت واحد وإنما على مراحل عدة ، وكزيادة في أمر كتمان ذلك السرداب من الممكن الافتراض ان القائمين على حفره كانوا من خاصة الإمام .

---

(1) ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت385هـــ995م) ، الفهرست ، دار النشر دار المعرفة ، بيروت ، 1978م : 265 .

(2) النيسابوري ، استتار الإمام : 115 .

(3) كرامز J.H.Kramers ، سلمية مركز الدعوة الإسماعيلية ، بحث منشور في مجلة الموسم العددين 69–70 : 361 .

(4) ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 47 .

(5) اليماني ، محمد بن محمد (كان حيّاً في القرن الرابع الهجري) ، سـيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة ، تح: و.ايفانوف، نشـر في مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصـرية ، العدد 4، سـنة 1936م: 107–133، وانظر كذلك مجلة الموسم ، العددين 69–70 : 189.

وقد أتاح التنكر بزي التجار فيما بعد أثراً بالغاً في نجاح الدعوة وعدم المتابعة على ما يبدو من العباسيين إذ أشير إلى ان الإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل كان يرتحل بلا كلل ، وزار جميع مواقع الدعوة في خوزستان(*) والعراق والديلم وكان متنكراً بزي التجار [1] .

وقد انتهى دور الستر باعلان الخلافة الفاطمية وحل محله دور الظهور ، وأصبحت أساليب الدعاة مختلفة وتحول أئمة الإسماعيلية من التخفي إلى دور بناء دولة للخلافة في المغرب .

- فلسفة الأعداد عند الإسماعيلية والرقم سبعة :

أدى العدد سبعة دوراً مهماً في عقائد المسلمين ، ومن يتصفح كتب الفقه والشريعة ، يجد ذلك الأمر واضحاً لكل قارئ ومطلع ، وقد أطلق على الإسماعيلية في

(*) خوزستان : بلد كبير حدودهُ من الشرق فارس وأصبهان وبينها وبين فارس من حد أصبهان نهر طاي وهو الحد إلى قرب مهروبان وشماليها حد الصميرة وكرخا واللور متصلاً بحدود الجبال إلى أصبهان وينتهي حدها الجنوبي إلى البحر من حد عبادان إلى فارس ثم دجلة ، وقد ذكر الاصطخري ان أزكى وأغمر كل خوزستان هي المسرقان ومياهها أي خوزستان من الأهواز والدورق وتستر ، وهي بلاد ليس فيها جبال ولا رمال إلا شيء يسير ، وهي تتاخم نواحي تستر وجنديسابور ، وتشابه بعض أراضيها أراضي العراق ويكثر في خوزستان زراعة النخيل والحبوب كالشعير والباقلاء وبعدها يأتي الأرز ، وهي طيبة المياهُ وعذبة تكثر فيها المياه حتى لا توجد عندهم الآبار ، وتكثر فيها العلل لمن أنتابها وأما لغتهم فان عامتهم يتكلمون بالفارسية والعربية ولهم لسان آخر وهو الخوزي ليس بعبراني ولا سرياني ولا فارسي ، وان غالب ما ينتحلونه من الديانات فهو الاعتزال . ينظر : الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ/957م) ، مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1937م : 88 وما بعدها .

(1) عماد الدين ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 394 ، هالم ، هاينز ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ط1 ، تعريب سيف الدين القصير ، مراجعة : د. مجيد الراضي ، دار المدى ، دمشق ، 1999م : 22 .

إحدى تسمياتها السبعية ، لأنهم وحسب رأي بعض الباحثين كانوا يقولون الأرضون سبع والسموات سبع والأسبوع سبعة يدل على ان دور الأئمة يتم سبعة[1]، وقد وجد الغزالي ذلك فرصة لينتقص من الإسماعيلية كونه أحد أعدائهم ، ولهُ في ذلك تفصيل يطول شرحه لكن ما يهمنا انهُ نقل عقائدهم ومعتقدهم في الرقم سبعة[2].

يتضح من هذا وعند والإطلاع على كتب الإسماعيلية أهمية الرقم سبعة ومكانته عندهم ، وقد خصص كثير من دعاتهم باباً في مؤلفاتهم للرقم سبعة[3] ، ولم يترك الإسماعيلية فرصة أو مناسبة إلا وربطوا الرقم سبعة بها على الأغلب يقول أحد دعاة الإسماعيلية عند حديثه عن العقل "ويوجد عن العقل الأول والمنبعث الأول عقول سبعة وجود كل منها عن الآخر صاعد إلى المنبعث الأول"[4] .

---

(1) النوبختي ، فرق الشيعة : 67 ، الشريف المرتضى ، الفصول المختارة : 308 ، الغزالي ، فضائح الباطنية : 66-67 ، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت597هـ/1200م) ، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1939م : 29/8 ، أبو زهرة ، محمد ، تاريخ المذاهب الإسلامية : 54 .

(2) للاستزادة ينظر : الغزالي ، فضائح الباطنية : 66-67 .

(3) ينظر : المعز لدين الله الخليفة الفاطمي أبو تميم معد بن المنصور بالله أبو الطاهر إسماعيل (ت365هـ/975م) ، أدعية الأيام السبعة ، ط1 ، تح وتقديم : إسماعيل قربان بونا والا ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 2006م ، الحامدي ، كنز الولد : 228 وما بعدها الباب الثاني عشر ، السجستاني ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد (كان حياً بعد سنة 331هـ/942م)، كتاب الافتخار ، ط1 ، تح : حققه وقدم له : إسماعيل قربان بونا والا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000م : 1428 وما بعدها .

(4) حجة العراقيين ، راحة العقل : 140-141 ، السجستاني ، الينابيع : 105 ، الينبوع السادس عشر في ان إبداع العقل إبداع قوى كثيرة ، الحامدي ، كنزل الولد : 131-132 .

وقد ورد في المجالس المؤيدية كذلك في تفســـير عبارة لا إله إلا الله ما يقارب هذا القول حول أهمية الرقم ســـبعة على الرغم من ان الداعي مزج بين الأعداد الأخرى والرقم سبعة[1] .

اما الداعي الإسماعيلي اليماني فقد خصص فصلاً كاملاً في كتابه الذخيرة في الحقيقة بعنوان العقول السبعة ومراحل تطورها[2] .

ان أهمية تسمية السبعية بالنسبة للإسماعيلية ، لم تكن لتثير أعداء الإسماعيلية على ما يبدو وحدهم ، فان العلامة المجلســـي أورد نصـــاً يمكن الإفادة منهُ في معرفة إطلاق تلك التسـمية التي أحدثت خلافاً واضـحاً ليس بين الإسـماعيلية وفرق الشـيعة الأخرى ، وإنما بين الإسماعيلية وفرق المسلمين كافة ، رغم ان التسمية ارتبطت بعدد الأئمة في أدوارهم أول الأمر[*] . وفي ذلك يقول المجلســي "اختلفت الأمة بعد النبي ρ في الإمامة بين النص والاختيار فصـــح لأهل النص من طرق المخالف والمؤالف بان الأئمة اثنا عشر ، ونبغت السبعية بعد جعفر الصادق υ وادعوا دعوى فارقوا بها الأمة بأسرها"[3] .

ان هذا النص ذو أهمية بالغة في تحديد الخلاف ليس بين الاثنى عشـــرية فقط وإنما بمفارقة "الأمة بأســـرها" من جهة ، ومن جهة أخرى فان كلمة "نبغت" حملت دلالات لملائمة الإسماعيلية بين الرقم سبعة والإمام السابع ، في الوقت ذاته فان تسمية

---

(1) الشيرازي ، المؤيد في الدين هبة الله (470هـ/1077م) ، المجالس المؤيدية ، ط1 ، حققه وعلق عليه : محمد عبد الغفار ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1994م : 46 .

(2) ينظر في ذلك ، اليماني ، الذخيرة في الحقيقة : 39 الفصـل السـادس . ينظر : ماسـينيون ، لويس ، المتنبي بازاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام ، ترجمة وتعليق ودراسة : د. إبراهيم عوض ، منشورات منتدى سور الأزبكية ، مصر ، 1988م : 88-89 .

(*) الألوســـي ، محمود شـــكري بن عبد الله بن شـــهاب الدين محمود الألوســـي الحســـيني (ت1342هـــ/1923م ، مختصــر تحفة الاثنى عشـرية مخطوط موجود في مكتبة الرياض بالمملكة العربية السعودية تحت الرقم 457 ، ورقة 13 .

(3) ابن شهراشوب ، مناقب آل أبي طالب : 228/1 .

الإسماعيلية بالسبعية سبقت تسمية الإمامية بالاثنى عشرية ، بزمن طويل فالتسمية هنا لم تأتِ ردَّ فعل نتيجة الاختلاف ، وإنما جاءت من فلسفة الإسماعيلية بالأعداد . وهو ما أشار إليه صاحب أعيان الشيعة دون ان يحدد لذلك زمناً ، إذ ان تسمية السبعية جاءت قبل إطلاق الاسم على الاثنى عشرية وفي ذلك يقول "ويقال للإسماعيلية السبعية أيضاً بوصف مخالفتهم للأثنى عشرية في الإمام السابع"[1] .

ويمكن الإشارة إلى ان الرقم سبعة ، والإمام السابع وجد طريقه أيضاً عند الاثنى عشرية ، إذ ذكر الشهرستاني نصاً روته الفرقة الموسوية نقلاً عن الإمام جعفر الصادق υ انهُ قال بعض أصحابه "عد الأيام فعدها من الأحد حتى بلغ السبت فقال له كم عددته فقال سبعة فقال جعفر سبت السبوت وشمس الدهور ونور الشهور ... وهو سابعكم قائمكم هذا وأشار إلى ولده موسى الكاظم وقال فيه أيضاً انهُ شبيه بعيسى υ "[2] .

ورواية أخرى منقولة عن الإمام جعفر الصادق υ إذ روي عنه انهُ قال "كان قبلنا سبعة أوادم وسبعة أدوار قد مضت ونحن في الدور الثامن من ادم الثامن"[3] .

وذكر عنه υ انهُ قال "انا لنجيب على المسألة الواحدة بسبعة وجوه ولو زاد لزدنا"[4] .

---

(1) محسن الأمين ، أعيان الشيعة : 316/3 .

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل : 168 .

(3) الجعفي ، المفضل بن عمر (كان حياً زمن الإمام جعفر الصادق "ع") ، الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق υ، ط2 ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1977م : 150 ، الباب الستون في معرفة بيان السبعة الادميين والأدوار والأعداد .

(4) المينقي ، رسالة مطالع الشموس (ضمن أربع رسائل إسماعيلية) : 23 .

ويرى أحد الباحثين ان الإسماعيلية ليسوا الوحيدين الذين انفردوا باتخاذ الأعداد أصولاً دينية فقد اتخذ الفيثاغوريون(*) كل عدد أصلاً لدراستهم كما اتخذ العبريون العدد سبعة أصلاً لبعض عقائدهم وكذلك فعل الحرانيون حين اتخذوا العدد خمسة أصلاً لعقيدتهم ، وإنما كان سبقهم آخرون إلى ذلك[1] .

ان الصيغة الإسماعيلية المركبة إنما تبدو نتاج تلاقح بين الفكرة الفيثاغورية القديمة بشأن العدد (7) وما جاءت به الإسماعيلية بشأن الإمامة[2] .

والاستعارات بين الحضارات أمرٌ وارد ، ولا غبار عليه ، وقد تستعير الحضارة المذاهب الدينية والفلسفية أو الأخلاقية أو الفنية من حضارة أخرى ، وتأخذ منها ما يلائمها ويساير اتجاهاتها الخاصة ، وتنفي كل ما ينافر طبيعتها ويعارض اتجاهاتها .

بعد هذا العرض لمكانة الرقم سبعة وأهميته عند الإسماعيلية في توجهاتها الفكرية والسياسية ، لابد لنا ان نوضح الالتباس الذي وقع فيه أغلب من تخصص في الدراسات الإسماعيلية ، إذ أنهم وان اهتموا بالعدد سبعة بصورة خاصة ولكنهم لم يزيدوا على غيره من الأعداد[3] ، وهو أمرٌ يتضح في كتابات دعاة الإسماعيلية كما سنوضحهُ ، وقد أشار لذلك أحد أشهر دعاة الإسماعيلية وأفادنا في نص مهم إذ يقول : "واما التسبيع فهو نعت أصل من جملة أصول كثيرة تركوا وسمكم بها ، واقتصروا على واحد

(*) ويذكر أحد الباحثين ان فيثاغورس كان باطنياً ، وهو ربما دفع البعض للربط بين تأويل الإسماعيلية الباطنية وفلسفة فيثاغورس بالذات فيما يخص الأعداد . ينظر : الحنفي ، د. عبد المنعم، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 2001م : 241.

(1) ينظر : الشيرازي ، المجالس المؤيدية : 5–6 مقدمة المحقق .

(2) النزعات المادية : 3/138–139 . وللاستزادة ينظر :

Corbin Henry , Cyclical Time and Ismaili Gnisis , KEGANPAUL INTERNATIONAL London , Boston melbourn and Henley inassociaion with ISLAMIC publications , London , 1982 , p : 39-69 .

(3) فوزي ، د. حسين ، الأفكار والحضارات ، بحث نشور في المجلة المصرية ، مجلة شهرية، العدد (18) للسنة الثانية ، القاهرة ، 1951م : 17 .

من جملتها ، وذلك ان الديانة مبناها [مبدأها في معرفة] توحيد الواحد الصمد سبحانه ، والطريق إلى معرفة التوحيد معرفة ازدواج الأشـياء قال الله سـبحانه : ﭽ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭﭼ[1] ، وقال رسـول الله { ρ } : ((خلق الأشـياء كلها مزدوجة لتكون دلالة على وحدانيته ، فهذا أصـل تاه فيه الثنوية[*] ، والثلاثة أصـل تاه فيه النصـارى ، والأربعة التي هي مقابلة الأركان الأربعة أصل والخمسة التي هي مقابلة الحواس الخمسة أصل ، والستة هي بمقابلة الأيام الستة التي خلق الله السموات والأرض أصل ... (ثم يستدرج في ذكر الأرقام وصـولاً إلى الرقم تسـعة عشـر ويقول بعد ذلك ، والأصـول غير ذلك كثيرة فلا وجه للتخصيص بالسبعة ، والغرض التشنيع ، والمرء عدو ما جهل"[2] .

ان فلسـفة الأعداد وليسـت العدد سـبعة وحده تخللت كتب الكثير من دعاة الإسماعيلية[3] ، لكن اتضاحها بصورة أكبر ، كان في أقوال الداعي الكرماني ورسالته

---

(1) سورة يس : آية 36 .

(*) الثنوية : وهم القائلون ان للعالم الهان أحدهما خير وعسكره الملائكة والثاني شرير وعسكره الشياطين وهما يتنازعان أبداً كل شيء في هذا العالم فلكل واحد منهما تعلق به وان الخواصر الداعية لعمل الخير إنما حصلت من عساكر الله والخواصر الداعية إلى أعمال الشر إنما حصلت من عساكر الشيطان . ينظر : الاسفراييني ، التبصير في الدين : 142 ، فخر الدين الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت606هـ/1209م) ، التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م : 79/1 .

(2) الشيرازي ، المجالس المؤيدية المائة الأولى : 112 .

(3) عبدان القرمطي ، شجرة اليقين : 162 ، السجستاني ، كتاب الافتخار : 177 وما بعدها ، النيسابوري ، إثبات الإمامة : 36 ، مؤلف مجهول ، رسالة الرشد والهداية ، نشرها : إسماعيل التميمي ، دار الفكر ، د.ت . منصور اليمن ، جعفر بن الحسن بن فرج بن حوشب بن زادان (ت380هـ/990م) ، كتاب العالم والغلام ، منشور ضمن أربع كتب حقانية ، ط2، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م : 24-29 ، اليماني الحارثي ، الداعي الفاطمي ، طاهر بن إبراهيم الحارثي (ت بعد 510هـ/1116م) ، كتاب الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد ، تح : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ،

الموسومة ، برسالة النظم في مقابلة العوالم[1] ، ويكشف الباحث مصطفى غالب عن عمق في دراسة فلسفة الأعداد عند الإسماعيلية ، لكنهُ لم يدحض آراء الآخرين والقائلة بفلسفة العدد سبعة عند الإسماعيلية دون غيره[2] .

- الإسماعيلية بين الظاهر والباطن وعلاقة ذلك بتسمية الباطنية :

والإسماعيلية من أشد الفرق الشيعية التي أخذت بالمبدأ القائل "ان لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً ولقبوا لذلك بالباطنية[3] ، ويطالعنا الغزالي بعشرة ألقاب نسب الجزء الأكبر فيها إلى الإسماعيلية وكان على رأسها الباطنية ويقول في تعريفهِ لهم "فإنما لقبوا بها لدعواهم ان لظواهر القرآن والاخبار بواطن تجري في الظواهر مجرى اللب من القشر وانها بطورها توهم عند الجهال الأغبياء صوراً جدلية وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة ، وان من تقاعد عقله عن الغوص عن الخفايا والأسرار ، والبواطن والأغوار وقع بظواهرها سارعاً إلى الاغترار ... وربما موهوا

بيروت ، د.ت ، ينظر : الفصل الثالث الخاص بفلسفة المبدأ والمعاد عند الفاطميين : 76 وما بعدها .

(1) حجة العراقين ، أحمد حميد الدين الكرماني (ت411هـ1020م) ، رسالة النظم في مقابلة العوالم بعضها بعضاً ضمن مجموعة رسائل الكرماني ، ط2 ، المجموعة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – 1987م : 27 وما بعدها . وينظر كذلك : حسن المعدل ، علي بن حسن الهواري (ت659هـ/1260م تقريباً) ، رسالة مبتدأ العوالم ودور الستر والتقية ، ضمن أربع كتب حقانية : 123 وما بعدها ، تحتوي على أرجوزة شعرية ضمت بين ثناياها إشارة إلى أرقام وأعداد مختلفة للأدوار والأنبياء والأوصياء .

(2) ينظر : غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 17-18 .

(3) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 ، الديلمي ، قواعد عقائد آل محمد : 34 ، الشاكري، حسين ، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية ، ط1 ، مطبعة ستارة ، ايران ، 1997م : 66 .

بالاستشهاد عليه بقولهم ان الجهال المنكرين للباطن هم الذين أريدو بقوله تعالى : ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﭼ[1] .

وتربط الروايات بين تســـمية – الباطنية – وبين المناطق التي انتشـــر فيها الإســـماعيلية وقد جُعل العراق أحد أهم مواطن تســـمية الباطنية "فبالعراق يســـمون الباطنية"[2] "وهؤلاء الإســـماعيلية يســـمون باطنية العراق"[3] ، والملاحظ ان تســـمية الباطنية إنما تشـــير إلى معاني العداء نحوهم ، وقد جعلت تلك التســـمية للذين تركوا جميع الأديان "والباطنية الذين هم من جميع الأديان منســـلخون"[4] وهو ما يفســـر في الوقت ذاته وجود الكثير من المؤلفات والتي حملت تسمية الباطنية في الرد عليهم[5].

لكن الملاحظ وبصورة جلية ان جميع الروايات – التي أطلعت عليها على الأقل – والتي قرنت تسـميتهم بالباطنية في العراق حسـراً – على الرغم من انتشـار التسـمية فيما بعد في مناطق أخرى وهو ما ســنتطرق لذكرهِ – غفلت عن ذلك الســبب رغم ان تسمية الباطنية أخذت المدى الأوسع والأشمل للإسماعيلية وكادت ان تصبح التسمية الأكثر اتساعاً وانتشاراً وهو ما سنراه عند التطرق للحشاشين واغتيالاتهم .

ان الارتباط في إطلاق تسـمية الباطنية يتضـح أكثر إذ يضـع البعض الباطنية أسـاس التسـمية بالنسـبة للإسـماعيلية إذ ذكر أحد الرواة في مجمل تعريفه بالإسـماعيلية

---

(1) سورة الحديد ، الآية : 13 .

(2) الغزالي ، فضائح الباطنية : 11–12 .

(3) الشــهرســتاني ، الملل والنحل : 192/1 ، البقاعي ، مصــرع التصــوف : 33 ، الشــاكري ، المصدر نفسه : 66 .

(4) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت751هـ/1350م) ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 196 .

(5) مثال على ذلك كتاب الغزالي فضـــائح الباطنية ، وكتاب بيان مذهب الباطنية وبطلانه لمحمد بن الحسن الديلمي ، وكتاب كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة للحمادي المعافري ، وكشف الأسرار وهتك الأستار ، لأبو بكر الباقلاني ، وغيرها من الكتب التي يضيق نطاق البحث عن ذكرها .

بانهم جماعة من الباطنية[1] ، أو العكس كما ذكره غيرهُ "أنهم فرقة من الإسماعيلية"[2] وقد أفادنا صاحب أعيان الشيعة بنص مهم نجدهُ مفيداً لبحثنا إذ يقول "فالإسماعيلية منهم الباطنية ، ومنهم غير الباطنية ، والأخيرون قائمون بشرائع الإسلام وأحكامه سواء أكان مذهب الباطنية مأخوذ من الأفلاطونية أم لا"[3] .

ويربط في هذا النص صاحب الأعيان بين الفلسفة التي خاض غمارها الإسماعيلية وبين تسميتهم والتي تدل على انها قُرنت بهم .

ويجعل الحميري تأويلات الباطنية على كل الشريعة – سواء نص القرآن أو العبادات الأخرى – ونجد للمرة الأولى إشارة إلى سرية عقائدهم وكتمانها إذ يقول "لأن عندهم لكل ظاهر من الشريعة باطنا ، مثل الصوم هو عندهم : كتمان مذهبهم ، والحج هو الوصول إلى إمامهم أو داعيه ، والصلاة هي طاعة الإمام ، وكذلك كل شيء من الشريعة عندهم لهُ باطن غير الظاهر"[4] .

ان تأويل الباطن والظاهر أمرٌ يتضح في كتب وعقائد الإسماعيلية[5] ، وقد ذهب دعاتهم في ذلك الأمر لتأويل اسمي الله عز وجل "الظاهر والباطن" بالقول وقيل

---

(1) السمعاني ، الأنساب : 156/1 .

(2) مظفر ، محمد حسين ، فهارس رياض السالكين ، ط1 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1998م : 370 .

(3) محسن الأمين ، أعيان الشيعة : 54/1.

(4) نشوان الحميري ، شمس العلوم : 556/1-557 . ويبدو ان ذلك الأمر – أي تأويل الشرائع بالباطن جعل البعض يجدها فرصة لقتالهم والانتقام منهم فيقول الحميري "وهو ما جعل توبة الباطنية غير مقبولة لأن لها باطن غير الظاهر" المصدر نفسه الجزء والصفحة ، وهذا الرأي لابد وانه كان مرتبطاً بموقف سياسي أكثر من ارتباطه بعقائدهم الدينية ، فهم فرقة كفرق المسلمين الأخرى ، لكنهم اتجهوا لمعارضة الخلافة العباسية فنالهم ما نال الفرق الأخرى لكنه كان أشد على ما يبدو من الأخريات .

(5) السجستاني ، الافتخار : 213 ، الباب الثاني عشر في معرفة مأخذ التأويل من القرآن ، ابن حيون ، الحسين بن علي بن النعمان بن محمد (ت363هـ/973م) ، أساس التأويل ، تح وتقديم:

لـهُ بـاطن لأنـهُ خفي عن ان تـدركـه الخلائق بكيفيتـه أو تحيط بـه أوهـامهم أو تبلغـه صـــــفاتهم أو تدركه عقولهم . فلما كان هكذا قيل هو الباطن وكان لظهور انيته[*] في صنعته ظاهراً ولامتناعه عن إدراك المخلوقين بذاته باطناً"[1] .

ان قراءة متأنية في كتب الفرق الإسـلامية والروايات التاريخية تعطينا الدليل عن تسمية أو نعت الإسماعيلية بالباطنية بصـورة خاصـة هذا مع ما ذكرناهُ من آراء وأقوال

عارف تامر ، منشـــورات دار الثقافة ، بيروت ، 1960م : 25-32 ، حجة العراقين، الرســـالة الوضـــية : 66 وما بعدها ، الشـــيرازي ، المجالس المؤيدية المائة الخامســـة، المجلس الثالث والسبعون : 234 ، الإسماعيلي السليماني ، ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله (مجهول الوفاة) ، مزاج التسنيم تفسير للجزء 11-20 من القرآن ، عني بتصحيحه : ر. شتر وطمان ، المجمع العلمي غوتينغن ، د.ت ، نقلاً عن النسـخة الخطية هــــ76 المحفوظة في مكتبة امبروسـيانة ميلانو ، يوضـح فيه المؤلف نظرة الإسماعيلية لتفسير سور القرآن ويتبين فيها الظاهر والباطن ، غالب ، د. مصـــطفى ، مفاتيح المعرفة ، مؤســـســـة عز الدين للطباعة والنشـــر ، بيروت ، 1982م : 213 .

(*) الانيـة : تحقيق الوجود العبثي من إذ رتبتـه الـذاتيـة . ينظر : الكـاشـــــاني عبـد الرزاق (ت370هـ/980م تقريباً) ، معجم اصطلاحات الصوفية ، ط1 ، تحقيق وتقديم وتعليق : د. عبد العال شـــاهين ، دار المنار للطبع والنشـــر والتوزيع ، القاهرة ، 1992م : 58 ، والانية بضـــم الهمزة يرجعها البعض إلى اللفظ اليوناني (أن) هو مصـــــدر من فعل الكينونة ومعناه الوجود أو الكيان وهو غير متعلق بموجد أو موجود ، ولا بكائن ، وهذا المصـطلح لم يسـتعمل إلا في لغة الفلاسفة والصـوفية . ينظر : ماسينيون و كرواس ، لويس ولويس ، أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج ، دار ومكتبة بابليون ، باريس ، 2008م : 75-76 ، وقد ورد ذلك المصـــــطلح عند الحلاج شعر : بيني وبينك انى ينازعني × فأرفع بأنك أني من البنين .
ينظر : عباس ، قاســـم محمد ، الحلاج الأعمال الكاملة ، ط1 ، دار الرســـالة ، بيروت ، 2002م : 325 .

(1) أبو حاتم الرازي ، أحمد بن حمدان (ت322هـ/933م) ، كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية – العربية ، تح : حسين بن فيض الله الهمداني ، ط1 ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، 1994م : 217-218 .

، كما ان المُطلع يســـتطيع معرفة كيف ربط هؤلاء الذين نعتوا الباطنية بالإســـماعيلية تحديداً وعلاقتها بأبي الخطاب – وقد مر ذكر ذلك – إذ ذُكر ان أبا الخطاب وأصحابه كانوا يقولون ان لكل ظاهر باطناً ، وان ظاهر القرآن يحتاج للفهم الصـــحيح إلى التأويل"[1] ، وأبو الخطاب هنا يبدو أنهُ أول من قال بالظاهر والباطن ، لكن هناك من سبقه لذلك الأمر وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب υ سبق أبو الخطاب للتأويل[2] ولهُ فرقة كانت تســمى بالجناحية وســموا بالجناحية نســبة إلى جعفر بن أبي طالب υ ذي الجناحين[3] وتتضــح عند عبد الله بن معاوية أكثر صــورة التأويل الباطني إذ انهُ وضــع لأصــحابه جدولاً فســموا بعد ذلك بجماعة الجدول "أهل العلم بالباطن" ودعيت الشـــيعة الأخرى "أهل الظاهر"[4] ، وينقل الســـيد ابن طاووس إيضــاحاً عن ذلك الجدول فيقول "وهو يتضــمن شــرحاً طويلاً نحو كراســين ، فلا نطيل بذكره ، رواه عن الصادق υ في معرفة أول الشهور بالحساب"[5] .

---

(1) ابن حزم ، الفصل في الملل : 90/2 ، وينظر كذلك لابن حزم ، الأحكام في أصول الأحكام، ط1 ، دار الحديث للنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1983م : 302/3 .

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل : 28 و151 .

(3) المناوي ، التوقيف على مهمات التعاريف : 255 ، إبراهيم مصـــطفى ، المعجم الوســـيط : 139/1 .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 273/2 .

(5) ابن زهرة الحلبي ، حمزة بن علي (ت585هـــ/1189م) ، غنية النزوع ، ط1 ، تح : إبراهيم البهادري ، إشـراف : جعفر السـبحاني ، مطبعة اعتماد ، قم ، 1996م : 132 ، ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت664هـ/1265م) ، إقبال الاعمال ، ط1 ، تح : جواد الفيومي الأصفهاني ، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، 1993م : 61/1 ، الميرزا القمي ، جواد بن علي رضـا الرضـوي (ت1231هــــ/1815م) ، غنائم الأيام ، ط1 ، تح : عباس تبريزان وآخرون ، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، 1996م : 316/5 .

ولم يكن الأمر منقطعاً عند عبد الله بن معاوية فقد روي عن بعض الأئمة عليهم السلام أنهم نقلوا أحاديث عن الإمام علي υ وأحياناً عن الإمام الحسين υ انهُ قال "ان حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبدٌ أمتحن الله قلبه للإيمان أو مدينة حصينة"[(1)] .

وقد جعل هذا الحديث بداية الباطن والظاهر[(*)] عند الشيعة[(2)] . ولم تتبلور فكرة الباطن حتى أصبحت لقباً تنسب إليه بعض فرق الشيعة ومنها الإسماعيلية والحشيشية خاصة البحث .

وطبقاً لهذه الروايات فالتأويل بالباطن سبق أبو الخطاب الأمر الآخر هو اطلاق تسمية الباطنية على الإسماعيلية الموجودين في العراق ، والتسمية ستلاحظ انها تُطلق على الحشاشين علماً أنهم عرفوا في بلاد المشرق بالتعليمية[(3)] . ان جذور التسمية

---

(1) الصفار ، بصائر الدرجات : 41 ، الشيخ الصدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت381هـ/991م) ، معاني الأخبار ، تصحيح وتعليق : علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1959م : 188 ، المجلسي ، بحار الأنوار : 71/2 ، وورد في بحار الأنوار في نفس الجزء والصفحة حديث يخص الظاهر والباطن نقلاً عن الأئمة عليهم السلام "ان أمرنا هو الحق وحق الحق ، وهو الظاهر ، وباطن الظاهر ، وباطن الباطن وهو السر ، وسر السر ، المستتر ، وسر مقنع السر .

(*) ان جذور الباطن والظاهر يُرجعها البعض إلى حديث روي عن الرسول ρ انهً قال : "ما من آية إلا ولها ظهر وبطن ، ولكل حرف حد ومطلع" . ينظر : الصفار ، بصائر الدرجات: 223 ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ/1505م) ، الاتقان في علوم القرآن ، ط1 ، تح : سعيد المندوب ، دار الفكر ، لبنان ، 1996م : 486/2 ، ويمكن الاعتماد على هذا في جعلها الجذور الأولى التي وردت عن النبي ρ في علم التأويل بالباطن

(2) كوربان ، هنري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ط2 ، ترجمة : نصير مروة وحسن قبيسي ، راجعهُ : موسى الصدر وعارف تامر ، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، 1998م : 83-84 .

(3) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 .

وأصـــولها ترجع لنشـــوئهم حســـب الروايات أولاً في العراق إذ ذُكر ان عبد الله[*] خرج بالكوفة في خلافة مروان فبعث إليه مروان جنداً فلحق بأصبهان[**][1] . ثم إشارة أخرى إلى تنظيم القواعد الأسـاسـية للدعوة إذ ذُكر ان الخليفة المأمون لما سـجن عبد الله بن ميمون ومعهُ جماعة ينتســـبون إلى الإســـماعيلية "وكلهم اجتمعوا في ســـجن العراق ووضعوا مذهب الباطنية فلما أطلق سراحهم من السجن ظهرت دعوتهم"[2] .

وبغض النظر عن مصــــداقية هذه الرواية ، فان مقارنة بين هذه الروايات وبين ما عرف بجدول عبد الله بن معاوية فان بداية فكرة الباطنية تكون قد تبلورت قبل نشـوء الإســـماعيلية ، بوقت ليس بالقصـــير ، اما براعة الإســـماعيلية في اســـتخدام الكلمات الرمزية والجداول التي تحمل علامات لا يعرفها إلا أصــحاب الدعوة فتبدو واضــحة،اذ يقول أحد المستشرقين ممن قام بتحقيق كتاب الكشف أحد كتبه الإسماعيلية – للداعي جعفر بن منصـور اليمن – حول تلك الكتابة "واما البحث في أصل هذه الكتابة السرية فنظر لاختلاف الصـــور واختلاطها نقتصـــر هنا على تلخيصـــه كما يأتي: تطلق عبارة

(*) عبد الله بن معاوية : هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . ينظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : 28/1 .

(**) أصبهان : مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها يسرفون في وصف عظمها حتى يتجاوزون حدود الاقتصـار ، طولها أربع وسبعون درجة وثلثان وعرضـها أربع وثلاثون وهي في أخر الإقليم الرابع وكان اســـم أصـــبهان يطلق على الإقليم بأســـره . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 206/1 .

(1) الحباني ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الأصـــبهاني (ت369هــــ/979م) ، طبقات المحدثين بأصـــبهان والواردين عليها ، ط2 ، تح : عبد الغفور عبد الحق حســـين البلوشـــي ، مؤســـســـة الرســـالة للطباعة والنشـــر ، بيروت ، 1992م : 434 ، فلهاوزن ، يوليوس ، أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام والخوارج والشيعة ، ترجمة عن الألمانية : د. عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضـة المصـرية ، القاهرة ، 1958م : 263–264 ، راجع للاسـتزادة : الطبري ، تاريخ الطبري : 275/4–276 .

(2) أبو منصور البغدادي ، الفرق بين الفرق : 16 و266 ، الاسفراييني ، التبصير في الدين : 141 .

الخطوط المنســـوبة إلى الكوفة ويراد بها غير الكتابة الكوفية القديمة وإنما هي رموز منها ما هو عبارة عن وضــع حرف أو شـبيهه مكان حرف كوضــع حرف الطاء مكان الحاء"[1] ، ويبين بعد ذلك صـــعوبة فك تلك الرموز إذ يقول ونحن نلجأ إلى التخمين حتى في هذه الكتابة السرية[2] .

- رسائل أخوان الصفا والإسماعيلية :

جاء في تعريف رسـائل أخوان الصـفا بانها أول موسوعة إسـلامية ظهرت على مســرح المعرفة والفكر العربي ، كما انها أقدم مصـــدر في الفلســفة الإســلامية ، فقد ضــمت في صــياغتها ، البديع والإيجاز والبيان والبلاغة والحكمة ، اما العلوم والفنون التي احتوتها ، فهي الفلك والرياضـــيات ، والعدد ، والموســيقى ، والهندســة والطب ، والأدب ، وعلم الحيوان ، والتربية ، والشـــعر وعلوم أخرى ابتدعها العقل العربي في عصـــر مبكر من عصـــور الإســلام وفي فترة كانت الفلســفة تعتبر ضــرباً من الكفر والإلحاد[3] .

ويشـير أحد دعاة الإسـماعيلية ، ان رسـائل أخوان الصـفا إنما وضـعها الإمام التقي أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل وكان سبب ذلك الأمر ان حركة الترجمة التي نشـــطت في عهد المأمون[*] أدخلت علوم الفلســـفة وعلم اليونانيين فكان تأليف

---

(1) منصـور اليمن ، أبو القاسـم الحسـن بن فرج بن حوشـب بن زادان (ت أواخر القرن الرابع الهجري)، كتاب الكشف تأويل إسماعيلي لآيات القرآن ، تح : المستشرق ر. شتروطمان ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م ، مقدمة المحقق ك . هـ .

(2) منصور اليمن ، المصدر نفسه والصفحة .

(3) أبو جوهر ، الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع : 111 .

(*) برز في عصـر المأمون الاهتمام بالعلوم والفنون والآداب والفلسـفة ونشـطت في عهده الترجمة والبحث عن مؤلفات الفلاسـفة القدماء فأرسـل البعوث إلى القسـطنطينية والاسكندرية وانطاكية وغيرها من المدن للبحث عن مؤلفات علماء اليونـان وأجرى الأرزاق على طائفة كبيرة من المترجمين لنقل هذه الكتب إلى اللغة العربية ، وأنشأ مجمعاً علمياً في بغداد ومرصـدين . ينظر : ديورانت ، ول وابريل ، قصـة الحضـارة ، ترجمة : محمد بدران ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع وجامعة الدول العربية ، بيروت وتونس ، د.ت ، الجزء الثاني من المجلد الرابع : 96 ، عصر الإيمان .

الرسائل رداً من الإمام أحمد على تلك الرسائل ورغبة منه في المحافظة على الشريعة من ان تطغى عليها الفلسفة اليونانية"[1] .

وللمرة الأولى نجد دعاة الإسماعيلية وخصومهم يتفقون على أن تلك الرسائل نسبت بصورة أو بأخرى إلى الإسماعيلية أو الباطنية[2] ، رغم اختلاف أسباب تلك النسبة بين الطرفين ، وعلى الرغم من ان هناك من زعم ان رسائل أخوان الصفا تعود بتأليفها إلى الإمام جعفر الصادق υ فأن صاحب الرأي نفسه يدحض تلك الأقوال بحجة ان الإمام الصادق υ توفي عام (148هـ) وهذه الرسائل وضعت بعد ذلك بنحو مائتي سنة "ووضعت لما ظهرت الدولة الإسماعيلية الباطنية الذين بنوا القاهرة المعزية سنة بضع وخمسين وثلاثمائة وفي تلك الأوقات صنفت هذه الرسائل بسبب ظهور هذا المذهب"[3] .

ان التناقض هو ما يثار حول زمن كتابة الرسائل وصاحبها عبر روايات المؤرخين، فمؤرخو الإسماعيلية أشاروا ان الإمام أحمد كان مؤلفاً لتلك الرسائل ، ويذكرون من جملة نتائج تلك الرسائل محاولة المأمون التقرب من العلويين للإيقاع بالإمام المستتر أحمد ، وكان سبب ذلك ان تلك الرسائل قد أعجزت المنجمين وحسب قول الداعي إدريس "ونبههم على أشياء غابت عنهم ودلهم على علم المجسطي ،

---

(1) عماد الدين القرشي، عيون الأخبار، السبع الرابع: 367، وزهر المعاني : 211 وما بعدها.

(2) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله (ت728هـ/1327م) ، شرح العقيدة الاصفهانية ، ط1 ، تح : إبراهيم سعيداي ، مكتبة الرشد للنشر ، الرياض ، 1994م: 77 ، عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 367 ، وزهر المعاني : 211 .

(3) النجدي ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى الشركي السديري (مجهول الوفاة) ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، ط3 ، دار النشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1985م : 249/1 ، البعلي ، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي (ت778هـ/1376م) ، مختصر الفتاوى المصرية، ط2، تح: محمد حامد، دار ابن القيم، السعودية، 1986م: 397.

وتحدث عليه أذ هم لا يحسـنون فيه شـيئاً ، فعند ذلك علم المأمون ان ولي الأمر منكم وان الأرض لا تخلو من حجة"[1] .

ان من أعاد زمن الرسائل إلى الخلافة الفاطمية[2] يقع بتناقض مع ما أشار إليه عماد الدين القرشي في انها تعود بزمنها إلى زمن دولة بني بويه[3] ، ونجد الاضطراب يلف الأقوال المتعلقة بالمأمون والإمام أحمد ، إذ ان خلافة المأمون كما هو معروف كانت في حدود سنتي 198هـ/813م-218هـ/833م بينما الإمام أحمد لم يكن قد ولد بعد[4] ، هذا من جهة ، كما ان دور الستر أحيط كما ذكرنا بسرية عالية أخفى ولا شك كثير من إسـهامات الإسـماعيلية ، لكن عملاً مثل رسـائل أخوان الصـفا لم يكن من الميسور ان يختفي أو يحجب عن الأنظار بالذات إذا ما علمنا وحسـب ما سـنوردهُ ان تلك الرسـائل كتبت لتنشـر بين الناس عكس ما عرف عن سـرية مؤلفات الإسـماعيلية الأخرى .

أفاد الدكتور عارف تامر الباحث في الحركة الإسـماعيلية أمراً مهماً بخصـوص تلك الرسـائل إذ قال "لا يمكن لأي باحث في رسـائل أخوان الصـفا وخلان الوفا مهما أوتي من علم وذكاء ، ان يفي الموضوع حقه ، أو ان يصل إلى الهدف الأسمى والغاية المثلى ما لم يضـع نصـب عينيه المصـادر الإسـماعيلية ... ، وهذه المصـادر كانت

---

(1) عماد الدين القرشي ، زهر المعاني : 212-213 .

(2) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت728هـ/1327م) ، بيان تلبيس الجهمية في تأسـيس بدعهم الكلامية ، ط1 ، تح : محمد بن عبد الرحمن قاسـم ، دار النشـر دار الحكومة ، مكة المكرمة ، 1972م : 374/1 ، ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبو بكر بن أيوب بن سعد الزرعي (ت751هـ/1350م) ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ط3 ، تح : د. علي بن محمد الدخيل ، دار النشر دار العصمة ، الرياض ، 1998م : 1075/3 .

(3) ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت728هـ/1327م) ، بغية المرتاد في الرد على المتفلسـفة والقرامطة والباطنية ، ط1 ، تح : د. موسـى سـليمان الدوش ، دار النش مكتبة العلوم والحكم ، د.ت ، 1987م : 329 .

(4) Ivanew Valadimis , The Riss if the fatimida , Calcuta , 1942 , p : 252 .

مفقودة وبعيدة عن متناول أيدي الباحثين وان ظهورها من كهف تقيتها لم يتعد سـنين معدودة ولعل هذا هو عذر الباحثين الذين لم يقدر لهم الإطلاع عليها والتعمق في دراستها ومقابلة نصوصها الفلسفية بنصوص أخرى من كتب الإسماعيلية"[1] .

ان نظرة سريعة في كتب ورسائل الإسماعيلية ودعاتهم[2] توصل القارئ إلى ما ذهب إليه تامر ، ويبرهن في مرجعية رسائل أخوان الصفا إلى الإسماعيلية بالربط بين عدد تلك الرسائل البالغ (52) رسالة وعدد حروف اسم مؤلفها[*] . في حساب الجُمل علماً ان تامر أرجع زمن تلك الرسائل إلى الإمام عبد الله بن محمد بن إسماعيل وليس

(1) تامر ، عارف ، حقيقة رسائل أخوان الصفا ، المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين ، بيروت، 1957م : 14 .

(2) للإطلاع على الموضوع بصورة أدق . ينظر : الكرماني ، مجموعة رسائل الكرماني ، رسالة النظم في مقابلة العوالم بعضها بعضا ، وانظر كذلك الرسالة الرضية في الجواب على من يقول بقدم الجوهر وحدوث الصورة : 25-43 . وكذلك حجة العراقين ، الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، الفصل الحادي عشر في تفسير مجلة الكلام على الطبيعات وما يوجد ذكره في الكتب التي هي من أقسام العبادة العلمية : 105 وما بعدها . وينظر كذلك : رسائل الإسماعيلية والتي حققها د. عارف تامر مثل كتاب ثلاث رسائل إسماعيلية ، وأربع رسائل إسماعيلية ، وخمس رسائل إسماعيلية ، وهي تتشابه في محتواها وصياغتها مع رسائل أخوان الصفا إلى حد بعيد وهو ما توصل إليه تامر في الأصول والجذور المشتركة لتلك المؤلفات والرسائل .

(*) جعل الأعداد وما يقابلها على طريقة الإسماعيلية في استخدامهم الرموز والأعداد بالكتابة بهذه الصورة :

ع ب د أ ل ل ل هـ ب ن م ح م د = عبد الله بن محمد

52 = 4 4 8 4 5 2 5 3 3 3 1 4 2 7

ويبدو انها محاولة توفيقية أكثر مما لها صلة بواقع تلك الرسائل حتى وان سلمنا بما ذهب إليه الأستاذ تامر وهو ما سنأتي على مناقشته ، وإثباته .

لولده الإمام أحمد ، وان الإمام أحمد هو من قام بإنجاز باقي الرسـائل مضـيفاً إليها رسالة (الجامعة)[*] التي هي لب تلك الرسائل وقلبها وثمرتها[1] .

لكن ذلك التفسير من الباحث تامر يوقعه في تناقض واضـح للعيان ، فهو من جهة يقر ان الرسـائل لم تنجز في عصـر الإمام عبد الله واكتملت في عهد أبنه الإمام أحمد فكيف نبرهن على المسـاواة بين عدد أحرف اسـم الإمام عبد الله وبين عدد تلك الرسائل البالغ (52) رسالة بصيغة الأعداد والأرقام السرية التي سبق الإشارة إليها . لكن هناك رأي أخر أشار إلى ان زعيم جماعة أخوان الصفا هو الكرماني المتوفي بعد سنة (411هـ/1020م)[2] ، مستدلاً في ذلك إلى إشارات وردت في بعض مؤلفات الكرماني ورسـائل أخوان الصـفا ، وهو رأي قابل للنقض إذا ما أخذنا بالرأي القائل ان الإمام أحمد أو غيره ممن سـبق الكرماني كان واضـعاً لتلك الرسـائل ، وان الكرماني اقتبس منه وهو أحد دعاة الإسماعيلية .

اما من أشار إلى نسبة رسائل أخوان الصفا إلى الإمام عبد الله بن محمد ، فقد ذهب إلى ان من ساعدها فيها هو داعي الإسماعيلية وحجتهم عبد الله بن ميمون القداح "والمعروف بقداح الحكمة وزيد الهداية ، وانهُ مع الإمام عبد الله اجتمع مع غيره من الدعاة وصنفوا رسائل طويلة في شتى العلوم والفنون عددها اثنتان وخمسون رسالة"[3] .

(*) والمقصود كتاب جامعة الجامعة وسنأتي على ذكره .

(1) تامر ، حقيقة رسـائل أخوان الصـفا ، العوا ، وعادل ، حقيقة أخوان الصـفا ، ط1 ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1993م : 57 وما بعدها .

(2) راحة العقل ، المقدمة : 23 ، 28-29 .

(3) ابو المعالي ، رسالة الأصول والأحكام ، ضمن كتاب خمس رسائل إسماعيلية : 121 ، ابن حيون ، القاضـي النعمان بن محمد أبو حنيفة بن أبو عبد الله بن محمد بن منصـور بن أحمد التميمي المغربي (ت363هـ/973م) ، الرسالة المذهبة، ضمن كتاب خمس رسائل إسماعيلية: 72.

ان الجزم برأي قاطع أمام ما استعرضناه من أقوال في تاريخ ظهور رسائل أخوان الصفا يكاد يكون أمراً صعب المنال حتى تظهر دراسات تكشف عن جديد في هذا فلقد تعددت الآراء في ذلك واشتبكت الأقوال وكلٌ لهُ في ذلك معطيات وآراء استقاها من روايات وأقاويل تعددت وتباينت[1] ، ومثلما تعددت الافتراضات في زمن تصنيف تلك الرسائل وتعددت آراء المؤرخين وأقوال الباحثين في هوية تلك الرسائل ومصنفيها[2] . وهو ما أشار إليه القفطي بالقول "ولما كتم مصنفوها أسماءهم اختلف الناس في الذي وضعها فكل قوم قالوا قولاً بطريق الحدس والتخمين فقوم قالوا هي من كلام بعض الأئمة من نسل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه واختلفوا في اسم الإمام الواضع لها اختلافاً لا يثبت لهُ حقيقة"[3] .

---

(1) حول ذلك الموضوع وتفاصيله . ينظر : سعيد ، خير الله ، النظام الداخلي لحركة أخوان الصفا ، ط1، تقديم : هادي العلوي ، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ، 1993م : 9 وما بعدها .

(2) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 341/19 ، ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح عبد الرحمن الشافعي (ت643هـ/1245م) ، طبقات الفقهاء الشافعية ، ط1 ، تح : محيي الدين علي نجيب ، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م : 256/1 ، سبط ابن العجمي ، إبراهيم بن محمد بن خليل برهان الدين الحلبي (ت814هـ/1411م) ، الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ، ط1 ، تح : صبحي السامرائي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، 1987م : 242 ، معصوم ، د.فؤاد ، أخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم ، ط1 ، الناشر دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 1998م : 58 وما بعدها .

(3) القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت646هـ/1248م) ، كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ط1 ، عني بتصحيحه : محمد أمين الخانجي الكتبي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1908م : 58 وما بعدها .

وقد فصل القول في تلك الاضطرابات التي وقعت في تلك الرسائل عارف تامر في مقدمة كتابه جامعة الجامعة[1] .

ان ما أوردناه يكفي على الأرجح حول الأصـول الإسـماعيلية لتلك الرسـائل ، سـواء في أقوال دعاة الإسـماعيلية أو في أقوال أعدائهم وتجنباً للاطالة نكتفي بإشـارة المستشرق جولد تسهير الذي نسب تلك الرسائل إلى الإسماعيلية وكانت حجته في ذلك نظرية الفيض الأفلاطونية – والتي سـبق ان أشـرنا إليها – وان تلك النظرية هي التي بنت عليها جماعة أخوان الصفا فلسفتها الدينية[2].

ويبدو الاختلاف في المكان الذي تأسـس فيه تلك الجمعية أمراً جلياً للقارئ فبعدما ذكرنا ما قيل حول الإمام عبد الله أو الإمام أحمد في تأليفه لهما نجد اختلافاً في رواية أخرى حول المكان الذي كتبت به إذ تذكر تلك الروايات ان "أخوان الصفا جماعة سـرية نشـأت بالبصـرة ولها فروع في أكثر البلاد أسـسـها زيد بن رفاعة[*] الذي أقام بالبصرة وصادف فيهم جماعة جامعين لأصناف العلم وأنواع الصناعة منهم أبو سليمان

---

(1) اخوان الصفا جامعة الجامعة ، تح وتقديم : د. عارف تامر ، ط2 ، منشورات دار مكتبة الحياة للطباعة والنشـر ، بيروت ، د.ت ، المقدمة : 11 وما بعدها ، وحول تفاصـيل منشـأ الحركة وبواكيرها الأولى ينظر : الشمالي ، عبيدة ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وأثار رجالها ، ط3 ، مطبعة النسر ، بيروت ، 1960م : 251–252 .

(2) جولد تسهير ، العقيدة والشريعة : 213 .

(*) زيد بن رفاعة : أبو الخير حدث ببلاد الجبال وخراسـان ، وذُكر انه كان بالري وكان يتولى العمالة لمحمد بن عمر العلوي على بعض النواحي ، ولم يُعرف بشـيء من العلم ولاسـماع الحديث وكان يُذكر انه يذهب مذهب الفلاسـفة ، واختلفت في نسـبه الأقوال فمنهم من قال انهُ هاشمي ومنهم من نفى عنه هذا النسب . ينظر : الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت463هـ/1070م) ، تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت : 450/8 . الذهبي ، شـمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ/1347م) ، ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ط1 ، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995م : 152/3 .

البستي[*] (المقدسي) وأبو الحسن الزنجاتي[**] وأبو أحمد المهرجاني[***] .. وغيرهم ، عصابة تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة ... فوظفوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قربوا به [الطريق] إلى الفوز برضوان الله ... وذلك انهم قالوا : الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة ، [وذلك] لأنها حاوية للحكمة الاعتقادية ، والمصلحة الاجتهادية ... وظفوا خمسين رسالة في جميع أجزاء الفلسفة علميها وعمليها ، وأفردوا لها فهرستاً وسموها رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا ، وكتموا أسماءهم ، وبثوها في الوراقين ، ولقنوها الناس وادعوا أنهم ما فعلوا ذلك

(*) أبو سليمان البستي (المقدسي) : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي من ولد زيد بن الخطاب أبو سليمان البستي نسبة إلى مدينة بست من بلاد كابل كان محدثاً فقيهاً أديباً لغوياً أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الزاهد وآخرون ، كانوا من علماء العراق وكان حجة صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز وجال في خراسان وخرج إلى بلاد ما وراء النهر ولد سنة (319هـ/931م) وتوفي سنة (388هـ998م) . ينظر : الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله شهاب الدين (ت626هـ/1228م) ، إرشاد الاريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م : 251/3 .

(**) أبو الحسن الزنجاني : علي بن سهل أبو الحسن كان من أهل قزوين ، وذكر انهُ ممن روي الحديث . ينظر : القزويني ، عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت622هـ/1225م) ، التدوين في اخبار قزوين ، تح : عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1987م: 494/3.

(***) لم أجد لهُ ترجمة . وفي الحقيقة ان ترجمة أولئك الأشخاص فيها الكثير من اللبس والاضطراب وهو ما أشار إليه مروة في النزعات إذ يقول ان التوحيدي هو من ذكر هؤلاء الرجال دون غيرهُ ثم يستشهد برأي أخر لبروكلمان يشير فيه إلى تعريف البستي الذي ذكرناه علماً ان المصادر التاريخية لم تشر إلى البستي كونه مؤلفاً لرسائل أخوان الصفا أو مشاركاً في تأليفها . ينظر : مروة ، النزعات المادية ، 271/3–272 . وقد حاولنا الحصول على ترجمة للزنجاني الذي أشرنا إليه بحسب ما توفر بين أيدينا من مصادر ، أما أبو أحمد المهرجاني ، فيبدو البحث عن شخصه أكثر صعوبة رغم تردد اسم مقارب لأسمه في بعض كتب السنن .

إلا ابتغاء وجه الله عز وجل وطلب رضـوانه ليخلصـوا الناس من الآراء الفاسـدة التي تضر النفوس"[1] .

وكانت غايتهم على قول المجيء التوفيق بين الفلسفة اليونانية والشريعة فزعموا "انهُ متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية حصل الكمال"[2] .

ان مقارنة سريعة بين آراء الإسماعيلية والآراء الأخيرة التي ذكرناها توصلنا إلى استنتاج مفادهُ ان واضـع تلك الرسـائل كان يبغي اللحاق بمتغيرات ذلك العصـر الذي أثرت فيه حركة الترجمة ونشاط الفلسفة .

وأغلب الظن ان تاريخ رسـائل أخوان الصـفا قد يعود بجذوره الأولى إلى الإمام الصـادق υ ، وان لم تكن قد ظهر بشكل الرسـائل وصـياغتها بشكلها النهائي، أي ان اللبنات الأولى صيغت على يد الإمام الصادق υ وان لم يكن قد كتبها هو بنفسه ، وان واضعها استخرج الكثير من آراء الإمام الصادق υ وأفاد منها في وضع تلك الرسائل[3] ، وهو ما اقترب منه مروة دون ان يذكر ذلك إذ قال ان العلاقة واضـحة بين المبادئ الفلسفية التي تأسس عليها جماعة أخوان الصـفا وأصـول التنظيم المتبعة لدى جماعة الإسـماعيلية وأصـولهم التنظيمية ، "ولكننا نجد مجالاً للقول بان هذه العلاقة لا تبلغ

---

(1) التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت بين 360هـ/970م و400هـ/1009م) ، الإمتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه : أحمد أمين وأحمد الزين ، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1953م : 5/2 ، الصـفدي ، الوافي بالوفيات : 31/15 ، إسـماعيل ، د. محمود ، أخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، ط1 ، عامر للطباعة والنشر ، مصر ، 1996م : 43 .

(2) التوحيدي، الامتاع والمؤانسة: 5/2، المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : 8/4 .

(3) مجموعة من المستشرقين ، الإمام الصادق في نظر علماء الغرب ، نقله إلى العربية د. نور الدين آل علي ، وراجعه : الأستاذ وديع فلسطين ، دار الفاضل للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، 1995م ، ينظر : ص31 عنوان الإمام الصـادق وتشـعب علومه ومعارفه ومعرفته باللغات والعلوم، والكيمياء ونشأة الكون ونظرية الضوء وغيرها ، ثم قارن ما ورد في رسائل أخوان الصفا ، وكذلك ينظر : العبد ، عبد اللطيف ، الإنسان عند أخوان الصفا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى جامعة القاهرة ، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ، 1972م : 11 ، الفاخوري والجر ، حنا وخليل ، تاريخ الفلسـفة العربية ، ط3 ، دار الجيل ، بيروت ، 1993م : 225/1-226 .

درجة التماثل الكامل بإذ لا يصح النظر إلى "الجماعة" كأنها تنظيم إسماعيلي صرفاً – فقد كان للإسماعيلية وجود سبق وجود أخوان الصفا بزمن طويل ، وكان لها تنظيم متقدم يعمل بنشاط ودقة ودأب منذ ذلك الزمن"[1] .

فلا نستبعد بعد ذلك ان المراحل الأولى التي سبقت تنظيم الإسماعيلية لأنفسهم بصورة دقيقة هي التي كانت تصاغ فيها أوليات تلك الرسائل .

أما الرسالة الجامعة فهي "منتهى الغرض وأقصى المبدأ ، ونهاية القصد ، وغاية المراد ، ولله الحمد والمنة والحول والقوة ... وقصرها [يقصد مؤلفها] على خلصاء شيعته ، وخيرة خاصته"[2] .

يبقى الشك في كل تلك الأقوال أمراً مقبولاً لكل ما يقارب الحقيقة ان نسبة الرسائل إلى الإسماعيلية تكاد تكون هي النصيب الأوفر من الاعتقاد ويرى الأستاذ معصوم ، ان رسائل أخوان الصفا لا تعود إلى الإسماعيلية مستنداً في رأيه إلى عبارات وردت في الرسائل تتنافى مع الأساس الذي صنفت من أجله تلك الرسائل من جهة ، وإلى تضارب أقوال مؤرخي الإسماعيلية بخصوص الرسائل من جهة أخرى[3] . وانا أميل إلى مخالفته ، وهذا أمر قد أوضحناه – من ناحية ما ورد في مضمون الرسائل – وله علاقة بالأساس بطبيعة المرحلة التي كان يسودها الكتمان والسرية[4] . وقد فات الأستاذ معصوم قول أخوان الصفا في سريتهم وكتمانهم إذ يقولون "ان لنا كتباً لا يقف على قراءتها غيرنا ولا يطلع على حقائقها سوانا ، ولا يعلمها الناس إلا من قبلنا ولا

---

(1) مروة ، النزعات المادية : 274/3 .

(2) عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 389–390 .

(3) د. فؤاد معصوم ، أخوان الصفا : 48 .

(4) أخوان الصفا ، رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا ، دار صادر ، بيروت ، د.ت : م215/4، العلوم الناموسية الإلهية والشرعية الدينية ، الدسوقي ، عمر ، أخوان الصفا ، مطبعة دار المعارف، القاهرة، 1947م: 42 ، إسماعيل، أخوان الصفا رواد التنوير : 50 .

يتعلم قراءتها إلا من علمناه ، ولا يعرف صـــور حروفها إلا من عرفناه ، ... وقد أقمنا لكل طبقة من طبقات طوائف الأمة ، الذين عمتهم دعوة الأنبياء ، قوماً يدعونهم إلينا ، ويدلونهم علينا ، ويعرفونهم بقدومنا ، ويعدونهم بظهور أمرنا ، وخروج مهدينا ، وقيام قائمنا ، وطلوع شمسنا ، وخروجنا من كهفنا"[1] ، ثم لاحظ ما ذكره عماد الدين القرشي حول الرسالة الجامعية وطبيعة سريتها فيقول "وقصرها على خلصاء شيعته ، وخيرة خاصته فلم يدع υ علماً من العلوم إلا وورد منه في رسائله"[2] .

ومن جانب أخر أشار إليه أحد الباحثين ، وهو ما سنراه مفيداً فيما ذهبنا إليه، مع ما سنوردهُ من نص غاية في الأهمية يقول د. مصطفى غالب ان أي كتاب أو رسالة يجب عرضها على الإمام حتى يوافق عليها وهو يستعرض بذلك مؤلفات القاضي النعمان ابن حيون ، وقد أشار بذلك النعمان نفسه ، وتلك القاعدة – أي عرض المؤلفات على الإمام حتى يعطي الموافقة كانت قاعدة متبعة لدى جميع أئمة الإسماعيليين "ولا تزال حتى الآن معمول بها . إذ لا يجوز لأي كاتب إسماعيلي ان ينشر نتاجه بدون ان يحصل على موافقة خطية مسبقة من إمام العصر الذي يعيش فيه الكاتب ولو فرضنا ان أحدهم نشر أي كتاب بدون ان يعرضه على إمام زمانه لأخذ الموافقة فان الاتباع يحجمون عن اقتنائه ، والعمل بما جاء فيه ويعتبرون كاتبه خارجاً على إرادة الإمام والمذهب"[3] .

---

(1) الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق "ع" ، الرسالة الجامعة ، ط2 ، تح: مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت : 1981م : 526/2.

(2) عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 390 .

(3) ابن حيون ، القاضي النعمان الحسين بن علي بن النعمان بن محمد (ت351هـ/962م) ، اختلاف أصول المذهب ، ط3 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م ، المقدمة : 11 .

والنص يفيد ان ما لا يوافق عليه الإمام من مؤلفات الإســـماعيلية لا يمكن ان يكون مرجعاً للقارئ الإسـماعيلي ، وهو ما سـنرى أثره في رسـائل أخوان الصـفا والتي كان زعماء الإسـماعيلية يطلعون عليها ويتداولونها . ذكر لنا الذهبي نصـاً يخص ذلك إذ يقول عن أحد زعماء الإســماعيلية وهو راشــد الدين(*) ســنان انهُ "خدم رؤوســاء الإســماعيلية بالالموت وراض نفســه بعلوم الفلســفة وقرأ من كتب الجدل والمغالطة ورسائل أخوان الصفا"(1) .

ان مقارنة مع ما ذكرناه تؤيد اطلاع زعماء الإســماعيلية على تلك الرســائل ، وهو ما يمكن عدهُ دليلاً يضــاف إلى جملة الأدلة التي نســتطيع القول معها مطمئنين إلى ان تاريخ وأسـماء تلك الجماعة التي صـنفت هذه الرسـائل وان كان مجهولاً حسـب رأي البعض إلا ان هويتها هوية إسماعيلية على الأرجح .

اما عن الأثر الذي تركته تلك الرســائل في المجتمع آنذاك ، فيذكر الداعي القرشــي ان الإمام أحمد υ "أمر ان تبث تلك الرســائل في المســاجد ، لتقوم بها على المخالفين للبراهين للشــواهد ، فحين وقع الناس عليها رفعت إلى المأمون فعلم انه(**) يصنع شيئاً ، وان ما رامه من قطع حبل الإمامة لا يكون"(2) .

وعن الأثر الذي تركته تلك الرسائل أيضاً يحدثنا أحد الباحثين فيقول "ولم يظهر بدر هذا الكتاب في أفق المعارف حتى تزاحم عليه الناس من جميع الطبقات والمذاهب وعنوا بقراءته والاعجاب به مدة طويلة من الزمان ولقد شــغفوا بمعرفة مؤلفيه لكونهم كتموا أســماءهم فزاد بذلك فضــل الكتاب واهتمام الباحثين حتى بلغ صــيته المشــارق

(*) راجع ص371 وما بعدها من الدراسة .

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 330/41 .

(**) يعرض بذلك لأن الإسـماعيلية تعتقد ان سـبب وضـع تلك الرسـائل خوفاً من طغيان الفلسـفة اليونانية على الشريعة كما أشرنا إليه من قبل .

(2) عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 390 .

والمغارب ، وتنبه إليه العلماء وقدروه حق قدره"[1] ، وقد دخلت تلك الرسائل إلى الأندلس وكان أول من أدخلها إلى هناك أبو الحكم الكرماني وهو من أهل قرطبة من الراسخين في علم العدد والهندسة[2] .

المبحث الثالث

ظهور الخلافة الفاطمية وصلتها بالحشاشين

- سير الدعوة وظهور القرامطة :

---

(1) زكي ، أحمد ، موسوعة العلوم العربية وبحث رسائل أخوان الصفا ، ط1 ، المطبعة الأميرية ببولاق ، مصر ، 1860م : 66-67 .

(2) الصفدي، الوافي بالوفيات : 311/22 ، المقري التلمساني ، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح : د. احسان عباس ، دار النشر دار صادر ، بيروت ، 1968م : 376/3 .

أدى الإمام أحمد دوراً مهماً في ســـير الدعوة ، وما ان توفي حتى جاء بعدهُ الإمام الحسين بن احمد بن عبد الله ، وهو عاشر الأئمة من نسل جده الإمام علي υ[1] . وفي عهده "أقام الدعوة ونشـــرها وبث العلوم لشـــيعته وأظهرها ، وأقام الدلائل وأبان الرسائل ، وبث دعاته في الأقطار ، وأقام دين الحق لذوي الاستبصار فانتشرت دعوته ودعاته وكثر المستجيبين لهُ ، وظهرت في الآفاق آياته ، وبشر بظهور المهدي ودنو أيامه"[2] .

ويبدو ان الدعوة ونشـــاطها كان بارزاً في عهد الإمام أحمد أكثر من أي وقت مضى ، وهو ما يظهر واضحاً من خلال تأليف الرسائل من جهة ومن جهة أخرى فأن ولده الإمام الحسين كان قد جنى ثمار ذلك النشاط وهو ما يمكن استنتاجه من خلال ذلك النص ، كما ان الضعف كان قد دب في جسد الدولة العباسية بتحكم الأتراك من جهة وعدم ظهور خلفاء أقوياء من جهة أخرى[3] .

كان الإمام أحمد قد عاصــر حركة الخرمية ، واســتطاع ان يكسـب إلى جانبه فلولها التي هُزمت أمام جيوش العباسيين وهو ما دعا بعض المؤرخين خطأً لأن يجعل أصول الخرمية والإسماعيلية واحدة[4] . وهو أمر لا صحة لهُ وإنما كان بسبب حسن

---

(1) تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 132/1-133 .

(2) عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 395 ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تح : نبيلة عبد المنعم داود ، طبعه مطبعة النجف الأشـــرف ، 1972م : 298/4-299 .

(3) تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 133/1 ، حول ذلك الموضوع وللاستزادة ينظر : ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي أبو جعفر (ت709هـــــ/1309م) ، الفخري في الآداب الســـلطانية والدول الإســـلامية ، عني بنشـــره : د. محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، د.ت : 98 وما بعدها .

(4) الشهرستاني ، الملل والنحل : 179/1 ، ابن تيمية ، بيان تلبيس الجهمية : 374/1 ، اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـــ/1366م) ، مرآة الجنان وعبرة

سـياسـة الدعوة الإسـماعيلية التي جذبت لها الآخرين من الذين وجدوا فيها خطأً مناوئاً للعباسيين .

يبدو ان اتخاذ مدينة سلمية قاعدة للأئمة الإسماعيلية وحججهم قد حول الشرق الأدنى وبلاد المغرب حسب أحد الباحثين إلى معسكرات إسماعيلية[1] ، على الرغم من صـعوبة التثبت في المعلومات في تلك المدة إذ يبدو على أخبار تلك الفترة الوقوع في الخطأ وعدم الدقة وهذا بالطبع من شدة السرية والكتمان مضافاً إلى ملاحقة العباسيين وعلى أية حال فما أن شـعر الإمام الحسـين بدنو أجله حتى جعل أخاه سـعيد الخير وصـيا على أبنه عبيد الله ، ويبدو ان سـعيد أراد ان يجعل الإمامة لأبنائه ، ويشـير الإسـماعيلية في بعض رواياتهم ان الله سـبحانه وتعالى لم يشـأ ان يحرم ذا الحق حقه فتوفي جميع أبناء سعيد عندها رجعت الإمامة إلى صاحبها وفي ذلك يقول شاعرهم:

الله أعطاك التي لا نفرقها وكم أرادوا صرفها وعوقها

عنك ويأبى الله إلا سوقها إليك حتى طوقوك طوقها[2]

اليقظان ، دار النشـر دار الكتاب الإسـلامي ، القاهرة ، 1993م : 4/3 . وقد نسـب اليافعي الفـاطميين إلى الخرميـة ويبـدو ان هـذا الأمر هو من تخبط المؤرخين ومحـاولتهم الطعن بالإسماعيلية وهي إشارة ربما تؤكد النجاحات التي حققتها آنذاك الإسماعيلية . راجع كذلك ابن العماد العكبري ، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح الدمشـقي (ت1089هـ/1678م)، شـذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط1 ، تح : عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، 1985م : 44/2 .

(1) حسن إبراهيم حسن ، عبيد الله المهدي : 47 .

(2) ابن حيون ، أفتتاح الدعوة : 16 ، عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 403 .

اكتنفت فترة الإمام الإسماعيلي الحسين الغموض الشديد ، رغم النجاحات التي حققتها الدعوة وعلى الرغم من ذلك فقد وصلت دعوتهم إلى بغداد كان من دعاتهم هناك من أولاد القداح أبو الشلغلغ(*)(1) .

وان نجاح الدعوة في الغالب يقابله دائماً التحري عن الدعاة والتنكيل بهم وهو ما رأيناه في تنقل الأئمة الدائم والمستمر(2) .

ويبدو ان تلك المرحلة زادت من معرفة الدعاة بمجمل العقائد والأديان الأخرى فقد كانوا على حد قول أحد الباحثين من التخفي والكتمان "كانوا سنيين مع أهل السنة وشيعيين مع الشيعة ومسيحيين مع المسيحية لأن نظام الدعوة كان يفرض على العالم الإسماعيلي ان يكون عارفاً بكل عقائد الفرق التي تعيش في عصره ملماً بقواعدها ونظمها وفروعها وبذلك أنظم إليه آلاف مؤلفة من الناس"(3) . وكانت مراسلات الدعاة باليمن والمغرب مستمرة(4) ، وكان أبرز دعاة اليمن هو ابن حوشب الذي استطاع إقامة أول دولة إسماعيلية بفضل نشاطه وذكائه ، وقد استطاع تحقيق حلم الإمام الحسين في إقامة دول تقام فيها الدعوة لأول مرة للإمام ولولده المهدي وكان ذلك في نهاية سنة

(*) هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان ، وهو مؤدب بآداب الملوك ، وكان الذين قدحوا بنسب عبيد الله المهدي أدعوا ان عبيد الله هو من نسب أبو الشلغلغ ، وكان أبو الشلغلغ من دعاة محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق υ ، العلوي ، علي بن محمد بن علي بن محمد (ت709هـ/1309م) ، المجدي في أنساب الطالبين ، ط1، تح : د. أحمد المهداوي الدامغاني وآخرون ، مكتبة آية الله المرعشي ، إيران ، 1988م : 101 .

(1) ابن حيون ، افتتاح الدعوة : 16 ، ابن الأثير ، الكامل : 453/6 .

(2) ينظر في ذلك : عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 394 ، حسين ، محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية : 17 و19 .

(3) الأعظمي ، محمد حسن ، عبقرية الفاطميين أضواء على الفكر والتاريخ الفاطميين ، منشورات دار مكتبة الحياة ، مصر ، د.ت : 18 ، المقدمة بقلم د. عارف تامر .

(4) الأعظمي ، عبقرية الفاطميين : 18 ، حسين ، طائفة الإسماعيلية : 17-19 .

293هـ/905م[1] ، وما ان توفي الإمام الحسين حتى جاء بعدهُ ولده عبيد الله المهدي وكانت وفاته في مدينة عسر مكرم وليس في سلمية وذلك لسببين حسبما ذكر أولهما "لأنه خرج من سلمية حين قربت القرامطة وظهر بغيهم في الأرض واستولوا على الشام وكثرت طلبة آل العباس للإمام فخرج من محله ومقام أهله مستتراً وكانت وفاته وقبره بعسكر مكرم"[2] .

وهنا يظهر دور القرامطة الذين نسبوا إلى الإسماعيلية[3] ، وان البعض قال عن حمدان قرمط انهُ أحد تلامذة الدعوة الإسماعيلية ، وتسوق الروايات خبراً عن خروج الإمام عبيد الله المهدي من دور الستر ، بعد ان بقي مستتراً ومتظاهراً بانه يعود إلى العباسيين بنسبه ، وكان يظهر للمتواجدين بسلمية من الهاشميين ذلك ، ولكن هذا الأمر أثار شكوك أحد ولاة المدينة ، وكان من الأتراك فتتبع شخص الإمام والسؤال عنه ، وهو الأمر الذي جعل عبيد الله المهدي يتوجس ريبةً من هذا الوالي فكتب الإمام إلى دعاته في بغداد للعمل على عزله ونجحوا في مهمتهم ولكن الوالي ما ان وصل إلى بغداد حتى علم الخليفة العباسي بحقيقة الإمام الموجود بسلمية[4] .

ولو أخذنا بصحة هذه الرواية فاننا نقف على جملة أمور منها ان ما دفع الإمام عبيد الله للخروج بعد ان كشف أمره وهو ما سنشير إليه – الكشف عن سرية شخصيته

---

(1) ينظر : القصير ، ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن : 66 ، راجع للاستزادة ابن حيون ، شرح الأخبار : 313/3 .

(2) عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار ، السبع الرابع : 403-404 ، حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 42 .

(3) ابن عذارى المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن عذارى الأندلسي (ت حدود 695هـ/1295م) ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط3 ، تح ومراجعة : ج.س. كولان ، و إ.ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م : 158/1-159 .

(4) اليماني ، سيرة الحاجب جعفر بن علي ، كتاب منشور داخل مجلة الموسم ، العدد 69-70: 190-191 .

من جهة ومن جهة فان الرواية توحي بإشارة مهمة جداً وهي تبين وصول الإسماعيلية ودعاتهم إلى التأثير على مراكز القرار في الخلافة العباسية ، كما أنها تشير إلى الحذر والترقب الشديدين للإمام عبيد الله المهدي ، ثم ما لبث ان وصل الخبر إلى عبيد الله المهدي على جناح الطير[1] – وهي إشارة لاستخدام الحمام الزاجل وهو ما سنأتي على الإشارة له – وهنا يظهر بوضوح دور القرامطة في خروج الإمام من دور الستر ، مضافاً إليها عوامل نجاح الدعاة وانتصاراتهم التي أثبتت نجاحاً منقطع النظير بحسب الروايات[2] .

ان الدور الذي أداه القرامطة في خروج الإمام من الستر وانتقال الأمر إلى تشكيل الخلافة الفاطمية على أثرها . يتضح من خروج رجل بالشام في عام (289هـ901م) يزعم أنهُ قرمطي[3] ، فلم يشك الخليفة العباسي في انهُ خرج يدعو للإمام الإسماعيلي خاصة وانهُ سار يريد سلمية فأمر الخليفة الوالي التركي بالتوجه إلى سلمية وان يسبق القرمطي ليقبض على الإمام فكتب الدعاة ببغداد إلى الإمام ليتدبر أمره فأعد العدة للخروج من سلمية[4] .

---

(1) عماد الدين القرشي ، إدريس (ت872هـ/1467م) ، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار) ، ط1 ، تح : محمد البعلاوي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985م : 148 .

(2) حول نجاحات الدعوة في ذلك الوقت وانتصاراتها ينظر للاستزادة : ابن حيون ، افتتاح الدعوة : 16 وما بعدها ، ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب : 134/1 وما بعدها ، القصير ، ابن حوشب والحركة الفاطمية : 65 وما بعدها .

(3) اليماني ، سيرة الحاجب : 190-191 .

(4) المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت346هـ/957م) ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، عني بتحقيقها وتصحيحها : شارل بلا ، طبعة بريه دي منار وبافيه دي كرتاي ، بيروت ، 1970م : 92/5 ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق : 107/4 .

ويشـــير بعض الباحثين إلى ان خروج القرامطة وابتداء حركتهم في الشـــام هي التي كشـفت الإمام المسـتتر للعباسـيين وان حركتهم كانت البداية لطور جديد في حياة الدعوة الإسماعيلية بعد بقائها مستترة لقرن من الزمان[1] .

وفي الحقيقة ان ذلك الرأي يبقى وارد الاحتمال في ضـــوء المعطيات التاريخية، التي اســـتند إليها الباحثون وتغافلوا عن دور الوالي التركي الذي كاد ان يوقع بالإمام المستتر ، ويشير الأستاذ حسن إبراهيم لأمر مهم لهُ علاقة بما نشير إليه إذ يقول عن تلك المدة "كانت الفترة التي تخللت سـنتي 288 و296هـــ (901-928م) فترة جهاد مستتر سلك فيها أبو عبد الله سياسـة الحزم والعزم"[2] ، وهو ما أثار خلفاء العباسيين بعد النجاحات التي تحققت .

وفي الوقت ذاته أشـــار ابن عريب إلى ان أبا عبد الله كان قد دعا الإمام عبيد الله المهدي للحضـور إلى أفريقية[3] واستطاع ان يفلح في الخروج من سلمية ومن معه من أتباعه وكان ذلك بسـبب عيون أعوانه الموجودين والذين حذروا من انكشـاف أمر الإمام المستور للخليفة المقتدر العباسي (295هـ/907م-320هـ/932م) والذي أمر بإلقاء القبض على الإمام الإسـماعيلي[4] ، وفي تلك الأثناء يشـير صـاحب سـيرة الحاجب إلى عدم وجود علاقة بين القرامطة والإسـماعيلية وإمامهم إذ يقول "وسـبقت كتب الدعاة إلى سـلمية قبل التركي ... ولم يكن والله بيننا وبين القرمطي عقد ولا لنا في عنقه ولا نعرفه ولا يعرفنا ، قال وقرب القرمطي والتركي جميعاً"[5].

---

(1) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 241 ، سيد ، الدولة الفاطمية : 115 .

(2) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 46 .

(3) عريب القرطبي ، عريب بن سعد (ت369هـ/979م) ، صلة تاريخ الطبري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ت : 36 .

(4) ابن حيون ، افتتاح الدعوة : 99 ، حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 82 .

(5) اليماني ، سيرة الحاجب : 191 .

ويبدو ان المسـير أحيط بالكتمان والسـرية العاليتين حتى ان الوجهة أخفيت عن الدعاة المرافقين للإمام "فسـرنا مع المهدي (ع م) لا نشـك ان إلى اليمن سـيرنا"[1] ، وكان ذلك بتمويه من الإمام عبيد الله "وكان الإمام قد أظهر لأصحابه انهُ يريد اليمن"[2] . وكانت انتصارات ابن حوشب تصل بشارات في النجاح بتأسيس أول دولة إسماعيلية باليمن كما مر ذكره[3] ، لكن الموروث الإسماعيلي على ما يبدو كان لهُ دورهُ في الدفع بالإمام للتوجه إلى بلاد المغرب "المهدي بن ولد فاطمة يظهر من جهة الغرب فيملأ الأرض عدلاً"[4] "تطلع الشمس من مغربها على رأس الثلثمائة[*]"[5] .

---

(1) اليماني ، سيرة الحاجب : 191 .

(2) عماد الدين القرشي ، السبع الخامس : 92 .

(3) غاية المواليد ، ضـمن كتابة ايفانوف المنتخب من بعض الكتب الإسـماعيلية : 52-53 ، الهمذاني ، حسـين بن فيض الله الهمذاني اليعربي الحرازي بالاشـتراك مع د. حسـن سـليمان محمود الجهني ، الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن (من سنة 268هـ/881م إلى سنة 626هـ/1228م)، ط3 ، شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986م : 38 .

(4) ابن حيون ، القاضـي النعمان بن محمد أبو حنيفة التميمي المغربي (ت363هـ/973) ، المناقب والمثالب ، ط1 ، تح : ماجد بن أحمد العطية ، مؤسـسـة الأعلى للمطبوعات ، بيروت ، 2002م : 392 ، ابن حيون ، شرح الأخبار : 418/3 .

(*) ورد هذا الحديث في أغب كتب الأحاديث دون عبارة "على رأس الثلثمائة" والتي وجدت عند ابن حيون فقط وهو من كتاب الإسـماعيلية ويبدو انها أضـيفت فيما بعد وفقاً لما حدث ، وتماشـياً مع ما حدث على أرض الواقع ، وان الحديث الذي أشارت إليه كتب الحديث كان يخص خروج الشمس كعلامة من علامات يوم القيامة . ينظر : البخاري ، محمد بن إسـماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت256هـ/869م) ، الجامع الصحيح المختصر ، ط3 ، تح: د. مصطفى ديب البغا ، دار النشر دار ابن كثير ، اليمامة وبيروت ، 1987م : 1697/4 و2386/5 ، النيسـابوري ، مسـلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري (ت261هـ/874م) ، صحيح مسلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشر دار احياء التراث ، بيروت ، د.ت : 2225/4 ، ابن ماجة ، محمد بن يزيد الربعي القزويني أبو عبد الله (ت273هـ/886م) ، سـنن ابن ماجة ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت، د.ت : 1352/2 .

(5) ابن حيون ، المناقب والمثالب : 392 .

وحسب تأويلاتها الباطنية فقد شرح ذلك الحديث بالآتي "فذهب الناس إلى انها شمس السماء ، فلم يكن ذلك مع صحة الحديث واشتهاره فعلم انه { ρ } أراد بالشمس ههنا المهدي الذي بشر به وأخبر انهُ يظهر من المغرب ، وهذا معروف في لسان العرب يسمون الرجل الشريف قمراً وشمساً[1] .

وعودة بالحديث إلى مسيرة الإمام ، بعد مداخلة نعتقد انها على علاقة مهمة لما نريد الوصول إليه ، إذ يذكر صاحب سيرة الحاجب نصاً أورد فيه ما آلت إليه الأمور في تلك الرحلة "قال وسرنا ونحن نحث حثاً عظيما حتى وصلنا إلى دمشق ودخل القرمطي بعدنا سلمية"[2] ، وبعد ذلك وبعد رحلة طويلة مضنية توضح فيها أثر العيون التي بثها الإسماعيلية في كل مكان ، ومع الإمام الأموال التي أفاد منها في التخلص من ولاة العباسيين بتقديم الهدايا لهم حتى وقع بيد أمير سلجماسة[3] .

تبدو الروايات حول حذر الإمام الإسماعيلي واضحة للعيان فيما نقله صاحب سيرة الحاجب ، فهو لم يتوانَ عن إخفاء معالم البيت الذي سكن فيه بسلمية ، وما فيه من أسرار أخفت معها السرداب الذي ذكرناه وأماكن حفظ الأموال الخاصة بالدعوة وكجانب احترازي لمحو تلك الآثار أرسل الإمام أحد دعاته وأوصاه بان يجمع غوغاء الناس والعوام وان يعطي لكل واحداً منهم فأساً "وفرق عليهم ما استطعت من الفؤوس وسبنا بكل ما تقدر عليه وأنسب إلينا كل قبيح وأحمل العامة على هدم دورنا" وكان ذلك لأجل إخفاء كل أسرار الدعوة المتمثلة ببناء أماكن لخزن الأموال[4] .

---

(1) ابن حيون ، المناقب والمثالب : 392-393 .

(2) اليماني ، سيرة الحاجب : 191 .

(3) ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 55/6 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 243/1.

(4) اليماني ، المصدر نفسه : 193 .

وصل أخيراً الإمام عبيد الله إلى المغرب، على الرغم من ان الروايات تضاربت(*) عن ذلك ، وما يهمنا نجاح الإمام عبيد الله في دخول مدينة رقادة(**) عام 296هـ/908م، وكان ذلك إيذاناً ببدء مرحلة جديدة في تاريخ الإسماعيلية تحولت فيها دعوتهم إلى طور الدولة التي عرفت بالدولة الفاطمية – الخلافة الفاطمية – ومنها وصلت إلى مصر .

اما القرامطة فقد كثرت فيهم الآراء والأقاويل حول علاقتهم بالإسماعيلية ، فما ذكرناه ان الإسماعيلية تبرأت من القرامطة ، لكن بعض الروايات تشير إلى الجذور المشتركة بين القرامطة والإسماعيلية[1] .

والإشارات التي بينت نوع المشتركات بين الطرفين إذ انشأ القرامطة مثلاً ما يعرف بنظام الألفة(***)[2] وقد أشار ماسينيون إلى اهتمام القرامطة بالطبقة العاملة ويربط نشوء الأصناف بالحركة الإسماعيلية القرمطية ، ويرى ماسينيون ان الطوائف

(*) ينظر في ذلك ، ابن الأثير ، الكامل : 445/6 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 45/4 ، الأمين، الإسماعيليون ونصير الدين : 252 وما بعدها .

(**) رقادة : على أربعة أميال من القيروان كانت مدينة كبيرة دورها أربعة وعشرون ألف ذراع وأربعون ذراعاً ، وكانت أكثر بلاد أفريقيا بساتين وفواكه ، وأعدلها هواءًا ، وأطيبها تربة ، وفيها كانت بيعة عبيد الله المهدي ، وقد خرجت فيما بعد وانتقل عنها الناس . ينظر : الحميري ، الروض المعطار : 271 .

(1) مجموعة مؤرخين أخبار القرامطة ، ط2 مزيدة ومنقحة ، جمع وتحقيق : د. سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1982م : 147/1 وما بعدها عنوان ابتداء ظهور الباطنية وهم القرامطة، ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي (ت597هـ/1200م) ، أخبار القرامطة ، تح : محمد الصباغ ، ط34 ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1970م : 12 وما بعدها .

(***) ذكر مصطفى غالب ان نظام الألفة استنبط من الوثائق السرية للحركة الإسماعيلية . ينظر : القرامطة بين المد والجزر ، ط1 ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1979م : 170 ، وفي ذلك إشارة إلى مشتركات في الجذور الفكرية ، ولا نستبعد ان الحشاشين فيما بعد استفادوا من ذلك النظام .

(2) ابن سنان ، إبراهيم بن ثابت بن قرة الحراني (ت335هـ/946م) ، تاريخ أخبار القرامطة، تح : د. سهيل زكار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1971م : 97-99 ، المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت845هـ/1441م) ، اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ط2، تح: د. جمال الدين الشيال، لجنة احياء التراث، القاهرة، 1996م : 157/1.

الإســـماعيلية هي التي أوجدت الأصـــناف ، ويســـوق أدلة في ذلك للربط بين اهتمام الإسماعيلية الكبير بأصحاب الحرف وتكريس أخوان الصفا – بوصفهم من الإسماعيلية – رسالة كاملة منه رسائلهم لدراسة الحرف اليدوية وتبويبها[*] وتبيان أهميتها[1] .

وتشير الأستاذة الشيخلي إلى ان العلاقة بين القرامطة والإسماعيلية تبقى رغم من ذلك غير مؤكدة[2] ، وننقل رأيا للباحث الدكتور مصطفى غالب وهو يصور العلاقة بين القرامطة والإســـماعيلية إذ يقول "ان القرامطة إســـماعيليون بكل ما في الكلمة من معنى ، آمنوا بالعقيدة الإســـماعيلية طريقاً للخلاص إلى مجتمع مثالي صـــحيح عن طريق الثورة الجذرية العارمة غير ان أحداثاً عديدة متشـــابكة تجمعت كلها فأحدثت صـدعاً في بنيان القرامطة ، وساقتهم إلى التمسك بمواقف تتغاير مع السياسة العليا التي اعتمدها الخلفاء الفاطميون ... حتى ناصبوا أئمتهم العداء"[3] .

وهو ما حصـــل فيما بعد للحشـــاشـــين إلى حد يكون تطابقاً في هذا الرأي ، والحشاشين فيما بعد انفصلوا عن الفاطميين وناصبوهم العداء على الرغم من أنهم من أصول واحدة .

على أية حال فقد انتهى بوصول الإمام الإسماعيلي عبيد الله إلى بلاد المغرب دور الستر ، والذي يُعد عهداً بلغه الغموض الكثير ، وبانكشاف أمر الإمام الإسماعيلي بدء عصر جديد من عصور الحركة الإسماعيلية .

(*) ينظر في ذلك الرسالة الثامنة من رسائل أخوان الصفا والتي سميت أو خصصت للصنايع العلمية ، الإمام أحمد بن عبد الله ، كتاب أخوان الصـــفا وخلان الوفا ، ط1 ، مطبعة نخبة الأخبار ، الهند ، 1887م : 2/25-38 .

(1) الشيخلي ، د. صباح إبراهيم سعيد ، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1976م : 50 .

(2) المصدر نفسه : 46 .

(3) غالب ، د. مصطفى ، أعلام الإسماعيلية ، دار اليقظة العربية ، للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1965م : 61 .

- الخلافة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب :

أفلح أبو عبد الله الشيعي ، وهو من دعاة الإسماعيلية في سلمية ، في تحقيق النجاحات الباهرة في بلاد المغرب ، وكانت فكرة المهدي الإسماعيلي قد سبقت أبو عبد الله مع رجلين أحدهما يعرف بالحلواني والآخر يعرف بابي سفيان وكان هؤلاء "قد انفذهما الشيعة وقالوا لهما ان العرب أرض بور فاذهبا وأحرثاها حتى يجيء صاحب البذر ، فسارا فنزل أحدهما بأرض كتامة ... فمالت قلوب أهل تلك النواحي إليهما وحملوا إليهما الأموال والتحف فأقاما سنين كثيرة وماتا وكان أحدهما قريب الوفاة من الآخر "[1] .

وبعد حروب طويلة استطاع الداعي أبو عبد الله ان يهزم الأغالبة وجيوشهم ، وان يهزم زيادة الله ابن محمد بن إبراهيم بن الأغلب فتوجه بأمواله ونسائه إلى مصر ومات هناك ، وهو أخر ملوك الأغالبة[2] ، وفي سنة 298هـ/910م وبعد دخول الإمام عبيد الله المهدي المغرب أعلن عن قيام الخلافة الفاطمية[3] في بلاد المغرب العربي .

- الخلافة الفاطمية في مصر :

ما ان نجح الإسماعيليون في السيطرة على بلاد المغرب سنة 298هـ/910م كما ذكرنا حتى امتدت خلافتهم إلى مصر عام 358هـ/968م ، بعد وفاة واليها كافور الاخشيدي ، فتقدمت جيوش الفاطميين زمن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وعلى

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 40/6 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 450/3 ، العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي : 542/3 .

(2) ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن أبي القضاعي البلسني (ت658هـ/1259م) ، التكملة لكتاب الصلة ، تح : عبد السلام مهراس ، دار الفكر للطباعة ، لبنان ، 1995م : 147/1 .

(3) سعيد بن بطريق ، افيشيوس (ت بعد سنة 321هـ/933م) ، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1905م : 78-79 .

رأسها قائدهم أبو الحسن جوهر على رأس جيش كبير وكان فتحها سنة 358هـ/968م[1]
.

وما ان استقر الأمر للفاطميين في مصر حتى واجهتهم بعض الأمور ، كان أهمها محاولات العباسيين الطعن بنسبهم وكان ذلك زمن الخليفة العباسي القادر في سنة 402هـ/1011م[2] . اما الأمر الآخر فكان الاهتمام بالدعوة وتنظيمها بعد ان انتقل الأمر إلى مرحلة الظهور .

ارتبط الأمر الأول – نسب الفاطميين – بما يعرف عند الإسماعيلية بعقيدة الأبوة الروحانية ، والتي تقول ان التلميذ أحرى وأحق ان يكون الوارث الحقيقي من الأب الشرعي وفي ذلك يقول رشيد الدين الهمداني نقلاً عن أئمة الإسماعيلية "ان الأبوة الجسمانية تكون من ولادة الطفل المادية ليس غير بينما تكون الأبوة الروحانية من ملازمة شخص لأخر معين[3] ، وان كلمتي أب وابن استخدمت دائماً في الأعلام الإسماعيلي بهذا المعنى بشكل كبير[4] ، وهو ما نجدهُ مناسبة طيبة للربط والإشارة مرة

---

(1) الصنهاجي ، أخبار بني عبيد : 51 ، حسن ، د. علي إبراهيم ، تاريخ جوهر الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، ط2 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1963م : 29 وما بعدها .

(2) حول صحة نسب الفاطميين وما قيل في أصولهم . ينظر : المقريزي ، أحمد بنت علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين (ت845هـ/1441م) ، المقفى الكبير ، تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية ، ط1 ، اختيار وتحقيق محمد البعلاوي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1987م : 5359 ، الخشت ، حركة الحشاشين : 33 ، السيد ، الدولة الفاطمية : 100 وما بعدها .

(3) لويس ، أصول الإسماعيلية : 121 .

(4) ماسينيون ، سلمان الفارسي : 20/16 ، والمتنبي بازاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام: 15 وما بعدها .

أخرى بين ما أشرنا إليه عند رسائل أخوان الصفا وغيرها من كتب الإسماعيلية[1] ، وقد فصلنا فيما سبق القول في عقيدتي الإمام المستودع والمستقر[2].

وهو ما أشـــار إليه بعض الباحثين مبينين نوع العلاقة بميمون القداح والســـلالة العلوية[3] .

اما المسألة الأخرى ، فانها أكثر تعقيداً وترتبط بمستقبل الإسماعيلية وهي مسألة الدعاة ، وسنفصل فيها القول أكثر عند الحديث عن الحشاشين وإفادتهم من الدعاة لكن الدعوة تبدو عند الفاطميين وحتى الفرق التي انشـــقت عنهم أمراً لهُ علاقة بنجاحاتهم وانتصاراتهم حتى أيام كانت الدعوة في مراحلها الأولى[4] .

وقد أوضـــح الخليفة الفاطمي المعز أهمية الدعاة ودورهم في نجاح الدعوة الإســـماعيلية وتعريف الناس بها إذ يقول "ان أكثر الناس يجهلون أمرنا ويظنون انا لا نعني إلا بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ، ولو كان ذلك لكنا قد ضيعنا من بعد منا ، وقد أوجب الله (تع) على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا وإتباع أمرنا والهجرة والســـعي إلينا من قرب ومن بعد ، كما أوجب عليهم في ظاهر أمره الحج[*] إلى بيته الحرام من الآفاق ،

---

(1) ينظر : لويس ، أصول الإسماعيلية : 119–120 .

(2) ينظر : موضـــوع الإمامة من الأطروحة ، وللاســـتزادة ينظر : تامر ، الإمامة في الإســـلام : 102 وما بعدها .

(3) ينظر : حسن وشرف ، عبيد الله المهدي : 168–169 .

(4) راجع في ذلك كتب دعاة الإسماعيلية مثل ابن حيون ، افتتاح الدعوة : 6 وما بعدها و23 وما بعدها ، وكذلك المجدوع ، إسماعيل بن عبد الرسول الأجيني (ت القرن الثاني عشر للهجرة) ، فهرســـة الكتب والرســـائل ولمن هي من العلماء والأئمة والحدود والأفاضـــل المعروف بفهرســـت المجدوع ، حققه وعلق عليه : علينقي منزري ، منشـــورات مكتبة الأســـدي، طهران ، 1966م : 47–67 ، كتب المواعظ .

(*) مر بنا تحت عنوان التأويل الباطن ان الحج يعني معرفة الإمام ينظر : ص 88.

ولكنا للرأفة بهم ولما نرجوه ونحبه من هدايتهم قد نصــبنا لكل جزيرة(**) لهم من يهديهم إلينا ويدلهم علينا ، عرف ذلك من عرف وجهله من جهله"[1] .

- الانشقاقات زمن الفاطميين :

1- الدروز :

ان احدى السمات التي اتسمت بها الدعوة الإسماعيلية في مراحل تاريخها هي الانقسامات التي كان من نتائجها فرقة الحشاشين ، ويبدو ان الدرزية احدى الفرق التي سبقت الحشاشين ، وكان ظهور الدروز في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي امتدت خلافته من 386هـ/996م حتى 411هـ/1020م[2] .

وتشـير الروايات ان الدروز أول أمرهم قالوا بإلوهية الحاكم بأمر الله وكان سـبب ذلك على ما يبدو هو اختفاء الحاكم ، فأنكر مريدوه انهُ لم يمت وإنما ذهب ليعيش متخفياً وانه سيرجع يوماً[3] .

وللإطلاع بصــورة أوســع عن عصــر الحاكم وظهور الدروز فإني أحيل القارئ لمن يريد التعرف عن كثب عن تلك المرحلة وتفاصيلها إلى مصادر عدة[4] .

(**) عرفنا مصطلح الجزيرة عند الإسماعيلية .

(1) ابن حيون ، النعمـان بن محمـد بن منصـــور بن أحمـد بن حيون التميمي أبو حنيفـة (ت363هـ/973م) ، المجالس والمسايرات ، ط1 ، مزيدة ومنقحة ، تح : الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ، 1996م : 467-468 .

(2) الصنهاجي ، اخبار بني عبيد : 57 .

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 4/183-184 ، بدوي ، الدروز فصـــل من كتاب مذاهب الإسلاميين: مجلد2/508-509، جولد تسهير ، العقيدة والشريعة في الإسلام : 216.

(4) نصر ، مرسل ، الموحدون الدروز في الإسلام ، ط2 ، تقديم : محمد حسين فضل الله ، الدار الإســـلامية ، بيروت ، 1997م : 67-80 ، تامر ، د. عارف ، الحاكم بأمر الله – خليفة – إمام – مصلح ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م .

أشار الكرماني الذي زار مصر في عهد الحاكم واصفاً الأوضاع فيها وما آلت إليه الأمور بالقول "فصار البعض منهم في الغلو مرتقين إلى ذراه ، وبعض في النكص على أعقابهم تاركين عصـــمة الدين وعراه ، قليل منهم قد تزعزع أركان اعتقادهم"[1] ويذكر مصـــطفى غالب في مقدمة كتاب الأقوال الذهبية ان الكرماني اســـتدعي إلى القاهرة في سنة 408هـــ1017م عندما اشتد وطيس المعارك الدينية ، وقامت الدرزية فراح يلقي المجالس وينشر الرسائل التي يرد فيها على الدعوة الجديدة[2] .

ان موقف الدعاة من كل الأقوال التي ترفع الأئمة فوق البشـر هو تحذير الناس من تلك الأقوال[3] ، من جهة وهو ما حدا بالكرماني إلى تأليف رسالة أسماها الواعظة رد فيها على الأقوال التي ذهبت بالخليفة الحاكم إلى ذلك المطاف[4].

ان اختفاء الحاكم هو الذي دفعهُ للقول بانه لم يمت وهو يجعلنا نعود بذاكرتنا إلى الوراء عند نشوء الإسماعيلية وعلاقتها ببعض الفرق كالخطابية والمباركية – والتي مر ذكرها – والأقوال التي قيلت بعد ذلك في تأســيس الإســماعيلية وربطها بحركات الغلو ، وهو أمر لا نعتقد اننا بحاجة إلى ما يثبت بطلانه بعدما استعرضناهُ من أمور .

جاء بعد الحاكم عدة خلفاء ، إشــــارات الروايات إلى ظهور الفتن والمشــــاكل العسكرية والدينية المذهبية في عهدهم ، وكان من بينهم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله

---

(1) حجة العراقين ، مجموعة رسائل الكرماني : 114 .

(2) حجة العراقيين ، الداعي أحمد حميد الدين (ت411هـ/1020م) ، الأقوال الذهبية ، ط1 ، تح : د. مصطفى غالب، دار محيو للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1977م : 10-11 مقدمة الكتاب.

(3) السجستاني ، الينابيع : 16 .

(4) ينظر : مجموعة رسائل الكرماني ، الرسالة الواعظة : 134-148 .

(411هـ/1020م-427هـ/1035م) وفي عهده إشارات لخروج الكثيرين(*) على حكمه[1] ، أمثال صالح بن مرداس(**) وسنان بن عليان اللذين اتفقا على غزو دمشق ونهبها وتم لهم ذلك[2] . وفي سنة 427هـ/1035م مات الظاهر ، ونُصب بدلاً عنه المستنصر بالله وكان طفلاً صغيراً ودير سلطانه بالنيابة عنه الجرجراني[3].

وتتوضح صورة الضعف أكثر في جسد الخلافة الفاطمية في موقعة كوم الريش(***) بين جند الفاطميين من الأتراك والمغاربة التي قتل فيها اثنا عشر ألفا من الطرفين وكان ذلك سنة 464هـ/1071م[4] .

وكان نتيجة تلك الفوضى ان تقلد أربعون وزيراً في ظرف تسع سنوات ، وعلى عهده أزال الأدارسة سلطة الفاطميين من بلاد المغرب الأقصى واستقلوا بالحكم فيها ،

(*) أشار ابن تغري بردي إلى ذلك بالقول "وكان المتغلبون على البلاد أيام الظاهر كثيرين جداً وذلك لصغر سنه وضعف بدنه . ينظر ، النجوم الزاهرة : 254/4 .

(1) الصنهاجي ، أخبار بني عبيد : 70 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 124/2-135 .

(**) صالح بن مرداس : أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي أول ملوك بني مرداس بحلب انتزعها من يدي نائبها عن الظاهر بن الحاكم الفاطمي سنة 417هـ/1026م . ينظر: ابن كثير ، البداية والنهاية : 27/12 .

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية : 27/12 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 156/2 .

(3) الصنهاجي ، أخبار بني عبيد : 70 .

(***) كوم الريش : وهي بالقرب من منية اليشرج من ضواحي القاهرة ، وكانت من اجمل متنزهات القاهرة حين كان النيل يمر بغربيها ، وكانت سكناً لكثير من العلماء والأمراء والجند وكان سوقها عامراً بأنواع المعايش وكانت النسبة إليها الكومي والريشي . ينظر : السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت830هـ/1426م) ، البلدانيات ، ط1 ، تح: حسام بن محمد القطان ، دار النشر، دار العطاء ، السعودية ، 2001م : 250 .

(4) الصنهاجي ، أخبار بني عبيد : 71 ، الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) ، العبر في خبر من غبر ، ط2 ، تح : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1984م : 159/3 .

وخرجت صـــقلية(*) عن طاعته على يد روجير النورمندي وانفصـــل الحجاز أيضـــاً عنهم[1] ، ناهيك عن مجاعات مصـر التي فصـل القول فيها المقريزي والتي اضـطرت المستنصر إلى بيع كل ما في قصره من ذخائر وثياب وسلاح وغيره[2] ، انفصلت بعد ذلك أفريقيا على يد المعز بن باديس وصـــارت الدعوة فيها لبني العباس[3] ، وفي هذه الأثناء ظهر السـلاجقة الأتراك في المشـرق فاعادوا للعباسـيين بعضـاً من رونقهم بعد ضعف وانهيار .

(*) صـقلية : جزيرة من جزائر ما يعرف آنذاك ببحر الاسـكندرية وتبلغها السـفينة من مصـر في عشـرين يوماً وذكر ان صـقلية ثمانون فرسـخاً في ثمانين وكانت ملك لسـلطان مصـر وكانت تغادرها كل سـنة سـفينة تحمل المال إلى مصـر ومنها يجلب الكتان الرقيق . ينظر : ناصـر خسرو ، ناصر خسرو الأصبهاني القبادياني المروزي (ت450هـ/1058م) ، سفرنامة ، ط3 ، تح: د. يحيى الخشاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1983م : 85 .

(1) الصنهاجي ، أخبار بني عبيد : 72 .

(2) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علية بن عبد القادر (ت845هـ/1441م) ، إغاثة الأمة بكشف الغمة أو تاريخ المجاعات في مصـر ، طبعة خاصـة ، دار المدى للثقافة والنشـر ، دمشـق ، 2003م: 21 ، ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (874هـ/1469م) ، مورد اللطافة في من ولي السـلطة والخلافة ، تح : نبيل محمد عبد العزيز أحمد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1997م : 283/1 .

(3) ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله (ت658هـ/1259م) ، الحلة السيراء ، ط2، تح : د. حسني مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985م : 29/2 ، السلاوي ، أحمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري (ت1315هـ/1897م) ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب للنشر، الدار البيضاء، 1997م: 194/1.

دفعت تلك المستجدات – المستنصر الذي استولت أمهُ على السلطة فقادت إلى ضعف الدولة[1] – دفعت تلك الأمور بالمستنصر للاستنجاد ببدر الجمالي فاستدعاه من الشام ، وأسبغ عليه لقب أمير الجيوش وولاه تدبير أموره[2] .

وكان سوء الأوضاع التي ألمت بالخلافة الفاطمية هو ما دفع بالعباسيين للقدح بنسبهم وكان ذلك في زمن المنتصر[3](*) كل تلك الأمور إنما تشير إلى ضعف ووهن كبيرين في عهد الخلافة الفاطمية ، وفي تلك الظروف تخرج في الأغلب الحركات الثائرة ذات الاندفاع ، والتي تتخذ من الأساليب الحربية منهجاً لها ، وهو ما أدى بالتالي إلى ظهور الحشاشين ، رد فعل من جهة وحلاً بديلاً عن ذلك الضعف من جهة أخرى .

كانت إجراءات بدر الجمالي في تصفية الخصوم شديدة ، وقد أشار لذلك المقريزي[4] ، فازدادت الأمور تعقيداً ، وفي تلك الأثناء نص المستنصر على أبنه الأكبر كعادة الإسماعيلية كي يخلفهُ في الإمامة والخلافة[5] .

وكان ذلك أول بذور الانشقاق وأهمها بالنسبة للحشاشين ، فلم يلقَ نزار القبول والرضى عند بدر الجمالي ، وهو ما أشار إليه بدر نفسه إذ قال لجمع من قواده وأمرائه وبعض من خواصه عن نزار "ان هذا كبير السن ولا نأمنه على نفوسنا والمصلحة ان نبايع لأخيه الصغير أبي القاسم أحمد فوافقوه"[6] .

---

(1) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 365/1 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 449/2 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 49/4 .

(3) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 132/15 ، اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان : 62/3 .

(*) يبدو ان ذلك الأمر بدء قبل ذلك التاريخ كما أشرنا عندما حقق الفاطميون نجاحهم في إقامة الخلافة الفاطمية .

(4) القلقشندي ، اتعاظ الحنفا : 313/2 .

(5) ابن ميسر ، أخبار مصر : 47 ، المقريزي ، اتعاظ : 323/2 .

(6) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ/1332م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، تح: د. نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت ، 2004م : 158/28.

الفصـل الثانــي

الحشاشون ظهورهم ونشاطاتهم في بلاد المشـرق الإسلامــي

- المبحث الأول : ظهور الحشاشين وبداياتهم الأولى .
  - ظهور الحشاشين على مسرح السياسة .
  - مصر البدايات الأولى للحشيشية .
  - الحشاشون في بلاد المشرق .
  - بلاد المشرق وجذور الدعوة الأولى .
  - الحسن بن الصباح والإسماعيلية في بلاد المشرق .
- المبحث الثاني : ظهور الحسـن بن الصـباح وإجراءاته في بلاد المشرق.
  - سياسة الاستحواذ على القلاع عند الحشاشين .
  - إجراءات الحسن بن الصباح وقلعة الموت .
  - الصدام بين الحسن بن الصباح والسلاجقة .
  - الإسماعيلية وهجوم الفقهاء .
  - الحسن وشرعية الحكم في الموت .
- المبحث الثالث : عصر القوة والتنظيم .
  - الحسن بن الصباح والتنظيم داخل القلاع .
  - الحشاشون زيادة القوة وتوسع النفوذ .
  - الأثر السياسي للاغتيال زمن الحسن بن الصباح .
  - موت الحسن ونظام الحكم في الموت .

الفصل الثاني
المبحث الأول
ظهور الحشاشين وبداياتهم الأولى

- ظهور الحشاشين على مسرح السياسة :

أثرت تلك الظروف التي عصفت بالخلافة الفاطمية ، ودور بدر الجمالي[*] في إرجاع جزء مما فقدته الخلافة ، وقد نجح الأخير في خلع نزار ومبايعة المستعلي[1] . وتشير الروايات ان العداء بين بدر ونزار لم يكن مرتبطاً فقط بخوف الجمالي من نزار كونه الأكبر سناً ، وإنما لحادثة وقعت بين الاثنين كانت سبباً في إشعال نار البغضاء ، وهي ان الأفضل ركب مرة أيام المستنصر ودخل "دهليز القصر من باب الذهب وزار خارج والمزار مظلم فلم يره الافضل فصاح به نزار أنزل يا أرمني كلب عن الفرس ما أقل أدبك فحقدها عليه فلما مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه وبايع المستعلي"[2] .

ويرى أحد الباحثين ان تلك الحادثة لا يمكن الركون إليها للتدليل على الخصومة بين الاثنين[3] ، ويبدو ان شخصية نزار هي التي دفعت الأفضل لتحويل الخلافة ، وقد أشار اليافعي ان المستعلي لم يكن له حل ولا ربط إنما كان بيد الأفضل أمير الجيوش[4] . وهو يشير مع ما ذكرناه إلى السبب الحقيقي ، حتى ان الخلافة في عهد المستعلي كانت قد تلاشت وغلب الوزراء على السلطة "ولم يبق لهم يومئذ من الخلافة

(*) سنأتي على تعريفه والإشارة إليه .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 497/8 .

(2) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 142/5 ، ابن اياس، محمد بن أحمد بن الياس المصري (ت930هـ/1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط1 ، طبع بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ، مصر ، 1893م : 220/1 .

(3) دخيل ، د. محمد حسن ، الدولة الفاطمية ، الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، ط1، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، 2009م : 93 .

(4) اليافعي ، مرآة الجنان : 212/3 .

إلا مجرد الاسم فقط"[1] ، فضلاً عن ذلك ان صلة القرابة التي كانت بين الجمالي والمستعلي حيث ان الأخير هو ابن أخت الجمالي وزوج شقيقته ست الملك فكان ذلك سبباً يضاف إلى تفضيله[2] .

هذه النبذة المختصرة تكفي للاعتقاد بما آلت إليه الأمور ، وقبل ذلك كان قد وصل إلى مصر الحسن بن الصباح قادماً من بلاد المشرق ، وكان أحد دعاة الإسماعيلية هناك ، فانحاز إلى جانب نزار ، وكان أخيه المستعلي على الجانب الآخر والذي بويع من قبل الجمالي ومن تلك اللحظة انقسمت الإسماعيلية إلى فرقتين الأولى تدين بالولاء للمستعلي وسميت بالمستعلية[3] والأخرى نادت بنزار فعرفت بالنزارية[4] والحشيشية[5] تارة ، وبفرقة الملاحدة والباطنية في نظر خصومهم تارة أخرى[6] . ثم تعددت بعد ذلك التسميات ونسبت إلى الأشخاص المؤسسين أو البارزين في الدعوة فسميت تارة بالصباحية[*] نسبة إلى زعيمها الحسن الصباح[7] ، وأخرى السنانية نسبة

---

(1) ابن تغري بردي ، مورد اللطافة : 283/1 .

(2) دخيل ، الدولة الفاطمية : 93 .

(3) المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 27/3 ، حسين ، طائفة الإسماعيلية : 42 .

(4) المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 27/3 ، القلقشندي ، صبح الاعشى : 156/1 .

(5) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 155 .

(6) الغزالي ، فضائح الباطنية : 11–17 ، ابن تيمية ، أحمد بن شهاب الدين عبد الحكيم بن مجد الدين (ت728هـ – 1327م) ، الرد على المنطقيين ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت : 145 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 197/15 .

(*) رغم ان تلك التسمية نسبت إلى أشخاص غير الحسن بن الصباح كالصباح بن السمرقندي . ينظر : مطهر المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت355هـ/966م) ، البدء والتاريخ ، دار النشر مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، د.ت : 147/5 . أو أصحاب أبي صباح بن معمر . ينظر: الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب ، مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 20 ، الشاكري ، نشوء المذاهب والفرق الإسلامية : 58 .

(7) الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين : 78 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 184/21 .

إلى راشـد الدين سـنان أحد زعماء الحشـاشـين البارزين[1] وأطلق عليهم التعلمية بخراسان[2] ، وفي رأي آخر أنهم أطلقوا على أنفسهم اسم التعلمية[3] ، أي الخاضعة إلى معلم تأخذ عنه وقالوا بالعبادة العلمية – المبنية على العقل – وبالعبادة العملية المبنية على الشرع[4] ، وقد استغل خصومهم هذا الاسم للتشهير بهم والطعن في أفكارهم وانهم إنما لقبوا بالتعلمية "لأن مبدأ مذهبهم إبطال الرأي وإبطال تصرف العقول ودعوة الخلق إلى التعليم من الإمام المعصوم"[5] .

وهذا الرأي ليس بحاجة إلى نقاش إذ ما عقدنا مقارنة بين ما قيل حولهم من قبل نفس الخصوم في ذهابهم إلى الاعتماد على الفلسفة والعلوم العقلية . فكيف نستطيع ان نوازي بين الرأيين .

- مصر البدايات الأولى للحشيشية :

يذهب بعض المؤرخين الذين خاضوا غمار البحث عند دراستهم عن الحشيشية ، إلى القول بان نشـوئهم كان في بلاد فارس ، وذلك الرأي يصـح حين نذهب إلى الاعتقاد بان نشـاطهم كان في قلعة الموت والقلاع الأخرى التي اسـتحوذوا عليها . كونها كانت مكاناً ومنطلقاً لنشر الدعوة .

---

(1) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 185/5 ، المقريزي ، السلوك : 173/1 .

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 ، البقاعي ، مصرع التصوف : 33 .

(3) نظام الملك الطوسي ، حسن بن علي بن إسحاق بن عباس (ت485هـ/1092م) ، سياست نامة أو سير الملوك ، ط2 ، تح : يوسف حسين بكار ، دار الثقافة للنشر ، قطر ، 1986م : 284 .

(4) تامر ، د. عارف ، بين الإسماعيلية الباطنية والصوفية ، بحث منشور ضمن مجلة الباحث (مجلة فكرية)، السنة الثالثة عشر، العدد الثاني والستون، نيسان – ايلول – 1994م : 114.

(5) الغزالي ، فضائح الباطنية : 17 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 62/11 .

يذكر الفارقي في تاريخه عند استحواذ بدر الجمالي على السلطة في مصر وجلوس الخليفة الفاطمي المستعلي باشارة من الجمالي(*) وتعيين منه ان أهل مصر أصبحوا فريقين فرقة من المستعلي في السلطة وفرقة مع نزار . وهو مختص بمصر وجاء إليه الحسن الصباح من الموت وأقام بها عنده"[1] .

أن انفراق الإسماعيلية في مصر حسب هذه الرواية يشير إلى وجود تأييد لإمامة نزار يقابله تأييد آخر لإمامة المستعلي . هذا من جانب ، ومن جانب اخر فان نشاط الحسن بن الصباح ورحلته من المشرق إلى مصر ، والتي كانت بإشارة من أحد أبرز دعاة الفاطميين هناك وهو ابن عطاش(**) ، كان سببها أهمية مصر بالنسبة لدعاة الإسماعيلية حيث كانت قبلة دعاة الإسماعيلية وقد جذبت إليها الحسن مثلما جذبت غيرهُ إليها[2] . وقد لاقى الحسن هناك معاملة حسنة واهتمام من قبل خليفة الفاطميين

(*) بدر بن عبد الله الأمير الوزير الأرمني الجمالي اشتراه جمال الملك بن عمار الطرابلسي ورباه فتفرقت به الأحوال إلى الملك ولي نيابة دمشق للمنتصر سنة (455هـ/1063م) ثم توجه نحو مصر لما كان المستنصر خليفة عليها وقيل استقدمه المستنصر بما ساءت الأحوال بمصر وقد قتل عدة أمراء كبار وجلس على تخت الولاية وردت أزمة الأمور إليه . ينظر : الذهبي، سير أعلام النبلاء : 82/19 .

(1) الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي الأزرق (ت577هـ/1181م) ، تاريخ الفارقي ، حققه وقدم له : د. بدوي عبد اللطيف عوض ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1974م : 267-268 .

(**) ابن عطاش : عبد الملك بن عطاش من الدعاة الإسماعيليين الأوائل البارزين في إيران والعراق ومن القادة الأولين للحركة الإسماعيلية في بلاد المشرق العربي والفارسي ، واللذين غطيا الجزء الأعظم من فترة حكم السلاجقة ، كان حكيماً متعمقاً في علوم الفلسفة والفقه ومعلماً بارزاً لعلوم عصره وكان قد استولى على قلعة أصبهان وأصبح مقدم الباطنية . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى : 240/13 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 194/5 ، موسى ، د. علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية ، ط1 ، طبعة دمشق ، سوريا، 2007م : 23 .

(2) شرف ، د. طه أحمد ، دولة النزارية أجداد اغا خان ، ط1 ، مطبعة الشبكشي بالأزهر ، القاهرة ، 1950م : 48 .

المستنصر ، وربما كان سبب ذلك الاهتمام بالحسن سببه ما توسم به ابن عطاش من علامات النبوغ والمعرفة عند الحسن ، وكان يراسله عن طريق الحمام الزاجل من بلاد المشرق إلى مصر . وقد دفع ذلك الأمر بالفاطميين إلى تخصيص منزل للحسن وإكرامه ، ومن ثم أصبح موضع ترحاب الخليفة الفاطمي ، رغم انه لم يحظى بمقابلته مع طول الإقامة التي امتدت لسنة ونصف السنة[1] ، ولو ان ذلك يخالف إعجاب المستنصر بالحسن ، كما خالف سير ما حدث.

وقد أدى احترام الحسن وإجلاله من قبل الخليفة المستنصر لاحقاً ان اعتقد كبار موظفي القصر انه سيعين وزير للمستنصر "فلم يكن المستنصر يتكلم عن الحسن إلا بكل إجلال وإكبار"[2] ، أما مقابلة الحسن للمستنصر فقد أشار لها ابن ميسر وقال ان الحسن سألهُ أثناء تلك المقابلة من "الإمام بعدك فقال ولدي نزار" وكان ذلك في سنة 497هـ[3] . وبهذه الرواية تتأكد مقابلة الحسن بالخليفة الفاطمي.

ان نشاط الحسن المميز في مصر هو ما نقله لنا الحسن في سيرته التي نقلها الجويني حيث يذكر ان سنة وصوله إلى الشام كانت سنة 471هـ[*]/1078م ثم ذهب نحو مصر ، وسكن فيها حوالي سنة ونصف وكانت الظروف السياسية والعسكرية يديرها بدر الجمالي الذي تسلط على الأمور ، والحاكم المطلق كان صهر ابنه الصغير الذي عينه المستنصر ولي عهده ، بحسب النص الثاني للإمامة ، وكان الحسن آنذاك يدعو إلى خلافة نزار بناءًا على أصول المذهب الإسماعيلي . ولهذا السبب استاء منهُ

---

(1) الجويني ، تاريخ فاتح العالم جهانكشاي : 304/2 .

(2) Von Ham mer Burgaasstal Hist . de I'ordersed Assassion (Tr . Par Hellert – 1833) P. 78

(3) ابن ميسر ، أخبار مصر : 47 ، القلشندي ، صبح الأعشى : 248/13 .

(*) هناك فرق في السنين بين ابن ميسر والجويني يذكر ابن ميسر ان ذلك كان سنة 479هـ/1086 . ينظر : أخبار مصر : 47/2 . اما الجويني فيذكر ان تلك الحادثة كانت سنة 471هـ/1078م . ويبدو أنهُ الأقرب للصواب .

أمير الجيوش وضيق عليه حتى أراد ان يرسله في سفينة نحو المغرب "مع جماعة من الفرنجة لكن البحر كان هائجاً فاتجهت السفينة نحو الشام"(1).

وكان الحسـن قد أبدى نشـاطاً مميزاً في نشـر الدعوة لنزار وكان ذلك بصـورة سـرية(2) . وعند مكوثه في مصـر اسـتطاع الحسـن ان يطلع على العلوم والمعارف الإسـماعيلية ، وأسـرار الدعوة الفاطمية ، وكان يأمل هناك بلقاء هبة الله الشـيرازي(*) الذي توفي قبل وصـوله فاطلع على كتب الإسـماعيلية ومصـنفاتها ، وناقش طلبة هبة الله فلفت بذلك الأنظار (3) . وأغلب الظن ان ذلك الأمر أدى به إلى لفت الأنظار .

ومما يشـير أكثر لنجاح الحسـن وانتشـار الدعوة لنزار هو ما حدث من شـقاق وصـدام بعد جلوس المسـتعلي للحكم فقد أدى ذلك إلى رفض نزار لخلافة المسـتعلي ، فالتجأ نزار إلى الاسكندرية مع جماعة من مؤيديه وتحصن بها وكان فيهم افتكين وابن

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 304/2 ، براون ، تاريخ الأدب في إيران : 249 .
Delacyo , LEAARY D.D, ASHORTHISTORY of the FATIMD KHALIFATE , printed in Griat Britain by Jhon Roberts press , London , 1923 , p : 209 .

(2) الخشت ، حركة الحشاشين : 61 ، مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية : 225 ، د. علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 49 .

(*) هبة الله الشـيرازي : داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله بن موسـى ابن داود الشـيرازي (ت470هـ/1077م) ، وعرف في تاريخ الأدب العربي برسائله التي ناظر بها أبا العلاء المعري في موضـع أكل اللحم ، أدى دوراً مهماً في إدخال الملوك البويهيين للدعوة الإسـماعيلية ولعب دوراً مهماً وكبيراً في مجريات الأحداث زمن الفاطميين ، وله العديد من المؤلفات وقد عرفت أشـهرها باسم المجالس المؤيدية نسبة إلى اسمه ، للاستزادة ينظر : الشـيرازي ، هبة الله بن موسى بن داود (ت470هـ/1077م) ، سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تح وتقديم : محمد كامل حسـين ، ط1 ، دار الكتاب المصـري ، القاهرة ، 1949م : مقدمة المحقق ، ومصـطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية : 596-606 .

(3) ابن ميسر ، أخبار مصر : 2/47-49 .

مصال[*] وحدثت هناك بينهم "حرب شديدة بظاهر الاسكندرية انكسر فيها الأفضل ورجع بمن معه إلى القاهرة منهزماً [فنهب نزار] بمن معهُ من العرب أكثر البلاد بالوجه البحري"[1] ووصل الأمر بنزار ومقامه بالاسكندرية ان أطلق على نفسه لقب المصطفى لدين الله "وبايعه الناس بالاسكندرية ولعن الأفضل على رؤوس المنابر"[2] . ولولا الحيلة والوقيعة واستخدام أساليب الاستمالة لشق صفوف من كان مع نزار ، لما استطاع الأفضل الجمالي من الانتصار على نزار ومن معهُ . وحسب تلك الروايات فان الاسكندرية كانت مركزاً لتأييد نزار ومركزاً لبيعته "فدخل الاسكندرية وبايعه أهلها وساعدهُ قاضيها ابن عمار ومتوليها افتكين"[3] . وقد استمر تأثير تأييد أهالي الاسكندرية لنزار طويلاً وهو ما أشار إليه الذهبي في حوادث سنة (543هـ/1148م) أي بعد ذلك بسنين طويلة حيث ظهرت الدعوة النزارية بمصر عندما خرج من ولد نزار بن المستنصر من يطلب الخلافة واجتمع معهُ خلق"[4][*] . فلو لم يكن لتلك الدعوة –

(*) ابن مصال : محمود بنت مصال اللكي من الذين وعدهم نزار بالوزارة والتقدمة على الجيوش وكان من الذين أعلموا نزار بنوايا الأفضل في تنصيب المستعلي بدلاً عنه وكان هو ووالي الاسكندرية ناصر الدولة افتكين التركي أحد مماليك أمير الجيوش الأفضل بدر الجمالي قد ساندا نزار في ثورته ضد المستعلي والأفضل وقد قتل افتكين اما ابن مصال فقد نجا وعاد ودخل بطاعة المستعلي والأفضل . ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 142/5 وما بعدها .

(1) ابن ميسر، أخبار مصر : 62/2 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 143/5 وما بعدها.

(2) ابن ظافر ، جمال الدين علي بن ظافر (ت623هـ/1226م) ، أخبار الدولة المنقطعة (دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب اندريه فريه) ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1972م : 83-84 .

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 15/37 ، اليافعي ، مرآة الجنان : 158/3 ، ابن العماد العكبري، شذرات الذهب : 402/3 .

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 15/37 .

(*) ويبدو كذلك ان حالة التأييد لنزار أخذت شكلاً أخر حيث لم يكتفي المؤيدون لنزار بأخذ البيعة وإنما سكت العملة الخاصة بهذه المناسبة وهو ما أشار إليه أحد الباحثين . والذين أكدوا انهُ في

أي النزارية – جذور قوية لما تشجع ذلك الشخص سواء صح انتسابه أم لا لنزار ونادى بطلب الخلافة .

وتشير احدى الروايات لنشاط الدعوة النزارية ، وجذورها القوية في مصر وهي التي تخص دار الحكمة النى بناها الفاطميون في القاهرة والتي أغلقها الأفضل بن بدر الجمالي وكان السبب وراء ذلك "لأمور منها اجتماع الناس والخوض في المذهب والخوف من الاجتماع على المذهب النزاري"[1] ولم تفتح إلا بعد موت الأفضل وقد اكتسبت اسماً جديداً لها حيث عرفت بدار العلم بدل دار الحكمة[2] . كذلك لجأ من خلف الأفضل بن بدر الجمالي إلى الدعوة المضادة ، ونجد أثرها فيما وصلنا من رسائل كانت تقرأ أو ترسل إلى ولاة الأقاليم ، ليذيعوها بين الناس ، بقصد الدفاع عن ولاية المستعلي[3] . وقد نوهنا فيما سبق لواحدة من تلك الرسائل الموسومة بالرسالة الأمرية .

وقد انقسم دعاة الإسماعيلية أنفسهم إلى فريقين ، نتيجة انقسام الدعوة إلى نزارية ومستعلية ، وقد أدى ذلك إلى عجز الدعوة عن الاحتفاظ بنفوذها وقوتها أمام عامة المسلمين والذين اعتنقوا الإسماعيلية حديثاً من أهالي البلاد الواقعة تحت الخلافة الفاطمية[4] .

ويبدو ذلك الرأي جلياً عند الإطلاع على كتب كثير من دعاة ومؤرخي الإسماعيلية في مصر حيث أصبح من أولوياتهم إثبات حق الإمام المستعلي مقابل

سنة 1994م اكتشف دينار ذهبي يحمل لقب "المصطفى لدين الله" . ينظر : البستان ، ندى عبد الهادي ، المستعلي بالله الفاطمي سيرته ودوره في التاريخ ، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي ، بغداد ، 2011م : 54 .

(1) المقريزي ، المواعظ والاعتبار : 1/301-303 .

(2) المصدر نفسه : 1/304 .

(3) د. ماجد عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ط4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م : 347 .

(4) السيد ، الدولة الفاطمية : 159 .

أخيه نزار من جهة وقد أفرغت كثير من الجهود لمراقبة النزارية الذين دخلوا مصر وأقاموا فيها ونجحوا فيما بعد في اغتيال الخليفة الفاطمي الأمر باحكام الله[*] .

- الحشاشون في بلاد المشرق :
* الأوضاع السياسية في المشرق :

تعرضت الخلافة العباسية بدءًا من القرن الثالث الهجري ، إلى سيطرة عناصر عدة ، استطاعت التسلل إلى مواقع الحكم وفرضت هيمنتها على أجهزة الدولة المختلفة ، وكانت قوة الدولة في أوائل عصرها مضافاً إلى الحزم والشدة لحكامها الأوائل بالغ الأثر الذي حال دون ضعف العباسيين أول الأمر[1] . ثم أعقب تلك السنين نهضة أدت إلى ازدهار الأدب ، واشتداد الحماس الديني ومحاولة البعض للاستقلال السياسي لأمور عدة في المشرق وقد تمثل ذلك في حكومات عدة وأسر كثيرة حاولت تأسيس كيانات مستقلة نوعاً ما عن العباسيين ولو انها بقيت مرتبطة بالخلافة العباسية وتسعى لنيل الاعتراف بها كالأسرة السامانية والصفارية الذين خلفوا الأسرة الطاهرية في خراسان من بلاد ما وراء النهر ، ثم انحسر فيما بعد ليحل محلهم البويهيون وكان أثرهم أشد وضوحاً . إذ كان حماسهم للتشيع[*] ظاهراً، وفسحوا المجال للحريات الدينية فانتشر الاعتزال[2] .

(*) ينظر ص 238–245 من الدراسة .

(1) د. الجميلي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية : 3 .

(*) وكان تشيعهم على مذهب الزيدي احدى الفرق الشيعية . ينظر للمزيد : غضبان ، علي حسن ، البويهيون في فارس ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ، سنة 2009م : 256 .

(2) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر : 84/2 و104 ، الحفظي ، عبد اللطيف عبد القادر ، تأثير المعتزلة في الخوارج والشيعة أسبابه ومظاهره ، ط1 ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، 2000م : 251 وما بعدها ، عزام ، د. عبد الوهاب ، رسائل الصاحب بن عباد ، طبعة مصر ، القاهرة ، د.ت : 93 و147 و183–184 ، الرؤوف ، د. عصام الدين ، الدول الإسلامية

كانت بلاد المشـرق مسـرحاً لتلك الصـراعات والنزاعات بين تلك الأسـر ، وكان من بين تلك الأسر الأسرة الغزنوية التي كان بينها وبين البويهيين والإسماعيلية صراع ومنازعات[1] . وأثناء تلك المنازعات المستمرة والحروب المستعرة والتي تعددت أشكالها وألوانها وعلى الرغم من كل ذلك الاختلاف مع العباسيين ، إلا ان كل دويلات المشرق اتســمت بســمة تكاد تكون الغالبة علي طبيعة علاقتها مع الخلافة العباســي ، وهي محاولة كل حكام وأسر تلك الدويلات الحصـول على موافقة ورضـى الخلفاء العباسيين ، وقد دعا ذلك الأمر بتلك الحكومات والأسر الحاكمة إلى تجنيد نفسـها لمحاربة أعداء

المستقلة في المشرق الإسلامي ، مطبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت : 107 ، الثامري ، د. احســان ذنون ، الحياة العلمية في زمن الســامانيين التاريخ الثقافي لخراســان وبلاد ما وراء النهر في القرنين الثالث والرابع للهجرة ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2001م : 170 .

(1) محمد ، د. سوادي عبد ، دراسات في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، دار الكتب ، البصرة ، 1993م : 53 .

الخلافة والخارجين عن طاعتها خدمة للعباسيين وتقرباً لهم ، مثلما حصل للسامانيين الذين حاربوا العلويين في طبرستان(*)، وأنهوا حكم الصفاريين في إقليم خراسان(**) (1) .

ولم يكن ذلك لينطبق على الحركة الإسماعيلية – الحشاشين – حيث كونت لها دولة من القلاع متخذة بذلك نوعاً جديداً مع الخلافة العباسية في علاقتها وكان زعيم الحركة الحسن بن الصباح قد دخل في صراعات ونزاعات وحروب مع السلاجقة بسبب تحصنه بالقلاع وكان السلاجقة قد برزوا في حدود سنة 429هـ/1037م و431هـ/1039م عندما استطاعت الأسرة السلجوقية ان تبسط سلطانها على مدينة

(*) طبرستان : بلاد كثيرة الحياة والثمار والأشجار والغياض بها كثيرة وأبنيتها من الخشب والقصب والمطر عندهم في أكثر الأوقات ومن مدنها أفل وناتل وكلا وميلة ومامطير وسارية وطمسية واستاربا وجرجان وغيرها والمدخل إليها من الري وقد قيل في أصل تسميتها الكثير . ينظر للاستزادة ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت365هـ/975م) ، مختصر كتاب البلدان، مطبعة ابريل ، ليدن ، 1884م : 301–302، الإدريسي ، نزهة المشتاق : 2/678–679 .

(**) إقليم خراسان : والكلمة تتكون من مقطعين "خر" تعني الشمس و"سان" تعني موضع الشيء ومكانه في بلاد الشمس المشرقة أو البلاد الشرقية وهي بضم الخاء المعجمة وفتح الراء ، ويحيط بها من شرقيها نواحي سجستان وبلد الهند وغربيها مفازة الغزية ونواحي جرجان وشماليها ما وراء النهر وشيء من بلد الترك وجنوبيها مفازة قومس وفارس وينقسم إقليم خراسان إلى أربعة أرباع الأول خم نيسابور وقهستان والطبسين وهراة ويسمى ايران شهر والثاني مرو الشاهجان خم سرخس ونساوباورد ومرو الروذ والثالث خم الفارياب والجوزجان وطخارستان والرابع ما وراء النهر ضم بخارى والشاش والطرانيد والسغد وغيرها . ينظر : البلاذري ، فتوح البلدان : 506–507 ، ابن الفقيه ، مختصر البلدان : 321–322 .

(1) الجميلي ، د. رشيد عبد الله ، مظاهر الوحدة في إقليم المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي ، بحث منشور في مجلة الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، العدد السابع لسنة 1983م ، بغداد : 243–244 .

نيســابور [*] وكان يرأســهم طغرلبك ، ونجحوا في بسـط نفوذهم حتى ملكوا بغداد وكان ذلك في زمن الخليفة العباسي القائم ، وانحسر بذلك نفوذ البويهيين وسلطتهم عن بغداد ، ومنذ ذلك الحين نشب الصراع وبدأت بوادره أكثر وضوحاً بين السلاجقة والإسماعيلية الفاطميين واتضحت أكثر بعد الثورة المعروفة بثورة البساسيري سنة (450هـ/1058م – 451هـ/1059م) وهي التي أشعلت الحروب بين الإسماعيلية – الحشيشية – والسلاجقة ، وقد جاء بعد طغرلبك عدة حكام فوصل حدود سيطرة السلاجقة من الصين شرقاً حتى الشام غرباً وفي الشمال من تركستان حتى بلاد اليمن في الجنوب وبلغت من القوة ان الروم كانت تؤدي لها الجزية[1] .

وقد تميزت تلك الحقبة في عهد أسـرة سـلجوق بظهور نظام الملك الحسـن بن علي بن إسحق الطوسي الذي فوضت إليه الوزارة في عهد السلاجقة[2] وكان ذلك سنة

(*) نيسابور : بفتح أوله والعامة يسمونها نشاوور مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة فيها كثير من العلماء والأفاضل طولها خمس وثمانون درجة وعرضـها تسع وثلاثون درجة خارجة من الإقليم الرابع في الإقليم الخامس وهي كثيرة الفواكه والخيرات فتحت في أيام الخليفة عثمان بن عفان { τ } وقد انتسب إليها الكثير من العلماء والأدباء . ينظر للاستزادة ، الحموي ، معجم البلدان : 331/50-333 .

(1) عماد الدين الأصـفهاني ، تاريخ دول آل سـلجوق : 5 وما بعدها ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 73/10 .

(2) الحسـيني ، صـدر الدين أبو الحسـن علي بن السـيد أبو الفوارس ناصـر بن علي (ت622هـ/1225م) ، أخبار الدولة السلجوقية ، اعتنى بتصحيحه محمد اقبال ، طبعة الهند، لاهور ، 1933م : 25 .

456هـ/1063م[1] . وقد برزت الحشيشية كقوة في عهد نظام الملك هذا وهو الذي قتل على أيديهم[2] .

كان عهد نظام الملك عهداً مليئاً بالصـــراعات[*] بين المذاهب المختلفة ، وقد اتضح ذلك في عدة وجوه وصور كان أحداها ما نقل عن كتابٍ أرسله نظام الملك[**] إلى أحد علماء المشرق وهو أبو إسحاق الشيرازي في جوانب كتبه إليه في شأن الحنابلة يقول فيه ما مضمونه "انه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها"[3] .

وإذا ما قارنا بين هذا النص ورواية أخرى حول الصـــراعات بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية – نسبة إلى المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك – والتي راح ضحيتها عددٌ من القتلى والجرحى[4] . أدركنا صفة العصر الذي برز فيه الحشاشين من جهة وصراعهم مع السلاجقة ووزيرهم نظام الملك الذي عرف بموقفه من الحسن والإسماعيلية[5] من جهة أخرى .

---

(1) ابن كثير ، البداية والنهاية : 90/12 .

(2) ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت685هـ/1259م) ، تاريخ مختصر الدول ، ط2 ، وقف على تصحيحه وفهرسته الأب انطون صالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، لبنان – 1994م : 335 .

(*) ينظر حول ذلك الموضوع : الثامري ، الحياة العلمية زمن السامانيين : 169 وما بعدها .

(**) كان نظام الملك شافعياً ، وكان معادياً للإسماعيلية ، وقد كان ذلك دافعاً لموقفه ليس من الإسماعيلية وإنما لموقفه مع المذاهب الأخرى . ينظر للاستزادة : الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 238/3 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 119/12 ، ابن العماد العكبري ، شذرات الذهب : 295/3 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية : 117/12 . حول دور نظام الملك في الصراع ينظر : طقوش، أ.د.سهيل ، تاريخ السلاجقة في خراسان وايران والعراق ، ط1 ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ، 2010م : 149 وما بعدها .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية : 117/12 .

(5) تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 86/4–88 .

ومنذ ذلك الوقت وتحديداً سنة 485هـ/1092م ستبدأ فرقة الإسماعيلية النزارية دوراً جديداً بعد انشقاقها عن المستعلية لتعرف بعد ذلك بالنزارية نسبة إلى نزار ، ولتتخذ لها منهجاً جديداً في التعامل مع الخصوم ، متخذةً القلاع والحصون ملجأً ومستقراً لها[1] . ليكون ملاذاً آمناً بعيداً عن سلطة العباسيين والسلاجقة ، ومع ما عرفته تلك الفرقة من أساليب في تحصين القلاع وتزويدها بالمؤن والذخائر لتصمد أمام الهجمات لمدة طويلة فضلاً عن تربية المدافعين عنها بصورة تجعل تلك الجماعة مثالاً في الصبر والمطاولة يرهق المحاصرين وهم يقاتلون ويتحصنون بأكثر المناطق وعورةً .

اما تعاليم فرقة الحشاشين فلم تكن إلا نسخة من تعاليم الإسماعيلية القديمة نفسها والتي كنا قد تطرقنا لها في الفصل الأول ، وعليها أسسوا دعوتهم وبها قال دعاتهم وبها كان الدعاة ينادون قبل الحسن بن الصباح[2] .

ولقد استطاعت الدعوة الإسماعيلية والفاطميين ان تحقق لها موطئ قدم في المشرق فلم يهدأوا يوماً من الأيام ، أو يتوقفوا عن العمل في المجال الدعائي والفكري الذي كان باسم الدين مختفياً تحت ستار تحقيق مكسب سياسي لهم هناك ، ولا أدل من نشاطهم ونجاحاتهم دخول نصر بن أحمد الساماني أمير خراسان في ذلك الوقت إلى دعوتهم وحول دولته إلى دولة موالية للفاطميين[3] . وقد حول ذلك الولاء للفاطميين في رسالة إلى القائم بأمر الله الفاطمي يقول لهُ فيها "انا في خمسين ألف مملوك يطيعونني

---

(1) ابن خلكان ، وفيان الأعيان : 450/2 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 386/35 .

(2) ينظر حول ذلك الموضوع أهم كتب الإسماعيلية ودعاتها مثل كتاب دعائم الإسلام للقاضي النعمان ، والسيرة المؤيدية سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، ينظر باب احتياج الإنسان إلى معلم في حياته وان التعليم قد حصر بالإمام فقط : ص16 وما بعدها ، وهو ما سنراه عند النزارية والتي حملت اسم التعليمية . ينظر جولد تسهير ، العقيدة والشريعة في الإسلام: 218 .

(3) عارف تامر ، القائم والمنصور الفاطميان إمام ثورة الخوارج ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م : 45 .

... وليس على المهدي بهم كلفة ولا مؤونة فان أمرني بالمسير سرت إليه ، ووقفت بسيفي ومنطقتي بين يديه متمثلاً لأمره"[1] ، وكان دخول نصر الساماني إلى الإسماعيلية على يد الداعية أبو عبد الله بن أحمد النسفي البردعي[2] .

أطلقت تسمية الدعوة الجديدة على الدعوة النزارية التي تبنى نشرها الحسن الصباح في المشرق الإسلامي "وكان لهذا الحسن مقالات ... ونسميها المقالات الجديدة"[3] لكن هناك من يقول ان تلك الدعوة التي سميت بالجديدة إنما كان القصد من ورائها تمييز هؤلاء عن المستعلية وتمييز دعوتهم عن دعوة الفاطميين أ, الدعوة القديمة ... فلم تأت هذه الدعوة بمذهب جديد أو آراء ومبادئ جديدة[4] وقد أكد ذلك الشهرستاني ، الذي أطلع على أفكارهم ولم يستطع ان يفرق بينهم وبين مبادئ المذهب الإسماعيلي وأيده في ذلك الجويني الذي أطلع على كتبهم وأقر ان مذهب الحسن لا يختلف عن مذهب الفاطميين في مصر[5] .

ويبدو ان الشهرستاني عند حديثه عن الإسماعيلية والحشاشين كان أكثر إدراكاً لذلك الانشقاق فيقول "ولهم دعوة في كل زمان ومقالة جديدة لكل لسان فنذكر مقالاتهم القديمة ونذكر بعدها دعوة صاحب الدعوة الجديدة"[6] .

---

(1) الزركلي ، خير الدين ، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م : 21/8 .

(2) السجستاني ، الينابيع : 29-30 ، راجع كذلك ستودة ، د. منوجهر ، قلاع إسماعيلية ، الناشر دانشكاه ، طهران ، 1926م : 3-4 .

(3) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 125/4 .

(4) شرف ، دولة النزارية : 69 .

(5) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 ، الجويني ، فاتح العالم : 302/2 وما بعدها ، شرف ، دولة النزارية : 69 .

(6) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 .

لذلك اتخذ الحشيشية لقباً يبدو انهُ كان يوازي في التضاد الفرع الذي انشقوا عنه والذي عرف فيما بعد بالمستعلية فأطلقوا على أنفسهم "أصحاب الدعوة الهادية"(1) .

- بلاد المشرق وجذور الدعوة الأولى :

تعود جذور الدعوة الإسماعيلية في بلاد المشرق إلى سنة 261هـ/874م وذلك حسب ما ذكره ابن النديم عند حديثه عن عبد الله بن ميمون "ونصب له عبد الله بن ميمون رجلاً من ولده يكاتبه من الطالقان(*) وذلك في احدى وستين ومائتين"(2) . ويذكر كذلك ان أول دعاة الإسماعيلية هناك رجلاً اسمه خلف أرسله عبد الله بن ميمون وحدثه قائلاً "أمضي إلى الري وأدع إلى الشيعة فالناس في الري وقم وكاشان(*) رافضة كلهم سيستجيبون لدعوتك سريعاً فيعظم أمرك ويعلو شأنك"(3)، ولم يحقق أول الدعاة المذكور من الانجازات عظم شأن إلا انه نجح إلى حد بعيد في غرس البذور الأولى هناك وان كانت تلك البدايات لا تعدو في حقيقتها إلا محاولات جس النبض لتقبل الناس للدعوة ، وقد كانت تلك الحقبة التي سبقت مجيء الفاطميين إلى مصر فترة

---

(1) القلقشندي : صبح الأعشى : 196/7 .

(*) الطالقان : بعد الألف لام مفتوحة وقاف وآخره نون بلدتان أحداهما بخراسان بين مرو الروذ وبلخ وبينها وبين مرو الروذ ثلاث مراحل وهي أكبر مدن طخارستان في مستوى الأرض وبينها وبين الجبل غلوة سهم ومقدارها ثلث بلخ ، خرج منها جماعة من الفضلاء . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 6/4-8 .

(2) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي (ت346هـ/957م) ، التنبية والاشراف، طبعة دي خويه ضمن سلسلة المكتبة الجغرافية ، ليدن ، 1893 : 395 ، ابن النديم ، الفهرست : 264 .

(*) كاشان : بالشين المعجمة وآخره نون مدينة بما وراء النهر على بابها وادي اخسيكث ، الحموي ، معجم البلدان : 430/4 .

(3) نظام الملك ، سياست نامه : 257-258 ، موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية: 17 .

اختمار وحضـــانة[1] ، وقد اختارت الإســماعيلية المناطق التي اصــطبغت بالصــبغة الشـيعية[2] ، كالري التي اسـتطاع أحمد بن الحسـن المارداني ان يحولها إلى التشـيع فيقول ياقوت في ذلك "وكان أهل الري أهل سنة وجماعة إلى ان تغلب أحمد بن الحسن المارداني عليها فاظهر التشيع وأكرم أهلها فتقرب إليه الناس سنة 275هـــ/888م[3] ، وكـــذلـــك كـــان الـــحـــال بـــالـــنســـبـــة لـــمـــديـــنـــة قـــم[**]

التي دخلها التشيع في عهد مبكر[4] .

---

(1) د. سميرة بن عمو ، أل – مُوت وايديولوجيا الإرهاب الفدائي : 59 .

(2) موسى ، المصدر نفسه : 18 .

(3) الحموي ، المصدر نفسه : 121/3 .

(**) قم : مدينة مسـتحدثة إسـلامية لا أثر للأعاجم فيها وأول من مصـرها طلحة بن الأحوص الأشـعري ، وقد فتحها أبو موسـى الأشـعري ، وقد وجه الأحنف بن قيس فدخلها عنده سـنة 23هــ/643م . وهي مدينة كبيرة حسنة طيبة وأهلها كلهم شيعة إمامية ، وكان قد بدأ تمصيرها في أيام الحجاج بن يوسف (83هـ) ؛ لأن عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس كان أمير سجستان من جهة الحجاج ثم خرج عليه وكان في عسكره سبعة عشر من علماء التابعين من العراقيين فلما انهزم ابن الأشـعث ورجع منهزماً كان في حملته أخوة يقال لهم عبد الله الأحوص وعبد الرحمن وإسحاق ونعيم ، وهم بنو سعد بن مالك بن عامر الأشعري ، وقعوا إلى ناحية قم وكان هناك سـبع قرى احداها كمندان فنزل هؤلاء الأخوة = = على هذه القرى حتى افتتحوها وانتقلوا إليها واستوطنوها واجتمع إليهم بنو عمهم وصـارت السـبع قرى سـبع محال بها سـميت باسم احداها وهي كمندان فاسقطوا بعض حروفها فسميت بتعريبهم قماً ، وكان هؤلاء الأخوة عبد الله بن سـعد وكان له ولد قد رَبى بالكوفة ، فانتقل منها إلى قم وكان إمامياً، وقيل هو الذي نقل التشـيّع إلى أهلها فلا يوجد بها غيرهم قط . الحموي ، معجم البلدان : 397/4–398 ، مطر ، أزهار غازي ، قبيلة الأشعريين ودورهم في التاريخ الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية ، جامعة ديالى ، 2005م : 64–65 .

(4) الاصطخري ، مسالك الممالك : 201 .

لم تظهر على مسرح الأحداث شخصية الدعاة في تلك الحقبة وتبدو معلومات من كتب عنهم مقتضبة بسيطة ، وكانت الأسماء في الغالب أما أسماء مستعارة أو أسماء غير حقيقية فكان الداعي الإسماعيلي يضطر ان وجد في مجتمع معادي ان يكون حذراً ويبتعد عن الاجهار بإيمانه ومعتقده أو بالارتحال بعيداً[1] . وكان نتيجة لذلك ان انتحلوا أسماء غير أسمائهم الحقيقية ، ونسباً غير نسبهم[2] .

وذلك يصح مثلاً على الداعي غياث الذي جاء بعد الداعي أحمد بن خلف وكان غياث بارعاً جداً حاذقاً بالنحو والأدب "وشرع يوشي أصول مذهبهم بآيات القرآن وأخبار الرسول وأمثال العرب والشعر وألف كتاب البيان ... وذكر فيه معاني الصلاة والصوم وألفاظ الشرع على نحو ألغاز ومعميات ثم دخل في مناظرة... وشاع في قم وكاشان وأوبه[*] الخبر ... فقصد أهل هذه المدينة غياثاً وأخذوا يتعلمون عليه المذهب إلى ان لقف الفقيه عبد الله الزعفراني[*] الخبر ... فألب أهل الري على غياث ففر إلى خراسان ... ومع حلول عام 200هـ/815م ففشا هذا المذهب"[3] . وأسلوب الكتاب الذي ألفه

---

(1) موسى ، د. علي حسن ، الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية ، ط1 ، طبعة سوريا ، دمشق، 2009م : 25 .

(2) المصدر نفسه : 18 .

(*) أبه : بليدة بقرب ساوة طيبة وبينها وبين ساوة نهر عظيم ويغلب على أهلها التشيع . ينظر : الاصطخري ، مسالك الممالك : 201 ، القزويني ، آثار البلاد : 283 .

(*) أحد الفقهاء الذين ورد ذكرهم في المسائل الفقهية وهو تلميذ محمد بن الحسن ولهُ كتاب في الفقه ويبدو انه مفقود ، وكان مذهبه حنبلياً ثم تحول فيما بعد إلى مذهب النجارية وهم من الحنفيين . ينظر : أبو البناء المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت414هـ/1023م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تح : غازي طليحات ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1980م : 266/1 ، السيواسي ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد (ت861هـ/1456م) ، شرح فتح القدير ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت : 7/225-227.

(3) نظام الملك ، سياست نامة : 258-259 .

غياث يشبه إلى حد بعيد أسلوب أحد أبرز دعاة الإسماعيلية وهو أبو حاتم الرازي[*] وكتابه (الزينة) "حيث تختفي الملامح الإسماعيلية تماماً بدرجة تجعل من العسير على القارئ ان يدرك ان المؤلف إسماعيلي"[1] .

اما الصورة الأكثر وضوحاً عما وصلت إليه الدعوة الإسماعيلية بعد سلسلة من الدعاة كان أثرهم واضحاً وكبيراً[2] ، فنجدها في نص لابن سينا عند حديثه عن طفولته فيقول وذلك في حدود سنة 370هـ/980م وما بعدها "وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية وقد سمع منهم ذكر النفس والعقل على الوجه الذي يقولونه وكذلك أخي وربما تذاكرا به وانا أسمعهما وأدرك ما يقولانه ولا تقبله نفسي وابتدأوا يدعونني إليه ويجرون على ألسنتهم ذكر الفلسفة والهندسة وحساب الهند وأخذ يوجهني إلى رجل كان يبيع البقل ويقوم بحساب الهند حتى أتعلمه منه"[3].

(*) أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي الليثي الورسناني من أكبر الدعاة العلماء الذي أنجبتهم الدعوة الإسماعيلية ، وقد كان لهم دور كبير في عالم الدعوة وفي عالم الأدب والفلسفة والتأليف ويُعد كتابه الزينة من أهم وأروع كتب الدعوة الإسماعيلية . ينظر : ابن حجر ، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني (ت852هـ/1448م) ، لسان الميزان ، تح : دار المعارف النظامية ، ط3 ، الهند ، دار النشر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1986م : 146/1 ، غالب ، أعلام الإسماعيلية : 97 .

(1) جمال الدين ، د. محمد السعيد ، دولة الإسماعيلية في ايران ، ط1 ، الدار الثقافية للنشر المطبعة العصرية ، بيروت ، 1999م : 47-48 .

(2) راجع للاستزادة ، المصدر نفسه : 46-53 .

(3) ابن أبي أصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت668هـ/1269م) ، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح : د. نزار رضا ، دار النشر مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت : 437 . الذهبي ، تاريخ الإسلام : 219/29 ، ابن حجر ، لسان الميزان : 291/2 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 243/12 .

وهذا النص يوضح ما وصلت إليه الدعوة الإسماعيلية وكيف كانت تجري بين الناس وما وصلت إليه الإسماعيلية من الذيوع والانتشار ، وقد حققت تلك الدعوة تقدماً كبيراً وملحوظاً عندما جلس السلطان فرخزاد(*) الغزنوي على العرش سنة 444هـ/1052م حيث كان المنور أحد أفراد الأسرة السيمجورية ، مستولياً على أقسام فهستان(**) وطبس(***) . ولما ثار فرخ زاد على الب ارسلان جهز حملة كبيرة إلى خراسان بقيادة أحد أمرائه ويدعى قطب الدين كلسارغ وقد تسبب هذا الأمير في ظلم أهل قهستان وإيذائهم وأراد أختاً للمنور بغير حل فحمل ان يلجأ المنور إلى الإسماعيلية ، وصار معهم فعظم حالهم في قهستان واستولوا عليها وعلى قلاع عديدة(*) (1) . وأصبحوا يسيطرون على الطرق البرية التي تصل بين بزروكان من جهة خراسان

(*) فرخزاد : بن السلطان مسعود بن محمود بن سبكتكين كان شجاعاً متسع الممالك مات بالقولنخ سينة 451هـ/1059م . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 133/18-134 .

(**) قهستان : أو قوهستان بضم أوله ثم السكون ثم كسر الهاء وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخره نون وهو تعريبه كوهستان ومعناه موضع الجبال أحد أطرافها متصل بنواحي هراة ثم يمتد في الجبال طولاً حتى يتصل بقرب نهاوند وهمذان وقصبة قوهستان هي قاين أو قائن والمدن والقرى التي بقوهستان متباعدة عن بعضها في أعراضها مفاوز وليست العمارة فقوهستان مشتبكة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 416/4 .

(***) طبس : بينها وبين أصفهان عشرة ومائة فرسخ وهي مدينة مزدحمة ولو أنها تشبه القرية ماؤها قليل وزراعتها أقل وبها النخل والبساتين ، وتقع نيسابور على مسيرة أربعين فرسخاً منها شمالاً . ينظر : ناصر خسرو ، سفرنامة : 156 .

(*) يذكر ان العميد منصور بن منصور الزوراباذي هو من استقدم الأتراك لنصرته ضد الإسماعيلية ، لكن الأتراك أساؤوا السمعة "فجرو على عاداتهم في سوء المعاملة واستباحة ما يليق ولم تكن همتهم صادقة في دفع العدو وإنما كان قصدهم بلوغ الغرض في تحصيل ما يحصلونه فرأى ثقل وطأتهم وقلة غنائهم" وهكذا أصبح اللجوء إلى الإسماعيلية الذين استقرت الأحوال في عهدهم . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 33/4 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 39/9 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 122/4 .

وسيستان(**) ويقال ان الإسماعيلية سيطروا على الجهتين(***) العامرتين بطبس وكان يطلق على مركز الإسماعيلية هذا طبس كيلكي وربما تكون بسبب سيطرة الأمير أبو الحسن كيلكي بن محمد والذي كان إسماعيلياً وقد قام بتطهير طبس هذه من مضايقات اللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يشنون الغارات عليهم قبل سنة 444هـ/1052م ، وكانوا يسمون لصوص كوج بلوج[1] ، وهكذا ظهر الإسماعيليون وزاد نشاطهم ، وتفيد الرواية بان الإسماعيلية كانت قد حققت نجاحات كبيرة قبل قدوم الأتراك الذين ساءت سمعتهم فاستفاد الإسماعيلية من ذلك وبسطوا نفوذهم مستغلين تذمر الأهالي من تلك التصرفات وفي الوقت ذاته قاموا بتأمين الطرقات من عصابة اللصوص . وقد استمرت تلك السيطرة وبهذا الشكل حتى سنة 489هـ/1095م[2] . ولم يكن الحدث الأكبر هو ما

(**) سيستان : أصل الكلمة سجستان وسيستان معربة ، ومدنها زرنج وكس ونه والطاقة والقرنين وخواش وفره وجزه وبست وروذان وسروان وزالقان ودرغش وتل وبشلنك وبنجو أي وكهك وغزنه والقصر وسيوي واسفنجاي وجدمان ، وأكبر مدنها أو أعظمها زرنج كبيرة عامرة بالأسواق وهي كبيرة وحصينة ولها سور وخندق وأرضها سبخة رملية في سهل متصل وهي حارة لا يقع بها الثلج وسجستان ناحية كبيرة الطعام والتمور والأعناب وأهلها مياسير . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 453/1-454 ، القاري ، علي بن سلطان بن محمد الهروي (ت1014هـ-1605م) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ط1 ، تح : جمال عتياني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م : 72/1 .

(***) يوجد اسمان لطبس أحداهما طبس كيلكي وهي التي ذكرناها والأخرى تسمى طبس ميسنان ويقال لهما الطسين لأنهما في مكان واحد . ينظر : الشيباني ، اللباب في تهذيب الأنساب : 274/2 ويبدو أنهما كانا حصنين أي وجد فيهما حصنان وهو ما ذكر عند البلاذري . ينظر : فتوح البلدان : 394 .

(1) ينظر للاستزادة نظام الملك ، سياست نامة : 101-107 ، حول كوج بلوج .

(2) ابن الأثير ، الكامل : 39/9 ، ابن خلدون ، تاريخ : 123/4 .

اســـتطاع جيش الدعاة والاهتمام الكبير بأرض المشـــرق من الفاطميين[1] وإنما كان لظهور الحسن بن الصباح المرحلة الأهم في تاريخ الإسماعيلية في بلاد فارس .

- الحسن بن الصباح والإسماعيلية في بلاد المشرق :

هو الحســن بن علي بن محمد بن جعفر بن الحسـين بن محمد بن الصـــباح الحميري[2] ، اما ولادته فهي من الأمور المختلف فيها كالمعتاد منهم من قال انهُ ولد سنة 348هـ ومنهم من ذكر ان ولادته كانت سنة 445هـ/1053م في بلدة قم[3] ، ويبدو ان الأخيرة أكثر قبولاً لسنة ولادته من الأولى لأنها تتسق مع سير الأحداث .

كان المشـرق الإسـلامي آنذاك مركزاً مهماً للدعاة الإسـماعيلية ، وقد نشـط فيه عدد من دعاتهم ، وكان أبرزهم ابن عطاش الذي أصـــبح زعيماً للإســـماعيلية ســـنة 494هـ/1057م "وكان الباطنية قد ألبسوه تاجاً وجمعوا لهُ أموالاً وقدموه عليهم"[4] ويذكر الذهبي ان سنة 494هـــ/1057م هي نفسها سنة ظهور الباطنية ببغداد ويجعل لذلك

---

(1) ورد في كتاب المجالس والمسـايرات للقاضـي النعمان وفي أماكن متعددة من ذلك الكتاب آراء مطولة لخلفاء الفاطميين تشـير إلى الاهتمام المتزايد بالمشـرق الإسـلامي وقد كان اهتمام أولئك الخلفاء بالمشـرق ليس لوجود جذور قوية فيه فقط ولكن ربما محاولة الفاطميين تشـكيل جبهتين للضــغط على العباسـيين ومحاولة تطويق أراضـي وسـيطرة العباسـيين من الجهتين الشـرقية والغربية ، وربما ما زاد في إغراء الفاطميين في التوجه إلى المشـرق أيضـاً ضـعف سـلطان العباسـيين فيه ، وتقاسـم سـلطات الأمراء المحليين لأراضـيه . ينظر : ابن حيون ، المجالس والمسايرات : 370-374 و405 و426-427 و475-476 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 303/2 ، غالب ، د. مصطفى ، الثائر الحميري الحسن بن الصباح، ط2 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1979م : 33 .

(3) غالب ، اعلام الإسـماعيلية : 223 ، الخشـت ، حركة الحشـاشـين : 53 ، ولو ان الأسـتاذ الخشت يورد آراء أخرى في سنة ولادة الحسن وفي مدينة ولادته أيضاً .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 38/9 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 121/4 .

عنواناً تحت مسمى "ظهور الباطنية ببغداد وفي حدودها" ويقول "ظهرت الباطنية ببغداد ونواحيها وكثروا"[1] .

تلتقي شخصية الحسن بن الصباح بشخصية ابن عطاش والذي كان يسمى بشيخ الجبل الأول في بلاد فارس[2] ، ويكفي ابن عطاش أثراً في حياة ونشاط ابن الصباح انهُ كان المسؤول عن إطلاق حركة الحسن بن الصباح"[3] ، ويبدو ان ابن عطاش كان قد أحس بمقدرة الحسن وعظيم ذكائه ، وسر من أنضمامه إليه[4] ، وتشير الروايات إلى ان الحسن كان على المذهب الأثنى عشري ، وكان إلى جانب ابن عطاش داع آخر قاد إلى انضمام الحسن إلى الحركة الإسماعيلية إلا وهو شخص كان يدعى الأمير الضراب وكان على مذهب باطنية مصر[5] .

ويذكر الحسن انهُ تحول إلى المذهب الإسماعيلي بعد نقاشات وسجالات عدة بينه وبين دعاة الإسماعيلية وبعد ان مرض الحسن مرضاً شديداً قال "وفاجأني في هذه الأثناء مرض مرعب صعب فراودتني فكرة صحة ذلك المذهب"[6] ، وبعد شفائه من ذلك المرض ذهب يبحث عن أبي النجم السراج الذي كان من جملة دعاة الباطنية "فشرح لي مذهبهم فوقفت على كثير من غوامضه"[7] . اما الشخص الآخر الذي لعب

---

(1) تاريخ الإسلام : 30/34 .

(2) مير خواند ، مير محمد بن سيد برهان الدين خواو شانده (ت911هـ/1505م) ، تاريخ روضة الصفا ، الناشر كنابفروشيهاي ، طهران ، 1920م ، جلد جهارم : 206 ، موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 25 .

(3) المصدر نفسه : 25 .

(4) أبو النصر ، عمر ، قلعة الموت الحسن بن الصباح ، ط2 ، تصدر عن مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والصحافة ، بيروت ، 1970م : 103 .

(5) الجويني ، فاتح العالم : 303/2 ، مير خواند ، روضة الصفا : 205 .

(6) الجويني ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، مي خواند ، المصدر نفسه : 207 .

(7) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

دوراً في استمالة الحسن إلى الإسماعيلية فكان يسمى بالداعي مؤمن وكان قد أجيز من قبل ابن عطاش بأمر الدعوة(1) .

وهكذا دخل الحســن إلى الدعوة ، ولو ان قصـــة مرض الحســن تلك لا تلاقي القبول عند باحثي الإسماعيلية(2) .

وعند دخول الحســن إلى الحركة الإســماعيلية ، اســتطاع ان يضــع إمكانياته الفكرية والعلمية في خدمة وتطور الحركة ، حيث أهلته إمكانياته الذاتية لذلك فقد كان ملماً بالعلوم "وكان رجلاً شـهماً كافياً عالماً بالهندسـة والحسـاب والنجوم والسـحر وغير ذلك"(3) ، وكان مهاباً في النفوس "ذا هيبة"(4) وكان لإمكانياته تلك ولشــخصــيته الأثر في ذهابه إلى مصــر ، مضــافاً إلى قدرته على الإقناع(5) . فقد كان وسـيماً وجريئاً ، عزيز النفس لا يبالي بالصـــعاب فصـــيح اللســـان ... وكان من الرجال يمتاز بالجرأة

---

(1) عماد الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 85 ، غالب ، الثائر الحميري : 45 ، ولتفاصيل أكثر ينظر : دي ساسي ، سيلفستر ، دراسة في سلالة الحشاشين والأصل اللغوي لأسمهم ، ترجمها إلى الانكليزية عزيز ازودي ، ونقلها إلى العربية ســيف الدين القصــير ، دار المدى ، دمشــق ، 1996م : 270 وما بعدها ، الكتاب موجود داخل كتاب خرافات الحشــاشــين لفرهاد دفتري .

(2) ايفانونف ، فلاديمير ، الموت ولامســـار ، ترجمة : جمانة رســـتم ، مراجعة وتقديم : د. علي حسن موسى ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، 2007م : 45 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 37/9-38 ، الذهبي ، تاريخ الإســـلام : 31/34 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 122/4 ، ويذكر صاحب تاريخ دول آل سلجوق ان الحسن كان قد ساح في العالم وكانت صنعته الكتابة . ينظر : عماد الدين الأصفهاني : 62 ، ويؤيد ذلك ابن الجوزي فيقول انهُ أي الحسن كان كاتباً للرئيس عبد الرزاق بن بهرام في صباه ، ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : 134 ، وكان الحسن قد تولى الحماية للسطان ملكشاه السلجوقي . ينظر : حمد الله مستوفي ، حمد الله بن أبو بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني (ت730هـــ/1329م) تاريخ كزيدة ، تح : د. عبد الحسين نوائي ، مؤسسة انتشارات أمير كبير ، طهران ، 1917م : 518 .

(4) اليافعي ، مرآة الجنان : 222/3 .

(5) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 224 .

والعظمة والذكاء[1] . ويبدو ان تلك الصفات مضافة إلى نشاط الحسن هو ما دفعه بالعباسيين لملاحقته ، حيث ذكر أحد الروايات الإسماعيلية ان الحسن ذكر عند حديثه عن ما تعرض له خلال تنقله ووصوله إلى مصر ان العباسيين دفعوا لبدر الجمالي ما مقداره ثلاثة أحمال من الذهب ووعدوه بأموال طائلة أخرى إذا أرسل إليهم الحسن أو رأسه ويذكر الحسن ان عناية الخليفة الفاطمي المستنصر بالله هي التي نجته من تلك المكيدة[2] .

المبحث الثاني
ظهور الحسن بن الصباح وإجراءاته في بلاد المشرق

- سياسة الاستحواذ على القلاع عند الحشاشين :

عند حديثه عن قلاع الباطنية يذكر ابن الأثير وتحديداً عن قلعة أصبهان[*] التي يعود زمن بنائها إلى السلطان السلجوقي ملكشاه ، ان أحمد بن عبد الملك بن

(1) الباكوري ، عبد الرشيد صالح بن نوري (كان حياً حتى سنة 816هـ/1413هـ) ، تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار ، ترجمه وعلق عليه : د. ضياء الدين أبو موسى بونياتوف ، دار النشر إدارة التحرير الرئيسية للآداب الشرقية ، موسكو ، 1971م : 37 ، تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 77/4 ، نقلاً عن كتاب فصول وأخبار للمؤرخ السوري نور الدين أحمد وهو مخطوط موجود بحوزة المؤلف ، راجع كذلك حسن ، الحسن الصباح ونزارية الموت ، رسالة ماجستير : 148 .

(2) ينظر : تامر ، عارف ، الغزالي بين الفلسفة والدين ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، 1987: 28 نقلاً عن كتاب مجالس المؤمنين ، تأليف : القاضي نور الله شوشتري من علماء الإمامية في القرن العاشر .

(*) أصبهان : بالفتح وهو الشائع والبعض يقرئها بالكسر ، مدينة عظيمة من أعلام المدن وأعيانها ، وأصبهان أسم للإقليم بأسره كانت مدينتها أولاً جيا ثم صارت اليهودية وهي من نواحي الجبل في أخر الإقليم الرابع طولها ست وثمانون درجة وعرضها ست وثلاثون . ويقال انها سميت بذلك باصبهان بن فلوخ بن لنطي بن يونان بن يافث ، وهناك من يقول ان الاسم من مقطعين الأصب وهان وهي تعني بلاد الفرسان ، وهي مدينة عريقة ، لم يكن يحمل لواء ملوك الفرس من آل ساسان إلا أهل أصبهان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 206/1 وما بعدها ، البكري ، معجم ما استعجم : 163/1 .

عطاش(**) استطاع ان يستولي على تلك القلعة ، بعد ان أصبح أميراً لهم وألبسوه تاجاً وجمعوا لهُ الأموال ، وكان بين بنائها واستيلاء ابن عطاش عليها عدة حكام لها أخرهم كان الدزدار[1] (***) وكان اسم تلك القلعة هو شاه دز(****) ، وقد استطاع ابن عطاش ان يقيم علاقة صداقة مع صاحب القلعة ، وأهدى له جارية وقوس فدخل هو وثلاثين رجلاً من أصحابه واستولى على القلعة وقطعوا الطرقات ما بين فارس وخوزستان[2] . ويذكر الراوندي ان الاستيلاء على تلك القلعة كان بسبب مهارة ابن عطاش في نشر دعوته داخلها "وصار جميعاً تبعاً له"[3] ، وسواء صحت احدى الروايتين ورجحت على

(**) أحمد بن عبد الملك بن عطاش : ورد الاسم أحياناً عبد الملك وأحياناً أحمد بن عبد الملك ، ويبدو ذلك طبيعياً لما ذكرنا من شدة التخفي كما ان الكثير من الرواة يذكروا الأب عبد الملك والابن في رواية الاخبار . ينظر ، العبر في خبر من غبر : 356/3 ، ابن الأثير ، الكامل: 38/9-40 و107-109 ، وقد نوه لذلك موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 23-28 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 38/9 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 18/2 ، ابن العماد العكبري ، شذرات الذهب : 410/3 .

(***) ولقد كانت بلاد فارس ومدنها بصورة عامة مدن محصنة بحصون منيعة وأسوار وثيقة شاهقة عالية ، ومن تلك الحصون حصون داخل المدن ومنها حصون في جبال منيعة . ينظر ، ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت367هـ/977م) ، صورة الأرض ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت، 192م: 271-272، فلم يكن من المستبعد ان يلتجأ الإسماعيلية لتملك الحصون والعيش داخلها .

(****) شاه دز : قلعة حصينة على قلعة جبل بناها ملكشاه بن الب ارسلان سنة خمس مائة . ينظر: القزويني ، آثار البلاد ، ويبدو ان تاريخ بناء القلعة قد أورد خطأً من قبل القزويني = = لأن نهاية ابن عطاش كانت سنة 500هـ/1106م والأصح ما أورده الحموي لأنهُ ذكر ان قلعتين أحداهما قلعة ملكشاه سنة 500هـ باسم شاه دز وأخرى حملت نفس الاسم بناها نصر بن الحسن بن فيروان الديلمي في جبل شهريار تحمل اسم شاه دز أيضاً بنيت سنة 360هـ/970م وتعني قلعة الملك . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 316/3 ، ويبدو ان لبساً قد حصل في تحديد تاريخ بناء القلعة .

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 30/34 .

(3) الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (كان حياً سنة 603هـ/1206م) ، راحة الصدور وأية السرور ، نقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشواربي وآخرون ، وراجعه ونشر مقدماته: د.

الأخرى فهو ما سيكون منهجاً لابن الصباح في الاستيلاء على القلاع ومنها القلعة الرئيسة للحشاشين وهي قلعة الموت .

وعلى الرغم من التضارب في الروايات زمن استيلاء ابن عطاش على قلعة شاه دز إذ يجعلها البعض سنة 488هـ/1095م[1]، وبذلك يكون الحسن بن صباح قد سبق ابن عطاش في سيطرته على قلعة الموت التي سيطر عليها سنة 483هـ/1090م[2]، لكن سير الأحداث ربما رجح استيلاء ابن عطاش على قلعة شاه دز قبل هذا التاريخ، ويشير لذلك موسى في ان دعوة الإسماعيلية آنذاك كانت موزعة على ثلاثة أشخاص في بلاد المشرق منهم أحمد بن عبد الملك في أصفهان والحسن بن الصباح في الري وناصر خسرو في خراسان[3] ، وكان ابن عطاش سبق بذلك الحسن حين استولى على قلعتين عظيمتين أحداهما يقال لها الدر[*] لأبي القاسم دلف العجلي ، وجددها وسماها ساهور ورممها وأضاف في بنائها ، والقلعة الأخرى تعرف بقلعة جان ، وهما على جبل

إبراهيم أمين الشواربي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، 1960م : 239 .

(1) الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 356/3 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 194/5، في الحقيقة ان تلك المصادر تذكر سنة مقتل ابن عطاش سنة 500هـ/1106م وتجعل تملكها من قبله لمدة 12 سنة فبذلك يكون قد سيطر عليها سنة 488ه/1095م .

(2) شيوخ الجبل الإسماعيلية : 26-27 .

(3) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ-1441م) ، اتعاظ الحنفا باخبار الفاطميين الخلفا ، تح: د. محمد حلمي محمد أحمد ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1971م : 323/2 .

(*) في الحقيقة لم أجد لهذه القلعة ذكراً في أغلب المصادر التي وقعت بين يدي .

أصبهان(**)"[1] ، وكان من أذربيجان وسورية وقد أحتل قلعة الفيرودوس في قهستان ، وأسس فيها مدرسة إسماعيلية استطاعت ان تخرج أكثر من (30.000) ألفاً من الدعاة الإســماعيليين ، على مختلف المناطق ناشــرين لأفكارهم[2] . وبالطبع لم يكمن الإسماعيلية آنذاك ليتمكنوا من بناء القلاع وإنما يميلون للاستيلاء عليها .

لم يدم استيلاء ابن عطاش طويلاً وسطوته على قلعة شاه دز وما تبعها من بسط سيطرته على المنطقة والطرق المحيطة بها[3] . ولم يفلح صموده فيها سوى اثنتي عشرة سنة حيث وجه السلاجقة سلطانهم محمد بن ملكشاه فحاصر القلعة بعدد كبير من الجنود واســتطاع ان يفتحها ، واســتطاع الجيش بعد معارك قوية ان يوقع ابن عطاش في الأسر مع أصحابه فشهر به في جميع البلد "وسلخ جلده فتجلد حتى مات وحشــي جلده تبناً وقتل ولده وحمل رأســهما إلى بغداد وألقت زوجته نفســها من القلعة فهلكت"[4] .

(**) يرجع تامر الاستيلاء على القلاع من قبل ابن عطاش إلى زمن طويل قبل وصول الحسن في الدعوة الإسماعيلية . ينظر : تاريخ الإسماعيلية : 83/4 ، وربما ان ذلك الاعتقاد يصح إذا ما قارنا بين نشاط الإسماعيلية وكثرة دعاتهم قبل انضمام الحسن إليهم .

(1) المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 2/323-324 .

(2) موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 26/27 .

(3) ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/38-40 ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد: 396-397 .

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 151 ، ويذكر الراوندي تفاصيل أوسع حول بث الدعاة وانتشار الإسماعيلية بين الكثيرين حيث اتخذ ابن عطاش دوراً للدعوة قرب صحراء كور (دشت كور) ومن هناك أنظم إليه الكثير حتى بلغ عددهم (30.000) ألف رجل ولعل هذا العدد هو الذي دفع بالدكتور على حسن موسى إلى القول بان دعاة الإسماعيلية وصلوا إلى ثلاثين ألف من الدعاة ، راحة الصدور : 238 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/109، القزويني ، آثار البلاد : 396-397، العلوي ، هادي ، من تاريخ التعذيب في الإسلام ، ط4 ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2004م : 23 .

ويبدو ان ذلك الأمر كان باعثاً للحسن في تخطيطه لإنشاء مراكز يكون عمادها القلاع . وتكون بعيدة عن مراكز السلاجقة ووعرة المسالك والطرق .

- إجراءات الحسن بن الصباح وقلعة الموت :

يذكر الحسن في سيرته التي نقلها الجويني ، الرحلة الطويلة لعودته من مصر ، وبدل ان ترسو به السفينة إلى المغرب فانها تحطمت ونجا هو ليحمل إلى سورية ومن ثم يسافر عبرها إلى حلب وبغداد ليصل بعد ذلك إلى أصفهان وقبلها إلى خوزستان(*) وكان ذلك في حدود سنة 473هـ/1080م ، وتوجه بعد ذلك إلى كرمان(**) ويزد(***) ثم عاد بعد ذلك أصفهان وتوجه إلى ابت وخوزستان مرة أخرى ومن هناك توجه إلى افريم(*) ثم وصل بعد إلى جبل شهريار ليقيم بعد ذلك في مدينة

(*) خوزستان : مر تعريفها في ص 80 .

(**) كرمان : بالفتح ثم السكون وآخره نون ربما كسرت وبالفتح أشهر وهي في الإقليم الرابع طولها تسعون درجة وعرضها ثلاثون ، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، وهي تشبه البصرة ، متاخمة للبحر ويجتمع فيها الحر والبرد ، يكثر فيها الجوز والنخل والتمور والأرحاب والأشجار ومن مدنها جيرفت وموقان وخبيص وبم والسيرجان ونرماسير وبردسير. ينظر: الحموي، معجم البلدان: 454/4 وما بعدها.=

= (***) يزد : مدينة حسنة نظيفة عجيبة الأسواق ذات أنهار مطردة وأشجار نظيرة ، وأهلها تجار ، وهي في جهة الشرق على جانب مفازة في طريق خراسان . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 415/1 ، ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ت779هـ/1387م) ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروف برحلة ابن بطوطة ، ط4 ، تح : د. علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م : 228/1 .

(*) افريم : أو فريم بكسر أوله وثانيه موضع في جبال الديلم وهي على مرحلة من سارية ومستقر ال قارن في مدينة فريم وهو موضع حصنهم وذخائرهم ومكان ملكهم يتوارثه من أيام الأكاسرة . الحموي ، معجم البلدان : 260/4 .

دامغان(**) [1] ، وكان في كل تلك المناطق ينشر الدعاة وينظم أمور الدعوة هناك [2] . ومن دامغان أخذ الدعاة يرسلون من قبل الحسن إلى اندجرود(***) وغيرها من ولايات

(**) دامغان : بلد كبير بين الري ونيسابور وهو قصبة قومس ، تمتاز بكثرة فواكهها وأشجارهما، والرياح بها لا تنقطع ليلاً ولا نهاراً ، وهي قليلة الماء والعمارة فيها متوسطة وذكر المقدسي ان لها ثلاثة أبواب منها باب الري وباب خراسان وبينها وبين كروكوة وهي قلعة للإسماعيلية يومٌ واحد . ينظر : ابن حوقل ، صورة الأرض : 271 ، المقدسي ، أحسن التقاسيم : 272 ، الحموي ، معجم البلدان : 433/2 .

(1) الجويني ، فاتح العالم : 305/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 207 ، ابن اسفنديار ، بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار (ت بعد سنة 750هـ/1349م) ، تاريخ طبرستان ، ط1 ، ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2002م : 334 ، لويس ، الحشيشية : 200 .

(2) دوساسي ، دراسة في سلالة الحشاشين : 217 . وهي إشارة لوجود جذور لتأييد الدعوة لنزار .

(***) اند جرود : مازالت على هذا الاسم وهي اسم احدى نواحي الموت الأربع وأصلها (اند رود) . ينظر : الجويني ، فاتح العالم : 305/2 الهامش ، ويرجح ايفانوف ان اندج رود هذه هي أم الموت التي أصبحت عاصمة للإسماعيلية ومنها بدأت الدعوة . ينظر : ايفانوف ، الموت ولامسار : 85 .

الموت ثم رجع إلى جرجان(*) وطرز(**) وسرحد(***) وجناشك(****) ، وكان في رحلته تلك يتحاشى المرور بمدينة الري وذلك لأن الوزير نظام الملك الطوسي وزير السلاجقة كان يجد في طلبه[1] . فضلاً عن ذلك ان نشاط الحشاشين ازداد بسبب الحسن ويبدو ان اسمه أصبح معروفاً للسلاجقة مما حدا بأحد ألد أعداء الإسماعيلية وهو وزيرهم نظام الملك لمتابعة نشاط الحسن آنذاك[2] .

(*) جرجان : مدينة معروفة أول من نزلها جرجان بن أميم بن لاوذ ، وطولها ثمانون درجة ونصف وربع عرضها ثمان وثلاثون قيل انها في الإقليم الخامس أو الإقليم الرابع وهي تحمل اسم الإقليم نفسه وفيها مياه كثيرة وضياع كثيرة . وليس بعد ان تجتاز العراق مدينة أجمل ولا أبهى من جرجان وبها الثلج والنخل وبها الفواكه وهي جانبان أحدهما جرجان والأخرى بكرابا . البكري ، معجم ما استعجم : 375/1 ، الحموي ، معجم البلدان : 119/2-121 ، لسترنج ، كي ، بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1954م : 417 .

(**) طرز : لم أعثر لها على ترجمة في كتب المعاجم والبلدانيات المتوفرة بين يدي لكن ابن الأثير يذكر ان طرز قرية مخصوصة بهم أسمها أي الإسماعيلية وهي من أعمال بيهق . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 235/9 ، ويذكر البيهقي ان طرز تقع في الربع العاشر بعد ان قسم بيهق إلى اثنتي عشر من الأرباع ولا يزيد على ذلك . ينظر : البيهقي ، علي بن زيد ظهير الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم (ت565هـ) ، تاريخ بيهق ، ط1 ، ترجمه عن الفارسية وحققه يوسف الهادي، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2004م : 138 .

(***) لم أعثر على ترجمة لها .

(****) جناشك : بالفتح والألف والشين المعجمة يلتقي عندها ساكنان وآخره كان من قلاع جرجان واستراباز مشهورة معروفة بالحصانة والعظمة وهي مستغنية بشهرتها عن الوصف وهي من القلاع التي يقف الغمام دونها وتمطر افتيتها ولا تمطر ذروتها لغوتها شأو الغمام وعلوها مرتضى السحاب . ينظر : الحموي ، المصر نفسه : 167/2 .

(1) الجويني ، فاتح العالم : 305/2-306 ، اس.بيكلي ، مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية : 63 .

(2) حول متابعة نظام الملك للإسماعيلية والحسن الصباح ينظر : عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 62-63 .

تركت عدة حوادث أثرها في نفس الحسن وشخصيته وحتى سلوكه ، ولابد انها أثرت فيما بعد على تصرفاته وسياسته بل وسياسة الفرقة التي أنشأها ، فصورة دعاة الإسماعيلية الذين ذبحوا في عهد الخليفة المستنصر الفاطمي في بلاد ما وراء النهر على يد بغراجان[*] أخ ارسلان خان الذي عمل في دعاة الإسماعيلية الحيلة فكشف أمرهم بعد ان انفق عليهم ما يقرب من ثلثمائة ألف درهم في مدة سنتين حتى اطلع على عددهم ، وعرف مواضعهم ، فأوقع فيهم وقتلهم بعد ان نكل بهم[1] ، والمجزرة التي وقعت في سنة 420هـ/1029م في عهد الخليفة القادر بالله على يد يمين الدولة الذي ذُكر انهُ صلب من أصحابه الباطنية خلقاً كثيراً[2] ، وليس آخرها ما حل بعبد الملك بن عطاش والذي قُتل ومن معه . كل تلك الأحداث دفعت بالحسن للتفكير ملياً ، بمكان يكون مناسباً لتنظيم الدعوة ، ولابد لذلك المكان ان يكون محصناً بصورة كبيرة ، حتى لا تصل إليه يد الأعداء ، والذين اجتمعوا على حرب الإسماعيلية في بلاد المشرق على اختلافهم ، ويؤكد هذا الرأي التنقل الدائم والمستمر دون كلل أو ملل من الحسن ، وهو في كل ذلك عرضة للوقوع بيد الخصوم[3] . وكان خلال أسفاره تلك

(*) بغراجان : بغراجان الثالث ، محمود (أو محمد) بن يوسف قدرخان حكم في ما وراء النهر بين سنتي (425هـ/1033م – 449هـ/1057م) ، وهو أخو شرف الدولة أبو شجاع ارسلان خان الثاني بن يوسف قدرخان ، من أسر ايلك خانات فارس التي حكمت ما وراء النهر بين سنتي (315هـ/927م – 449هـ/1057م) ، وتفرعت عنها الجماعة التي حكمت بخارى في ما وراء النهر . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 119/8 ، يراجع زامباور ، معجم الأنساب والأسر الحاكمة ، ترجمة : زكي محمد حسن وحسن أحمد محمد ، بيروت ، 1980م .

(1) المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 191/2–193 .

(2) النويري ، نهاية الأرب : 180/7 ، عكاوي ، د. رحاب ، الحشاشون حكام الموت .. نشأتهم وتاريخهم ، ط1 ، دار الحرف العربي للطباعة والنشر والتوزيع ودار المناهل ، بيروت ، 1994م : 110 .

(3) الخشت ، حركة الحشاشين : 62–64 .

مهتماً بكسب الأعضاء الجدد والاهتمام بأمر الدعوة من جهة ، ومهتماً في إيجاد نوع جديد من القواعد ليس كمقرات سرية في مدينة تحت خطر دائم بالاكتشاف والانقطاع ، ولكن في حصن ناء يعسر الوصول إليه ، يستطيع منه العمل بلا معيق في توجيه حربه وممارسته ضد السلاجقة[1] . وكان ذلك التنقل مدعاة لدخول أناس كثيرين إلى الإسماعيلية خلال وجود الحسن في تلك المناطق[2] ، ويشير المستشرق ايفانوف ان الاستيلاء على القلاع ومنها قلعة الموت لم يكن من أجل الحصول على ملجأ بقدر ما كان تحدياً سياسياً للحكم السلجوقي الذي كان في ذروة قوته[3] .

إلا ان سير الأحداث بيَّن ان اختيار المكان ، جاء أول الأمر للتحصن مضافاً إلى جملة أسباب ليس أقلها ما كان يلحظه الحسن من ضعف عام أصاب الخلافة الفاطمية في مصر . فليس من المقبول ان رجلاً مثل الحسن وهو يتعرض إلى المطاردة والتنقل خوفاً على حياته يكون همه تحدي السلاجقة وهم آنذاك في أوج قوتهم . لابد وانهُ بعد ان استلم من أحمد بن عطاش اسم الدعاة ومراتبهم ومختلف الأسرار التي تحيط بأعمال العقيدة في فارس والعراق[4] ، أخذ يفكر ملياً بحصن جديد ليس كالذي سبقه من الحصون بل يكون مهيئاً لمواجهة الصعاب والمحن لفترة طويلة . وكانت كل الإشارات تؤكد ان قلعة الموت مهيأة لهذا الأمر . ويبدو ان الحسن حين انكشف أمره عندما حاول ان يشي أحد أهالي مدينة ساوة[*] حين حاول أحد أتباع

---

(1) لويس ، الحشيشية : 201 ، زهرة ، دولة القلاع : 6 .

(2) سميرة بن عمو ، آل – موت أيدلوجيا الإرهاب الفدائي : 42 .

(3) ايفانوف ، الموت ولاماسار : 49 .

(4) أبو النصر ، قلعة الموت : 119 .

(*) ساوة : مدينة طيبة كثيرة الخيرات والثمرات والمياه والأشجار في وهدة من الأرض ، وكانت في قديم الزمان على ساحل بحيرة فاضت عند مولد النبي ρ ، وبها رباطات ومدارس ومارستانات ، ينسب إليها جماعة من العلماء والأفاضل ورجال الدولة . ينظر: القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد : 386– 389 .

الحســن تجنيده وكان مؤذناً فأبى ورفض الاســتماع إليهم وانصــرف محاولاً تهديدهم ، فخافوا ان يفشــي أمرهم فقتلوه خوفاً منه ، وما ان وصــل الخبر إلى الوزير نظام الملك حتى أمر بالبحث عن من يتهم بقتله وقتل رجلاً من أعوان الحســن كان أســمه طاهر يعمل نجاراً ومُثل به وجر برجله في الأسواق(1) ، وكان نظام الملك آنذاك يتتبع نشـاط الحســن ويتمنى القبض عليه(2) ، وقد وجه إلى حاكم الري (أبو مســلم) وهو زوج أبنته بذلك(3) ، وقد عجلت تلك الحادثة بمخططات الحســـن في الاســـتيلاء على قلعة الموت(**) ، وكانت القلعة في تلك الأثناء – سنة 483هـــ/1090م وما قبلها – لرجلٌ علوي أسـمهُ المهدي وكان قد تملكها من السـلطان ملكشـاه السـلجوقي واسـتطاع دعاة الحســن بعد انتشـــار الإســـماعيلية بين كثير من ســكان المنطقة الدخول إلى القلعة والاستيلاء عليها(4) ، وتم الاتفاق بين صـاحبها وبين الحسن بن الصـباح بعد ان أدرك صـــاحب القلعة ، انه أصـــبح تحت واقع الأمر فوافق على بيعها للحســن بثلاثة آلاف

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 37/9 ، النويري ، نهاية الأرب : 275/7 ، الســـعداوي ، حمدي، الحشاشين ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، مصر ، 1989م .

(2) بروان ، ادوارد جرانفيل ، تاريخ الأدب في ايران ، ط1 ، نقله إلى العربية ، د. إبراهيم أمين الشواربي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، 2004م : 250 .

(3) حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 488–490 ، بروان ، المصدر نفسه : 250 .
T.Keightley , SECRTSOCIETIES of The MISSIEAGES , printed by WILLIAM Glowks and SONS , London , p : 46 .

(**) للاطلاع بشـي من التفصـيل على قلعة الموت وموقعها وحصـانة المنطقة الواقعة فيها وخصـائصـها الجغرافية أحيل القارئ إلى كتاب ايفانوف ، الموت ولامسـار ، لأنه أعطى القلعة وصـفاً دقيقاً حتى قام بزيارتها مرتين وتحمل أعباء السفر وقساوة المناخ .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 307/2 ، رشيد الدين ، فضـل الله الهمذاني (ت718هـــ/1318م) ، جامع التواريخ (القسـم الخاص بالإسـماعيلية ، قسـمت اسـماعيليان وفاطميان ونزاريان وداعيان ورفيقان ، باهتمام وتحقيق : محمد تقي دانشـــبز بروة ، ومحمد مدرســـي زنجاني ، طهران ، 1919م : 116 ، ميرخواند ، تاريخ روضـة الصـفا : 208–209 ، زهرة ، دولة القلاع : 53 ، الخشت ، حركة الحشاشين : 64–65 .

دينار ذهباً وكتب الحسن بخط يديه حوالة بالمبلغ جاء فيها "الرئيس المظفر حفظه الله، أرســـل ثلاثة آلاف دينار قيمة "الموت" إلى العلوي المهدي وكان الرئيس المظفر هذا حاكم قلعة كردكوة ودامغان ، وتســـلم العلوي "الحوالة وفكر في نفســـه : ان الرئيس المظفر رجل عظيم ونائب الأمير حبشـــي بن التونتاق[*] ، فماذا ســـيعطيني على هذه الرقعة ، ووصل بعد حين إلى دامغان وهو غير مصدق نفسه ، وقدم الرقعة إلى الرئيس المظفر ليمتحنه ، وفوراً قبل الرسالة وأعطاه الذهب"[1] .

وكان الحسن قبل ذلك قد استطاع دخول قلعة الموت دون علم صـاحبها متنكراً ومستخدماً اسماً مستعاراً "ديخودا" "هخدا" ، في زي معلم وقام بتعليم أبناء حامية الموت وهو ما سهل أمر سقوط القلعة بيده وبيد أتباعه[2] ، ومنذ ذلك الحين فقد توجه الحسن ومن معه من الأتباع الذين أخذ الحسـن يوجههم للحصـول على القلاع سـواء في بلاد الشـــام أو في فارس فأوجد دولة القلاع[3] ، وبالرغم من ان ولع الإســـماعيلية بالقلاع والتحصـــن بها اتجاه لا يخلو منه تاريخ الدعوة الإســـماعيلية[4] ، بحيث يمكن اعتبار

(*) حبشي بن التونتاق : وهو أمير داز استعمله بركياروق أميراً على خراسان سنة 490هـ/1096م . ويعتبر المســؤول عن تولية محمد بن انوشــتيكن على خوارزمشــاه وتلقيبه خوارزفاه وهو الذي أسس فيما بعد دولة الخوارزميين. ينظر: ابن الأثير، الكامل: 10/9-11

(1) الجويني ، فاتح العالم : 307/2 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 518-519 ، خواند امير ، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت903هـــ/1497م) ، حبيب السير في أخبار أفراد البشر، تح ومراجعة: د. محمد دبير سياقي، دار الخيام، ايران، 1960م : مج465/2.

(2) الجويني ، فاتح العالم : 307/2 ، دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 223 .

(3) خضـور ، حسـام ، موجز التاريخ الإسـماعيلي ، ط1 ، دار الغدير للطباعة والنشـر ، سـورية سـلمية ، 2003م : 22 ، غالب ، الثائر الحميري : 67 ، المدني ، محمد نمر ، الإسـماعيلية ومذاهبها، ط1، مطبعة جوهر الشام ، دار النشر دار دمشق ، دمشق ، 2010م : 35.

(4) ينظر حول تحصن ابن حوشب في جبال اليمن وبنائه حصن فوق أحد الجبال هو وزميله علي بن الفضل الجيشاني. ينظر : الهمذاني ، الصلحيون والحركة الفاطمية في اليمن : 33-34.

متابعة إسماعيلية بلاد المشرق لهذا الاتجاه – وخاصة في المناطق الجبلية – امتداد للتقاليد الفاطمية الأولى – من بعض الوجوه إلا ان تلك الظاهرة كانت أبرز ما لفت أنظار المؤرخين على ميولهم ومذاهبهم ، خاصة بعد ان عاد الحسن من القاهرة إلى إيران ، وقد بلغت النزارية في متابعة هذا الاتجاه حدا جعل السلطان محمد بن ملكشاه مثلاً يعتقد أنهم لا يوجدون – أي الإسماعيلية – الا في القرى أو المدن ، وان وجودهم قاصر على القلاع[1] .

اندفع الحسن بن الصباح بالدعوة إلى الشمال الغربي من فارس عموماً[2] ، وكان قد ركز جهوده هناك ، ويبدو انهُ أحس بضعف الحركة الإسماعيلية هناك ، حيث انها كانت قبل بداية القرن الرابع الهجري مجرد فرقة مستضعفة لا حول لها ولا قوة ، وكانت عاجزة إلى حد بعيد عن جذب انتباه رجال ينتمون إلى طبقة الحكم أو من الوجهاء[3] ، على الرغم من ان الإسماعيلية حققت بعض النجاحات بعد سنة 289هـ/901م[4] ، إلا انها لم تكن على ما يبدو ان لترقى إلى ما كانت الحركة تسعى إليه .

بعموم الحال فقد أغرى موقع القلعة الستراتيجي الحسن ، فهي قلعة حصينة من ناحية روذبار[*] بين قزوين وبحر الخزر على قلعة جبل وحولها وهاد لا يمكن نصب

---

(1) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 91–92 .

(2) ايفانوف : الموت ولامسار : 30 .

(3)

I Vahew Valadimis , studiesin Early perian Ismailism , (Lenden – 1948) , P. 60 , Stern , S.M. , The Early Ismaili Missionaries in north west Persia in khurasan and Trans , xani , (London – 1960) , p. 62 .

(4) الطبري ، تاريخ الطبري : 642/5 .

(*) ولا أدل على ذلك ان ان حاكم القلعة الذي اشتراها منهُ الحسن كان علوياً .

المنجنيق عليها ولا النشــاب يبلغها[1] ، وكأنها معلقة على قرن الثور بالغةً في ارتفاعها الجوزاء[2] وترتفع بقاعدتها التي تشكل صخرة عن الأرض بــــ(300م)[3]. فهي وبهذا الوصف المكان الأنسب للتحصن والاختباء .

وهكذا اختيرت لتكون قاعدة أمان لتنظيم شؤون الدعوة من جهة ونواة الدولة من القلاع من جهة أخرى[4] ، اما الميزة الأخرى للاختيار فهم ســـكان تلك المنطقة التي يغلب عليها الطابع الجبلي ، وكانوا يميلون إلى التشــيع ان لم يكن أكثرهم من الشــيعة ولذا فأن أكثرهم استعداد من غيرهم لاعتناق المذهب الإسماعيلي ، وقد كانت المنطقة ملجأً أمناً على الدوام للعلويين وقد سبق للمنطقة ان تعرضت لتغلغل الإسماعيلية فيها أيضـــاً[5] ، وســكان المنطقة ذو بأس شــديد ومحاربين أشــداء ، أما وعورة المنطقة ومســالكها وطرقها فهي عســيرة[6] وهذا جانب آخر يضـــاف لعرقلة حركات الجيوش للاستيلاء عليها .

---

(1) القزويني ، آثار البلاد : 310، الأمين والجلالي، حسين ومحمد حسين، قلعة الموت أو عش العقاب، بحث منشور ضمن مجلة الموسم، العددين (69-70) لسنة 2008، هولندا : 223.

(2) الجويني : فاتح العالم : 254/2 ، الباكوري ، تلخيص الآثار : 37 .

(3) ايفانوف ، الموت ولامسار : 66 ، رغم انهُ يعترض على صلاحية المنطقة بسبب قسوة المناخ وتساقط الثلوج وكونه متاهة كبيرة من الصـخور وربما عانت المنطقة من نقص الطعام بسـبب الغزوات : 46-47 .

(4) أبو النصر ، قلعة الموت : 121 .

(5) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 222 .

(6) الخشت ، حركة الحشاشين : 62-64 ، عكاوي ، الحشاشون : 144-145 ، حسنين ، د.عبد المنعم محمد ، سلاجقة إيران والعراق ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، 1970م : 72 ، وحول صفات الديلم وتضاريس منطقتهم وخصائصهم . ينظر : منيمنه ، د. حسن ، تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي (334-447هـ) ، الدار الجامعية ، دمشق ، 1987م : 84 وما بعدها .

يذكر ان الحجاج بن يوسف الثقفي بعث إلى الديلم – سكان الموت – يدعوهم إلى الإسلام أو الجزية فأبوا فأمر ان تصور له ناحية "الديلم سهلها وجبلها وبنيانها فصورت فدعا من كان قبله من الديلم وعرض عليهم الصورة وقال رأيت فيها مطمعاً فقالوا صوروا لك البلاد ولم يصوروا الفرسان الذين يحمون عقابها وجبالها وستعلم ذلك لو تكلفته فأغزاهم الجنود وأمر عليهم ابنه محمد بن الحجاج فلم يصنع شيئاً"[1] .

لم يكن الحسن بعيداً عن تاريخ المنطقة ، والتجارب التي سبقته ولو أنها فشلت في اتخاذ المنطقة حصناً لها ، على المدى البعيد ، إلا انها استمرت حقبة طويلة من الزمن كالبابكية التي اتخذت المنطقة مكاناً لها وقد كلفت العباسيين خسائر كثيرة بالأموال والرجال في فتحها ، وقد استفادت من خصائص المنطقة ومن طبيعة سكانها الجبليين[2] .

ويمكننا مقارنة حركة الثائر عمر بن حفصون في الأندلس سنة 251هـ/856م الذي اتخذ من القلاع والتحصن بالجبال وسيلة لمقاومة السلطان هناك[3] نموذجاً ربما استفاد منه الحسن بن الصباح هذا إذا ما علمنا ان ابن حفصون بعث بطاعته للفاطميين عند تغلبهم على القيروان[4] .

- الصدام بين الحسن بن الصباح والسلاجقة :

لما رجع الحسن من مصر إلى أصفهان ، وفشت دعوته واختفى في منزل الرئيس أبو الفضل والذي انتسب إلى الدعوة سراً ، كانت النقاشات مستمرة بين الحسن

(1) القزويني ، التدوين في أخبار قزوين : 54/1 .

(2) ينظر للمزيد عزيز ، حسين قاسم ، البابكية ، ط1 ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2000م : 210-250 .

(3) ابن الأثير ، الكامل : 307/6 و346 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 168/4 ، ابن عذارى المراكشي ، البيان المغرب : 131/2 وما بعدها ، أخبار عمر بن حفصون.

(4) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 172/4 .

وبين الرئيس المظفر وكان أبو الفضل يذكر للحسن ما يعتمل في صوره من الألم على حال البلاد ، أثناء ذلك الحديث تنهد الحسن وقال "وا أسفاه ، لو ان رجلين سانداني لقلبت هذا الملك عاليه سافله"[1] . أحدثت تلك الكلمات في نفس أبو الفضل الشكوك والريبة ، وظن ان الحسن قد أصيب بأحد الأمراض (الماليخوليا) [*] فالسلاجقة آنذاك كانوا قد بسطوا نفوذهم على المشرق وعلى الخليفة في بغداد[2] . وقد اندفع الرئيس أبو الفضل يعطي الحسن "الأشربة المعطرة والأغذية المقوية للخراج ، المرطبة للدماغ المخصصة لتطبيب هذه الحالات" . وقد أحس الحسن بما كان يدور في خلد الرئيس أبو الفضل فغادر إلى كرمان ، ومن هناك عاد واستولى على قلعة الموت ، ومن ثم اغتيل[*] نظام الملك على يد الحشاشين ومات ملكشاه بعد أربعين يوماً فاختل ميزان الملك وتزلزل وضع البلاد وعم الهرج في الولايات واهتبل الحسن الفرصة اهتبال فتقوى وضعه من غير ما تخوف"[3] .

وبأي حال فقد مكنت سيطرة الحسن على قلعة الموت في ادخال التحصينات إليها وزودها بما تحتاجه من الميرة في أوقات الحصار ، حتى شعر رجال ملكشاه

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 313/2 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 204-205 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 518 .

(*) الماليخوليا : أحد الأمراض التي تصيب الدماغ وهو يفسد العقل ويقطب الوجه ويديم الحزن. ينظر ، أبو بكر الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا (ت313هـ/925م) ، الحاوي في الطب ، ط1 ، تح واعتناء : هيثم خليفة طعيمي ، دار احياء التراث ، بيروت ، 2002م: 56/1 وما بعدها ، الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (قطرب) : 61/6 .

(2) أبو النصر ، د. محمد عبد العظيم ، السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، ط1 ، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 2001م : 51-69 .

(*) سنأتي على تفصيل ذلك وهناك من يقول انه اغتيل من قبل ملكشاه .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 313/2-314 ، ميرخواند ، روضة الصفا : 205/4 ، بورلو ، الحضارة العربية : 219 ، اس. بيكلي ، مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية : 64 .

ومنهم نظام الملك بخطر الإسماعيلية أعوان الحسن ، ويبدو ان نظام الملك لم يكتفي بتتبع الإسماعيلية وزعيمهم الحسن وإنما ألف كتاباً أسماه سياست نامه بأمر من السلطان السلجوقي ملكشاه وخصص فيه موضوعاً كاملاً حول أمر الباطنية وذكر فيه أخبارهم ومذهبهم[1] . ولغة الكتاب تشير بوضوح إلى روح العداء بين نظام الملك والإسماعيلية . وهناك من حاول ان يُرجع ذلك إلى علاقة قديمة جمعت بين نظام الملك والحسن الصباح والشاعر عمر الخيام وكان ذلك مبعثاً لنسج الروايات حولها[2] .

بعد تلك المداخلة التي نراها ضرورية لموضوعنا بوجه عام ، فقد شكلت السيطرة على قلعة الموت نقطة البداية في الصراع بين السلاجقة والحشاشين ، ويبدو ان نظام الملك هو من لفت الأنظار – أنظار السلاجقة – لذلك الخطر أو النشاط[3] . ويذكر أيضاً ان نظام الملك هو من بعث جيشاً لحصار قلعة الموت[4] ، وكان ذلك مدعاة على ما يبدو لإرسال ملكشاه أحد قواده وهو ارسلان بن طاش على رأس القوة المحاصرة للقلعة[5] .

ويبدو ان هدفها كان القضاء على قوة الحسن الناشئة ومن معه ، وقد استطاع الحسن من الصمود بوجه تلك الحملة رغم ان من معه كانوا أكثر من سبعين شخصاً،

---

(1) ينظر كتاب سياست نامة ، الفصل السادس والأربعون بعنوان خروج القرامطة والباطنية في قوهستان والعراق وخراسان : 256 ، وينظر كذلك : ندا ، د. طه ، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1975م : 66 .

(2) حول ذلك الموضوع ينظر للاستزادة : رشيد الدين ، جامع التواريخ : 110 ، بروان ، تاريخ الأدب في إيران : 236–239 ، لويس ، الحشيشية : 198–199 ، غالب ، اعلام الإسماعيلية : 223 ، شرف ، دولة النزارية : 149 .

(3) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دول آل سلجوق : 62–63 ، الجويني ، فاتح العالم : 312/2 .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 39/9 .

(5) ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، مجلد 4 : 210 .

مستنجداً بأحد دعاته في قزوين وكان هذا هو الداعي الدهدار[*] أبو علي اردستاني ، وقد نجح في الوصول إلى الموت وتقديم المؤن للمحاصرين فيها وتم دحر السلاجقة بشن هجوم معاكس عليهم ، وكانت هذه الحملة أول صدام مسلح مباشر بين السلاجقة والإسماعيليين سنة 485هـ/1092م[1] ، ولم يكن ذلك النصر بعيداً بالطبع عن إجراءات الحسن ونشاطه وهو ما أتضح من رواية ابن ميسر إذ ذكر قائلاً : "وكانت دعوة الإسماعيلية ببلاد ديلمان والجبل فيها من قديم ، قام بينهم – المقصود الحسن بن الصباح – ببث الدعوة حتى شاعت وعمت ، فأخذ يجمع الأسلحة والعدد سراً"[2] ، علماً ان حصار الموت وفشله كان سبباً لتَّعرُف أتباع الحسن بن الصباح على إمكانياته ، فأندفع بعدها أنصاره يقلدونه في الاستيلاء على القلاع الجبلية المتينة ويتخذونها مراكز ينقضون منها على خصومهم[3] ويبثون منها الدعاة[4] .

(*) دهدار: مختار القرية أو صاحبها . ينظر : الجويني ، المصدر نفسه : 307/2 من الهامش.

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 310/2–311 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 108 ، خواند امير، حبيب السير : مج466/2 ، زهرة ، دولة القلاع : 57 ، دي ساسي ، دراسة في سلاسة الحشاشين : 218 .

(2) أخبار مصر : 48/2 .

(3) شرف ، دولة النزارية : 64 .

(4) كانت قبل ذلك سياسة إرسال الدعاة تحقق الأهداف المنشودة لحركة الحشاشين عندما نجح أحد دعاة الإسماعيلية وهو حسين القائيني والذي كان داعية قديراً وشارك في تحويل الموت إلى سيطرة الحسن ، نجح في السيطرة على قوهستان والذي يعود بأصله إليها ، وقد استغل سوء أخلاق حاكمها السلجوقي وظلمه للناس ، وقد اندفع الكثيرين للسيطرة على مناطق أخرى مثل زوزن وطبس وتون ومدن أخرى ، وكانت المساعدات التي حصل عليها الحسن في فترة الحصار من كوه بره ، والطالقان دليلاً على نجاح أولئك الدعاة في مهماتهم نجاح منقطع النظير . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 36/9–45 ، الجويني ، فاتح العالم : 310/2–311 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 107–109 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 518–519 .

أما عن فشل ذلك الحصار في أحد أسبابه فهو وفاة ملكشاه الذي ترك فراغاً بين السلاجقة أنفسهم فحصلت الفوضى بين أتباعه من بعده[1] . وكان قبل ذلك قد سبقه اغتيال وزيره نظام الملك وبتخطيط من الحشاشين أعوان الحسن عندما اعترض موكب نظام الملك صبي ديلمي معهُ قصبة عالية فدعا له وسأله تناولها فتناولها فمد يده ليأخذها فضربه الصبي بسكين في قلبه "فحمل إلى مضربه فمات ، وقتل قاتله في الحين بعد ان هرب فعثر في طنب خيمته"[2] ، وكان ذلك في سنة 485هـ/1092م[3] ، وكان المنفذ للاغتيال متنكراً بزي الصوفية ، وهو ما سنراه خصيصة في أغلب اغتيالات الحشاشين ، وربما ان الحشاشين اختاروا التنكر بزي الصوفية عند اغتيال نظام الملك ، لأنهُ كان يألفهم وكان لهُ مجلساً عامراً بالفقهاء والصوفية[4] . وكان الحشاشين على الأرجح غير بعيدين عن فتور العلاقة بين نظام الملك وملكشاه وربما استغلوها لدفع الناس – وحتى بعض المتنفذين – إلى الشك بان تدبير الاغتيال كان من قبل ملكشاه والذي حرض الحشاشين لأن تلك الحقبة كانت قد شهدت مهادنة تارة

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 2/311-312 ، زهرة ، دولة القلاع : 57 ، عكاوي ، الحشاشون : 146 ، طقوش ، تاريخ السلاجقة في خراسان : 155 .

(2) البيهقي ، تاريخ بيهق : 186 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 2/130 ، ابن الأزرق ، محمد بن علي بن محمد بن الأزرق الغرناطي أبو عبد الله الأندلسي (ت896هـ/1490م) ، بدائع السلك في طبائع الملك ، ط1 ، تح : د. علي سامي النشار ، وزارة الأعلام العراقية ، العراق ، د.ت : 1/414 ، خواند امير ، حبيب السير : مج2/467 .

(3) تاج الدين السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1369م) ، طبقات الشافعية الكبرى ، ط2 ، تح : د. محمود محمد الطناحي ود. عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.م ، 1992م : 6/33 ، السمر قندي ، نظام الدين أبو الحسن أحمد بن عمر (ت560هـ/1164م) ، جهار مقالة ، ط1 ، نقله إلى العربية ، عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1949م : 70 .

(4) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 2/128 .

وعداء في الأخرى ، وفقاً لتقلب الظروف السياسية[1] . ولقد ترك مقتل نظام الملك أثراً واضحاً وجهت أصابع الاتهام إلى ملكشاه وتاج الملك أبو الغنائم المرزبان المعروف بابن دارست لأنهُ كان عدو نظام الملك وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملكشاه ، وان قتل نظام الملك فتح الطريق لتاج الملك لترتيب وضعه في الوزارة فانقض غلمان نظام الملك على تاج الملك "فقتلوه وقطعوه أرباً أرباً"[2] . ظناً منهم انهُ شارك في اغتيال نظام الملك .

وتوفي بعد مقتل نظام الملك ملكشاه والشكوك في مقتله كثيرة ، وإحداها إشارات إلى علاقة أحد أتباع نظام الملك باغتياله بالسم[3] . وربما يكون بعض خصوم نظام الملك في البلاط السلجوقي قد اتفقوا مع الحشاشين على اغتيال الاثنين ملكشاه وتاج الملك[4] . وان صحت هذه الرواية فانها تؤشر لزيادة نفوذ الحشاشين داخل قصور السلاجقة .

---

(1) اقبال ، عباس ، الوزارة في عهد السلاجقة ، ترجمة وتعليق : أحمد كمال الدين حلمي ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، 1984م : 74 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 131/2 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 17/5 .

(3) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 134/5 .

(4) ابن العديم ، عمر بن القاضي مجد الدين أحمد بن هبة الله ابن جرادة العقيلي كمال الدين (ت660هـ/1261م) ، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تح : د. سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت : 2496/5 .

كان مقتل نظام الملك ضــربة موجعة لملكشــاه(*) الذي انحلت الدولة بوفاته بعد خمس وثلاثون يوماً وعمتها القلاقل مما أعطى متنفساً للإسماعيلية وصان قلعة الموت من الاجتياح[1] .

وقد اتضــح ازدياد توســع الحشــاشـين بعد مقتل نظام الملك ووفاة ملكشــاه حيث امتدت سيطرتهم في امتلاك القلاع والحصون لتصبح مقرات للدعوة[2] . مستغلين الفراغ الذي أحدثته الفوضـــى أو عدم الســيطرة على الوضــع الســياســي والعســكري بعد وفاة الاثنين .

- الإسماعيلية و هجوم الفقهاء :

أثارت الانتصــارات التي حققتها الحركة الإســماعيلية بقيادة الحســن بن الصــباح في المشرق الإسلامي في مقابل الضعف السياسي والعسكري للسلاجقة ، وتنامي دور الفداويـة(*) ، الذين أدوا دوراً في اغتيال نظام الملك والاغتيالات التي أعقبته ، وبدأت دولة الســلاجقة تفقد قوتها الفعالة وعقولها المدبرة ، وقد اســتطاع الحشــيشــية ان يحققوا لحركتهم المهابة بنفس القدر الذي استطاعوا به ان يوقعوا الخلل والاضطراب في نفوس

(*) يذكر ان ملكشـــاه لما جرح نظام الملك عاده ليزوره ويتفقده ويتوجع له فقال له نظام الملك "يا ســـلطان العالم كبرت في دولة أبيك ودولتك كنت تمهلت علي فما بقي من عمري إلا القليل أو صرفتني ولا أمرت ان يفعل بي هكذا فأخرج السلطان مصحفاً .. وحلف له بما فيه انهُ لم يأمر ولم يعلم" . ينظر : ابن العديم ، بغية الطلب : 2497/5 ، وهذه الرواية تثير الشـــكوك التي أحدثها طعن نظام الملك وحالة الارتياب داخل بلاد السلاجقة .

(1) ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا : 211-212 ، العلوي ، الاغتيال السياسي : 107 .

(2) ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 68 .

(*) سنأتي على تعريفهم .

أعدائهم[1] . وقد أثار ذلك الأمر أعداء الإســـماعيلية ، وأحس الجميع بخطرهم وتنامي قوتهم ، فتوجهوا نحو المسلمين الذين لهم موقفٌ عقائدي من الإسماعيلية ، وأخذ هؤلاء يشـــهرون بأفكار وأعمال الإســـماعيلية ويكيلون لها التهم التي لا تنســـجم مع الإســـلام ويتهمونهم بالكفر والإلحاد والإباحية[**] وفساد الأخلاق[2].

ولم يكن موقف الفقهاء يخلو من تنسيق ودعم سياسـي من الخلافة العباسية أو السلاجقة ، وقد تجلى ذلك في أوضح صورة عند الغزالي الذي ألف كتابه الشهير بأمر من الخليفة العباســـي ويقر الغزالي نفســـه بذلك فيقول "حتى خرجت الأوامر الشـــريفة المقدســـة النبوية المســـتظهرية[***] بالإشـــارة إلى الخادم في تصـــنيف كتاب الرد على الباطنية ... فكانت المفاتحة بالاســـتخدام في هذا المهم في الظاهر نعمة أجابت قبل الدعاء ولبت قبل النداء"[3] ، وهو ما يفســـر للمرة الأولى العداء بين مؤســـســـة الخلافة

---

(1) جمال الدين ، دولة الإســـماعيلية : 102 ، فيليب حتي ، تاريخ العرب ، مراجعة : د. ادورد جرجي ود. جبرائيل جبور ، مطابع الغندور ، مصر ، 1965 : 538/2 .

(**) رغم ان التســـمية محاولة قديمة لكن ذلك يتضـــح بصـــورة كبيرة عند حديث عماد الدين عن الباطنية – الإســـماعيلية – وأثر قلاعهم ومحاربة ملكشـــاه لهم إذ يقول حول نشـــاط الأخير في حروبهم "وشغف بحصـار حصـونهم وفتح قلاعاً لو بقيت إلى الآن في أيديهم لعم العالم الكفر". ينظر : تاريخ دولة آل سلجوق : 91 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 490/10 ، خواندامير ، حبيب السير : 460 وما بعدها .

(***) المستظهرية : نسبة إلى الخليفة العباسي المستظهر (487هـ–512هـ/1094م–1118م) ، وقد سمي لذلك الكتاب فضـائح الباطنية بالمستظهري . ينظر : دفتري ، خرافات الحشـاشـين : 47 .

(3) الغزالي ، فضـــائح الباطنية : 3 ، الكاظمي ، د. جاد الحق سـيد ، براءة الإسـماعيلية من تهم الضـــلالية ، دار نينوى ، دمشـــق ، 2010م : 83–85 . يذكر الغزالي في كتابه سـر العالمين نتفاً عن أوضـــاع الحســـن بن الصـــباح واســـتيلائه على قلعة الموت وينقل ابن حجر عن ذلك الكتاب انه شـاهد فيه قصـة الحسـن بن الصـباح لما تزهد تحت حسـن الموت فكان أهل الموت يتمنون صـعوده إليهم ويمتنع ثم يذكر جملاً في طريقة دعوته وكيفيته للاتباع ، ويذكر بعد ذلك

العباسية والسلاجقة والغزالي الذي استدعي سنة 484هـ/1091م للتدريس في المدرسة النظامية[1] . ولم يكن العمل الوحيد للغزالي هو كتاب المستظهري فقد كتب سنة 488هـ/1095م عده رسائل قصيرة ضدهم تناولت معظمها النيل منهم وكان من مجمل تلك الرسائل ان الغزالي حاول نقض عقيدة التعلم من الإمام التي نادى بها الحسن الصباح[2] ، ويبدو بعموم الحال ان تلك المؤلفات كان جلها الأكبر موجهاً نحو فرقة الحشاشين وهو ما أتضح من سياق تلك المؤلفات[3] .

– أي الغزالي – أي بعد حادثة استيلاء الحسن على الموت وكثرة أتباعه فيقول "وفشا أمره ومذهبه حتى صنفت كتاباً سميته قواصم الباطنية – المقصود فضائح الباطنية – ومنتظرهم فلابد في أخر الزمان ان يهجروا الشرائع ويبيحوا المحرمات . ينظر : الغزالي ، محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد الطوسي (ت505هـ) ، سر العالمين وكشف ما في الدارين ، تقديم : الطباطبائي الحسني ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، 1965م : 12 ، رغم ان كوركيس يقول ان كتاب سر العالمين منسوب للغزالي والصواب انهُ لأحد الباطنية ، ينظر : اليان كوركيس ، معجم المطبوعات العربية ، مطبعة بهمن ، قم ، 1989م: 1412/2 ، لكن ذلك الرأي ربما يدحضه ابن حجر الذي ذكر ان الكتاب يعود للغزالي . ينظر : ابن حجر ، لسان الميزان : 214/2 ، ورغم كل تلك الآراء فان الغزالي اعترف ان تأليفه لفضائح الباطنية كان سببه المباشر هو ظهور الحسن بن الصباح وازدياد أتباعه وقوة شوكته مع ما ذكرنا من تكليف الخليفة المستظهر له بذلك .

(1) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 73 ، وللاستزادة ينظر : إسماعيل ، د. محمود ، الحركات السرية في الإسلام ، ط1 ، دار القلم ، بيروت ، 1973م : 139 ، حول علاقة الغزالي بالعباسيين .

(2) حسين ، د. محمد كامل ، أدب مصر الفاطمية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت : 67 . وللاستزادة ينظر : مؤلفات الغزالي ، مثل الفضائح الباطنية ، الباب السادس من الكتاب البرهان على ابطال النظر العقلي واثبات وجوب التعليم من الإمام المعصوم : 73–131 .

(3) وكانت تلك الكتب والرسائل التي ألفها الغزالي تدور حول موضوع نقض عقائدهم ومنها كتاب سر العالمين وكشف ما في الدارين ، والقسطاط المستقيم والمنقذ من الظلال ، وقد خصصنا

واشـتعلت حرب التشـهير على الإسـماعيلية ، وكان من بينهم جناح أو حركة الحشاشين ، ولم تكن تلك الحرب الكلامية أو المجادلات جديدة على الفكر الإسلامي، وقد أوضح البحث إلى نماذج من ذلك ليس أقلها اتهام الإسماعيلية باشتغالهم بالفلسفة، التي كانت تمثل المروق عن الدين وجوهره .

وربما تعيد حادثة الحرب على الإسـماعيلية وتأليف الكتب ضـدها تعيد إلى الأذهان قضـية الطعن بنسـب الفاطميين ، والتي لم تظهر أيام دعوة الإسـماعيلية المسـتترة ، وإنما بعد ان نجحت في تأسـيس الخلافة الفاطمية(1) ، كذلك أثار نجاح الحسـن بن الصـباح حفيظة السـلاجقة وغيرهم ، فتوجه الجميع إلى اسـتخدام سـلاح المروق عن الدين أو تهمة الإلحاد . وكان من بين الذين طعنوا بالإسـماعيلية أبو عبد الله محمد بن رزام(*) الطائي الكوفي والذي اشـتهر في النصـف من القرن العاشـر الميلادي ، وقد كتب ابن رزام رسالة في نقض الإسماعيلية بعد وقت قصير من تأسيس الخلافة الفاطمية ، وقد استخدمت هذه الرسالة ، وهي لا تزال مفقودة بشكل مكثف في كتاب آخر معادٍ للإسماعيليين صنف قرابة عام 980هـ/1572م من قبل مؤرخ أنساب علوي وكاتب معاد لهم ، عاش في دمشق كان معروفاً بأخي محسن(*) وكتاب الأخير

في المبحث الأخير دراسة حول الأثر الفكري لمؤلفات الغزالي والردود التي قام بها الإسماعيلية وأثر تلك الكتاب الفكري . ينظر ص من الدراسة .

(1) لويس ، الحشيشية : 78 .

(*) عبد الله محمد بن رزام عاش على الأرجح في النصـف الأول من القرن الرابع الهجري ، وهو أقدم من كتب – حسب أغلب الظن – عن قضية الطعن بنسب الفاطميين ، وقد نقل عنه أخو محسـن . ينظر : المسـعودي ، علي بن الحسـين بن علي الهذلي البغدادي أبو الحسـن (ت346هـ/957م) ، التنبيه والاشراف ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 343 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 22/1 .

(*) الشريف أبو الحسين محمد بن علي بن الحسين بن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) وهو

ضم أقساماً تاريخية وعقائدية منفصلة وهو الآخر مفقود مع أجزاء هامة منه وقد حفظت لنا في بعض كتب التاريخ الإسـلامية اللاحقة ولاسـيما كتب النويري(**) والمقريزي(***) والداوردي[1] ، ونلاحظ من خلال رواية ابن رزام المناهضة للإسماعيلية وفرعها النزاري بقيادة الحسـن بن الصـباح ، أنها كانت الرواية المعتمدة لدى أغلب كتاب الفرق ، وهو ما دفع مثلاً بالبغدادي صـاحب كتاب الفرق بين الفرق ، إلى اسـتثناء الإسـماعيلية أو الباطنية من الجماعة الإسلامية[2] .

إذن من هذه النصـوص يتضـح ان عملية التشـهير ليسـت جديدة في تاريخ الإسـماعيلية كاحدى الفرق ، وهي ليسـت غريبة عن الحشـاشـين(*) الذين انشـقوا عن الإسـماعيلية وبقيت جذورهم الإسـماعيلية كما هي . ولم يكن التشـهير قد جاء فقط من أعداء الحشـاشـين لكن الانفصـال الذي حدث بين النزارية أتباع نزار والمسـتعلية جعل الحرب بين الطرفين على أشدها حيث شن كل فريق على الآخر حرباً كلامية غرضـها تشويه معتقد الفريق الآخر – المقصـود بإمامة نزار أو المستعلي – وكان بين الفريقين

المعروف بأخي محسـن كان يسـكن باب توما مات قبل الأربع مئة وقد ذكر في كتابه المفقود جملة أنساب الخلفاء الفاطميين وأبناء الإمام الصادق (عليه السلام) الذين يرجعون بنسبهم إلى ولده إسماعيل . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 269/6 .

(**) كتابه نهاية الأرب في معرفة فنون الأدب وقد حفظ نصـوص لكتاب ابن رزام ذكر فيه أخبار عبد الله الملقب بالمهدي وأخبار الإسـماعيلية والقرامطة . ينظر : نهاية الأرب : 38/28 وما بعدها.

(***) كتابه اتعاظ الحنفا : 22/1–34 فيها جزء من آراء ابن رزام وكتابه المفقود .

(1) دفتري ، خرافات الحشاشين : 48 ، والإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القيصر ، دار الساقي ، بيروت ، 2008م : 47 .

(2) دفتري ، خرافات الحشـاشـين : 49 ، راجع كذلك نص أبو منصـور البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق : 265–266 .

(*) ينظر : التسمية – تسمية الحشاشين في الفصل الأول : .

ردود ومراسلات من أبرزها ما أشرنا إليها في الصفحات السابقة وهي الهداية الامرية[1] .

ونعود ونقول ان الحملة الأدبية المناوئة للإسماعيلية كانت واسعة الانتشار وظهرت وانتشرت إلى العالم الإسلامية بحلول القرن الرابع . وكان هدف هذه الحملة التي قادها كتاب الفرق المناوئون والمعادون ، هو النيل من مجمل الحركة الإسماعيلية منذ بداياتها الأولى ، وتركزت جهود تلك المصادر المعادية للإسماعيليين بشكل ثابت وملح في تلك الحقبة لنسبة كامل الأهداف الخبيثة والمعتقدات الهرطقية والممارسات اللاأخلاقية إلى الإسماعيلية في حين تبنى العباسيون أنفسهم حملات نظمت بعناية لنقض النسب العلوي للأئمة الإسماعيليين وسرعان ما ظهرت إلى الوجود "الخرافة السوداء"[**] صورت الإسماعيلية على انها الألحاد[***] المطلق في الإسلام ، وصارت هذه الخرافة بمرور الوقت وبأصولها المنسية تقبل على انها وصف دقيق لدوافع الإسماعيليين ، ومعتقداتهم وممارساتهم الأمر الذي أدى إلى المزيد من الكتابات المناوئة للإسماعيلية[2] .

وبالطبع كان الحشاشون ضمن تلك الحملة من التشهير والاتهامات التي أوردوها في كتبهم وهو ما نبحثهُ في ثنايا دراستنا هذه وكيف جعل خناجر الكثير من الفداوية تتوجه نحو فقهاء ورجال دين يُعتقد ان السبب الأهم في مقتلهم كان بسبب حملاتهم المضادة للإسماعيلية وتحديداً النزارية .

---

(1) المالكي ، حيدر ، الحشاشون رؤية تاريخية ، بحث منشور في مجلة الينابيع ، العدد 25 ، لسنة 2008م : 111 .

(**) يُقصد بها كتابات ابن رزام الذي سبق ذكره .

(***) أصبح نعتاً ملاصقاً للإسماعيلية الحشيشية في كتابات وروايات المؤرخين .

(2) دفتري ، فرهاد ، الإسماعيليون والدراسات الإسماعيلية ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار المدى ، دمشق ، 1999م : 20 .

ويبدو ان ذلك كان نابعاً من الحماس الاعتيادي باتهام الأقليات الدينية أو الفلسفية باقذع الأوصاف اللاخلاقية، ونلاحظ من خلال بعض المقالات ان المستشرقين(*) قاموا ولا يزالون ، بما يشبه التواطؤ في الجرم – يقصد هنا التشهير – مع أولئك الناشرين المتعطشين للجديد الخارق بالدعاية المعادية للإسماعيلية ، والتي كان يقوم بها حتى العباسيين(1) .

لكن تلك الحقبة من المجادلات والسجالات ، لم تكن لتخلو من أثار إيجابية ، أغنت الفكر الإنساني ، وهو ما دفع أحدهم للقول حول حقبة النزاع الفكري بين أبي بكر الرازي والإسماعيلية الذي جعل الرازي يدخل في حوارات فكرية بانها "من أروع فترات الفكر الإسلامي"(2) ، وكانت تلك النقاشات إنما تمثل ازدياد نفوذ الحركة الإسماعيلية فكرياً واتساعها لدرجة ان الحركة خرجت من طورها السري من خلال تلك النقاشات(3)

(*) تعرض الإسماعيليون للكثير من هجمات كتاب الغرب الذين حاولوا ان يصفوهم بالفتاكين ، وحاكوا حولهم قصصاً أسطورية ووصفوهم بأنهم عصابات خارجة على القوانين مدعومة بجمعيات سرية ، وكلمة حشاشين لم ترد حتى على لسان مؤلفي الإسلام المعادين للإسماعيلين ، قبل الحروب الصليبية مع شدة كراهية هؤلاء المؤلفين المسلمين للإسماعيلية قبل الحروب الصليبية . أس . بيكلي ، مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية : 61 ، وفي ذلك يمكن القول ان الإسماعيلية ومنهم الحشيشية تعرضوا لمهاجمة ليس الفقهاء من المذاهب المختلفة معهم ، وإنما حتى من الذين خالفوهم بالدين لا المذهب ويبدو ان احتكاك الحشاشين بالصليبيين كان سبباً من أسباب تلك العداوات . ينظر :

Pouzet . Louis , chretienset Musulmans autemps descroisades , entere l'affrontementet larencontre , 2007 , p. 41-47 .

(1) كوربان ، تاريخ الفلسفة الإسلامية : 156 ، أبو جوهر ، الإسماعيليون بين الاعتزال والتشيع : 33 وما بعدها .

(2) كوربان ، المصدر نفسه : 213 ، الحمد ، الافلوطونية المحدثة : 223 .

(3) نزار ، محمد بن هادي ، أسرار فرقة الحشاشين ، ط1 ، دار الفتح ، الشارقة ، 2004م ، المبحث الخامس حركة الحشاشين أو الدعوة الجديدة : 49 .

، وهو ما سنلحظ أثره عند الحشاشين الذين طالبوا من بعض سلاطين السلاجقة إرسال من يناقشهم ويجادلهم في عقائدهم وأفكارهم[1] .

ولم يكن بأي حال ذلك التشـــهير إلا نوعٍ موازٍ لحملات الحروب المنظمة التي شـــنت على قلاعهم ، وفي تلك الحملات المعادية كلامياً يقول همر "نال النزارية من العلماء وعلى رأسهم الغزالي ما نال القرامطة قبلهم من العلماء ... ، حيث أعلن الجميع إباحة دمائهم وممتلكاتهم ، وبذلك زاد الحنق عليهم من كل جانب ، ووجدت الحكومات نفسها في حرب دائمة مع هذه الجماعة"[2] ، وغير بعيد ان ما ساعد على تلك الحملة قلة المعلومات بشكل عام عن عقائد الإسماعيلية لكونها مرت بطور طويل من السرية وكان وجود الحشيشية داخل قلاع محصنة قد أكسبهم غموضاً في أعين الآخرين ، ولعل ما ذكر عماد الدين الأصـــفهاني يطابق هذا الافتراض إذ قال "فنابت النوائب ، وظهرت العجائب ، وفارق الجمهور من بيننا ، جماعة نشـــأوا على طباعنا، وكالوا بصـــاعنا ، وكانوا معنا في المكتب وأخذوا حظاً وافراً في الفقه والأدب ... وخفيت عن الناس أحوالهم ودامت حتى استتبت على استتار"[3] .

وكان العمل الأخر والذي عد عملاً مناوئاً للإسماعيلية وللحسن الصباح وفرقته هو كتاب نظام الملك الطوسي – أول ضحايا الحشاشين – وكان كتاب سياست نامه قد ألف بناءً على رغبة السلطان ملكشاه والذي أمر سنة 484هـــ/1091م عدداً من رجالات حكمه إلى ما سقط من سنن الحكم الصـــالحة فألف من جملة أولئك الرجال وزيره نظام الملك فاعجب ذلك الكتاب ملكشـــاه ، وأعلن انهُ ســوف يتخذه إماماً يســير

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 108/9 ، السعداوي ، الحشاشين : 35 ، موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 82–88 ، فيها مراسلات بين ملكشاه والحسن بن الصباح توضح مناظرة الحسن لملكشاه وهي مأخوذة عن مخطوط بعنوان مجالس المؤمنين للقاضي نور الله شوشتري من علماء الإمامية في القرن العاشر الهجري وقد وجدت هذه الرسائل في ذلك المخطوط .

(2) Von Hammer , Burgoastal Hist del 'order sed Assassians , p. 101 .

(3) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 62 ، د. محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية: 64 .

على هداه في الإصـــــلاح[1] ، لكن الكتاب لم يكن ليخص فقط أمور الحكم وكان من جملة الأسباب هو اشتداد وطأة الباطنية ولاسيما بعد عودة الحسن الصباح من مصر في حدود سـنة 480هـــــ/1087م وتنظيمه لصـفوف الحركة، وقد دفعت قوة حركة الحشاشين إلى ان تتبه لذلك نظام الملك[*] وكان ذلك على ما يبدو من أقوى الأسباب الكثيرة التي دعته ان يكتب الفصـــول الأخيرة وعدتها أحد عشـــر فصـــلاً والتي كرس معظمها للكلام عن خروج الفرق عن الإســلام محذراً ملكشــاه منهم ومبنياً نشــأتهم وان الخطر الكامن هو وراء أسوار القلاع منذراً إياه من مغبة التهاون في أمرهم[2] .

- الحسن وشرعية الحكم في الموت :

استقر الحسـن في قلعة الموت ، ونظم شـؤون الدعوة فيها ، وزاد من حصـانة القلعة والقلاع التي اســتولى عليها وكان ذلك بداية نواة بناء دولة للإســـماعيلية تكون ممتدة داخل مدن وممتلكات السلاجقة ، وكان الحسن بحاجة آنذاك لسند شرعي يدعم فيها الدولة التي أنشأها ، بعد موت نزار الذي أشارت إليه الروايات ، وفشل ثورته على أخيه المســتعلي ، لكن إشـــارات كثيرة تؤكد ان نزار ترك ولداً ، ونجح أنصـــاره – أي الحسن – في أخذه وإيصاله إلى الموت[3] .

---

(1) الطوسي ، سياست نامة ، مقدمة المحقق : 10 ، السيد محمد العزاوي وكذلك ينظر : 29-31 من نفس الكتاب .

(*) ينظر في ذلك : عماد الدين الأصـــفهاني ، تاريخ دولة آل ســـلجوق : 63 ، يبين فيه تحذير نظام الملك لملكشاه من تنامي خطر الحشيشية ، وينظر كذلك : ص219 من الدراسة .

(2) ينظر في ذلك : الطوسي ، المصدر نفسه : 223 (تحت عنوان في معاودة ظهور أهل النحل الخبيثة) وما بعدها .

(3) ابن ميسر ، أخبار مصر : 63/2 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 240/13-241 .

واما بعض الروايات فهي تشير إلى ان نزار استطاع النجاة والوصول هو وأحفاده إلى الموت[1] ، بينما يشير البعض ان نزار كان له ولدٌ متزوج وقد استطاع الوصول سراً بواسطة أتباعه إلى قلعة الموت وكان هذا الحفيد هو من استطاع الوصول في بطن والدته[2] ، وربما تكون هذه الرواية هي التي جعلت بعض الناس يختلق القصص والأكاذيب للطعن بعقول سكان الموت[3] ، ويبدو ان المصادر النزارية هي التي تؤكد نجاة نزار هو ومجموعة من فدائيي الحسن ليهربوا بعد ذلك من مصر إلى جبال الطالقان حيث استقروا هناك مؤسسين لما عرف فيما بعد بالنزارية[4] أو الدعوة الجديدة[5] .

اما الروايات التي نسجها بعض الرواة فهي تبين مدى العداء الذي حصل وان لم يكن إلا نوعاً من الحرب الإعلامية ؛ إذ يذكرون في قصة وصول نزار إلى الموت الآتي "واما صباح فانه قرر عند أصحابه ان الإمام هو نزار فلما طال انتظارهم له وتقاضيهم به قال انه بين أعداء والبلاد شاسعة ولا يمكنه السلوك وقد عزم ان يختفي في بطن حامل ويجيء سالماً ويستأنف الولادة فرضوا بذلك"[6] ، ولا أظن ان الرواية بحاجة إلى مناقشة أو تفنيد إذ هي واضحة ويبدو انها قد صيغت بطريقة توضح مدى

---

(1) رغم ان تلك الروايات وضعت للطعن في سكان الموت وإيمانهم بالدعوة وسنأتي على ذكر بعضها للتوضيح . ينظر ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 283/15 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام: 327/41 ، الخشت : حركة الحشاشين : 81 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 327/2-328 ، الخشت ، المصدر نفسه : 81 .

(3) الصفدي ، المصدر نفسه : 283/15-284 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 183/21-184 .

(4) غالب ، الثائر الحميري : 55 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 514 ، ثم انظر ايفانوف، الموت ولامسار : 53-54 ، وفيها مناقشة لقصة وصول أحد أحفاد نزار إلى الموت .

(5) عبد الله بن المرتضى ، الفلك الدوار في أسماء الأئمة الأطهار، طبعة حلب، 1933م : 32.

(6) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 327/41 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 284/15 .

الحرب التي شنت على الحشاشين النزارية . وقد أوضح الأسيوطي ان النزارية جعلوا طريقة مجيء نزار وهو في بطن الجارية مما يُقسم به الشخص الذي ينضم إليهم "وإلا قلت بأن الأمر صار إلى نزار وصدقت القائلين بانهُ خرج حملاً في بطن جارية"[1] . لكن الروايات ربما تتفق على ان حفيداً لنزار أفلح في الوصول إلى الموت ، ونجا من الذي حصل بمصر من القتل ووصل إلى المشرق[2] . وتبدو الروايات مؤيدة لذلك ولو دون الإشارة الصريحة "ونزار هو الأكبر وهو جد أصحاب الدعوة بقلعة الموت وتلك القلاع"[3] .

اما الفارقي فقد ذكر ان نزار تزوج من بنت للحسن بن الصباح بعد وفاة والده المستنصر ، وهذه الزيجة جاء منها ولد اسماه محمداً ولقبه المصطفى وقيل لقب بالقائم[4] ، وهي تشابه أغلب الروايات في مجيء طفل إلى الموت من نسل نزار .

اما موت نزار أو مقتله بعد فشل ثورته في الاسكندرية فيبدو انهُ أمر واقع ، وقد اعترفت به النزارية إذا ما رجعنا إلى سيرة الحسن بن الصباح التي نقلها الجويني ، مرجحاً نجاة طفل يعود بنسبه إلى نزار ، وقد أنشأ عقب ذلك الحسن بن الصباح نظرية الإمام المستور والتي ذكر د. طه أحمد شرف ان الحسن أنشأ نظرية جديدة وهي نظرية الإمام المستور[5] . والحقيقة ان الحسن لم ينشأ نظرية الإمام المستور وإنما أعاد

---

(1) محمد بن الحسين بن علي الأسيوطي شمس الدين المصري (ت807هـ/1404م) ، جواهر العقود ومعين القضاة والشهود ، دار النشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 275/2، راجع القسم الخاص بالانضمام إلى الدعوة النزارية : 274/2 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 298/2 .

(3) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 119/8 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 179/1 .

(4) الفارقي ، تاريخ الفارقي : 268 .

(5) شرف ، دولة النزارية : 67 .

أحيائها من جديد لأن تلك النظرية كانت قد نشـأت قديماً عند موت الإمام الصـادق (عليه السلام) وانفراق الشيعة وظهور الإسماعيلية واختفاء الإمام إسماعيل[1] .

وقد كانت الدعوة لنزار فاتحة لعهد جديد ، حيث نجحت في إقامة دولة من القلاع وسط حدود وسلطة الخلافة العباسية[2] .

استمد الحسن الشرعية في حكمه من وجود الممثل الرسمي للإسماعيلية ، وسواء صحت روايات وصول نزار أو أحد أبنائه فان الغاية كانت وجود سند شرعي وممثل عن الإمامة الإسماعيلية ، وهذا الأمر جعل الحسن صاحب الأمر في الدعوة الإسماعيلية النزارية الجديدة ، وصار هو العقل المدبر واليد الفاعلة في جميع الحوادث التي كانت تجري آنذاك[3] ، وتكاد عملية كسـب الأتباع وازديادهم ، واضـحة في المخطوطة التي عثر عليها والمسـماة بالهداية الامرية[*] وهي أقدم النصـوص التي وصـلت من العصـر الفاطمي والتي تخوض في إمامة نزار ، وقد دفع محتوى تلك الوثيقة البعض للقول ان الحسن أنشأ موقعاً في بلاد المشرق ليستقبل فيه المستنصر وليكون دار هجرة الأخير إليه[4] .

---

(1) ينظر : الفصل الأول موضوع دور الستر ، يذكر د. علي حسن موسى ان أوجه الشبه كبيرة بين قصـة سـتر الإمام نزار والإمام إسـماعيل ، ويشـير إلى أمور مشـتركة ليس أقلها توجه الإمامين إلى بلاد فارس التي كانت ملاذاً للدعوة الإسـماعيلية وكلاهما يمثلان مرحلة جديدة للدعوة . ينظر : الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية : 99 .

(2) شرف ، دولة النزارية : 67 .

(3) جمال بدوي ، الفاطمية دولة التفاريح والتباريح ، ط1 ، دار الشـروق ، القاهرة ، 2004م : 106 .

(*) تم التطرق والإشارة لتلك المخطوطة .

(4) جمال بدوي ، المصدر نفسه والصفحة ، وللمزيد من التفاصيل حول موضوع استقبال الإمام الإسماعيلي ودار الهجرة . ينظر : ايفانوف ، الموت ولامسار : 49-52 .

ومن غير المستبعد ان الحشاشين استفادوا من بعض النصوص الواردة في تلك المخطوطة في إثبات أحقية إمامهم نزار وأولاده ولو ان ذلك حدث بعد وفاة الحسن[1] . ومن غير المستبعد أيضاً ان الحسن استخدم ذلك الحق – حق الإمامة لنزار – وان المخطوطة جاءت للرد على ذلك الإدعاء ، واستطاع الحسن فيما بعد ان يبدئ بدولة النزارية وأعاد عصر دور الستر من خلال احتضانه لعدد من أولاد نزار والذين عاشوا في كنف دولة الإسماعيلية النزارية في الموت وكان الحسن هو القوة العلنية الحامية لهم[2] .

وأصبح الحسن يلقب "بالحجة" ولو ان ذلك اللقب حظي به بعد مقتل ابن عطاش[3] ، وكان كُتاب ومؤرخو النزارية أكثر ميلاً إلى عدم اعتبار الحسن الصباح حجة للإمام المفقود بل حجة القائم الموعود ، أي انهُ كان حجة لشخص يغيبه حجب المستقبل القريب أو البعيد وهذا يستتبع ان الحسن الصباح لم يكن ليتلقى علمه من أحد

(1) ورد في مخطوطة الهداية الامرية عدة إشارات تثبت ما ذهب إليه النزارية من حق نزار في إمامة المستنصر رغم ان المخطوطة كتبت من جانب المستعلي – الخط المناهض لنزار – إذ تقول تلك المخطوطة ان النزارية استدلوا بأحقية نزار بان المستنصر بالله "نعته بولي عهد المسلمين" وتشير أيضاً المخطوطة ان المستنصر كاتب بعض الناس مشيراً إلى تقليد نزار ولاية عهده . ينظر : الهداية الامرية : 17 و21–22 ، وكذلك ايفانوف ، الموت ولامسار : 53 . وللاستزادة أكثر حول ذلك الموضوع ينظر : سيمينوفا ، ل.أ. تاريخ مصر الفاطمية ، ترجمة وتحقيق : حسن بيومي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2001م : 209–210م .

(2) موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 67 .

(3) خير خوه (ت مجهول الوفاة) ، كلام بير ، نشره فلاديمير ايفانوف ، بومباي ، 1935م ، وقد نسب ايفانوف الكتاب دهماً إلى ناصر الدين خسرو : 44 ، الايجي ، المواقف : 3/677–389 ، وللاستزادة ينظر : غالب ، الثائر الحموي : 53–54 .

. وربما كان هذا الذي أدركه الكتاب حين نســـبوا هذه التعاليم إلى الحســـن مع ان المفروض ان تنسب لإمامه المستور[1] .

المبحث الثالث
عصر القوة والتنظيم

- الحسن بن الصباح والتنظيم داخل القلاع :

كانت سياسة السيطرة على القلاع قد أخذت بعداً آخر عند الإسماعيلية ، بعد سيطرة الحسن على قلعة الموت ، فقد استغل الإسماعيليون – الحشيشية – الفوضى في الدولة السلجوقية واستطاعوا الاستيلاء على عدد من القلاع[2] ، وقد استطاعوا – وهم في أوج قوتهم – من الاستيلاء على ما يقرب من (200) قلعة وحصن إضافة إلى

---

(1) العزاوي ، السيد محمد ، فرقة النزارية تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه إلى كلية الآداب جامعة عين شمس ، رسالة غير منشورة ومكتوبة على الآلة الطابعة ، 1968م : 81–82 .

(2) ينظر في عدد تلك القلاع وأماكنها ، ابن الأثير ، الكامل : 9/39–40 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 4/121–122 ، القزويني ، يحيى بن عبد اللطيف (ت960هـ/1552م) ، لب التواريخ، بخط : محمد باقر (يزوهند) بن إسماعيل ، واعتناء : دانشمند كرامي ضياء الدين بن محمد كاظم ، مطبعة مقدم ، ايران، 1943م : 211–112 ، زهرة ، دولة القلاع : 57.

عدد كبير من البلدات والقرى في المناطق المجاورة ، وكان الغرض من ذلك إمداد القلاع بما تحتاجه من قوت وزرع[1] .

ويمكن ان نقول ان حياة الحســن داخل قلعة الموت أصــبحت نموذجاً ليس لخلفائه بل ولأعوانه ، فكان الحسن يسكن في غرفة عادية داخل الحصن تقوم في أحد أطرافها مكتبتهُ الخاصــة ، وفي هذه الغرفة كان قد عكف على كتابة مذكراته التي لم يصلنا منها إلا القليل ، وكانت حياته في القلعة حياة زهد وتقشف وعبادة يلبس الصوف ويعيش عيشــة الفقراء المتعبدين وكان رجاله مثله وعلى غراره وقد فرض عليهم نظاماً صارماً[2] .

وكدليل على حياة الزهد تلك فانهُ أثر المكوث في منزله في قلعة الموت ولم يغادره طيلة بقائه في القلعة والتي أمتد وجوده فيها خمس وثلاثين سنة ، سوى مرتين ، وهاتين المرتين خرج فيهما إلى سـطح القصـر ، وكان بقية أوقاته معتكفاً على مطالعة الكتب ... وتدبير أمور مملكته[3] .

وكنتيجة لذلك السلوك والتصرفات المتعلقة بالزهد ووصول ممثل شرعي للإمامة الإسماعيلية كما أشارت الروايات فقد حاز الحسن على ألقاب عدة توضح مكانته بين أتباعه مثل لقب سـيدنا ، أو الرجل الكبير ، أو شـيخ الجبل[4] . وكان لابد من تنظيم أمور الحياة والدعوة داخل القلاع فالأعداء من كل جانب والتحدي لدولة القلاع على

---

(1) By PETER WILLEy , The castles of The Assassins first publishedin Great Britain , London , 1963 , p. 302 .

(2) حول زهد الحسن بن الصباح ، ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 31/34 ، الذهبي ، ميزان الاعتدال : 248/2 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، مج214/4-215 ، أبو النصر ، قلعة الموت : 127 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 319/2 .

(4) WILLY , The Castles of the Assassins , p. 18 .

أشده[1] . وللأسف فان الكثير من كتابات الحسن كان نصيبها أما الضياع أو الحرق والتدمير ، وقد أفلح القسم الآخر بالوصول إلينا عن طريق ما نقله مؤرخو الفرس أنفسهم أو بعض كتاب الفرق كالشهرستاني الذي نقل لنا أحدى رسائل الحسن الدينية والمشهورة "بشهر فصل" أي الفصول الأربعة[2] ، وتدور أغلب أمور ذلك الكتاب وتوصياته حول الاحتياج إلى التعلم من الإمام[3] ، ويتبين بوضوح الأفكار التي اشتقت منها كلمة التعليمية ، والتي أكسبت الفرقة أحد أسمائها ، لكونها – أي فرقة الحشاشين – تعود بحصولها على العلوم من الأئمة حصراً وان الفرق التي تشذ عن أخذ العلم من غير الأئمة "فرؤساؤهم يجب ان يكون رؤساء المبطلين"[4] .

وتتضح أكثر وبصورة ماهرة نظرة الحسن بن الصباح من خلال رسالته تلك فيذكر قائلاً "ان العالم حقاً وباطلاً ثم يذكر ان علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الإمام والرأي مع الفرق المختلفة وهي مع رؤسائهم"[5] . ثم منع العوام من الخوض في العلوم وكذلك الخواص عن مطالعة الكتب المتقدمة إلا من كيفية الحال في كل كتاب

---

(1) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 237 .

(2) الشهرستاني ، الملل والنحل : 195/1 وما بعدها ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 105–107 ، كاشاني ، أبو القاسم عبد الله بن علي (ت836هـ/1432م) ، زبدة التواريخ ، ط2 ، تح : محمد تقي دانشبازوه ، طبعة طهران ، 1987م : 115 و202–204 .

(3) ينظر حول الاحتياج إلى معلم عند الإسماعيلية ، داعي إسماعيلي مجهول ، رسالة التحاميد الخمس ، تح : د. عارف تامر ، منشورات ضمن مجلة المواسم العددان 43–44 ، لسنة 1999م ، تصدر في هولندا : 209–210 ، الجويني ، فاتح العالم : 307/2 ، ابن الجوزي، القرامطة : 50 .

(4) الشهرستاني : الملل والنحل : 196/1 .

(5) الشهرستاني ، المصدر نفسه : 197/1 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 199 وما بعدها .

ودرجة الرجال في كل علم[1] . وتبدو عبارة منع الخوض في العلوم بالنسبة للعوام ومنع الخواص من مطالعة الكتب ، عبارة لا تتناسب مع ما سنوضحه من إمكانية الدعاة وسعة معلوماتهم ، ومعرفتهم بالمذاهب والأديان الأخرى[2] . وما جُبل عليه باقي فئات المجتمع النزاري من سعة في المعلومات .

اما الكتاب الآخر والذي نشرهُ ايفانوف وينسب إلى الحسن بن الصباح فهو بعنوان هفت "بابي باب سيدنا" أي "سبعة فصول لسيدنا" ، وربما يكون الكتاب منقول عن الحسن حيث ان كتابته كانت بعد سبعين سنة من وفاة الحسن بن الصباح[3] والكتاب مقسم إلى سبعة[*] فصول يضم في فصوله النظرة الفلسفية للحياة والكون ، ويبدو انهُ مكتوب على طريقة فلاسفة الإسماعيلية ، وفيه تتضح أيضاً ان النزارية وحسب الاعتقاد هي الفرقة الناجية من سائر فرق المسلمين الأخرى[4] . كما ويتوضح أكثر ان تاريخ الإسماعيلية السياسي من وجهة نظر مؤلف الكتاب – ليس أكثر من تحقيق للنبوءات من خلال بعض الخطب التي تناقلها الإسماعيليون نقلاً عن الإمام علي

---

(1) الشهرستاني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، القاضي الجرجاني ، أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني أبو العباس (ت482هـ/1089م) ، شرح المواقف ، ط1 ، تح وشرح : علي بن محمد الجرجاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1907م : 391/8 ، عضد الدين الايجي ، المواقف : 689/3 .

(2) ينظر : ص189 من الدراسة .

(3) وفاة الحسن بن الصباح كانت سنة 518ه/1124 ، الجويني ، فاتح العالم : 319/2 .

(*) يبدو كتاب (سبعة فصول لسيدنا) على غرار (هفت باب) عدة رسالات إسماعيلية ، وأحداها لناصر خسروا (صاحب سفرنامة وكتب أخرى) ، ومعنى احدى تلك الرسائل سبعة ألوان ، أو سبعة مظاهر للجمال . ينظر : اغابزرك ، محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني (ت1389هـ/1969م) ، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط2 ، دار الأضواء ، بيروت ، د.ت : 231/25 .

(4) وتتضح هذه الفكرة أيضاً عند الشهرستاني الذي نقل كتاب الحسن بن الصباح الفصول الأربعة . ينظر : الملل والنحل : 196/1–197 .

(عليه السلام) وتتضح أكثر فكرة تحقق تلك النبؤات في خطبة للإمام علي (عليه السلام) ذكر فيها فتح مصر وبلاد الشام وبلاد الديلم ، وان أحد أحفاد الإمام علي (علي السلام) هو من سيقوم بذلك الفعل ، وفيها إشارات واضحة للإسماعيلية ودورها في مصر وبلاد الشام والنزارية – الحشيشية – وما تحقق على أيديهم في بلاد المشرق فيما بعد وبلاد الشام[1] .

تمكن الحسن بعدها من بسط نفوذه على النواحي المتصلة بالموت ، وعلى المواقع القريبة منها ، وتمكن كذلك من بث دعوته في تلك المدن[2] ، ويمكن القول ان انشغال الحسن بن الصباح في تلك الحقبة وعند صعوده إلى قلعة الموت ومشاهدته الصمود الذي أبداه رجاله وحصانه المنطقة ، أخذ يفكر ملياً بأهمية التحصن وأهمية امتلاك القلاع والتي كان القصد منها على الأفق البعيد ان تكون رأس الحربة في الهجوم على المعادين للإسماعيلية[3] .

ويبدو ان إجراءات الحسن كانت تشتمل على العدو والصديق على حد سواء ، فحين تعرضت قلعة الموت للحصار ، أرسل هو بزوجته وبناته إلى قلعة جيردكوه وأمضين بقية حياتهن هناك يكسبن قوتهن من عملهن بالغزل مثل بقية نساء العامة ، ولم يسمح لهن بالعودة إلى الموت أبداً[4] ، وقد ترك هذا الأمر سابقة لقادة القلاع الإسماعيلية الآخرين[5] .

---

(1) الحسن بن الصباح ، كتاب (هفت باب) (في سبعة فصول لسيدنا) ، منشور ضمن كتاب ايدلوجيا الإرهاب الفدائي ، لسميرة بن عمو : 94 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 310/2 .

(3) لويس ، الحشيشية : 228 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 316/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 124 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 135 .

(5) دفتري ، حسن الصباح وأصول الحركة الإسماعيلية النزارية ، مقالة ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط : 193 .

لقد كان الحســـن يعلم علم اليقين انهُ ســـيتعرض ومن معه للإبادة الكاملة لو حارب أعدائه بالاصـــطدام العســـكري ، للتفاوت الهائل بينه وبين أولئك الأعداء لكثرة رجالهم وأسلحتهم مقابل ذلك قلة رجاله مقارنة بأعدائه[1] . لذلك عمل على إنشاء نظام تربية خاص بساكني القلاع ، وقسم مراتب من فيها إلى أقسام عدة ، وقد كان الحسن يعتقد انهُ يســـتطيع تحقيق آمال عبد الله بن ميمون القداح الذي كان حجة محمد بن إســـماعيل واحدى دعامات المذهب الإســـماعيلي في تكوين دولة إســـماعيلية ، بحيث يكون الرعايا والحكام على عقيدة واحدة ، على الرغم من النجاحات التي كان حققها القرامطة والفاطميين ، إلا ان الحســـن رأى ان بإمكانه تكوين دولة إســـماعيلية بحتة بإمكانها ان ترث الفاطميين وتنهي كيان العباسـيين[2] ، ويسـتنتج من هذا د. طه أحمد شـرف ان ذلك كله دفع الحسـن ان يركز على نظرية (الإمام المعصـوم) "لأنه أراد من أتباعه الطاعة المطلقة ، فنادى بطاعة الإمام المعصوم ، وطاعة حجته مدعياً ان ذلك هو الشـرط الأسـاسـي للدين الحق"[3] ، وربما تكون تلك الفكرة نواة لما عرف فيما بعد بالتعليمية وأصبحت حركة الحشاشين تحمل ذلك الاسم دلالة عليها .

وقد أدت قلاع الدعوة تلك دوراً ليس في زيادة رقعة ومســـاحة وعدد القلاع أو عدد الداخلين في الحركة الإسماعيلية ، وإنما بحماية أولئك وتأمين سلامتهم وأخذ حتى المترددين في الدخول يسارعون إلى الدخول في الدعوة[4] ، بعد ان شاهدوا حصانة تلك القلاع ، وربما أصـبحت تلك القلاع واسـتحكامها هدفاً لتأسـيس دولة تمتد بعيداً حتى

(1) اس . بيكلي ، مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية : 61 .
Von Hammer , del'order de Assassins , p. 84 .
(2) I bife , p. 84 – 85 .
(3) شرف ، دولة النزارية : 72 .
(4) حول زيادة اعداد الداخلين إلى الإســـماعيلية وقوة قلاعهم وحصـــونهم ينظر : ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : 134 ، ابن الأثير ، الكامل : 39/9 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 122/4-123 .

بلاد الشـام وهو ما أشـار إليه لويس ، الذي لاحظ امتداد القلاع في بلاد الشـام ، وان الإسماعيلية شكلوا خلايا تأييد في أماكن أخرى في سورية ، وخاصـة على امتداد خط اتصالهم نحو الشرق إلى قلعة الموت[1] .

اتضـحت إجراءات الحسـن في الموت بأشـكال عدة دلت على سـياسـة جديدة تماشـت مع ما أطلق عليها بأنها الدعوة الجديدة ، وكان الحسـن أثناء ذلك يرغب بالاحتفاظ بالأنصار القدامى من الإسماعيلية في فارس وخراسان ويجعلهم يلتفون حوله ، مضـيفاً إلى دعوته أنصـار جدد ، فلجأ إلى العامة من الناس ويبدو لنا ان ذلك كان مدعاة للبعض لكي ينتقصـوا من أتباعه "فكان لا يدعو إلا غبياً ، وثم يذكر لهُ ما تم على أهل البيت من الظلم ثم يقول له إذا كانت الازارقة والخوارج سـمحوا بنفوسـهم في القتال مع بني أمية فما سبب تخلفك عن إمامك فيتركه بهذه المقالة طعمة للسباع"[2] . وهذه الرواية تشير إلى حجم من سارع بالانضمام إلى الحسن وانتشار دعوته .

قام الحسـن أولاً بتحصـين القلاع ، ويبدو ان ذلك الأمر كان سـبباً رئيسـاً في نجاحه وصـموده الطويل ، وقد شـمل ذلك الإجراء ان أصـبحت القلاع تشـبه في أوضاعها المدن لكنها تقع على قمم الجبال ، وهذا العمل لا يُنكر ما لهُ من شدة التأثير على نفوس سـاكني تلك القلاع وقد أمر الحسـن بن الصـباح حين اسـتولى على الموت "بحفر قناة وجلب الماء من مكان بعيد إلى أسفل الحصن وأمر بغرس الأشجار المثمرة ، خارج المكان وشـجع السـكان على فلاحة التربة وتحسـينها وزراعتها ، بهذه الطريقة أصبح هواء الموت الذي لم يكن صحياً في السابق نقياً وصحياً"[3] .

---

(1) لويس ، الحشيشية : 270 .

(2) ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : 134 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 29/34 .

(3) للاستزادة حول إجراءات الحسن في تحصين قلعة الموت . ينظر : رشيد الدين ، جامع التواريخ : 12 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 209 ، دس ساسي ، دراسة في سلالة الحشاشين : 218 ، وايفانوف ، الموت ولاماسار : 75 وما بعدها .
WILLEY , The Costles of Assassins , p. 204 and 226 .

وجدير بالإشارة ان يقوم الحسن بالاهتمام بالجانب السياسي في صراعه مع السلاجقة وما نقصده هنا تنظيم طرق الحياة والتربية داخل الموت ، وفي مثل تلك الظروف كانت ثورة النزارية تنفذ من جملة الحصون الجبلية[1] .

لذلك قسم الحسن المجتمع النزاري أو الأشخاص الذين أوكل بهم تنظيم الدعوة إلى أقسم عدة كان الغرض منها هو مواجهة المستجدات وما فرضته طبيعة المرحلة الجديدة ، والنهج الذي سار عليه الحسن ، وقد كانت تلك المراتب والدرجات على أقسام عدة .

1- **المرتبة الأولى** : مرتبة رئيس الدعوة أو داعي الدعاة وكان يسمى نائب الإمام المستور "بشيخ الجبل" .

2- **المرتبة الثانية** : كبار الدعاة ، والثالثة الدعاة أما الرابعة فهم الرفاق ، والخامسة الفداوية ، والسادسة اللاصقون ، والسابعة المستجيبون وهم عامة الناس المؤيدين للدعوة[2] .

أما (غالب) فيقسم مراتب الدعوة الأساسية من الناحية الدعوية والتي أهتم بها الحشاشون بصورة كبيرة ، يقسمها كالآتي :

1. الإمام : وله رتبة الآمر .
2. الباب : وله رتبة فصل الخطاب .
3. الحجة وله رتبة الحكم فيما كان حقاً أو باطلاً .
4. داعي الدعاة : وله رتبة تعريف الحدود العلوية والعبادة الباطنة ورئيس الدعاة المباشر .
5. داعي البلاغ : وله رتبة الاحتجاج وتعريف المعاد .

---

(1) دفتري ، خرافات الحشاشين : 61 .

(2) ينظر : شرف ، دولة النزارية : 79-88 ، د. فاروق ، عمر فوزي ، الخلافة العباسية السقوط والانهيار ، مطبعة دار الشروق ، د.م ، 1998م : 2/189-190 ، وللاستزادة ينظر : الكرماني ، راحة العقل : 101 وما بعدها .

6. النقيب : وله رتبة تعريف الحدود السفلية والعبادة الظاهرة .

7. المأذون : وله رتبة أخذ العهد والميثاق .

8. داع محدود (أو محصور) : وله رتبة جذب الأنفس المستجيبة .

9. جناح أيمن : ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب فهو جناحه ويده اليمنى .

10. جناح أيسر : ملحق بصورة دائمة بالداعي النقيب فهو جناحه ويده اليسرى .

11. مكاسر أو "مكالب" لهُ حق المجادلة وخاصة بين طبقات العامة .

12. مستجيب : أو رتبة يصل إليها من يؤخذ عليه العهد والميثاق على هذه الصورة رتب زعيم الدعوة الإسماعيلية الحدود الجسمانية في النظام الإسماعيلي ، واجتهد الأئمة بان لا يخلو بلد من دعاتهم[1] .

اما فيما يخص تنظيم الدعوة عند الحشيشية ، والتنظيم فيها مقارنة بالعقول العشرة[2] . ومراتب الدعوة الإسماعيلية ومراتب الموجودات ومطابقتها لها والمقارنة بين العقل الأول والذي يقابله الناطق عند الإسماعيلية وبين المرتبة الأخيرة التي تشمل العقل العاشر الذي يقابله المأذون أو المحدود = المكاسر = المكالب[3] .

---

(1) الكرماني ، راحة العقل : 101 وما بعدها ، حسين ، محمد كامل ، دراسة في تاريخ الفاطميين وعقائدهم وموقفهم من الفرق والأديان ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م : 53-56 ، غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 33-34 ، موسى ، الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية : 141-144 ، هشي ، سليم ، الإسماعيلية عبر التاريخ ، دار صادر ، بيروت : 1969م : 54-57 ، الجلي ، د. أحمد ، الباطنية في التاريخ أصولهم وأهم أفكارهم ، ط1، الناشر دار الكتاب الجامعي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، 2010م : 72-73 ، غالب ، الثائر الحميري : 58-59 .

(2) ينظر ، الفصل الأول من الأطروحة (موضوع فلسفة الأعداد عند الإسماعيلية) .

(3) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 37-38 ، حسين ، دراسة في تاريخ الفاطميين : 56 ، نقلاً عن الرسالة الحاتمية ضمن كتاب ضياء البصائر للداعي إدريس عماد الدين القرشي .

وقد وردت تلك المراتب في كثير من مؤلفات الدعاة دعاة الإسماعيلية[1] ، وهي تدلل ان الحسن بن الصباح كان قد استعار تلك المراتب بما يلائم وضع الدعوة الجديد .

اما فيما يخص تلك الوظائف ومهمة وكيفية كسب الناس إلى الدعوة فكل لكل واحد من تلك المراتب مهمة محددة ، لا يجوز لهُ تخطيها فكان المكالب أو المكاسر والذي يقع في نهاية تلك السلسلة ، كانت مهمته مجادلة العلماء والفقهاء امام جماهير الناس ، وهم في ذلك يبدون وكأنهم تلاميذ يريدون الإفادة من أساتذتهم ، دون إثارة الشك في نفوس الفقهاء أو الجماهير المجتمعة وفي أغلب الأحيان تكون الأسئلة في أمور غامضة مما تعطي للمكالب فرصة الفوز بالمكانة من خلال احراجه أولئك الفقهاء[2] ، ويبدو لنا ان تلك الأسئلة كانت في جوهرها أسئلة فلسفية لأن الإسماعيلية كما أشرنا لذلك كانوا قد برعوا فيها ، فاذا كان أقل مراتب التنظيم في الدعوة الإسماعيلية لهُ القدرة على توجيه هكذا نوع من الأسئلة ، فهل يصح ان يكون الحسن الصباح قد منع الناس من الخوض في الكتب أو في الأمور الفلسفية والتي أشار إليها بعض الرواة[3] .

---

(1) ينظر في ذلك ، المنيقي ، الإيضاح : 94 ، مؤلف مجهول ، رسالة الرشد والهداية ، الوداعي ، سمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية : 16 .

(2) غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 31 ، وللاستزادة ينظر ، الدجيلي ، عبد الحميد ، رسائل إسماعيلية نادرة ، رسالة التنزيه لعمل الموحدين ، منشورة ضمن مجلة الموسم العددين 67-68 : 414-415 ، نزار ، أسرار فرقة الحشاشين : 65 وما بعدها .

(3) ينظر في ذلك ، ص 182-183 من الأطروحة .

وكانت توصيات شيخ الجبل فيما يخص أمور الدعوة وكسب الآخرين "لا تبذر بذور في أرض قاحلة(*) ، ولا تضـــيع الوقت مع البلهاء ، ولا تكف كلماتك أمام فقيه وذلك لصعوبة احتمال اقناعه بعد ان يكون قد وصل إلى هذه الدرجة من العلم"[1] .

اما كلمة مكاسر فهي مشتقة من الفعل كسر [2] ، وهاهنا عند الإسماعيلية تعني تحطيم آراء المناوئين ، وكســـر اعتقادهم وإذا ما تعرض المكاســـر إلى الاحراج فانهُ يتخلص من ذلك بالخوض مع المقابل بالأمور الفلســـفية العميقة التي لا حد لها ولا يفهما أحد وبذلك ينجو من الاحراج ولا يظهر بصـورة المنهزم ، وإذا ما نجح في كسـب المستجيبين فانهُ يقوم بتحويله إلى المأذون الذي يأخذ عليه العهود والمواثيق[3].

اما الداعي أو المرشد (حسب التسمية) فقد وضعت لهُ شروط منها ان يكون قد بلغ حد الأربعين من العمر ولا يجوز له مفاتحة المستجيب بشـيء أصـلاً إلا بحضـور جماعة من المؤمنين ، يشـهدون لهُ بالأهلية والاستحقاق على الأقل بشـاهدين ونقيب ، وينبغي ان يكون النقيب قد بلغ حد الأربعين ، وبعد قراءة ديباجة ، معينة (أعدت لتكون

(*) يبدو أنها مسـتوحاة من أحاديث وروايات متعددة ، وللاسـتزادة ينظر : الفصـل الأول من الأطروحة، موضــوع (سـير الدعوة وظهور القرامطة) والأحاديث التي تشـير إلى تأكيد الدعوة على المناطق التي يكثر فيها المؤيدون ، وتتضـح أيضـاً تلك التعاليم في وصـية ابن حوشـب لأبي عبد الله الشـيعي وهو يوجهه نحو كتامة من أرض المغرب إذ قال لـه "ان أرض كتامة من المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان ..." ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 450/6 .

(1) السيد ، الحشاشون : 37 .

(2) ابن منظور ، لسان العرب : 616/12 (مادة هظم) .

(3) هالم ، هاينز ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم : 98 ، وللاســتزادة ينظر : العبد الجادر ، عادل سـالم ، العهد الإسـماعيلي قسـم المسـتجيبين للدعوة الإسـماعيلية ، بحث منشـور ضـمن المجلة العربية للعلوم الإنسـانية ، مجلة فصـلية محكمة العدد الخامس والتسعون ، السنة الرابعة والعشرون ، الكويت ، 2006م : 69-98 .

قسّماً) [1] ، يقسم المستجيب ، قسم الاعتقاد بالمذهب الإسماعيلي فيقول "وليس لي قصـد في هذه الرغبة إلا تحقيق أمر الدين ، وطلب معرفة حقيقة اليقين ، وتصـحيح الاعتقاد والدخول مع الفرقة الناجية ، من الطغيان والفساد ، ومعرفة مولانا صـاحب الوقت ، وإمام الزمان ، واني إذا فهمت أمراً ، وعرفت سـراً أكتمه وأخفيه عمن لا يعتقد بمعتقدي ، ولا أظهره لأحد من الخلائق لا بقول ولا بنية ولا إشـارة ولا عبارة ، ولا تكتبه يداي ، ولا ينطق به لساني ، وان اضمرت خلاف ما انطق به ، أو كتبت أو تخليت أو تفكرت أو توهمت ، أكون كافراً بالله وبرسـله وأوليائه وملائكته وكتبه ، وأكون محارباً لهم ، ومنكراً أمرهم ..." [2] ، ويتضـح لنا بعد هذا ان المسـتجيب قد دخل الدعوة ، وهناك رسائل وكتب عدة أوضحت وأشارت إلى مهام الدعاة وسبل عملهم وما يجب ان يتصفوا به من صفات ، ومن ضمن تلك الكتب كتاب الهمة في أداء إتباع الأئمة[3] ، وهناك رسـالة أكثر استفاضـة في باب أدب الداعي كتبها أحمد النيسـابوري الذي عمل في ظل الإمامين العزيز والحاكم ورسـالته بعنوان "الرسـالة الموجزة في شـروط الدعوة الهادية"[4] ، ونتلمس من هذه الرسـالة ان الحسـن الصـباح قد درس وتعلم هذه الطرق

---

(1) ابن حيون ، دعائم الإسـلام : 46/1 ، ويربط فيها بين العهد الذي يؤخذ من المسـتجيب وبين عملية ولادة المسـتجيب فكأنه ولد من جديد خالي الذنوب وفي ذلك إشـارة ربما لاعتقاد الإسـماعيلية – وبالأخص الحشـيشـية – بأنهم الفرقة الناجية . ينظر كذلك : تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 31 ، غالب، والثائر الحميري : 58–59 .

(2) الطيبي ، شمس الدين بن أحمد بن يعقوب (ت673هـ/1274م) ، رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ضمن أربع رسائل إسماعيلية : 53–54 .

(3) ابن حيون ، النعمان بن محمد المغربي (ت363هـ/973م) ، الهمة في آداب إتباع الأئمة ، نشـر وتحقيق : د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر ، مطبعة الاعتماد، القاهرة ، د.ت : 136 ، موضوع (ذكر ما ينبغي ان يستعمله الدعاة إلى الأئمة) ، العبد الجادر ، العهد الإسماعيلي : 69–98 0

(4) هايز هالم ، الفاطميون وتقاليدهم : 102 .

حين كان مقيماً في مصـــر وانه اتبع تلك التنظيمات وهو ما أشـــار إليه الأمدي عند حديثه عن عقائد الإســـماعيلية وطرقها وتنظيماتها فيقول "هذا ما كان عليه قدماؤهم وحين ظهر الحسن بن محمد بن الصباح جدد الدعوة على انهُ الحجة الذي يؤدي عن الإمام الذي لا يجوز خلو الزمان عنه"[1].

اما طقوس الإسماعيلية في جذب وكسب الاتباع لدعوتهم فاننا نجد إشارتها في بعض الروايات ، ولابد ان النزارية اســـتفادت من تلك الطقوس في جذب الناس إلى دعوتهم النزارية الجديدة ، وقد ذكر الجرجاني عن هذه الطقوس قائلاً : "ولهم في الدعوة مراتب ، وهي الذوق ، وهو تفرس حال المدعو ، هل هو قابل للدعوة أم لا ولذلك منعوا إلقاء البذر في الأرض السبخة والتكلم في بيت فيه سراج ، ثم التأنيس باستمالة كل أحد بما يميل إليه من زهد وخلاعة ثم التشكيك ويقصد هنا التشكيك بالمعتقدات ، ثم الربط ، أي أخذ الميثاق منهُ بحسب اعتقاده ألا يفشي لهم سراً ، ثم التدليس وهو دعوى موافقة أكابر الدين والدنيا ، ثم التأســـيس ، وهو تمهيد مقدمات يقبلها المدعو ، ثم الخلع ، ثم السلخ عن الاعتقادات ... " وحين ظهر الحسن بن محمد الصباح جدد الدعوة على انه الحجة وحاصل كلامه ما تقدم في الاحتجاج إلى المعلم"[2] .

وقد راجت بين الحشـيشـية بعض الكلمات للاسـتخدام في المناداة بينهم ، وكان من تلك الكلمات كلمة رفيق ، وقد ترافقت تلك الكلمة – أي رفيق – وكلمة إسـماعيلي، أي ان الإسـماعيلية وتحديداً النزارية على الأقل ولو ان التسـمية سـبقت الحسـن ، إلى

---

(1) شرح المواقف : 391/8 ، الايجي ، المواقف : 677/3 و689 .

(2) القاضـــي الجرجاني ، المصـــدر نفســـه : 391/8 ، الغزالي ، فضـــائح الباطنية : 21–31 ، الايجي ، المصـــدر نفســـه : 676/3 ، المقريزي ، المواعظ والاعتبار : 123/2 وما بعدها ، حسين ، دراسة في تاريخ الفاطميين : 55 .

انها شــاعت زمن الحســن ، ويبدو الاختلاف واضــحاً بين الدعاة والرفاق من خلال نصوص وردت عند مؤرخي الإسماعيلية[1] .

وربما يكون لحساسية المجتمع خاصة ضد الألقاب وهي ظاهرة شكا نظام الملك من تكالب الناس عليها في عصــره ، ربما كانت هذه الحســاســية ســبباً دعا الحســن والنزارية ان يتلقبوا بالرفاق[2] ، لكن ذلك اللقب سبق الحسن ويُذكر في ذلك نصــاً عند تحول الحسـن إلى الإسـماعيلية فيقول "لقد كنت أدين دائماً ، مثل أبي بعقيدة الشـيعيين الذين قالوا بولاية الأئمة الاثنى عشــر وحدث ان التقيت عن طريق الصــدفة رجلاً من بين الرفاق يدعى أمير ضــراب"[3] ، ولا ننســى ان أحدى المصــادر التي تكلمت عن الإســماعيلية النزارية حملت ذلك الاسـم[*] . ويبدو ان الرفاق شـكلوا الطبقة الدنيا من الدعاة المأذونين ، وهكذا يعتبر هؤلاء مســـتودعاً هاماً للدعاة بحيث لا يختار الداعي المأذون من بينهم ، إلا بعد ان يبرهن على قدرته وصــــلاحيته للقيام بالدعوة وتفهم أغراضها ومراميها[4] .

وعلى الرغم من ان هناك من عدّ مرتبة الرفاق مختصـــــة بالقادة ، أي قادة العسكر والفداوية ، وانهم مسؤولون عن تدريب الفدائية والمخططون لعمليات الاغتيال[5] ، لكن ذلك اللقب كما ذكرنا كان قد ســبق الحســن بن الصــباح فالأرجح ان مهمتهم متوزعة بين الامرين .

---

(1) للاستزادة ينظر : دي ساسي ، دراسة في سلاسة الحشاشين : 270 .

(2) ينظر في ذلك الكتاب ، نظام الملك ، سياست نامة : 188–199 ، الفصل الحادي والأربعين الخاص بالألقاب ، د. العزاوي ، دولة النزارية : 273 .

(3) مير خواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 205 .

(*) مثل كتاب جامع التواريخ لرشــيد الدين القســم الخاص بالإســماعيلية حمل عنوان "قســمت إسماعيليان وفاطميان ونزاريان وداعيان ورفيقان" .

(4) د. طه أحمد شرف ، دولة النزارية : 84 ، أبو النصر ، قلعة الموت : 123 .

(5) غالب ، الثائر الحميري : 59 ، عكاوي ، الحشاشون : 807 .

وكلمة رفيق من الرفقة ومعناها المترافقون في السفر والرفقة اسم للجمع وأيضاً يسمون رفاق مادامو منظمين في مجلس واحد وميسر فهم "القوم ينهضون في سفر ويسيرون معاً وينزلون معاً ولا يفترقون"[1] ، وربما أصبحت تلك الكلمة تطلق بصورة عامة على سكان القلاع من الحشيشية . وربما كان الإسماعيلية بارعين في استخدام تلك الكلمة وتوظيفها في فكرهم وموروثهم ، فهي من الكلمات الأخيرة التي نطق بها النبي { ρ }[2] ، ولابد ان لها وقعاً في نفوس المسلمين .

اما المرتبة الأخرى التي أضافها الحسن بن الصباح إلى تنظيمات الحشاشين الجديدة فهي مرتبة اللاصق وهو الذي يكون قد أخذ البيعة للإمام دون ان يتبين ما تتضمنه هذه البيعة من معان وواجبات[3] .

والأرجح ان هذه المرتبة وثيقة الصلة بمرتبة الفداوية أو الفدائية ، الذين يقع على كاهلهم مهمة تنفيذ عمليات الاغتيال التي توكل إليهم . ومرتبة الفداوية هذه من

---

(1) ابن منظور ، لسان العرب : 120/10 مادة (رفق) .

(2) ينظر حول ذلك الموضوع : البخاري ، الجامع الصحيح المختصر : 1612/4-1613 ، النسائي ، أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان ابن بحر (ت303هـ/915م) ، السنن الكبرى أو سنن النسائي الكبرى ، ط1 ، تح د. عبد الغفار سليمان البنداري ، وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م : 259/4 .

(3) بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 253 .

المجموعات التي أنشأها(*) الحسن بن الصباح ، وقد ورد عند ابن خلدون تعريف لهؤلاء يذكر فيه بأنهم يأخذون فدية أنفسهم على الاستهانة في مقاصد من يستعملهم[1].

وتبدو هذه الفئة صاحبة الأثر الكبير في تاريخ الحشيشية وقد استمدت تعاريفها من تلك الأعمال التي كانت تُقدم عليها .

كان الفداوية يقسمون قسم الدعوة ، والقسم الخاص بهذه الفئة[2] ، وقد رافقت هذه الفئة(*) ، تعريفات عدة فهم الفئة المؤكلون بالثأر والانتقام وأعمال العنف ، وقد كانوا مصدراً لكثير من الرعب الذي كان يهز الملوك على عروشهم[3] ، وهم الذين يضحون بأنفسهم فداء لرئيسهم ، وهذا النوع من المستجيبين إنما أخترعه الحسن بن الصباح ، ليربط نفسه وعرشه بسواعدهم المفتولة ، ولا يشترط في الفداوية التعمق في

(*) في الحقيقة ان جذور الاغتيال قديمة ، عند الفرق الإسلامية ، يذكر النوبختي ان فرقة المنصورية – نسبة إلى مؤسسها أبو منصور – كان زعميها يأمر اتباعه بخنق من خالفهم وقتلهم بالاغتيال ، ويقول لهم من خالفكم فهو كافر مشرك فاقتلوه فان هذا جهاد خفي . وكان ذلك في عصر المهدي العباسي . ينظر : القمي ، كتاب المقالات والفرق : 46–50 ، النوبختي ، فرق الشيعة : 38–39 . لكن الحسن وفدائيته كانوا على غير ذلك ، فبينما لم يشر أحد من المؤرخين إلى عدد المغتالين على يد المنصورية ، ذكر لنا التاريخ عن الكثير ممن اغتالهم الحشاشين وعن بطولات تعدت محيط المشرق والمسلمين لتصل إلى الصليبيين كما سنرى .

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 126/4 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 155/1 .

(2) ينظر للاستزادة : القلقشندي ، صبح الأعشى ، القسم الخاص بالفداوية : 249/13–251 ، ابن سنان ، الجامع في أخبار القرامطة : 449 .

(*) وهناك من يرى ان الحسن أوجد نظام الفداوية أو فئة الفداوية على غرار التنظيم الموجود في مصر والمعروف بالحجرية . ينظر : ماجد ، د. عبد المنعم ، ظهور الخلافة الفاطمية في مصر ، ط4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م : 344 ، ويذكر ان هؤلاء الحجرية كانوا بمثابة مماليك الطبق . ينظر : القلقشندي ، مآثر الأناقة : 227/2 .

(3) بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 253 .

دراسة أسرار المذهب النزاري ، وإنما يشترط فيهم التفاني في طاعة رئيسهم[1]. وكان الاغتيال بحسب البعض عندهم واجباً دينياً وكانوا قد برعوا فيه وفي الاندماج في حاشية الأشخاص المقصود اغتيالهم ، ثم تنفيذ عمليات اغتيال بصورة علنية تذهل المحيطين والموجودين[2] .

ومما أغفل أغلب الباحثين الإشارة إليه مما أوردته بعض الروايات حول تدريب الفداوية وقتالهم بالسكاكين حيث ذُكر ان رجلاً من قوم الحسن الصباح وأسمهُ علي[**] اليعقوبي هو من أدخل تدريب هؤلاء الفداوية وجعلهم يتقنون فن الهجوم بالسكاكين "وأظهروا شغل الهجوم بالسكين التي سنها لهم علي اليعقوبي فارتاع منهم الملوك وصانعوهم بالتحف والأموال"[3] .

وكان ظهور دور علي اليعقوبي هذا في تنظيم سكان نواحي الموت وانهُ هو من نظم وقسم جنود الحسن بن الصباح ورتب معهم طبولاً وجعلها علامة للقتال في هجومه على ملك[*] نواحي الموت الذي جاء مهاجماً لقلعة الموت واتباع الحسن . وقد تمخض ذلك الهجوم عن مقتل الملك ومقتل علي اليعقوبي وانتصار الإسماعيلية أتباع الحسن بن الصباح الذين نقلوا الأموال والعتاد فاستفحل أمرهم[4] .

---

(1) شرف ، دولة النزارية : 84 ، السيد ، الحشاشون : 36.

(2) بورلو ، الحضارة العربية : 219 .

(**) لم أجد لهُ ترجمة .

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 327/41 ، سير أعلام النبلاء : 184/21 ، الداوردي ، كنز الدرر : 145/8 .

(*) لم يذكر اسم ملك تلك النواحي ولعلهُ نائب السلاجقة . ولعله قائدهم بورنتاش اوبرنقش ولهذا الافتراض أيضاً ذهب د. محمد السعيد . ينظر : دولة الإسماعيلية : 170 .

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 328/41 . كذلك ينظر : الدواردي ، كنز الدرر : 145/8-147 .

وقد انفرد الذهبي بنقل تلك الرواية والأرجح ان علي اليعقوبي هذا كان أحد قادة ومؤسسي الفداوية وربما يكون مقتله المبكر هو ما أضاع ذكر جهود تدريبه وتنشئته الفدائية كما أغفل ذكرهُ الآخرون .

وبالعودة إلى تنظيمات الدعوة فقد حفظ الحسن الصباح عدد المراتب في الدعوة وحدودها ، ربما من أجل ضمان سلسلة من القيادة والاتصالات في قلعة الموت[1] . وذلك بالطبع كان تماشياً مع المرحلة الجديدة ، فأخذ بنظر الاعتبار أوضاع الدعوة الجديدة وتنظيماتها وزمانها ومكانها وسريتها فاستعاظ عن الكثرة بالقلة ، ولكنه جعل النوع هدفه الأول ، وقد يكون وصف هؤلاء الفداوية بأنهم من البلهاء[*] أو ممن لا يخوضون غمار الدرس والفلسفة الإسماعيلية مما لا يستند إلى الحقيقة ، ان كثير من الحوادث – والتي سنأتي على ذكرها – تبين بوضوح انهم كانوا من الدهاة ، في اختيار خطط الاغتيال من جهة ، وانهم كانوا على قدر كبير يصل حد التعجب في الصبر والمناورة ، وحتى اتقان اللغات ، وتبحرهم في عادات المطلوب اغتيالهم ، وقد نجحوا في معظم الأحيان في الوصول إلى أهدافهم[2] . وقد شاعت شهرتهم في الآفاق ، وأصبح أسلوب تصفية الخصوم السياسيين ، مرافقاً لأعمال فدائية الحسن بن الصباح ، ثم تطور ليصبح أسلوباً رئيساً في حياتهم سارت عليه المدرسة الصباحية ، فيما بعد وأصبحوا يعرفون به أكثر من غيره ، ولقد ساعدت على ذلك الظروف السياسية

(1) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 74 .

(*) وفي ذلك مدعاة للبعض في نسج القصص حول فدائية الحسن ، وهو ما ذُكر عند ابن الجوزي بان الحسن كان لا يدعو إلا غبياً لا يفرق بين شماله ويمينه ، ومن لا يعرف الدنيا، ويطعمه الجوز والعسل والشونيز حتى ينبسط دماغه ، ويذكر قصة مطولة ، حدثت في طاعة هؤلاء الفداوية لزعيمهم الحسن . للاستزادة ينظر : ابن الجوزي ، تلبيس ابليس : 134/1 ، المنتظم : 42/5 .

(2) شرف ، دولة النزارية : 85 .

المحيطة بهم على المحافظة على أسلوبهم القتالي هذا ، فلقد تعرضوا إلى العديد من المذابح المستمرة من قبل السلاجقة بشكل خاص ، ولولا تمسكهم بهذا الأسلوب لما استطاعوا الصمود إزاء تلك المذابح والضغوط المستمرة التي تعرضوا لها[1] .

وقد اتقن هؤلاء الفداوية أسلوب التنكر في تنفيذهم لعمليات الاغتيال ، منتحلين هيأة الصوفية تارة أو ارتداء ثياب النساء والمتسولين والدراويش أو انتظار المطلوب بين صفوف المصلين ، أو تقديم أنفسهم كطالبي حاجات ، وعابري سبيل أو العمل تحت أسماء مستعارة ، حتى تحين فرصة الانقضاض على الضحية[2] . لقد كانوا سلاحاً بيد شيخ الجبل وهو ربما تعبير عن القلق الذي كان يصيب ذلك العصر ، وردة فعل سلبية عنيفة ، شنتها الحركة الإسماعيلية ، على خصومها ، بعد ان شهدت قواها السياسية تنهار تباعاً[3] . ولقد تباينت النظرة حولهم فكانوا في نظر خصومهم مجرمين أشرار ، اما في نظر أتباعهم فقد نظروا إليهم على أنهم اليد الطولى والقوة المخلصة التي تدمر الأعداء ، وأنهم متدينون أوفياء للفكر الإسماعيلي، وتحوي السجلات التي عثر عليها في قاعدة الموت على قائمة شرف للاغتيالات التي كان ينفذها الحشاشون ، يتصدرها اسم الوزير نظام الملك وآخرون غيره قام الحشاشون وفدائيتهم باغتيالهم[4] .

---

(1) زهرة ، دولة القلاع : 164 ، غالب ، الثائر الحميري : 68-69 .

(2) وقد اتضح ذلك في اغتيالات عدة سنأتي على ذكرها ، ويبدو ان زي المتصوفة هذا كان الزي المناسب في حالات اغتيال الأمراء والوزراء ، حيث انه لا يجلب الشكوك ولا تحوم حوله الشبهات . ينظر : العزاوي ، الدولة النزارية : 134 ، رشيد الخيون ، لا إسلام بلا مذاهب : 127 ، خافار ، فرهاد خسرو ، شهداء الله الجدد في سوسيولوجيا العمليات الانتحارية ، ترجمة : جهينة لاوند ، ط1 ، مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون ، بغداد ، 2007م : 49 .

(3) لباد ، ميشيل ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف ، ط2 ، مطبعة الاتحاد ، بيروت، 1962م : 71 . والمقصود هنا الخلافة الفاطمية ، ولو ان ذلك كان بعد وفاة الحسن الصباح بزمن .

(4) السعداوي ، الحشاشين : 31-32 .

ان هؤلاء الفداوية كانوا نتاج عصر مليء بالتناقضات والصراعات ، أنهم ردة فعل عما كان يجري سواء من السلاجقة[*] أو غيرهم ، بعد ان حقق تفوق السلاجقة العديد من الانتصارات ليس على أعدائهم في المشرق ولكن حتى على صعيد صدامهم بالبيزنطيين وقد انعكس ذلك على المشرق فأصاب الإسماعيلية حالها حال بقية الذين وضعوا في خانة الأعداء بالنسبة للسلاجقة[1] .

لقد كانت تلك التنظيمات التي عمل على إيجادها الحسن بن الصباح – سواء القديم منها أو الجديد – ودقة الانتقاء سواء للمكاسرين ، أو النقباء والحجج ، كان السبب وراء توسع الحركة الإسماعيلية ، وانتشارها في أنحاء العالم الإسلامي آنذاك، بالإضافة إلى عوامل إطلاعهم على علوم عصرهم ، ومعرفتهم بالفكر الإسماعيلي والمذاهب الإسلامية الأخرى[2] . ويبدو ان الحسن عرف ان الدعاة والأتباع لا يمكنهم وحدهم مهما كان عددهم تحقيق مشاريع الدعوة الجديدة عملاً بالمبدأ القائل "ان الهيمنة السياسية مهما بلغ نظامها من الدقة والاحكام لابد لها من السلاح القاطع" وقد أدرك فوق ذلك ان الرؤساء لا يحتاجون إلى أتباع أقوياء أذكياء حاذقين بقدر ما يحتاجون إلى أنصار أمناء فكان هؤلاء هم الفداوية أو الفدائيين[3] ، وربما أثرت تلك التنظيمات

(*) ان سياسة العنف التي أتبعها السلاجقة تجاه الإسماعيلية ، هي التي أدت إلى سياسة العنف المقابل من قبل الإسماعيلية – النزارية – والتي وصمتهم وأصبحت ملاصقة لهم لفترة طويلة. ينظر : ناصر خسرو ، جامع الحكمتين : 28 من المقدمة .

(1) تمثل ذلك في رسالة بعثها الحسن بن الصباح إلى السلطان السلجوقي ملكشاه وكانت رسالة الحسن تلك رداً على رسالة ملكشاه وفيها يتبين الظلم والعسف بحق الكثيرين ، ممن وقعوا تحت سلطة السلاجقة في المشرق ويبدو ان الحسن كان بارعاً في استثمار السخط الذي حل بالمشرق بسبب تلك السياسة وبنى له قاعدة من الأتباع الساخطين على تلك السياسة . ينظر للاستزادة : غالب ، الثائر الحميري : 121–126 .

(2) ايفانوف ، المنتخب من بعض الكتب الإسماعيلية ، المقدمة : 11–12 .

(3) السيد ، الحشاشون : 35 .

داخل الموت ، وباقي القلاع التي سـيطر عليها الحشـاشـين ، في توجهاتهم الفكرية والفلسفية عندما "بقي النزاريون منشغلين بحملاتهم العسكرية والحفاظ على مصيرهم في محيط معاد ، لذلك لم تتمكن الجماعة النزارية الفارسـية من إبراز الكثير من العلماء الضـليعين في المعارف والمهتمين بالمسـائل اللاهوتية أو الميتافيزيقية بحيث يمكن موازاتهم بهؤلاء العلماء الذين عاشوا في العصر الفاطمي ، وعوضاً عن ذلك ، برز في الجماعة النزارية قادة أكفاء ومناسبون لطبيعة صراع النزاريون ضد قوة عسكرية متفوقة عليهم عدة وعدداً ، وضـد أعداء آخرين ... وقد عمل الحسـن على تبني اللغة الفارسـية[*] بدلاً من اللغة العربية ، لتصـبح اللغة الدينية لنزاريي بلاد فارس ، ولذلك كان النزاريون منقطعين عن الأدبيات الإسماعيلية أثناء العهد الفاطمي ، رغم ان القلاع النزارية زودت سـواء في بلاد فارس أو سـوريا بمجموعات كثيرة من الكتب والوثائق والأدوات العلمية[1] . وهذا الرأي ربما يصـح على فترة من فترات دولة الموت النزارية لكن وجود مكتبة كبيرة وكتبها النفيسـة التي تعب عليها الإسـماعيليون في اعدادها ، وطبقت شـهرتها الآفاق ، وكانت عاملاً هاماً في إذاعة صـيت تلك الجماعة[2] ربما يعطي القارئ الصورة الأوضح عن العهود التي تلت الحسن وتوجهات الحشاشين .

(*) في الحقيقة ان الحسن لم يكن قد ابتدع استخدام اللغة الفارسية للمرة الأولى في بلاد فارس ، لأن القرن الثالث الهجري كان قد شهد استخدام الفارسية إلى جانب العربية وهي ما أطلق عليه بفترة تجاذب وليس صـراع ، حيث لم يكن هناك عداء للعربية ، وهي لغة الدين فاسـتخدام الفارسية كان أمر متبعاً في بلاد المشرق . ينظر : د. احسان ذنون الثامري ، الحياة العلمية زمن السامانيين : 79 .

(1) دفتري ، الحياة الفكرية بين الإسماعيليين ، مقالة ضمن كتابة المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام : 165-166 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 353/2 ، الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، ط1 ، دار الكاتب العربي ، للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1967م : 30 .

هكذا أهتم الحســـن بتنظيم الأتباع والحياة داخل القلاع ، وإذا كانت الخلافة الفاطمية قامت معتمدة على أساس التكوين القبلي وتأييد ومناصرة القبائل لها[1] . وهذا الأمر لابد وانه كان عاملاً من عوامل الضـعف فيما بعد بسـبب تغير ولاء تلك القبائل لأسباب شتى لا يسعنا سردها والخوض فيها ، سعت النزارية لكسب ولاء أنصارها من جميع من كان يوضـع في قائمة الاضـطهاد والتذمر من سـياسـة ليس العباسـيين فقط وإنما كل من بسـط سـيطرته على بلاد المشـرق ، لذلك ضـمت حركة الحشـاشـين إلى صفوفها كل المتنورين والعاملين وأهل الصناعات والحرف[2] .

- الحشاشون التوسع والنفوذ :

كان من أبرز نتائج سياسة الحسن بن الصباح ما يمكن إيجازه بالآتي :

1- استخدام الحسن أسلوباً جديداً في التحصن بالقلاع والحصون وبث الدعاة .

2- استخدام أسلوب اغتيال الخصوم والمناوئين .

3- دخول عدد كبير من الناس في الدعوة حتى جعلت الخصـــوم يتوجســـون من أمرهم وخشيهم الناس "وامتلئوا منهم رعباً"[3] .

4- جعلت بعض القوى السياسية والعسكرية تتوجس خيفة من نشاط الحشاشين .

---

(1) د. عبد الله محمد جمال الدين ، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصـر نهاية القرن الرابع الهجري مع عناية خاصـة بالجيش ، دار الثقافة والنشـر والتوزيع ، القاهرة، 1991م : 13 و26 .

(2) أبو جوهر ، الإسماعيلية بين الاعتزال والتشيع : 66 .

(3) طقوش ، تاريخ السلاجقة في خراسان : 148 .

5- كان مقتل نظام الملك ووفاة ملكشاه إيذاناً بزيادة نشاط الحشيشية فضاقت بكثرتهم خراسان مما حدا بالحسن إلى تنظيم صفوفهم عسكرياً وسار بهم للاغارة على الحصون والقلاع المجاورة[1] .

ومن هذا مثلت تلك المرحلة في حياة حركة الحشاشين بداية النجاحات واتخاذ سياسة التحصن في قلاع وحصون منيعة ، ولم يكن دور الخليفة الفاطمي المستنصر ليغيب عن تلك المرحلة – بشأن استملاك القلاع – وكان في ذلك ما ذكر في سبب صعود الحسن إلى قلعة الموت وان سببه كان رسالة وصلت من المستنصر يحثهُ فيها على عدم ترك قلعة الموت "لأن الحظ سيصاحبه فيها"[2] ، وسواء صح هذا الخبر في تلك الرسالة أم غير ذلك فهي مقولة ان شاعت بين الإسماعيلية ، لا يمكن نكران ما لها من تأثير على نفوس سامعيها في زيادة قوتهم وتقوية معنوياتهم[*] ، وربما نستطيع الحصول على صورة لما أحدثه استملاك القلاع ووالها الموت واغتيال الحشاشين لنظام الملك والذي مثل قوة لإحداث موازنة مع عدد الجند . وقد أصبح الاغتيال بالخنجر فناً

---

(1) وقد نوه لزياد نفوذ الحشاشين الذهبي بالقول "ان سكان الجبال من الأعاجم سارعوا للدخول بدعوة الحسن" . ينظر : تاريخ الإسلام : 327/41 ، وينظر كذلك : الذهبي ، دول الإسلام، ط1 ، حققه وعلق عليه : حسن إسماعيل مروة وقرأهُ وقدم له : محمود الارناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، 1999م : 427/1 ، غالب ، الثائر الحميري : 71-72 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 310/2 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 210 .

(*) وقد اتخذت قلعة الموت تبعاً لذلك اسم قلعة الاقبال وسبب ذلك ان الإسماعيلية كانوا يتعرضون للقتل والبطش على يد أحد زعماء السلاجقة واسمه يورنناش وكان من خواص ملكشاه ، وكانت نواحي الموت من أقطاعه ، وكان يهاجم سفوح الموت ويقتل أتباع الحسن ، فاقنع الحسن أتباعه بوصول رسالة من المستنصر كبشارة منه . ينظر : حسن ، الحسن الصباح ونزارية آل موت ، رسالة ماجستير : 2002م ، جمال الدين ، دولة الإسماعيلية : 170م .

أختص به الحشـيشـية[1] . ولابد انهم عانوا أول الأمر من قلة الرجال داخل القلاع وقد تبين ذلك في حصـــار قلعة الموت الأول وكان الحســن معهُ من الرجال ســبعون فقط فكانوا يضعون دمى على هيئة رجال حين يعوزهم العدد ليوهموا العدو بكثرة عددهم[2] ، يذكر الصفدي ان وصول الحسن واغتيال نظام الملك كان من نتائجه على الإسماعيلية ان "اتســعت بلادهم ، وأظهروا شــغل الهجوم بالســكاكين على الملوك ، فارتاع منهم الملوك ، وصانعوهم بالتحف والهدايا"[3] ، ولم تكن لتغيب عن الحسن طريقة أو أسلوب بث الدعاة وكان الحسن قبل سنة واحدة من مقتل نظام الملك أي سنة 484هـ/1091م قد أرسل حسن القائيني والذي كان أحد دعاته إلى منطقة قهستان "وهكذا رسخ الحسن الصــباح أقدامهُ في الموت وقهســتان عن طريق إفشــاء دعوته وبث تزويره ومن هناك باشر بالاستيلاء على قلاع أخرى"[4] ، فكان أول صدام سياسي وعسكري بين الحسن والسلاجقة في سنة 484هـ/1091م ، وقد أتضح ذلك في رسالة أرسلها ملكشاه للحسن بن الصــباح وقد حفظت تلك الرســائل في أحد كتب الإســماعيلية النزارية وهو كتاب "مجالس المؤمنين"[5] ، وتوضـــح تلك الرســـائل وبالأخص رســـالة ملكشـــاه إلى قوة

---

(1) فيليب حتي ، تاريخ العرب ، مراجعة : د. أدورد جرجي ود. جرائيل جبور ، ط4 ، مطابع الغندور ، مصر ، 1965م : 537/2 .

(2) ابن حيون ، شرح الأخبار : 40/1 ، بدوي ، مذاهب الإسلاميين : 1074/2 .

(3) الذهبي ، تاريخ الإســلام : 327/41 ، الصــفدي ، الوافي بالوفيات : 284/15 ، وللاســتزادة حول القلاع التي ملكها النزارية آنذاك وبعد تلك الفترة ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 38/9-40 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 122/4-124 .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 310/2 ، رشـــيد الدين ، جامع التواريخ : 107 ، كاشـــاني ، زبدة التواريخ : 130 .

(5) ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 209-210 ، د. الخشت ، حركة الحشاشين : 68 وما بعدها ، زهرة ، دولة القلاع : 164 ، السعداوي، الحشاشين: 29-30.

الحشـاشـين واشـتداد سـاعدهم ، وربما كانت تلك الرسـالة من ملكشـاه لجس نبض قوة الحشيشية الناشئة .

وبعد سنة وتحديداً سنة 485هـ/1092م اغتيل نظام الملك ورغم ان رواية أشارت إلى ان تاج الملك[*] هو من أغرى الإسماعيلية باغتياله[1] ، فان تلك الرواية تؤشر إلى دخول هؤلاء في طرف الصـراع ، فقد كانت تلك الفترة فترة ضـعف بدأ يدب في جسـد السـلاجقة ، قامت فيها الفتن في سائر البلاد من مدينة أصـفهان إلى بغداد[2] ، لينتهي بوفاة ملكشـاه بعد شـهر واحد من مقتل نظام الملك عصـر السـلاطين الأقوياء ، فضـلاً عن ازدياد نفوذ الحشـيشـية أكثر فأكثر حتى اضـطر خصـومهم ان يتدرعوا تحت ثيابهم وغدا الفداوية ينقضـــون على فرائســـهم بقوة وجرأة نادرة ، وقد أدى ذلك إلى ان يهجم الفداوي على المطلوب فيقتله ويبقى واقفاً لا يأبه بالقوم حتى يهبوا عليه فيردوه قتيلاً ، وهو قرير العين بما فعله في سـبيل رضـى نفسـه وكان من انتشـار هذه العقيدة ما نقرأه من ان الأمهات كن يبكين حزناً لدى رؤيتهن أبناءهن من الفداوية يعودون أحياء بعد قيامهم بمغامرة أو عملية اغتيال[3] .

دب الخلاف بعد وفاة ملكشـــاه بين ابنه محمد بن ملكشـــاه وأخيه بركيا روق وكانت تلك فرصـة على ما يبدو لتوسـع الحشـاشـين وقد ذكر ذلك ابن اسـفنديار قائلاً "واسـتولى الملاحدة على قمم الجبال وتأججت نيران فتنهم ، وشـيدوا القلاع ، وبلغ شـر

(*) تاج الملك : أبو الغنايم المرزبان بن خسرو فيروز المعروف بابن دارست كان عدو نظام الملك ، وكان كبير المنزلة عند ملكشـاه فلما قتل نظام الملك أخذ موضـعه في الوزارة وقد وثب عليه غلمان نظام الملك فقتلوه وقطعوه أرباً أرباً بعد مقتل نظام الملك . ينظر : اليافعي، مرآة الجنان : 138/3 . وقد أشرن لذلك فيما سبق .

(1) الراوندي ، راحة الصدور : 209 .

(2) الراوندي ، راحة الصدور : 209 .

(3) بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 256 ، د. العزاوي ، دولة النزارية : 143 .

كفرهم إلى كافة الأنحاء والمناطق"[1] ، ثم يعود ليذكر الحملات التي قام بها محمد بن ملكشاه والتي قصدت خراسان وأصفهان في منطقتي اتشي كوه ، وأخضعت عدة قلاع وقتل خلالها الآلاف من الإسـماعيلية[2] ، ولو صـحت تلك الرواية في ذكرها اعداد أولئك القتلى فهي تشـير إلى ازدياد أعداد الإسـماعيلية وزيادة عدد قلاعهم بصـورة مضطردة .

ركزت النزارية على الولايات الشـرقية ، مثل خراسـان وقوهسـتان ، وتبدو قلعة جيردكوه[*] والموت من قلاعهم المميزة آنذاك لأن أغلب الروايات كانت تسـمي أئمة الإسماعيلية وزعمائها الروحيين باسم (صاحب الموت وجيردكوة ، بدون أي إشارة إلى خراسان ، ويبدو ان ذلك من أهمية ومكانة تلك القلاع[3] .

أتضح أكثر حال الحركة وقوتها بعد وفاة ملكشاه "ولما مات السلطان ملكشاه آل أمرهم إلى أنهم كانوا يسرقون الناس – يقصد الحشاشين – فيقتلوهم ويلقونهم بالآبار ، فكان الإنسـان إذا دنا وقت ولم يعد إلى منزلة يئسـوا منه"[4] ، وبغض النظر عن مدى مصداقية تلك الرواية ، فانها تعطينا ، الأثر وسعة النفوذ المتصاعد عند الحشيشية ،

---

(1) تاريخ طبرستان : 335 .

(2) المصدر نفسه والصفحة .

(*) جيردكوه : أو كردكوه : قلعة من قلاع الحشاشين تبعد يوماً واحداً عن مدينة الدامغان ، ويبدو انها كانت من العظمة ما جعلها تبدو واضحة للناظر من الدامغان ، وهي تتوسط قمم الجبال . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 433/2 . ينظر للاسـتزادة ، موسـى ، شـيوخ الجبل الإسماعيلية : 61–62 .

(3) غالب ، الثائر الحميري : 93 .

(4) الذهبي، تاريخ الإسـلام: 28/34، وينظر كذلك للاسـتزادة، الراوندي، راحة الصـدور : 241–242.

وربما هو ما دفع السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه(**) بجدية قتالهم والتفرغ لأمرهم ، وكانت الموت مقصده الأهم ، فأرسل لحصارها قائده انوشتكين بن شيركير وقد حاصرها حصاراً شديداً وضيق كثيراً على سكانها "حتى أصبح من الميقن ان يستولي عليها"(1) وقبل ان نأتي إلى طبيعة ونوعية ذلك الحصار ونتائجه فان من أسبابه ربما هو تفرغ السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه لحربهم بعد الانتصارات التي حققها على أخيه بركياروق ، وانتهت باعتراف الخليفة العباسي بمحمد بن ملكشاه سلطاناً على الدولة السلجوقية فخطب له ببغداد ولقب بغياث الدنيا والدين وكان ذلك في سنة 492هـ(2)(*) . وكان الحشاشون قبل ذلك التاريخ قد نجحوا في اغتيال عبد الرحمن السميري ، وهو وزير أم السلطان بركياروق سنة 490هـ "قتله باطني غيلة وقتل الباطني بعده"(3) ، وفي السنة ذاتها قتل ارغشى النظامي مملوك نظام الملك بالري ، وكان قد وصل مرتبة عظيمة بحيث انهُ تزوج ابنة ياقوتي عم السلطان بركياروق قتله باطني وقتل قاتله وكذلك قتل برسق في شهر رمضان من السنة ذاتها وهو من أكابر

(**) ربما اندفع السلطان محمد بن ملكشاه لأمور عدة لقتال الحشيشية وتفيد احدى الروايات بان عبد الله الخطيبي والذي كان والياً على أصفهان ، حاول ان يوقع بين سعد الملك أبو المحاسن سعد بن محمد الأبي وبين السلطان محمد بن ملكشاه متهماً محمد بن ملكشاه بالميل إلى الباطنية "إلى الباطنية مائل وبمذهبهم قائل" . ينظر : عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 84 ، وفي ذلك إشارة لما أخذت تؤول إليه الأمور ليس أقلها ان الإسماعيلية أخذت طريقها لتدخل في بلاط السلاجقة ، وتصبح من الأمور التي يمكن معها ان يعتنقها الزعماء .

(1) الراوندي ، راحة الصدور : 247 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 22/9 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 335/3 ، السيوطي ، عبد الرحمن بن أبو بكر (ت911هـ/1505م) ، تاريخ الخلفاء ، ط1 ، تح : محمد محي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1952م : 428 .

(*) راجع للاستزادة حول مدة حكم أولئك السلاطين والخلافات التي بينهم طقوش ، تاريخ السلاجقة في خراسان : 155-182 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 30/9 .

الأمراء الســلجوقيين ومن أصــحاب الســلطان طغرلبك وهو "أول شــحنة ببغداد قتله باطني"[1] .

وفي سنة 493هـــ/1099م قتل الأمير السلجوقي بلكابك سرمز بأصبهان بدار الســـلطان "وكان كثير الاحتياط من الباطنية لا يفارقه لبس الدرع ومن يمنع عنه ففي ذلك لم يلبس درعاً ودخل دار السلطان في قلة فقتله الباطنية فقتل واحد ونجا الآخر"[2] ، ويبدو من هذه الرواية ان نفوذ الحشــيشــية قد ازداد داخل البلاط الســلجوقي وكانت عيونهم حاضرة لمراقبة المطلوب اغتيالهم .

ازداد نفوذ الحشـيشـية وسـطوتهم ليس في بلاد المشـرق وإنما في العراق يقول السـيوطي في معرض حديثه عن الإسـماعيلية في سـنة 494هـــــ/1099م "كثر أمر الباطنية بالعراق وقتلهم الناس واشـــتد الخطب بهم حتى كانت الأمراء يلبســـون الدروع تحت ثيابهم وقتلوا الخلائق منهم الروياني صاحب البحر"[3] .

ونلاحظ من خلال هذه الرواية ان المبالغة واضحة فيها وذلك انها لم تذكر سوى الروياني ضحية لخناجر الحشيشية ، وربما يكون أمر حصارهم وتضييق الخناق عليهم من محمد بن ملكشـاه جاء بأمر من الخليفة العباسـي ، بعد ان وصـل نفوذ الحشـيشـية ودعايتهم إلى بلاط السلاجقة ، حيث يذكر الذهبي ان صـاحب كرمان عامل السلاجقة وأسمهُ تيرانشـاه "له رأي الباطنية" ، وكان الذي أدخله إلى الإسماعيلية شـخص يقال لهُ أبو زرعة الكاتب وكان من تأثير اعتناق تيرانشاه انهُ قتل في كرمان أربعة ألاف شخص على غير مذهبه كما قام بقتل أحمد بن الحسين البلخي وهو شيخ الحنفية وبسبب تلك الأفعال قُتل هو وأبو زرعة[4] .

---

(1) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 12/9 .
(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 30/9 .
(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء : 428 .
(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 404/19 .

وربما تكون تلك الرواية فيها شـــيء من المبالغة فهل يعقل ان يقتل حاكم سلجوقي أربعة ألاف شخص لا لشيء وإنما لأنهم على غير الإسماعيلية ، ثم اننا نعلم ان السـلاجقة هم من ألد أعداء الإسـماعيلية ، لكن رواية أخرى يوردها الذهبي توضـح ذلك اللبس تذكر ان تيرنشـاه قتل إسـماعيلية الأتراك وكانوا "قوماً سُـنة قتل منهم ألفي رجل صـبراً وقطع أيدي ألفين ونفق عليه أبو زرعة الكاتب فحسـن لهُ مذهب الباطنية فأجاب"[1] ، وكان من نتائج مقتل تيرنشـــاه وأبي زرعة ان توجس الأمراء والحكام من انتقام الباطنية فأخذوا "يلبسـون الدروع واسـتفحل أمر الباطنية وكثروا وصـاروا يتهددون من لا يوافقهم بالقتل"[2] ، وبعد ان عقد الصـلح بين بركياروق ومحمد بن ملكشـاه بعد الحروب وسفك الدماء بينهم تم الصـلح فكتبت العهود والمواثيق[3] . بانهاء تلك الحرب حتى حوصرت قلعتي الموت ولمسر ، وكان الحصار طويلاً وشديداً استمر لسبع سنين أو ثمانية وفي أواخر سنة 511هـــ/117م انسحبت جيوش السـلاجقة على أثر وفاة السـلطان السـلجوقي محمد بن ملكشـاه فطارد الإسـماعيلية مؤخرة الجيش وغنموا العتاد والأقوات ، ويبدو ان تلك الحملة لاقت بعض النجاح في فتح بعض القلاع كقلعة كلام وقلعة بيرة[*] ، وأخذ من بها بعد أعطائهم الأمان وذلك لغرض التفرغ لحصـار الموت[4] ، ومع ذلك يبدو ان السـلطان محمد بن ملكشـاه كان مهتماً في أمر الإسـماعيلية مدركاً في ذلك زيادة نفوذهم حتى انهُ حين وافته المنية أوصـى أخاه السـلطان سـنجر بالقول "ان الدنيا غدارة وفانية ولا تخلص لأحد وانا سوف أرحل عنها ... ولقد تركت لك جيش

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 34/34 .

(2) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

(3) السيوطي ، تاريخ الخلفاء : 428–429 ، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 79–80 .

(*) قلعة بيرة : على سبعة فراسخ من قزوين . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 168/9 .

(4) الراوندي ، راحة الصدور : 248 ، الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر (ت بعد 622هـ) ، زبدة التواريخ ، ط2 ، تح : د. محمد نور الدين ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، 1986م : 171 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 168/9 .

العرب والعجم وايران وتوران(**) وأعطيت لكل شخص مؤن عام أو عامين وكلفتهم بان يقوموا بحصار قلاع الملاحدة وأماكنهم وحصونهم فيجب ان لا يزال شي مما قررته وإذا ما استولوا على أي مكان من مجموع ملكي هذا فابعث بتراب ذلك المكان وأنثره على قبري لأكون راضياً عنك"[1] ، وربما يكون بعد ذلك انسحاب السلاجقة من حصار الإسماعيلية النزارية رغم تلك الوصية ، ربما يكون مرجعه إلى تدبير قوام الدين أبو القاسم الدركزيني ، الذي كان يخدم الباطنية سراً فدعا شيركير إلى وقف الحصار عن الموت ووشى بشيركير عند محمود الذي قتله وكان الدركزيني هذا وزيراً للسلطان محمود[2] ، وربما تكون تلك الرواية أكثر قبولاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار وصية محمد بن ملكشاه في عدم ترك قلاع الإسماعيلية ، من هذا زاد فشل الحصار من قوة النزارية على الرغم من قسوته حتى ذُكر ان الحسن أنزل النساء والأطفال مستأمنين ويسألون ان يفرج عنهم فلم يجابوا إلى ذلك وأعيدوا إلى القلعة ليموت الجميع جوعاً وكان الحسن بن الصباح "يجري لكل رجل منهم في اليوم رغيفاً وثلاث جوزات"[3] لكن فشل الحصار ومهاجمة الحشيشية لمؤخرة جيش السلاجقة ربما عوض فترة الضعف تلك .

يبدو ان النزارية دخلوا كأحد طرفي الصراع بين السلاجقة أنفسهم ، وربما استغلوا حقب الصراع بين السلاجقة وتسللوا إلى بلاطهم ونفذوا الاغتيالات ، آلت الوزارة في عهد السلطان السلجوقي بركياروق إلى الوزير عبد الجليل الدهستاني "ولم يكن لهُ أثر

(**) توران : بالراء والألف والنون بلاد ما وراء النهر باجمعها تسمى بذلك ويقال لمالكها توراه شاه ، وتوران أيضاً قرية على باب حران ، والمقصود هنا توران الأولى . ينظر : الحموي، معجم البلدان : 57/2 ، صديقي خان الهندي ، محمد صديق خان بن السيد حسن بن علي ، لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1985م : 108 .

(1) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 348-349 .

(2) الراوندي ، راحة الصدور : 247-248 ، الحسيني ، المصدر نفسه : 171 ، د. مرتضى النقيب ، تاريخ إيران : 193 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 169/9 .

محمود ولا يوم في الكفاية مشـــهود ، بل تفاقم شـــره إلى ان أخرج أملاك الناس في الاقطاع – وكان في الظلم مستطيل اليد طويل الباع – ولم تطل أيامه فانهُ بقر باطني بطنهُ على باب اصفهان"[1] .

وتشير بعض الروايات ان بركياروق كان يسلطهم على من يريد قتله من الأمراء مثل أنز شحنة اصبهان وأرغش وغيرهم "فأمنوا جانبه وانتشروا في عسكره واغروا الناس ببدعتهم وتجاوز إلى التهديد عليها حتى خافهم أعيان العســـكر وصـــار بركياروق يصرفهم على أعدائه والناس يتهمونه بالميل إليهم"[2] .

وقد ادى ذلك لزيادة نفوذهم في بلاد المشرق ، فامتلكوا القلاع الكثيرة[3] ، وحول علاقتهم ببركياروق يذكر ابن الأثير نصاً حول ذلك ولو تلميحاً دون ان يصرح إذ يقول "ولما اشتد أمر الباطنية وقويت شوكتهم وكثر عددهم صار بينهم وبين أعدائهم ذهول وإحن فلما قتلوا جماعة من الأمراء والأكابر وكان أكثر من قتلوا من هم في طاعة محمد مخالف للسلطان بركيا روق"[4] .

ورغم ان العلاقة مع بركياروق – ان صـــحت – لم تدم طويلاً حيث عمل على قتلهم والتنكيل بهم بعد ان أصـــبح متهماً بالميل إليهم[5] . ونســـتطيع ان نقول انهم اســتفادوا بعد ذلك من تلك الفترة ، ولم تكن حربه معهم إلا إرضـــاءً للخلافة العباســية وجذب قلوب خلفائها ونفي تهمة الإلحاد التي ألصقت بالإسماعيلية أو من تحالف معها وقد أشير لذلك بالقول "ازال الشكوك التي حامت حوله حتى حسم هذا الأمر"[6] وكان

---

(1) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 82 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 31/5 .

(3) د. طه أحمد شرف ، دولة النزارية : 141 .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 42/9 .

(5) ابن خلدون ، المصدر نفسه : 32/5 .

(6) سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت654هـ/1256م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند ، 1951م ، حوادث سنة 494هـ/1100م .

من إجراءاته للحد من نفوذهم قيامهُ – أي بركياروق – في سنة 494هـ بعد ان تنامى نفوذهم داخل معسكره ، وبعد إشارة أحد أعوانه للفتك بهم قبل ان يعجز عن تلافي أمرهم فأخرجوا من خيامهم إلى ميدان عام ولم يفلت منهم الا الذي خفي أمره"[1] .

وكان عدت من اخرج وقتل ممن تحققوا انهُ كان من الإسماعيلية ومن أتهم بأنهُ منهم عدتهم ثمانمائة ونيفاً "ووقع التتبع لأموال من قتل منهم ، فوجد لأحدهم سبعون بيتاً من الزوالي المحفور ، وكتب بذلك على الخليفة ، فتقدم بالقبض على قوم يظن فيهم ذلك المذهب ، ولم يتجاسر أحد ان يشفع في أحد لئلا يظن ميله إلى ذلك المذهب وزاد تتبع العوام لكل من أرادوا وصار كل من في نفسه شيء من إنسان يرميه بهذا المذهب فيُقصد وينهب حتى حسم هذا الأمر"[2] ، ولم تتوقف الحملة عند هذا الحد حيث اندفع أمراء الأقاليم بقتلهم وقتل جاولي سقاووا[*] منهم بمنطقة خوزستان ما يقرب من ثلاثمائة نفر[3] ، كانوا قد تملكوا قلعة على خمسة فراسخ من أصبهان وقطعوا الطريق بين فارس وخوزستان[4] ، ولم يكن ذلك هو المكان الوحيد الذي استطاع

---

(1) يبدو ان إيقاع بركياروق بالباطنية جاء بعد حوادث عدة ولم يكن فقط بسبب إشارة أحد قواده، وإنما ميله أو تحالفه الخفي مع الإسماعيلية ، حتى انهُ حين التقى بعكسر أخيه السلطان محمد في الخلاف الذي وقع بينهم كان السباب بين الطرفين وكان عسكر أخيه محمد أكثر سبهم لعسكر بركياروق "يا باطنية" . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/34-36 ، فاذا ما جمعنا ذلك مع ما كان يتهم به بركياروق وجدناها أسباباً دفعته للتنكيل بهم .

(2) ابن الجوزي ، المنتظم : 9/121 ، حوادث سنة 494هـ/1100م .

(*) جاولي سقاووا : كان من أتباع السلطان محمد وقد أرسله إلى الموصل ولأعمال التي بيد جكرمش وكان جاولي قد استولى على البلاد التي بخوزستان وفارس وأقام بها سنتين وعمر قلاعها ، وكانت سيرته سيرة سيئة حيث ظلم وعسف الناس وقطع الطرق فأرسل إليه السلطان محمد مودود وحاصره ثمانية أشهر توفي سنة 510هـ . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 10/35-35 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/40-41 .

(4) الذهبي ، المصدر نفسه : 34/30 .

الحشـيشـية ان يمدوا نفوذهم وعيونهم فيه يُذكر ان ضـياء الملك ابن نظام الملك والذي تســـلم الوزارة بعد مقتل أبيه جد في طلب الباطنية – وذلك بالطبع ثأراً لوالده – وقد استطاع ان يقبض على أحد الباطنية الموجودين في قصره ، فأمنه على نفسه وقال له "لا بأس عليك ولا سبيل للأذى إليك" ولقنه أسامي مائة نفس من خدام السلطان وأعيان البلدان"[1] .

وتشـــير رواية أخرى إلى ان هؤلاء لم يكونوا من الباطنية ، وإنما كانوا ضـــحية لمؤامرة من الخطيبي[*] ، وانـهُ كـان يريـد ان يوقع بتلـك الفعلـة بـأعدائـه لكن مقتـل الخطيبي بطعنة سكين ربما كانت تشير إلى ان من بين هؤلاء من هم من الحشـاشـين أو من أتباعهم[2] .

دخل النزارية كذلك في صـــراعات الســـلاجقة أنفســـهم فدخلوا بين الســـلطان السـلجوقي سـنجر أثناء صـراعه مع بركياروق وكان الأخير على ما يبدو قد اسـتقدمهم للدخول في جيشـه ، ويذكر ان بركياروق كان قد سـير لسـنجر جيشـاً قد اشـتمل على عشـرين ألف فارس ضـم "خمسـة ألاف من رجالة الباطنية"[3] . وربما يشـير ذلك إلى

---

(1) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 90–91 .

(*) الخطيبي : عبيد الله بن علي الخطيبي قاضـي أصـبهان كان فقيهاً حنفياً لقب بقاضـي القضـاء ابن قاضي القضاة الأصبهاني من بيت القضاة والرئاسة والخطابة والتقدم قتل يوم الجمعة ثالث صفر سنة 502هـــ/1108م ، ومولد سنة 450هـــ ، ينظر : ابن أبي الوفاء ، عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم ابن أبي الوفاء القرشي ، عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم (ت775هـ/1356م) ، الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، دار النشر مير محمد كتب خانة ، كراتشي ، د.ت : 338/1–339 .

(2) عماد الدين الأصـفهاني ، تاريخ دول آل سـلجوق : 90–91 ، الصـفدي ، الوافي بالوفيات: 257/19.

(3) كان ذلك في معركة بوزكان (493هـــــ/1099م) بين ســنجر من جهة والأمير دادحبشـــي وبركياروق والباطنية الذين في جيش إســماعيل الكيكلي من جهة أخرى ، وقد انتصــر ســنجر

هدنة بين الحشيشية وبين بركياروق ، ولم يكن ذلك بالطبع ببعيد عن سياسة النزارية، فانهم استفادوا من حالة الوهن والصراع والاحتقان بين السلاجقة لزيادة نفوذهم وتوسع سيطرتهم وحول مصرع عدد من وزراء وأعيان السلاجقة يشير عباس اقبال بان هؤلاء الوزراء كانوا يحرضون "الباطنية على قتلهم" أي تصفية الخصوم بعضهم ببعض[1] ، لكن ذلك لم يكن دائماً أو يصح على كل الفترات وهو ما رأيناه عند التنكيل بهم واعداد المجازر لهم اما سنجر فلم تكن ضرباته للنزارية بأقل ممن سبقوه ، حيث أرسل قائده برغش ومعهُ جيش كثيف وخلقاً من المطوعة وسار إلى قتالهم فخرب "طبس وما جاورهما من القلاع والقرى وأكثر فيها النهب والسبي والقتل وفعل بهم الأفعال العظيمة"[2] .

لم يكن على ما يبدو في نية الحسن بن الصباح قتل سنجر رغم الذي حصل بل كان يريد الصلح معهُ ، فبعث إليه بخنجر مع أحد خدام السلطان السلجوقي سنجر، وقد اختلفت الروايات في شراء ذمة ذلك الخادم من قبل الحسن أو غير ذلك، ووضع الخنجر تحت سريره في ليلة كان فيها سنجر قد اثقله الشراب وما ان استيقظ ورأى الخنجر حتى توجس خيفة وكانت رسالة الحسن إلى جوار الخنجر مكتوباً فيها "لو لم نكن نقصد بالسلطان خيراً لما كنا وضعنا السكين على الأرض الخشنة ، ولكنا وضعناها في صدره الناعم"[3] .

وقُتل حبشي . ينظر : الحسيني ، زبدة التواريخ : 178 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 27/9 ، الوزارة في عهد السلاجقة : 308 .

(1) عباس اقبال ، الوزارة في عهد السلاجقة : 407 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 75/9 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 61/34 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 318/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 123 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 144 ، د. عصام عبد الرؤوف ، الدولة المستقلة في المشرق : 235 .

أرعبت تلك الرسالة سنجر ، ويبدو انها فعلت فيه ما لم تستطع الجيوش فعله، وتأكد له ان الإسماعيلية النزارية لو أرادوا قتله لقتلوه ، فاضطر للتنازل وقبول الصلح ، ويبدو ان الإسماعيلية قبلوا بشروطه على الرغم من أنهم اثبتوا له أنهم قادرين(*) على تصفيته ، وكانت شروط الصلح ان لا يبنوا حصناً ولا يشتروا سلاحاً، ولا يدعون أحداً إلى عقائدهم "فسخط كثير من الناس هذا الأمان ونقموه من السلطان سنجر"(1) .

وانسحبت جيوش السلاجقة من مناطق الإسماعيلين وسمح لهم سنجر بأخذ رسوم عن القوافل التي تمر بأرضهم وإعفائهم من الضرائب المقررة(2) ، وهكذا أثبتت هذه الحادثة قوة الحشيشية ، ولم يكونوا أبداً ليتركوا فرصة واحدة تمر دون ان يستثمروها ، معتمدين بذلك على إمكانياتهم ، دون اللجوء والاعتماد على الفاطميين، كانت الأرض التي يعلمون بها محاطةً بالأعداء(**) من كل جانب ، ولاقوا بعد ذلك خذلان المستعلية ، وهو ما دفعهم لتنفيذ اغتيالات طالت الفاطميين . كما سنذكر .

(*) ان عدم تصفية سنجر واغتياله يعود إلى أمرين على أغلب الظن الأول للشعبية التي حازها بين أمراء المشرق ، والشعبية التي حظي بها بين عامة الناس ، والثاني كان تلك الرسالة التي أرسلت من قبل الحسن مرافقة للخنجر ، وقد عثر على نص تلك الرسالة في مخطوط إسماعيلي أسمه البستان ، وربما تكون تلك الرسالة قد كتبت على الخنجر وفيها يقول الحسن مخاطباً السلطان سنجر "ثق ان من تمكن ان يضع هذا الخنجر في وسادتك ، لقادر على غمسه في فؤادك ، إلا أنني رأيت الرجل الطيب الصالح متجسداً فيك ، فأحببت ان استبقي عليك لفرصة أخرى" . ينظر : عمر أبو النصر ، قلعة الموت : 146 ، غالب ، الثائر الحموي : 132-133 ، نقلاً عن مخطوط سوري بعنوان البستان : 33 ، ولم استطع الحصول عليه ، وهذه الرسالة تشير إلى ان الحشيشية كانوا سياسيين بارعين إلى كونهم مقاتلين أتقنوا فن تصفية الخصوم لقلة عددهم وعدتهم مقارنة مع الآخرين.

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 61/34 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا : 214-215 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 218/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 123 ، ميرخواند ، المصدر نفسه، جلد جهارم: 213-214، مستوفي، تاريخ كزيدة: 520-521، السعداوي، الحشاشين : 40.

(**) كان خوف الحشيشية قد اتضح من حادثة حصار ابن عطاش ، فانهم قرروا تسليم قلعة أصبهان على ان يعطوا قلعة خالنجان وهي على بعد سبعة فراسخ من أصبهان وقالوا "انا

حقق الحشاشون ما كانوا يصبون إليه من جهة ، ومن جهة أخرى فانهم أثاروا الشكوك حول سنجر "مستندين في ذلك على هذا الصلح معهُ ، وإلى ما كان بينه – أي سنجر – وبين الرئيس المظفر أحد كبار دعاتهم من مناسبات طيبة ظهرت بينهما يوم اجتماعه في الدامغان ، وتقديم فروض الولاء والطاعة والاحترام له وهو في طريقه بين العراق وخراسان قبل ثلاث عشرة سنة من ذلك التاريخ"[1] ، وقد نوه لذلك الجويني عند تفقده مكتبتهم إذ يقول "وفي مكتبتهم عدد من المناشير السنجرية قد رأيتها ، وتتضمن طلب الاهتمام به واحماد مقامهم ، فأدركت منها سلامة طلب السلطان مع كثير من الاغماض والاغضاء"[2] .

وهكذا توقفت الحرب بين الطرفين الحشيشية والسلاجقة وعادت إلى النفوس شيئاً من الطمأنينة ، اما الحسن فكان قد فرض نظاماً صارماً للعيش في الموت وباقي القلاع[3] . ولم ينجو من ذلك النظام حتى ولديه اللذين قتلا على يديه – أي الحسن – فالأول أتهم بقتل الداعي حسين القائيني وهو أحد دعاة قهستان ، فأمر الحسن بقتله ، ثم أمر بقتل أبنه الآخر محمد بن الحسن لأنه أتهم بشرب الخمرة ، وكان من إجراءاته ان أمر باخراج أحد سكان الموت لأنهُ عزف على مزماره ولم يسمح له بالعودة "فلم يجرؤوا أحد على الشرب علناً ولم تنصب جرة" طيلة فترة حكمه[4] .

نخاف على دمائنا من العامة فلابد من مكان نحتمي به منهم فأشير على السلطان اجابتهم ما طلبوا" ، ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 108/9 .

(1) السيد ، الحشاشون : 47 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 318/2 .

(3) المصدر نفسه : 315/2–317 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 124 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 316/2 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 214 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 521 .

- الأثر السياسي للاغتيال في عهد الحسن بن الصباح :

لم يكن الاغتيال عند الإسـماعيلية ، كاحدى الفرق الدينية منهجاً متبعاً ، بل ان أحد أهم دعاتهم عاب في أحد كتاباته ذلك الأسـلوب في التعامل مع الخصـوم "ومن أجل ان كثير من النـاس تحملهم الشـرائع والنواميس الرديـة على السـيرة الجائرة كالديصانية والمحمرة ونحوهم ، ممن يرى غش المخالفين لهم واغتيالهم"[1] .

ان النهي عن الاغتيال في الموقف الشـرعي الإسـلامي موجه لمحيط العلاقات الفردية "ونافذ" ضـمن الوضـع الاعتيادي لمجتمع لم يتأزم فيه التناحر – حيث تأخذ القوانين والأعراف مكانها في أطراف الصـراع السـياسـي والاجتماعي في ظروف التحولات التاريخية القائمة على العمل المسلح[2] .

وفي الحقيقة ان لانتهاج الحسن سياسة الاغتيال أسباباً كنا قد نوهنا عنها فيما سـبق وفي ذلك ينقل ابن أبي الحديد قائلاً[*] : "واعلم ان النهي عن المنكر ، والأمر بالمعروف عند أصـحابنا أصـل عظيم من أصـول الدين ، وإليه تذهب الخوارج الذين

(1) الكرماني ، الأقوال الذهبية : 105 .

(2) العلوي ، الاغتيال السياسي في الإسلام : 8 .

(*) يرى العلوي ان حوادث الاغتيال قديمة قبل نشوء الحشاشين وتبلورهم بل انها تعود إلى العصر النبوي في المدينة ، اما بالنسبة للإسماعيلية كفرقة فقد نسبت بعض الاغتيالات قبل ان ينشق الحشاشين عن الإسماعيلية وقد نسبت اغتيالات منها اغتيال الخليفة المقتدر بالله العباسي وكان المخطط لذلك عبيد الله المهدي ، وتبعه بعد ذلك اغتيال سنة 440هـ/1048م اغتيال اق.سنقر الذي اشتهر بعدائه للإسماعيلية ويذكر ان اغتيال الأخير كان فاتحة لاغتيالات عدة للحشاشين فيما بعد . ينظر حول مقتل الخليفة المقتدر بالله ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي: 253/1 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 74/7 ، وحول اغتيال اق.سـنقر الذي قتلته الباطنية بهمذان لأنه كان كثير الغزو إليهم والفتك والسـلب والنهب والتخريب لأموالهم فما كان إلا ان قصـده إنسان من الزهاد ليزوره فوثب عليه جماعة من الإسماعيلية وقتلوه . ينظر: الكامل : 286/8 ، العلوي ، المصدر نفسه : 103 وما بعدها .

خرجوا على السلطان ، متمسكين بالدين وشعار الإسلام ، مجتهدين في العبادة ، لأنهم إنما خرجوا لما غلب على ظنونهم ، أو علموا جور الولاة وظلمهم ، وان أحكام الشريعة قد غيرت ، وحكم بما لا يحكم به الله ، وعلى هذا الأصل تبنى الإسماعيلية من الشيعة ، قتل ولاة الجور غيلة"(1) .

يبدو ان الاغتيال ترك آثاره الواضحة ليس على رجالات السياسة والقادة والأمراء في حذرهم ولبسهم الدروع ، وإنما أصاب بعض رواة الاخبار بالخوف ، وهو ما أشار إليه أبو النصر عند كلامه عن العماد الأصفهاني صاحب كتاب تاريخ دولة آل سلجوق ، حيث يشير أبو النصر ان العماد كان يخشى الحشيشية "فالكاتب لا يعرض للقوم إلا تلميحاً لا تصريحاً متستراً بالتورية والإشارة بدلاً من الصراحة والجرأة ، وكتابة المؤلف بهذه الطريقة الملتوية الغريبة ، تدلل على ما كان للباطنية من شأن وخطر حتى اضطر مؤرخ معروف ، وكاتب مشهور إلى التلميح بأمرهم"(2) .

لم يخض الحشاشون سياسة حرب الجيوش وجهاً لوجه ، بل راحوا يتسللون إلى كل أماكن الدولة المهمة ومفاصل الحياة ، ومن هناك قاموا باختيار أهدافهم المنشودة ، ولقد تداخلت خنادق قتالهم بخنادق أعدائهم ان صح القول "وما كان سلطان(*) يلي يثق بخواصه ، وسعى ذوو الأغراض في ذوي اختصاصه . ولما عرفوا جد السلطان في إبادة القوم سعى بعض الناس ببعض واحب وصمه بالإلحاد لسابق عداوة وبغض .

---

(1) ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة : 312/19 .

(2) عمر أبو النصر ، قلعة الموت : 134-135 .

(*) يذكر ان الحسن أرسل كتاباً للسطان سنجر يقول لهُ فيه "على الرغم من أني أعيش فوق تلك الصخرة – الموت – فان أولئك الذين في خدمتك هم طوع أمري ورهن اشارتي" . حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 520 ، ويُذكر ان أثر تلك الرسالة جعل سنجر يرفع الحصار عن الموت وكان ذلك سنة 513هـ/1119م . ينظر : طه أحمد شرف ، دولة النزارية : 169 .

ووسمه باسم لم يمحه عنه غير السيف ... وبقى من هذه الاصصكاكات والاصطدامات خلق كثير ، وجم غفير ولم يبق للأكابر في دفع ما عرا رأي ولا تدبير"[1] .

وقد أحس نظام الملك بخطر الحشيشية وتزايد نفوذهم فحذر ملكشاه من ذلك الأمر ، وان الدولة بحاجة إلى العيون – أي الاستخبارات – لكن ملكشاه تخوف من ذلك حتى لا تقع العداوات والخصومات بين الناس وتصبح ذريعة لتصفية الخصومات بين الناس ، فكان ذلك من الأسباب التي أدت إلى ظهورهم وزيادة سطوتهم بعد ان خفي أمرهم[2] .

استهدف الحشاشون في اغتيالاتهم ليس رجالات السياسة وقادة الدولة ، وقد طالت بعض من اغتيالاتهم بعض الفقهاء الذين ناصبوهم العداء وأصدروا فتاوى تكفيرهم وقتلهم . وعلى الرغم من ان بعض تلك الاغتيالات نفذها الباطنية إلا ان بعضاً بقيت مجهولة ، وربما تكون من تدبير الحشيشية ومن تلك الاغتيالات ، اغتيال الشباك الجرجاني ، إبراهيم بن المطهر أبو طاهر الشباك ، وكان قد دخل نيسابور للدرس "ثم شغل بصحبة الغزالي" وخرج معهُ إلى العراق وحصل المذهب والخلاف ثم صحبه إلى الحجاز والشام وطاف معهُ مدة ما كان للغزالي في تلك الديار ، ثم عاد إلى وطنه بجرجان وأخذ التدريس والوعظ ، وظهر لهُ القبول لفضله وبنيت لهُ المدرسة "وأصابته عين الزمان فوجئ وقتل في تلك الحشمة شهيدا" وجاء نعيه في رجب سنة 513هـ/1119م[3] .

---

(1) عماد الدين الاصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 63 .

(2) المصدر نفسه والصفحة ، عمر أبو النصر ، قلعة الموت : 135-136 .

(3) تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : 36/7 ، الصيرفيني ، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت مجهول الوفاة) ، المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، تح : خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م : 131 .

ان صحبته للغزالي ربما تشير إلى عدائه للإسماعيلية ، وتدريسه داخل مدرسة ربما دفعه لتبني موقف معلن من ذلك العداء ، ولنا في إثبات ذلك حوادث عدة مشابهة سنأتي على ذكرها .

سجلت سنة 502هـ/1108م نشاطاً مميزاً للحشاشين في عدد الاغتيالات(*)، ونوعها ، ففي تلك السنة ، قتلت الباطنية بهمذان قاضي قضاة أصبهان عبيد الله بن علي الخطيبي(**) ، وقتل بأصبهان يوم عيد الفطر أبو العلاء صاعد بن محمد البخاري وقيل النيسابوري الحنفي المفتي أحد الأئمة عن خمس وخمسين سنة ، كذلك قتل أبو المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني(***) شيخ الشافعية وصاحب التصانيف وكانت للأخير مكانة مميزة "كانت لهُ الوجاهة والرياسة والقبول التام عند الملوك"[1] ، وكان يقول عن نفسه "لو احترقت كتب الشافعي لأمليتها من حفظي"[2] ، وسنجد تفسير تلك الحادثة – أي اغتيال الروياني – بعد قليل .

(*) يجعل أحد الباحثين العدد الأكبر في قائمة الاغتيالات بين سنوات (488هـ-493هـ/1095م-1099م) مستنداً إلى قائمة قدمها الكاشاني في زبدة التواريخ . ينظر : كارول هيلتراند ، صراع السلطة بين السلاجقة وإسماعيلية الموت (487-518هـ) . منظور سلجوقي ، بحث ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط لفرهاد دفتري : 211 وما بعدها .

(**) مر ذكر كيفية مقتله .

(***) الروياني : نسبة إلى مدينة رويان مدينة كبيرة من جبال طبرستان وكورة واسعة وهي أكبر مدينة في الجبال هناك وتقرأ بضم أوله وسكون ثانية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان: 104/3 .

(1) السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : 287/1 ، العماد الحنبلي ، شذرات الذهب : 4/4 ، علماء النظاميات : 90 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 134/9 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 171/12 ، اليافعي ، مرآة الجنان : 171/3 .

وكانوا قبل ذلك التاريخ أي في سنة 497هـ/1103م ، قد هجموا بغتة على ششتمد(*) ،وقتلوا حاكم القرية وهو المعلى أبو الفتح المظفر بن أبي الحسن علي بن محمد أحمد البازرقان وعشرين دهقاناً ، وقد جوبهت تلك الحادثة بتحرك من أحد قادة السلاجقة وهو جمال(**) الرؤساء ، الذي حاصر أحد قلاعهم المسماة بقلعة بيار وكان عليها علي بن حميد البياري ، ويبدو ان الحصار أشتد على الحشيشية ، مما حدى بهم إلى إرسال رجلٌ عجوز – هذه المرة وليس من الشباب – قال انهُ يحمل رسالة من الري ، فطعن المقصود وهو زعيم القوة المحاصرة والذي مات بعد عدة أيام "وتفرق عسكره عن تلك القلعة"[1] ، وفي السنة اللاحقة 498هـ/1104م ، قتلوا أحد أعيان الشافعية وشيوخها وهو أبو جعفر المشاط ، وكان يعظ بالري فلما نزل عن الكرسي وثب عليه باطني وقتله[2] ، ويبدو أنهم قتلوا في تلك السنة شخصين اشتهرا بهذه الكنية وهو ما نوه إليه الذهبي بالقول "قتل الإسماعيلية ابن المشاط وقتلوا الإمام أبا جعفر المشاط ..." [3] .

وربما يكون السبب في ازدياد استهداف الحشيشية للشافعية وزعمائها هو الحملة التي قادها أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الفقيه الشافعي والذي لاحظ زيادة نشاط ونفوذ الحشيشية وقتلهم الكثير من الناس حسب رواية ابن الأثير مما دفع بالخجندي لحفر أخاديد وأوقدت فيها النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجاً

(*) ششتمد : لم أجد لها تعريف .

(**) جمال الرؤساء : أبو علي بن شمس الأمراء زين المعالي أبو الحسن علي بن الحسين بن المظفر بن محمد بن الحسن . ينظر : البيهقي ، تاريخ بيهق : 211 .

(1) البيهقي ، المصدر نفسه والصفحة .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 84/9 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 67/34 .

(3) الذهبي ، المصدر نفسه : 67/34 .

ومنفردين فيلقون في النار[1] . وهذه الحادثة ربما كانت ســـبباً لقتل الخجندي بعد ذلك على أيديهم في مدينة الري على يد رجل علوي ودفن في داخل المســـجد[2] ، يمثل ازدياد الاغتيالات بالنسبة للإسماعيلية النزارية نشاطاً واضحاً وملموساً ويمكن ان نعزوه لســـببين رئيســـين أولهما ان تلك الاغتيالات جاءت كردة فعل عن مقتل ابن عطاش والتمثيل به حياً كما مر ذكره . والأمر الثاني ضعف السلاجقة بصورة عامة وانشغالهم ، والأمر المضـــاف لذلك الأمرين ، هو الفتوى التي أطلقها الروياني والذي قتل على أيديهم[3] والروياني هذا هو أول من أفتى بإلحاد الباطنية ، وسبب ذلك لأن الإسماعيلية كانوا يقولون لابد من معلم يعلم الناس الطريق إلى الله ..." فالشـــيخ جاء إلى قزوين وأفتى بإلحادهم ووصـــى أهل قزوين ان لا يكون بينهم وبين الباطنية اختلاط أصـــلاً ، وقال ان وقع بينكم وبين الباطنية اختلاط فهم قوم عندهم حيل يخدعون بعضـكم ، وإذا خدعوا بعضكم وقع الخلاف والفتنة ... فلما عاد إلى رويان بعثوا إليه الفدائية وقتلوه"[4] .

والنص صـــريح في ان اختلاط الإســـماعيلية بقزوين كان قبل تلك الفتوى أمراً شائعاً ، ولو لم يشعر الروياني بتأثير الإسماعيلية ودعاتهم في قزوين لما غادر مدينته وجاء إلى قزوين بتلك الفتوى .

ان العداء بين الحشـاشـين وفقهاء الشـافعية ، ربما يشـير إلى جذور للعداء بين نظام الملك وهو شافعي المذهب والحشيشية ، وربما تكون تلك الاغتيالات سبباً لتكامل

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 38/9 ، وكان أبو جعفر المشـــاط والذي قتل على أيدي الحشيشية أحد تلامذة الخجندي الذي قاد الحملة ضدهم . ينظر : عكاوي ، الحشاشون : 157 .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 69/9 .

(3) ورد ذكر مقتله في نفس الموضوع ، ينظر : 220 .

(4) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد : 374-375 .

منظومة الفدائيين ، واشتداد ساعدهم ، فكانت تلك الحقبة حقبة عوضت عن الفترات السابقة فكانت تقابل المجازر التي يتعرض لها الإسماعيلية باغتيال مدبري تلك المجازر من جهة ومن أخرى فانها ربما عوضت عن الضعف الذي أصاب الفاطميين[1] . والذي أحس به الحسن بن الصباح .

ولم يكن أبداً ببعيد ان السلاجقة أحسوا بتلك القوة فعقدوا معهم هدنة وكان ذلك في سنة 498هـ/1104م ، حيث يذكر ابن الأثير أحداث وقوة الحشيشية "وفي هذه السنة اشتد أمرهم وقويت شوكتهم – يقصد الإسماعيلية – ولم يكفوا أيديهم عمن يريدون قتله لاشتغال السلاطين عنهم "ثم يذكر بعد ذلك مهاجمة الحشاشين لجمع من الحجاج فيما وراء خراسان وهاجموا أيضاً طريثيث وهي من أعمال بيهق ، ويبدو ان السلاجقة كانوا قد عقدوا قبل ذلك معاهدة معهم ، وان الحشيشية لم يلتزموا بها "ولم يقفوا على الهدنة المتقدمة"[2] .

جاء بعد ذلك محاولة تصفية الوزير أحمد بن نظام الملك وكان هذا قد جهز حملة لمحاصرة الموت سنة 503هـ/1109م انتقاماً لوالده الذي قتل على أيديهم وحوصرت قلعة الموت "وهجم الشتاء عليهم فعادوا ولم يبلغوا منه غرضاً"[3] ، ولنشاطه المتزايد في عدائهم تربصوا به في الجامع "فوثب به الباطنية فضربوه بالسكاكين وجرحت رقبته فبقي مريضاً مدة ثم برأ وأخذ الباطني الذي جرحهُ فسقي الخمر حتى سكر ثم سئل عن أصحابه فأقر على جماعة بمسجد المأمونية فأخذوا وقتلوا"[4] .

---

(1) حول الضعف الذي أصاب الفاطميين والفتن التي وقعت بينهم ، ينظر : حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 173–175 ، د. عبد المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر : 335 وما بعدها .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 84/9 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه: 137/9 .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 137/9–138 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 18/35 .

وكانوا قبل ذلك التاريخ أي سنة (500هـ/1106م) قد قتلوا الوزير فخر الملك ابن نظام الملك ، وكان أصبح وزيراً للسلطان السلجوقي سنجر ، وتبدو حالة اغتياله شبيهة بحادثة اغتيال والده "فلما كان وقت العصر خرج من الدار التي كان بها يريد دار النساء فسمع صوت صياح متظلم شديد الحرقة وهو يقول ذهب المسلمون فلم يبق من يكشف مظلمة ولا يأخذ بيد ملهوف ، فأحضر عنده رحمة له فحضر فقال ما حالك فدفع إليه رقعة فبينما فخر الملك يتأملها إذ ضربه بسكين فقضى عليه فمات"[1] .

اما الجديد في عملية اغتيال فخر الملك فان ذلك الفدائي اعترف على جماعة من أصحاب السلطان بأنهم هم من دفعه لتلك الفعلة وقال "أنهم وضعوني على قتله وأراد ان يقتل بيده وسعايته فقتل من ذكر وكان مكذوباً عليهم ثم قتل الباطني بعدهم"[2] .

وهكذا كان الاغتيال يحقق أهدافاً كثيرة من أهداف الحشيشية ، وربما جعلوا طرقاً كالتي ذكرناها لاحداث الخصومات داخل بلاط السلاجقة ، وهو ما اتضحت صورته عند الحديث عن مقتل سعد الملك وزير السلطان محمد بن ملكشاه ، وان مقتل ذلك الوزير رافقهُ مقتل أربعة من أعيان أصحابه والمنتمين إليه "فنسبوا إلى اعتقاد الباطنية"[3] .

(1) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 100/9 ، غالب : اعلام الإسماعيلية : 227.

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 100/9 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 137/9-138 ، الذهبي ، المصدر نفسه : 18/35 .

وقد ذُكر ان الاغتيالات التي نفذها فدائية الحسن وصلت إلى همذان(*) ، عندما استطاعوا اغتيال وزير السلطان السلجوقي محمود وهو الكمال أبا طالب السميري"(1) ، وربما تختلف حادثة اغتيال السميري عن باقي حوادث الاغتيال حيث ان المقصود ، تم اغتياله في بغداد ، وربما يكون اغتيالهُ قد جمع بين أمرين الأول كونه يعمل وزيراً عند السلاجقة ، والأمر الثاني ترددهُ الكثير إلى بغداد لذلك فقد ابتنى داراً على نهر دجلة . وكان يقول عن نفسه "قد استحييت من كثرة التعدي على الناس وظلمي من لا ناصر له"(2) ، وهكذا تتضح صورة أفعال السميري والتي يمكن معها القول انها نالت النزارية ، ويبدو ان الرجل كان شديد الاحتياط في همذان لذلك كان اغتياله في بغداد عندما عزم من الخروج منها متجهاً نحو همذان ، في موكب شديد الحراسة والجند "ركب في موكب عظيم بالتجمل والزينة الكاملة وبين يدية الجاندرية والمطرقون بالسيواف والحراب والدبابيس"(3) ، وبعد ان وصل إلى سوق المدرسة المنشئة وصل إلى مكان ضيق يبدو – ان الحشاشين كانوا قد رصدوا ذلك المكان من قبل – فبقي مفرداً وحده لضيق المكان فوثب عليه رجل من دكة هناك فضربه بسكين وقعت في بغلته وهرب الضارب نحو دجلة فتتبعه الغلمان كلهم ومعهم السلاح وخلا المكان فظهر رجل آخر كان متوارياً فضربه بسكين في خاصرته ثم جذبه عن البغلة إلى الأرض وجرحه عدة جراحات فعاد

(*) همذان : بالتحريك والذال المعجمة وآخره نون في الإقليم الرابع طولها من جهة الغرب ثلاث وسبعون درجة وعرضها ست وثلاثون ، ويذكر ان تسميتها بسبب نسبتها إلى همذان بن الفلوج بن سان بن نوح عليه السلام ، وقيل غير ذلك ، وكانت همذان طيبة الهواء والماء، وقد فتحها المغيرة بن شعبة سنة 24هـ/664م ، ويذكر انها كانت أكبر مدينة بالجبال . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 5/410-411 ، المقدسي ، أحسن التقاسيم : 264-265.

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 3/620 .

(2) ابن النجار البغدادي ، محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن المحاسن (ت643هـ/1245م) ، ذيل تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 18/108 .

(3) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

أصـــحاب الوزير فوثب عليه اثنان كانا متوارين عن الأنظار ، فحملا على من معه فانهزم ذلك الجمع ولم يبق معهُ من يرد عنه ولا يخلصـه فوثب عن ضـعف وقلة حركة وأراد الاتقاء إلى غرفة هناك ليختفي بها فتمكن منهُ الثلاثة وجعل يســـتغيث ويقول انا شـيخ "فلم يقلع عن ذبحه وجعل يكبر بأعلى صـوته انا مسـلم أنا موحد ، وحملت جثة الوزير على بارية ... وقتل الأربعة الذين تولوا قتله"(1) .

اما عدم استطاعت الحشيشية من اغتياله في بلاد المشرق فيبدو ان الاحتياطات التي أتخذها وهو بعيد عن همذان بإمكانها إعطاء صـورة عن وضـعه وحذره في همذان نفسها . وكان اغتياله سنة 516هـ/1122م(2) .

وهناك أسـباب أخرى تضـاف إلى حادثة اغتيال السـميري فكان الرجل ممن أراد تجديد المكوس بالعراق ، وقد اقنع السـلطان بذلك ويشـير ابن الأثير إلى ان الباطنية أحرقت جامع أصـبهان بعد اتخاذ قرار بتجديد المكوس ، وكان من أعظم الجوامع وأحسـنها ، وكان قبل ذلك بأسـبوع ، قد احترق الركن اليماني من البيت الحرام ولم يكن سـبب في ذلك الباطنية ، وإنما لأمر آخر ، وقد دفعت تلك الحادثتين على ما يبدو ان يعرف السميري ان ذلك كان سببه محاولة تجديد المكوس "فتجدد من هذين الحريقين ما هاله وأتعظ فأعرض عنه"(3) .

---

(1) ابن النجار ، ذيل تاريخ بغداد : 108/18 ، لم يذكر صـاحب الذيل ان الباطنية اغتالته بينما ذكر ابن الأثير ، وابن كثير ذلك . ينظر : الكامل في التاريخ : 215/9-216 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 191/12 ، علماء النظاميات : 110-111 .

(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 295/35 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 211/9 .

هكذا كانت تجابه الحملات التي يقودها السلاجقة ضد الإسماعيلية في بلاد المشرق وليس الحملات[1] فقط وإنما حتى الإجراءات التي تكون باباً للتذمر من قبل عامة الناس وهي لابد وانها وسيلة لكسب الاتباع ، ومن جديد أخذ نفوذ الحشاشين بالازدياد والانتشار وتمزقت دولة السلاجقة وسلطتهم بالاغتيال تارة وبالحروب فيما بينهم أخرى[2] ، وهو ما دفع الجويني للقول عن تلك الفترة عن الإسماعيلية النزارية "وهكذا كانوا في عهد السلطان مرفهين"[3] .

ولم تكن الأمور لتسير بأفضل مع الفاطميين الذين يشاركون النزارية في أصولهم الإسماعيلية ففي سنة 515هـ/1121م قتل الأفضل بن بدر الجمالي ، والذي كان حسب رأي النزارية الباعث على تنحية نزار عن مقام الخلافة ، ورغم ان اغتياله إلى حد بعيد يشبه ما كانت تقوم به فدائية الحسن حيث هوجم الأفضل بن بدر الجمال من قبل أشخاص عدة قتلوا جميعاً بعد ان قتلوا المقصود[4] . ومع ذلك فان هناك من يرى ان من دبر اغتيال الأفضل هو الأمر بأحكام الله بسبب العداء بين الرجلين[5] ، لكن نصاً لابن ميسر يفيد بان الحشاشين ربما كانوا هم من نفذ عملية الاغتيال تلك

---

(1) راجع حول ما تعرض لهُ الإسماعيلية النزارية من حصارات ومجازر ، ابن الأثير ، الكامل: 40/9-41 ، تحت عنوان (ما فعلهُ جاولي سقاووا بالباطنية) ، وابن كثير ، البداية والنهاية : 166/12-167 ، أحدث سنة خمسمائة من الهجرة ، وللمزيد ينظر : موسى، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 395 ، تحت عنوان مذابح الإسماعيليين في ايران.

(2) د. مصطفى غالب ، الثائر الحميري : 134 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 319/2 .

(4) ابن ميسر ، أخبار مصر : 81/2 .

(5) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 204 ، حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 174 ، خليل ، محمد محمود ، الاغتيالات السياسية في مصر في عصر الدولة الفاطمية (358-567هـ) ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2006م : 132-133 .

وفيه يقول "فلما ولى المأمون بلغه ان ابن الصباح والباطنية فرحوا لموت الأفضل وقتله ، وانها قد امتدت آمالهم لقتل الامر والمأمون معاً"[1] .

- موت الحسن ونظام الحكم في قلعة الموت :

ما ان حلت سنة 518هـ/1124م حتى أحس الحسن بدنو أجله ، وهو ما أشار إليه الجويني بالقول "ولكن الحسن وقع في غم كبير في أيام السلطان – يقصد سنجر – وذلك في شهر ربيع الآخر سنة ثمان عشرة وخمسمئة"[2] ، وكان مصدر ذلك الغم شعور الحسن بدنو أجله ، وحال الحكم في الموت ربما مجهولاً ، فحال كل المقربين إليه انتهى بالقتل ، فهذا ابن أخت الحسن ، أبو الفتح رئيس المقدمين في الشام قد سقط صريعاً بسيوف الأعداء[3] ، وهذا كبير الدعاة حسين القاييني داعية قهستان ، كان قد قُتل هو الآخر على يد حسين دنباوندي بتحريض من رجل يُدعى زيد العلوي في الموت ، وكان قد أتهم في مقتله أحد أبناء الحسن[4] ، وقتل الآخر لأنه أتهم بشرب الخمر[5] . وبذلك أنهى الحسن أي أمل في ان يصبح حكم الموت وباقي القلاع وراثياً لأحد أبنائه[6] ، وهو ما فُسر فيما بعد مضافاً إلى حياة العزلة التي عاشها الحسن بعد تلك الأحداث وإقصاء زوجته وبناته إلى أن أصبح ربما خشن الطباع حاداً وصارماً[7] . وربما تلمس الحسن كما استدل هامر بميل أبنه الأكبر الذي تلقب ب"الأستاذ" بأنهُ كان

---

(1) ابن ميسر ، أخبار مصر : 97/2 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 319/2 .

(3) Von Hammer , The History Of Assassins , p. 71-72 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 316/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 124 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 214 .

(5) الجويني ، المصدر نفسه : 316/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 144–145 .

(6) السيد ، الحشاشون : 49 .

(7) السيد ، الحشاشون : 49 .

ينوي خلافة أبيه من بعد وفاته[1] ، ويؤكد الخشت ان الحسن كان قد زجر أبنه الحسين حين فكر في ان يخلف أباه في مركزه ، محاولاً إقناع الحسن الصباح بان يعلنه خليفة من بعده ، لكن الحسن لم يتقبل هذا الأمر[2] . ان مقتل الابن الأكبر للحسن لم يكن لهُ علاقة لا بتلقبه أو بسعيه لخلافة والده وإنما كما ذُكر لاتهامه بالاشتراك بقتل داعي قهستان وأحد أبرز دعاتها ، من جهة ، ومن جهة أخرى فان الحسن ربما أراد ان لا يكون نظام الحكم وراثياً وان يجعل الاختيار للأفضل والأكثر كفاءة في إدارة حكم القلاع .

وهكذا استدعي الحسن بزرك[*] أميد من قلعة لمسر ، ويبدو ان اميد هذا كان من المقربين للحسن وهو ما سنلحظه من خلال التطرق لفترة حكه فأجلسه الحسن محله وعين الدهدار أبا علي الادستاني على يمينه ، وأمر ان تحول إليه أمور الديوان ، كما أجلس عن يساره حسن ادم القصراني وكان كيابا جعفر صاحب الجيش ، ثم أعلن وصيته "إلى ان يظهر الإمام ويجلس على العرش يحكم هؤلاء الأربعة جميعاً"[3] . وبهذه الإجراءات أحكم الحسن بناء دولة النزارية أو القلاع وتأسيسها[4] . وكان الزعيم فيها يتمتع قبل كل شيء بصفة القائد الروحي تدعمه قوة قوامها جيش من الدعاة

---

(1) Von Hammer , The History Of Assassins , p. 72 .

(2) الخشت ، حركة الحشاشين : 103–104 .

(*) كلمة فارسية معناه الكبير في السن أو العظيم في المرتبة وقد لقب بها بعض الأعيان ومنهم نظام الملك الذي اغتاله النزارية . ينظر : مرتضى الزبيدي ، تاج العروس ، مادة (بزرك) : 74/27 ، تيمور ، أحمد ، تصحيح لسان العرب ، ط1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2002م : 98 ، ويبدو ان بزرك اميد كان قد احتل وفقاً للتسمية مكانة مميزة بين دعاة وزعماء الحشيشية .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 319/2 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 521 ، ايفانوف ، الموت ولامسار : 47 .

(4) ينظر ، بدوي ، مذاهب الإسلاميين : 1058/2 .

المحنكين والفدائيين[1] . ونستطيع ان نخلص من إجراءات الحسن تلك انهً كان حريصاً على بقاء النظام داخل القلاع ، محاولاً الحفاظ على ما قام ببنائه خلال ســنوات حياته المليئة بالمشـاق . ونسـتطيع من خلال إنجازاته الطويلة ان نتلمس الأثر الذي تركه في حياة حركة الحشاشين ان الفرقة التي أنشأها أخذت تعرف بالصباحية نسبة إليه[2] .

(1) د. الخشت ، حركة الحشاشين : 103 .

(2) الرازي ، اعتقادات فرق المسـلمين : 78 ، الذهبي ، سـير اعلام النبلاء : 184/21 ، رغم ان تلك التسـمية أطلقت على فرق أخرى نسـبة إلى زعمائها ومنهم الصـباحية أعوان الصـباح بن السمرقندي . ينظر : المقدسي ، البدء والتاريخ : 147/5 .

الفصل الثالث

العلاقات السياسية لخلفاء الحسن بن الصباح حتى نهاية حركة الحشاشين في بلاد المشرق ، سياستهم ، علاقتهم بالمحيطين

المبحث الأول : خلفاء الحسن في العصر السلجوقي :

- كيابزرك أميد يخلف الحسن في حكم الحشاشين (518هـ-532هـ/1124م-1137م).
- عهد بزرك أميد والعلاقات مع الفاطميين .
- العلاقات بين الحشيشية ودويلات المشرق .
- وفاة كيا بزرك أميد والتحول في نظام الحكم في الموت ، فترة حكم محمد بن كيا بزرك أميد (532هـ-557هـ/1137م-1161م) .

المبحث الثاني : خلفاء الحسن بن الصباح بعد حادثة اعلان القيامة :

- الحسن الثاني بن محمد بن بزرك أميد (557هـ-561هـ/1161م1165م) .
- حادثة اعلان القيامة .
- مقتل الحسن بن محمد ونهاية حكمه في الموت .
- حكم نور الدين محمد الثاني بن حسن الثاني بن بزرك أميد (561هـ-607هـ/1165م-1210م) .
- الحشاشون بعد سقوط السلاجقة علاقتهم بالخوارزميين والغوريين .
- وفاة نور الدين محمد بن الحسن مسموماً ونهاية حكمه في الموت .

المبحث الثالث : بدايات دور الضعف والسقوط :

- فترة حكم جلال الدين حسن الثالث بن محمد بن بزرك أميد (607هـ-618هـ/1210م-1221م) .
- مراسلات جلال الدين مع المغول ووفاته مسموماً .
- حقبة حكم علاء الدين بن جلال الدين (618هـ-653هـ/1221م-1255م) .
- علاء الدين ومشكلة الحكم في الموت ومقتله بسبب ذلك .
- حقبة حكم ركن الدين خورشاه ونهاية الحركة (653هـ-654هـ/1255م-1256م) .
- المغول والحملة على قلاع الحشيشية .

الفصل الثالث
المبحث الأول
خلفاء الحسن في العصر السلجوقي

- كيا بزرك أميد يخلف الحسن في حكم الحشاشين (518هـ-532هـ/1124م-1137م):

ذكر الجويني حول مدة حكم بزرك أميد بالقول "واســـتقر بزرك أميد على العرش مع رفاقه الآخرين مدة عشرين سنة فسلكوا منهج الصباحي وسلوكه"[1] ، وكانت دعوة الحسن بن الصـباح بحسـب اعتقاد النزارية قد واكبت ثلاث من أئمتهم وهم المسـتنصـر ، ونزار – ومنه اشتق النزارية تسميتهم – والهادي[2] .

دامت فترة حكم[*] بزرك أميد من 518هـ/1124م حتى سنة 532هـ/1127م ، كان قبلها حاكماً على لامسـار وقد ورد أسـمها بعدة أشـكال – لامبيسـار – ولاميسـار واللاحقة سار[3] .

وأشـار مير خواند ان اسـتيلاء كيا بزرك أميد على لاماسـار ، كان بأمر الحسـن بن الصباح ، وذلك سنة 489هـــ/1095م ، وقد قام بإجراءات عدة في زيادة تحصين القلعة، وتحسين أجوائها إضافة إلى بثه الدعاة في المنطقة الواقعة فيها وهي روذبار[**] مما أدى إلى زيادة عدد الداخلين في الدعوة[4] .

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 320/2 .

(2) د. الخشت ، الحشاشين : 109 .

(*) يبدو ان الفترة التي أعقبت حكم الحســن بن الصــباح امتازت بالتناقض وعدم الدقة في تحديد تاريخ الأحداث وقد أشير لذلك بالقول ان المعلومات والأسماء والتواريخ تصبح متناقضة بعد وفاة الحسن . ينظر: فياض، الطائفة الإسماعيلية جسد يربط العقل بالدين ، مجلة الموسم ، العدد 43–44 : 164.

(3) ايفانوف ، الموت ولامسار : 89 .

(**) روذبار : بضم أوله وإسكان الذال المعجمة بعدهُ باء معجمة بواحدة وراء مهملة اسم لساحل جيحون كله ، ومعناها بالفارسية موضع النهر وهي ناحية من طسوج أصبهان مشتملة على قرى كثيرة وقد حملت مناطق عدة اســم روذبار . ينظر : البكري ، معجم ما اســتعجم : 684/2 ، الحموي ، معجم البلدان : 77/3 .

(4) تاريخ روضة الصفا : مج217/4 ، ايفانوف ، الموت ولامسار : 90 ، د. العزاوي ، دولة النزارية : 129 .

ويبدو لنا أن أهمية قلعة لامســـــار ؛ لكونها كانت الدرع الذي يحمي ظهر قلعة الموت فضــلاً عن كونها غير بعيدة عن سلسـلة الجبال الرئيسـية وصـعبة العبور على الجنود، وقد كانت تســيطر على جبهتين طريق على الغرب القريب من نهر شـــاه رود(*)، والممرات الذاهبة باتجاه قزوين(1)، وتبدو براعة بزرك أميد ليس في تحصـــــين القلعة وتحسـين الأجواء وإنما كونه كان مهتماً بعملية التوســع وبناء وامتلاك الحصــون ، فقد أمر ببناء قلعة ميمون دز(**) وولى عليها دهخدا(***) عبد الملك القلقشــندي ، كما أمر ببناء قلعة ســـعادت(****) كوه على الجبل الذي كان يســـمى قلاجكوه(*****) من قبل

(*) نهر شـــاه روذ : يقع قرب قرية تســمى الخير من أعمال طارم وتقع عليه قرية تســمى خندان تجبى فيها المكوس من قبل أمير الأمراء وهو من ملوك الديلم وحين يخرج النهر منها يلتقي بنهر أخر أسمه سبيد رود . ينظر : خسرو ، سفر نامة : 37 .

(1) ايفانوف ، المصدر نفسه : 89-90 .

(**) ميمون دز : دز تعني قلعة وموقع القلعة لا يزال مجهولاً ، وتوجد إشارات حول القلعة وبنائها عند الجويني تؤكد قدم القلعة ويذهب غالب إلى ان ميمون دز أقدم قلعة للحسـن بن الصـباح ، وان القلعة بنيت لاتقياء الإسماعيلية الذين يفضلون الموت على العار والأمر . ينظر : الجويني ، فاتح العالم : 2/251-258 و266 و343-351 ، حمد الله مســتوفي ، حمد الله بن أبو بكر بن محمد بن نصــر مستوفي قزويني (ت730هـــــ/1329م) ، نزهة القلوب ، مقابلة الحواشــي والفهارس : محمد دبير سياقي ، الناشـر كتابخانة طهوري ، طهران ، 1917م : 66 ، غالب ، الثائر الحميري : 91 .

(***) دهخدا: مختار القرية أو صاحبها . ينظر : الجويني ، فاتح العالم : 307/2 من الهامش.

(****) ســعادت كوه : كوه بالفارســية تعني الجبل . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 416/4، ولم أعثر على مكان لتلك القلعة ، لكن ربما تكون تلك تابعة أو قريبة من قلعة الموت . ينظر: ناديا ايبو جمال ، الناجون : 71 .

(*****) لم أعثر على موقع لذلك الجبل ومن المحتمل ان يكون أحد الجبال التابعة ، لســلســلة جبال الديلم وقد ذكر الحموي ان قلاط قلعة على جبل تارم وهي قلعة لصاحب الموت . ينظر : الحموي ، المصدر نفسه : 386/4 .

وشحنها بالذخيرة[1] . ومن هذه الإجراءات يتضح لنا سبب اختيار الحسن لبزرك أميد خليفةً لهُ .

وقد شهد عصر بزرك أميد استقرار أوضاع النزارية ، لميل السلاجقة إلى الاستكانة والهدوء ، وعظم أمر الإسماعيلية النزارية وبلغت دولتهم الأوج في النظام والبنيان والاستقرار الاقتصادي والاجتماعي والديني[2] . ربما يكون جزء من ذلك الافتراض ولو في شطره الثاني صحيحاً ، اما استقرار عهد أميد ، بحسب ميل السلاجقة للاستكانة فيبدو انهُ لم يكن كذلك ربما كان بزرك أميد أكثر تسامحاً وسياسة من سلفه الحسن الصباح[3] ، لكن سياسة الحرب والاغتيالات استمرت بعصره كما كان الحال في عهد الحسن ، ففي سنة 520هـ/1126م – أي بعد سنتين من حكم بزرك أميد – أمر الوزير المختصر أبو نصر أحمد بن الفضل وزير السلطان سنجر "بغزو الباطنية وقتلهم أينما كانوا وحيثما ظفر بهم ، ونهب أموالهم وسبي حريمهم وجهز جيشاً إلى طريثيث[*] وهي لهم وجيشاً إلى بيهق من أعمال نيسابور ، وكانت هناك قرية تابعة للنزارية "مخصوصة بهم اسمها طرز[*] ومقدمهم بها إنسان اسمهُ الحسن بن إسمين ،

---

(1) د. العزاوي ، دولة النزارية : 127–129 .

(2) تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 94/4 ، القسم الخاص بالدولة النزارية .

(3) عكاوي ، الحشاشون : 160 ، نزار ، أسرار فرقة الحشاشين : 132 وما بعدها .

(*) طريثيث : بضم أوله وفتح ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وثاء مثلثة ناحية وقرى كثيرة من أعمال نيسابور وطريثيث قصبتها ، وهي منبع للعلماء والفضلاء ويبدو ان الإسماعيلية كانوا بحلول سنة 530هـ/1135م قد مدوا نفوذهم حتى اتصلوا بطريثيث وهذا الأمر دعا رئيس هذه الناحية العميد منصور بن منصور الزوراباذي إلى استقدام الاتراك لحربهم لكن هؤلاء أساءوا السيرة مع السكان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 33/4 ، الحميري ، الروض المعطار : 389 .

(*) طرز : احدى مدن بيهق والتي تقسم – أي بيهق – إلى اثنتي عشر قسماً كل قسم منها يسمى ربعاً لا يمكن لاحدها ان يزيد على الآخر وتقع طرز في القسم العاشر أي الربع العاشر ويسمى

وقد تعاملت تلك الحملة بقسوة مع السكان الإسماعيلية وقتلت الكثير منهم ومن الناس والأطفال وهرب زعيمهم الحسن بن سمين وصعد منارة المسجد وألقى نفسه منها "وكذلك العسكر المنفذ إلى طريثيث قتلوا من أهلها فأكثروا وغنموا من أموالهم وعادوا"[(1)] .

لاقت الحملتين اللتان ذكرناهما نجاحاً في تدمير وقتل الإسماعيلية وحصونها اما الحملة الثالثة والتي وجهت إلى روذبار إلى الشمال فلم تحرز أي نجاح ، ونجح النزارية في صد السلاجقة وغنموا منهم الشيء الكثير وقتلوا قادة تلك الحملة[(2)] .

وربما يكون هجوم سنجر على قلاع الحشيشية ، بعد توقف فترة زمنية طويلة – تحديداً من سنة 513هـ1119م كانت آخر حملة لهُ على الإسماعيلية في طوباس[(**)] – ويبدو لنا ان سنجر لم يتخذ بعدها أي إجراءات وربما يكون السبب هو إحساس سنجر وشعوره بالثقة المتزايدة وافتراضه ضعف الإسماعيليين في ظل القيادة الجديدة بعد وفاة الحسن بن الصباح ، بحيث انهُ لم يعد يسمح بوجود قوة مستقلة خطيرة على حدود إمارته أو في داخلها وقد أدى الوزير معين الدين كاشي دور المحرض في هذه الحملة[(3)] ، ولو أردنا ان نفترض ان الاتفاق الذي كان بين الحسن بن الصباح والسلطان سنجر قد انتهى بوفاة الحسن ، وغير بعيد عن الظروف المحيطة بسنجر

بربع مزينان وفيه مزينان ومايان وكموزد وداورزن وصدخرو وطرز وبهمن اباد ومهر وماشدان وسويز وغير ذلك . ينظر : البيهقي ، تاريخ بيهق: 135–138.

(1) البيهقي ، المصدر نفسه : 49 ، رغم ان البيهقي يجعل تلك الحادثة سنة 521هـ/1127م ، ابن الأثير، الكامل في التاريخ : 235/9 ، غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 247 ، السعداوي ، الحشاشين : 43 .

(2) المصدر نفسه : 44 ، لويس ، الحشيشية : 224 ، د. الخشت ، حركة الحشاشين : 110 .

(**) طوباس : هي نفسها طبس ، وقد ذكرت تلك الحملة عند ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 39/9 .

(3) عباس اقبال ، الوزارة في عهد السلاجقة : 308 ، عكاوي ، الحشاشون : 160.

وصراعاته مع منافسه في أسرته من أجل السلطة ، فضلاً عن الانتصارات التي حققها في هذا المجال[1] . وفي السنة 520هـ/1126م اشتدت الحرب بين سنجر والإسماعيلية ، وتمكن فيها سـنجر من القضـاء على مجموعة من الباطنية في الموت وكان عددهم يزيد على عشـرة[*] آلاف مقاتل[2] . وكانت قد سـبقت تلك الحرب أي في سـنة 519هـ/1125م مقتل القاضي أبي سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي بهمذان "قتلته الباطنية وكان قد مضى إلى خراسان في رسالة الخليفة إلى السلطان سنجر فعاد فقتل"[3] . وأشـار ابن القلانسـي إلى تفاصـيل أوفى حول مقتل الهروي بالرغم من انه يجعلها في سنة 518هـ/1124م ويذكر انهُ كان يحمل جواب السلطان عما صدر على يده إليه وانهُ لما نزل بهمذان وثب عليه على حين غفلة "قوم رتبوا له من الباطنية فضـربوه بسـكاكينهم فقتلوه وهربوا في الحال ولم يظهر لهم خبر ، ولا بان لهم أثر ولا تبعهم شخص للخوف منهم"[4] . والرواية تشير إلى تنامي قوة الحشيشية ونفوذهم في تلك الحقبة .

---

(1) ينظر للاستزادة حول ذلك : الحسيني ، اخبار الدولة السلجوقية : 84-95 .

(*) يميل لويس لتكذيب تلك الرواية، لعدم ذكرها في المصـادر الإسـماعيلية "ولربما كان خبراً مخترعاً". ينظر : لويس ، الحشيشية : 224 ، وربما يكون الحدث وقع فعلاً لكن المبالغة في عدد القتلى .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 245/9 ، ميرخواند ، تاريخ روضـة الصـفا : مج4/215-216 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 234/9 .

(4) ينظر : ذيل تاريخ دمشق : 210 .

ولم يكن السلطان السلجوقي محمود بعيداً عن حرب الإسماعيلية ذُكر انهُ لما ملك الري صلب من أصحاب مجد الدولة(*) من الباطنية خلقاً كثيراً ، ويعلق الذهبي على تلك الحادثة بالقول "وصلب محمود أمراء من الديلم وجرت قبائح وظلم"[1] .

ولم يكتفي السلطان محمود بذلك وإنما قام باستخدام الحيلة ، فأوفد أحد رسُلِه إلى قلعة الموت ، يعرب فيه لكيا بزرك عن رغبته في عقد الصلح ، فارسل الأخير الخوجه محمد الشهرستاني ، وقد استقبل الأخير بالحفاوة التي يعامل بها رسل الدولة الأخرى وسمح لهُ بتقبيل يد السلطان ، الذي اتفق معهُ على بعض الشروط من أجل عقد الصلح ، وعند انصراف الشهرستاني وفي الطريق هجم عليه الغوغاء واغتالوه بصورة مفجعة ، وقد دفع هذا الأمر بالسلطان محمود إلى إرسال من يعتذر للكيابزرك أميد عن تلك الحادثة ؛ لكن الأخير رد بطلب تسليمه قتلة الشهرستاني أو انتظار الثأر لهُ من السلطان محمود نفسه[2] . ويمكن الافتراض ان تلك كانت من تدبير السلطان لأنهُ لم يسعى للقبض على القتلة ومحاسبتهم ان لم يكن تسليمهم إلى بزرك أميد ، وكان لزاماً بعد ذلك ان تتأزم العلاقة بين الطرفين وهو ما دفع بالنزارية بعد أيام عدة إلى الحضور إلى أبواب قزوين فاغتالوا أربعمائة رجل وساقوا أمامهم ما استطاعوا من المواشي والأغنام[3] ، لكن الناس لحقوا بالمهاجمين فعاد هؤلاء واشتبكوا بملاحقيهم وقد

(*) مجد الدولة : بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري ، كان متشاغلاً بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها ، وكانت والدته هي التي تدير الدولة وتدبر أمور المملكة . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 170/8 ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون : 494/4 .

(1) الذهبي ، سير اعلام النبلاء : 492/17 .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 140 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 159 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا : 215-216 .

(3) رشيد الدين ، المصدر نفسه والصفحة ، كاشاني ، المصدر نفسه : 159-160 ، مير خواند ، المصدر نفسه والمجلد والصفحة .

صـرع أحد رجالهم[1] . ونتيجة لذلك العمل نفذ السـلطان السـلجوقي محمود والذي كان حاكماً على أصفهان نفذ حملة ضد قلعة الموت في سنة 524هــ/1129م حيث "ملك السـلطان قلعة الموت"[2] ، ولكن الروايات لم توضـح كيفية السـيطرة على تلك القلعة وهل سقطت بيده بصورة كاملة ولم يكن ليستطيع الاحتفاظ بها إلا لبعض الوقت وعاود النزارية الهجوم مرة أخرى على القوة التي سـيطرت على القلعة بقوة عسـكرية مقدارها ألف رجل وحين علم رجال السلاجقة بهم تركوا لهم القلعة بدون قتال .

لم يكن النزارية وهم في غمرة ذلك الصـراع ليتوانوا عن استخدام سـلاح الاغتيال ، لاستهداف الزعماء ورداً على تلك الحملات ففي سنة 521هـ/1126م ذكر ابن الأثير ان الباطنية قتلت معين الملك أبو النصـر بن الفضـل وزير السـلطان سـنجر[3] وكان اغتياله رداً على الحملات التي حرض عليها وقادها ضـدهم بعد حقبة من توقف القتال بين الطرفين . وكان رد سـنجر على مقتله ان جهز حملة قتلت من الإسـماعيلية عشـرة ألاف شخص كما أشرنا . ويبدو ان ذلك الوزير كان من المتحمسين لقتالهم والفتك بهم واستئصـالهم وكان من نتيجة ذلك التحريض ما ذُكر نقلاً عن الذهبي مقتل اثنى عشـر ألفاً من النزارية[4] ، وقد تكون تلك الأرقام ضـرباً من المبالغة في اعداد القتلى جرياً على عادة المؤرخين في تقدير الأعداد .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 256/9 .

(2) وقد ذكر عماد الدين الأصـفهاني انه في هذه السـنة خطب للسـلطان محمود بالموت مقر ملك الإسـماعيلية . ينظر : أبو عبد الله عماد الدين محمد بن صـفي الدين أبو الفرج (597هــ) ، البسـتان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، دراسـة وتحقيق : محمد علي الطعاني ، دار اليازوري العلمية ، الأردن ، د.ت : 341 ، ابن الأثير ، المصدر نفسه : 256/9 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 244/9 .

(4) تاريخ الإسلام : 6/36 .

لم يدم الهدوء طويلاً بين الطرفين بعد انســحاب الســلاجقة ففي ســنة 523هـ/1128م أو 524هـ/1129م قُتل محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت أبو بكر الخجندي وكان رئيساً للشافعية في مدينة أصبهان . "وثبت الباطنية عليه وفتكت به"[1] . وبينما اختلفت الروايات حول ســنة مقتله فابن كثير ذكر انها كان في ســنة 554هـ/1159م وانه توفى فجأة وكان لا يحسن الوعظ وإذا وعظ كانت حوله السيوف مسلولة وان حالهُ أشبه بالوزراء من العلماء"[2] بينما جعل ابن الأثير مقتله في سنة 552هـ/1157م وقد أحدث مقتله فتنة عظيمة بأصفهان قُتل فيها خلق كثير[3] . وربما يكون السبب مكانة الرجل والتي لا تخلو من عداء وتحريض ضد الإسماعيلية. ومع ذلك تبقى سنة مقتله من الأمور المختلف فيها .

- علاقة بزرك أوميد مع الخلافة الفاطمية :

فشل السلاجقة في القضاء على النزارية ، وبالمقابل فشل هؤلاء في القضاء على السلاجقة بصورة نهائية[4] ، رغم انهم – أي النزارية – انهكوا السلاجقة وقتلوا الكثير من زعمائها ، وكانت سياسة بزرك أميد قد أفلحت بالتوسع والاستيلاء على عدد من القلاع والحصون في روذبار وقوهستان[5] . ويبدو ان فن الاغتيال وما كان يتبعهُ من نتائج قد أصبح أمضى السيوف لردع الأعداء ، وقد تطور وأخذ أبعد المديات وتجاوز حدود بلاد المشرق وهو مؤشر لاتساع سلطان الحشيشية ونفوذهم وقد امتازت

---

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 16/36 .
(2) البداية والنهاية : 237/12 .
(3) الكامل في التاريخ : 419/9 .
(4) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 242 .
(5) المصدر نفسه ، والصفحة .

فترة بزرك أميد بان الاغتيالات أخذت تطال الخلفاء سواء الفاطميين أو العباسيين وهي إشارة إلى نوعية الاغتيال .

كان سبب العداء بين النزارية والمستعلية يعود بجوهره إلى أحقية الخلافة ، ومن ثم فقد نظر الحشاشين إلى خلافة المستعلي على انها اغتصاب لأحقية نزار ومع ذلك فقد انقضى عصر الحسن بن الصباح دون محاولة لاغتيال المستعلي ، أو التعرض لرموز الفاطميين وزعمائهم ولابد ان انشغال النزارية بتثبيت جذورهم في بلاد المشرق وتحصين قلاعهم وصراعهم مع السلاجقة ، مضافاً إلى النكبات كان لهُ الأثر في عدم توجه أنظارهم إلى ذلك الأمر .

على الرغم من محاولات نوه لها ابن ميسر بالقول "فلما ولى المأمون بلغه ان ابن الصباح والباطنية فرحوا لموت الأفضل وقتله ، وانهم قد امتدت أمالهم لقتل الآمر والمأمون معاً ، وانهم أرسلوا رسلاً لأصحابهم المقيمين بمصر ومعهم أموال للتفرقة عليهم"(1) ، وتوضح تلك الرواية وبلا شك عيون النزارية وأعوانها في مصر وخطرها فقد كان لهم بها جماعات كبيرة "حتى كان أستاذة أبناء الخليفة من النزارية. والأمراء في انه كان لمهارة الوزير البطائحي(*) في البحث عن النزارية أثره ... في اكتشاف أمرهم ، وإخفاقهم في مصر ، ولو نجحوا في تلك البلاد لازالوا نفوذ الدعوة القديمة ، منها كما أزالوه من فارس والشام"(2) .

---

(1) ابن ميسر ، أخبار مصر : 97/2 .

(*) البطائحي : المأمون وزير الامر محمد بن فاتك هو الوزير أبو عبد الله ابن أبي شجاع البطائحي استولى عليها لما وزره بعد الأفضل ابن أمير الجيوش وقبح سيرة الامر وأساءها ولما كثر ذلك منه قبض عليه الامر في شهر رمضان سنة تسعة عشر وخمس مائة واستصفى أمواله وقتله سنة 521هـ/1127م بظاهر القاهرة ، وقتل معه خمسة من اخوانه. ينظر للاستزادة : الصفدي ، الوافي بالوفيات : 222/4-223 .

(2) د. طه أحمد شرف ، دولة النزارية : 211 .

أفلحت إجراءات الوزير المأمون البطائحي والخليفة الأمر على ما يبدو في الحد بعض الشـيء من نشـاط النزارية في مصـر ، وقد تتبع المأمون كثيراً منهم وقتل منهم الكثير "وكان الباطني إذا خرج من الموت لا تزال أخباره تصـل إلى المأمون متعاقبة حتى يصـل بلبيس(*) فيمسـك به ويحمل إليه فيقتله"[1] ، وعلى الرغم من كل تلك الإجراءات يبدو ان المأمون البطائحي لم يكن مرتاحاً لنشـاط الحشـيشـية ولوجود تأبيد لهم داخل مصر نفسها وهو ما أتضح عند مخاطبته للآمر بأحكام الله قائلاً "قد كشفت الغطاء وفعلت ما لا يقدر أحد على فعله ، واما القصـر فما لي فيه حيلة ، ولوح للأمر ان أخت نزار وأولاده لا يمكنني كشف أمرهم"[2] .

وكاجراء لذلك – أي لاسـقاط حق نزار من الخلافة ولضـمان جانب تلك الأخت – فقد جلست أخت نزار في قاعة كبيرة بجانب الايوان بالقصر وعلى الباب ستر وعلى الستر أخوتها وبنو عمها وكبار الأستاذين وهي تقول "أشهدوا علي يا جماعة الحاضرين ، وبلغوا عني جماعة المسـلمين ان أخي شـقيقي نزار لم يكن لهُ إمامة وانني بريئة من إمامته جاحدة لها لاعنة لمن يعتقدها ، لما علمته من والدي وسـمعته من والدتي"[3] ونسـتطيع ان نقول ان هذه الرواية تحاول سـحب كل أسـباب التأييد عن أحقية نزار في الخلافة ولكن تشير ان تلك الإجراءات الرادعة من قبل الخلافة وملاحقة النزارية لم تكن

(*) بلبيس : بموحدتين أولهما مثلثة والأخرى بالفتح خاصـة بينهما لام وآخرها سـين مهملة شـرقي مصـر بينها وبين الفسـطاط أربعون ميلاً وتسـمى عند أهل الكتاب أرض جاشـر ولم تزل من المدن الكبار بحيث نزلها بعض ملوك الفرنج ولكنها أخذت عنوة بعد حصـار طويل وأخذت أسوارها بالتناقص وكان أهلها ميسورين وفيها البساتين التي تأخذ مياهاً من النيل . ينظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : 70/1 ، السخاوي ، البلدانيات : 113 وما بعدها.

(1) ابن ميسر ، أخبار مصر : 2/98–99 .

(2) المصدر نفسه : 98/2 .

(3) المصـدر نفسـه : 100/2 ، وينظر كذلك للاسـتزادة الرسـالة الموسـومة بالهداية الامرية ، ود. عمر المنعم ماجد ، ظهور الخلافة الفاطمية : 347 .

نافعة على الدوام ، وكإجراء احترازي من خطر الفداوية قام المأمون لتجنب نشاط هؤلاء المتزايد بإقامة إحصاء لمدينة القاهرة ، ولمن كان يسكن فيها شارعاً بشارع وحارة بحارة ، وكان القصـــــد منه هو تتبع أخبار الفداوية[1] ، ولم يكن أبداً ببعيد وجود جذور قوية للنزارية داخل مصر ولا من غير المستبعد ان الحشيشية كانت تراسل هؤلاء سراً أو عن طريق الحمام الزاجل كما هو متعارف عليه آنذاك . وعن ذلك التأييد وقوته يذكر ابن تغري بردي رواية بعد مقتل الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله والذي اغتالته الحشيشية .

إذ يقول "وكانت زوجته حاملاً – أي الآمر بأحكام الله – فانتظروا المولود فجاء بنتاً فتحولت الخلافة إلى الحافظ وانقطع النسل من الآمر وأولاده وهذا مذهب طائفة من شيعة المصريين فان الإمامة عندهم من المستنصر إلى نزار "[2] .

وكانت النزارية تسعى لاغتيال الاثنين الخليفة الآمر ووزيره المأمون البطائحي ، اما الأخير فقد قتل على يد الخليفة الآمر[3] . وكان ذلك سنة 519هـــــ/1125م[4] ، وبذلك تفرغ الحشاشين لتصفية الآمر بأحكام الله ، ويبدو أنهم أحسوا[*] بجسامة تلك

---

(1) الصنهاجي ، محمد بن علي بن حماد عيسى بن أبو بكر (ت628هــ/1230م) ، اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح : فوندر جيدن ، طبعة باريس ، سنة 1927 : 60 ، ابن الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت736هـ/1335م) ، كنز الدرر وجامع الغرر قسم الدرة المضية في اخبار الدولة الفاطمية ، تح : صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ، 1961م : 505/6 ، ابن ميسر ، أخبار مصر : 97/2-98 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 174/5 .

(3) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 299/5 ، الدواداري ، المصدر نفسه : 492/6-493 .

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 212 .

(*) ينظر في احترازات الآمر بأحكام الله بعد ان وصــل إليه الخبر ان النزارية قد عزموا العقد على اغتياله ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 128/3 وما بعدها .

المهمة ، وما يمكن ان ينتج عن اغتياله ، ولم يكن لهُ ولد يرثه، ورغم طول قصة اغتياله لكن من الضروري ربما سردها لما أحدثته فيما بعد من أثر سياسي هام .

توجهت إلى القاهرة مجموعة من الفدائيين مكونة من عشرة أشخاص واستفادوا من ضعف الإجراءات بعد موت البطائحي – وكان قبل ذلك قد وصل الخبر إلى مصر بأمر محاولة الاغتيال ، وما ان أحس هؤلاء ان السلطات في القاهرة تبحث عنهم حتى اتفقوا على قتل أحد منهم ورمي رأسهُ في طرقات المدينة ليعرفوا هل كشف أمرهم وكان صاحب هذا المقترح هو من بادر لذلك الفعل فقتل نفسه بان طعن نفسه بسكين فأخذ أصحابه الرأس ورموه في الليل بين القصرين وأصبحوا متفرقين ينظرون ما يجري في البلد بسبب الرأس فلما وجد الرأس اجتمع عليه الناس وأبصروه فلم يقل أحد منهم أعرفه فحمل إلى الوالي فأحضر الوالي عرفاء الأسواق وأرباب المعايش فلم يُعرف فأحضر أيضاً أصحاب الأربعاء والحارات ولم يُعرف ففرح التسعة بذلك ووثقوا بالبقاء بالقاهرة ، وكان الخليفة الآمر بأحكام الله من عادته إذا خرج كما عادة الخلفاء يشيعون الركوب في أرباب خدمتهم ويعلنون عن ذلك فعلم الحشيشية بذلك وكان الأمر قد شيع انهُ يريد الروضة[*] فجاء النزارية إلى الجزيرة قبالة الطالع من الجسر ودخلوا فرناً قبل مجيء الأمر ودفعوا إلى الفران دراهم وافرة ليعمل لهم بها فطيراً بسمن وعسل ففرح الفران وعمل لهم الفطير ولم يتموا أكلهم إذ طلع الخليفة الآمر من أخر الجسر وقد تفلل عنه الركابية ومن يصونه لحرج الجواز على الجسر لضيقه فلما قابلوه وثبوا عليه وثبة رجل واحد وضربوه بالسكاكين حتى ان واحداً منهم ركب وراءه فضربه عدة ضربات وأدركهم

(*) الروضة : أو جزيرة الروضة أنشأ بجوارها الآمر مكاناً لمحبوبته البدوية عرف بالهودج ، وذلك لما صعب عليها سكنى القصور وكان الآمر كثير التردد على ذلك المكان وكان موقعها بين مدينة مصر والجيزة . ينظر السيوطي ، عبد الرحمن بن أبو بكر بن محمد بن سابق الدين (ت911هـ/1505م) ، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1906م : 2/202-204 .

الناس فقتل التسعة وحمل الآمر في عشاري إلى قصر اللؤلؤة ، ومات هناك[1] ، ونهب سوق الجزيرة في ذلك اليوم[2] .

تسبب مقتل الخليفة الآمر بأحكام الله بمشكلة كبيرة للخلافة الفاطمية ، وقد كان لهُ نتائج في تغيير مسار الدعوة الإسماعيلية ، إذ حدثت أخطر خطوة استهدفت القضاء على الدولة الفاطمية والمذهب الإسماعيلي المستعلوي[3] ، حيث ان الآمر ، لم ينجب طفلاً يتولى أمر الدعوة أو الخلافة فانحاز الخليفة الآمر إلى ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد بن الأمير أبو القاسم بن الإمام المنتصر بالله[4] ، وبعد ذلك بسنتين استطاع الحافظ بمعاونة وزيره يانس[*] ان يجعل الخلافة في الحافظ ، وبذلك حدث انشقاق

---

(1) ابن الصيرفي ، علي بن منجب بن سليمان الصيرفي المصري (ت542هـ/1129م) ، الإشارة إلى من نال الوزارة ، تح : عبد الله مخلص ، طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية ، القاهرة ، 1936م : 49 ، ابن القطان ، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي أبو الحسن (ت628هـ/1230م) ، جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، ط2 ، تح : د. محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، تطون، 1964م : 231-232 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 130/3 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 184/5-185 .

(2) السيوطي ، حُسن المحاضرة : 204/2 .

(3) دخيل ، الاغتيالات السياسية في مصر : 186 .

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 228 ، ولو ان المقريزي يسوق رواية خلاف ذلك إذ يقول ان الآمر كان قد وِّلِد له ولد لكن الحافظ أخفى هذا المولود . ينظر للاستزادة ، ابن ميسر ، أخبار مصر : 109/2 ، المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 128/3 .

(*) يانس : علي السعيد أبو الفتح يانس الحافظي الارمني ، كان من غلمان الأفضل بن أمير الجيوش ومن العقلاء ، ولهُ هيبة وعنده تماسك في الأمور وحفظ القوانين فصلحت الأحوال واستقرت الخلافة في عهده للحافظ ، وكان الحافظ قد خلع عليه خلع الوزارة ، وقد دبر له الحافظ فيما بعد مكيدة وقتله فيها بعد ان تعاظم نفوذه وقتل من حاشية الخليفة بعض الوجوه البارزين . ينظر : المقريزي ، اتعاظ الحنفا : 144/3-145 .

ثالث في جذور الدعوة الإسماعيلية[1] ، وأصبحت هناك فرقتان للإسماعيلية في مصر فرقة مستعلية حافظية ومستعلية طيبية[2] . وقد اتخذ الطيبية من مدينة الاسكندرية[*] مقراً لهم ، وقد خرجت بلاد اليمن عن طاعة الحافظ وانتشرت فيها الدعوة الطيبية التي نادت بالإمام الطيب ولد الخليفة الآمر بأحكام الله والذي يُعتقد ان الحافظ تخلص منه[3] ، معتقدين ان الحافظ دخل دور الستر وان الأئمة المستترين من نسله إلى الآن ولا يعرف عنهم شيء أو حتى عن أسمائهم[4] ، وهو انقسام سياسي كسابقه . وبذلك أحدث ذلك الاغتيال شقاً كبيراً في الخلافة الفاطمية والدعوة الإسماعيلية ، ولم تلاقِ محاولات بعض الدعاة تبرير صحة إمامة الخليفة الحافظ في أكثر من مناسبة ، وتبعتها الكثير من الإشارات التي أدت بالخلافة الفاطمية إلى ضعفها وانهيارها ، وليس أقلها ما فعله ابن السلار الذي انشأ مدرسة للشافعية بالاسكندرية في عهد الخليفة الظافر الفاطمي سنة 546هـ/1151م[5] .

---

(1) جمال ، الاغتيالات السياسية في مصر : 187 .

(2) تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 33/4 (القسم الخاص بالنزارية) كذلك ينظر : فياض ، الطائفة الإسماعيلية جسر يربط الدين بالعقل : 161-162 .

(*) ذات المدينة التي انحاز إليها نزار .

(3) حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية : 176 .

(4) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 61 ، خضور ، موجز التاريخ الإسماعيلي : 18-21 .

(5) ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن أبو بكر (ت658هـ/1259م) ، المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، دار النشر ، دار صادر ، بيروت ، 1885م : 49 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 231/12 وص307 ، ولتفاصيل أكثر حول أثر ذلك على الفاطميين ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 416/3-419 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 203/15 ، ابن قاضي شهبة ، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت874هـ/1469م) ، طبقات الشافعية ، تح : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، 1986م : 7/2 .

ومنذ ذلك التاريخ أصـــبح تدخل الوزراء أمراً طبيعياً ، وضـــعف حال الخلافة الفاطمية ، وانصرف عنها الناس وزال سلطانها في بلدان خضعت لها كالشام والمغرب وبعض بلاد اليمن[1] .

- العلاقات بين الحشيشية ودويلات المشرق :

شـهدت العلاقة بين الحشـيشـية والسـلاجقة تطوراً أخر ، بعد موت السـلطان السـلجوقي محمود بصـورة فجائية[2] هاجم الحشـيشـية للمرة الثانية مدينة قزوين فسـلبوا ونهبوا وقتلوا من أفراد حاميتها التركمان مائة مقاتل وعشرين من سكانها وانسحبوا دون أذى ، وما ان تسلم السلطان مسعود عرش السلاجقة حتى اتصل به اتسز أمير خوارزم ، وكان ينوي مهاجمة الإسـماعيلية والقضـاء عليهم إذ كان يخشـى من قوتهم المتنامية وكان مركز الحشـيشـية آنذاك قوهسـتان المجاورة لبلاده خوارزم ، ولم يكن السـلطان مسـعود وهو في أول حكمه أقل رغبة في قتالهم ، وكبادرة حسـن نية من اتسـز اقطع السلطان مسعود أرضاً كانت تعود لبرنقش[*][3] . وقد دفع هذا الأمر بالأخير لأن يتجه إلى الإسماعيلية وغادر البلاد إلى الموت وزعيمها بزرك أميد ، وبعث بأهله إلى احدى قلاعهم ، ورغم العداء الشـــديد بين برنقش والإســـماعيلية ومجاهرته بعدائهم ، لكن الإســماعيلية قبلوا بضــيافته واســتقبلوه بحفاوة ، ولقد حاول اتســز التقرب منهم مقابل

---

(1) ابن أبي دينـار العريني ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاســم الرعيني القيرواني (ت نحو 1110هـ/1698م) ، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونسية ، تونس ، 1869م : 67-71 ، الهمداني ، الصــليحيون والحركة الفاطمية في اليمن : 212 وما بعدها .

(2) الحسيني ، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية : 195 .

(*) برنقش : برنقش الزكوي كان شـــحنة على بغداد . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 237/9 ، وكان أسمه بغاجق . ابن كثير ، البداية والنهاية : 200/12 .

(3) مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج216/4 .

تسليمهم برنقش إلا انهم رفضوا ذلك الأمر وكان هذا سبباً على ما يبدو مضافاً إلى ازدياد العداء بين الطرفين[1] . ورغم ان هناك من ذكر ان العداء بين برنقش والسلطان مسعود كان لسبب آخر[2] لكن سير الأحداث اثبت صحة الرواية الأولى ، وقد دفع ذلك العداء ببرنقش ومعه بعض الأمراء والأكابر إلى الرحيل إلى بروجرد واندلعت الحرب بين برنقش والسلطان مسعود والتي انتهت بنصر الأخير وهرب برنقش إلى بغداد ، ومن هناك أخذ يؤلب الخليفة العباسي المسترشد على السلطان مسعود وقد جر ذلك إلى مقتل الخليفة سنة 529هـ/1134[3] .

ويتضح من هذا ان دور النزارية ، لم يكن أكثر من استضافة برنقش وأسرته دون التدخل في الحرب بين الطرفين .

وكان بعد ذلك ان راقب النزارية سير الأحداث والصراع بين الأخوة – كان ذلك في سنة 526هـ/1131م – مسعود وطغرل ، ويبدو ان وزير السلطان طغرل وهو الدركزيني والذي كان إسماعيلياً وشارك فيما سبق بقتل شيركير وولده اللذان حاصرا قلعة الموت[4] ، كان عيناً للنزارية في نقل اخبار السلاجقة ، وكان بزرك أميد على ما يبدو قد لاحظ الفتور في العلاقة بين الخليفة العباسي المسترشد والسلطان طغرل[5] ، وقد ساهم الدركزيني في الإيقاع بين مسعود وطغرل وقائده الاتابك قراسنقر والذي دفع

---

(1) مير خواند : تاريخ روضة الصفا : مج216/4 .

(2) ينظر للاستزادة : الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 106-107 .

(3) المصدر نفسه : 107 .

(4) الحسيني ، زبدة التواريخ : 197-198 .

(5) عماد الدين الأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق : 150 ، الحسيني ، زبدة التواريخ : 200.

بالأخير لمواجهة مع السلطان مسعود ودفع بعد ذلك بطغرل إلى المواجهة مع مسعود فكانت الدائرة على طغرل وانتصر مسعود في تلك المعركة(1) .

يبدو ان الدركزيني حاول بعد ذلك ان يستثمر خسارة طغرل أمام مسعود وان يسعى بذلك ليعقد صفقة أو يقرب بين طغرل والإسماعيلية ، فقال السلطان طغرل للدركزيني "قد علمت انهُ ما تم علية هذا الخذلان إلا بسبب ظلمك للعباد ، فقال لا تقلق فقد سيرت إلى أهل الموت وأمرتهم بان يقتلوا اقسنقر وسائر أعدائك وهم فاعلون ، فقال لهُ السلطان طغرل الحمد لله الذي أبان فساد اعتقادك وجعلني غير مأثوم في قتلك : ثم أمر به فضرب وصلب"(2) .

دفع هذا الاعتراف بالسلطان طغرل لأن ينكل بالدرزكيني ويقتله "وقطع في الحال أرباً أرباً وطيف برأسه وبأعضائه في كل بلد عضو وكان قتله بأصفهان"(3) .

وتحقق ما قالهُ الدركزيني للسلطان طغرل ، حيث قفز الباطنية على اقسنقر في "خيمته بمرج قرابلولين(*) فقتلوه فهربت أجناده وتفرقوا عن الملك مسعود ولم يبق معهُ من يدبره وان كان في جمع"(4) .

---

(1) الحسيني ، زبدة التواريخ : 202-203 ، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 103-104، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 75/5 ، وللاستزادة حول تفاصيل دور الدركزيني وأثره في العلاقة بين طغرل والمحيطين به ينظر: عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 145-146 .

(2) الحسيني ، زبدة التواريخ : 203 ، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 103-104 ، ويروي عماد الدين الأصفهاني الرواية بشيء مغاير حيث يذكر ان الدركزيني قال لطغرل "لا تبالي ولا تخطر خطراً بالبال فاني قد ندبت جماعة من الحشيشية لقتل أعدائك وكأني بهم وقد تعجل قمعهم وتفلل جمعهم" ينظر : تاريخ دولة آل سلجوق : 155 .

(3) الحسيني ، زبدة التواريخ : 203 .

(*) مرج قرابلين: على مرحلة من همذان في جهة أصبهان. ينظر : الحموي ، معجم البلدان: 101/5.

(4) عماد الدين الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق : 155 ، الحسيني ، زبدة التواريخ : 203، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 104 .

هكذا تحقق بالاغتيال تشتيت الجيوش المنتصرة ولو ان الحشيشية لم يجنوا ثمرة ذلك العمل وكان الدركزيني قد تعجل ففضح ارتباطه بهم وخسر حياته دون مقابل .

ولم تكن العلاقة لتستمر مع سنجر الذي توجه سنة 528هـ/1133م بجيش من عساكره بقيادة ارغش لمحاصرة الموت وقد طالت مدة الحصار "وعدمت عندهم الأقوات فأصاب أهلها تشنج وعجز كثير منهم على القيام فضلاً عن القتال فلما ظهرت إمارات الفتح رحل الأمير ارغش فقيل أنهم حملوا مالاً كثيراً وأعلاقاً نفيسة فرحل عنهم"[1] .

وبالعودة إلى علاقات الحشيشية بما كان يجري بين السلطان مسعود وطغرلبك فمثلما اندس الحشيشية في معسكر طغرل ، كذلك اندسوا في معسكر السلطان مسعود ، وهو ما اثبتته الأحداث في حادثة اغتيال الخليفة العباسي المسترشد سنة 529هـ/1134م حين دخل المسترشد في الصراع بين السلاجقة واتخذ موقفاً معادياً لمسعود ، وقد وقع الخليفة أسيراً في يد مسعود بعد معركة بين الطرفين انحاز فيها قسم من جيش الخليفة إلى جانب السلطان مسعود[2] ، وقد أكرم الأخير أسيره الخليفة العباسي وضرب له "سرادق عظيم ونصب لهُ فيه قبة عظيمة"[3] ، وأراد مسعود ان يرسل الخليفة إلى بغداد بصحبة الحرس والجند "فصحب الجيش عشرة من الباطنية فلما وصل الجيش حملوا على الخليفة فقتلوه في خيمته وقطعوه قطعاً ولم يلحق الناس منه إلى الرسوم وقتلوا معهُ أصحابه منهم عبيد الله بن سكينة ثم أخذ أولئك الباطنية فأحرقوا ... وقيل أنهم كانوا مجهزين لقتله"[4] ، ويشير ابن الأثير إلى تفاصيل أوفى حيث يذكر

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 276/9 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 320/2 .

(3) ابن كثير ، البداية والنهاية : 208/12 .

(4) ابن كثير ، البداية والنهاية : 208/12 ، وباختلاف الروايات في عدد من قتله يقول صاحب العبر أنهم كانوا (17) نفراً . ينظر : الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 76/4 ، ابن العكري ، شذرات الذهب : 86/4 .

ان خيمة الخليفة كانت منفردة عن العسكر "وان الخليفة فارق من كان موكلاً به"[1] وان عدد الباطنية الذين هاجموه وفتكوا به كان يبلغ 24 رجلاً وكان مقتله على باب مراغة ودفنه أهلها[2] . تشير هذه الرواية إلى تواطؤ واضح في عملية الاغتيال تلك أو ربما ان الخليفة كان وسط معسكر للسلطان مسعود فاطمأن لوجوده بين جند يصطحبونه إلى بغداد . لكن رواية أخرى تشير في الوقت ذاته إلى ان أحد وجهاء قزوين توجه للمسترشد بقصيدة يمدحه فيها ويذكر نفوذ ونشاط الحشيشية الذين نعتهم بالملاحدة فيقول :

أتيناك مولانا وقزوين تشتكي مكائد مراق عن الدين ألحدو

ثووا في أعاليها مسرين دينهم وهم في نواحيها دعاة صيد

بنى في رواسيها على كل شامخ علوجهم حصناً منيعاً وشيدوا

وها نحن فارقنا ذراها على حوى بنا وبأهلينا وجئناك نشهد[3]

والقصيدة تحمل دلالتين الأولى النفوذ المتنامي للحشيشية وربما جعلت المسترشد يفكر بأمر الحشيشية أو غزوهم ولعل انشغاله بالخلافات أخفى ذلك الأمر.

على أية حال اختلفت الآراء في مقتل المسترشد حيث ذُكر ان مسعود هو من دبر قتله ودفع بالباطنية لذلك[4] ، اما الأصفهاني فيقول "فعرف بقرائن الأحوال ان سنجر[*] سير الباطنية لقتله .. وما أشنع وأفضع ما أقدم عليه من فعلة"[5] ، وربما

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 283/9 .

(2) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 630/3 .

(3) الرافعي ، التدوين في أخبار قزوين : 163/2 .

(4) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 265/2 ، الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد الداراني (ت764هـ/1365م) ، فوات الوفيات ، ط1 ، تح : علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م : 207/2 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء : 433 .

(*) ربما يكون سببه قطع الخطبة لسنجر في بغداد من قبل الخليفة المسترشد . ينظر : المقريزي ، السلوك : 143 .

(5) تاريخ دولة آل سلجوق : 162 .

يكون السبب مضافاً إلى موقف الحشيشية من الخلفاء العباسيين وقدوم المسترشد إلى بلاد المشرق ، ربما كان السبب المضاف هو خيبة الأمل التي أحس بها الحشيشية جراء البنود التي عقدت بين المسترشد والسلطان مسعود والتي كانت إلى جانب مسعود وزادت من قوته[1] ، وربما كان مسعود أحد ألد أعدائهم قد رجحت كفته بذلك الاغتيال فأرادوا ان يقلبوا الموازين ويضعفوه .

ولقد استقبل الإسماعيلية في الموت نبأ مقتل المسترشد بسرور وأقيمت الاحتفالات في القلعة مدة سبعة أيام بلياليها[2] . وبذلك وجه الحشيشية أعنف الضربات للخلافتين الفاطمية والعباسية .

- نظام الحكم في قلعة الموت بعد وفاة كيا بزرك أميد :

ما ان حلت سنة 532هـ/1137م حتى أحس بزرك أميد بدنو أجله ، وقبل وفاته بثلاثة أيام تعهد بالحكم من بعده لأبنه محمد وأوصاه ان يسير على مبادئ الحركة[3] ، ومنذ ذلك التاريخ وحتى سقوط دولة الإسماعيلية في بلاد المشرق – على يد المغول – أصبحت خلافة الحركة وراثية ، ورغم ان الحسن لم يتطرق إلى ان يكون الحكم في الحركة وراثياً ، فان ذلك الأمر حصل في عهد بزرك أميد ولو أنهُ اقتصر على إسماعيلية بلاد المشرق دون إسماعيلية بلاد الشام . وكان هذا التحول كما أشار أبو النصر أول معول لهدم كيان حركة الحشاشين والقضاء على سلطانها[4] . والحق فان

---

(1) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول : 354–355 .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 147 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 168 ، عكاوي ، الحشاشون : 163 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 322/2 ، حمد الله مستوفي ، تارخي كزيدة : 521–522 ، قزويني ، لب التواريخ : 512 .

(4) قلعة الموت : 154 .

جزءًا من تلك المقولة ربما يكون صحيحاً لأن الحركة استعاضت بالمفاضلة بين الأفضل والأكفاء من الدعاة بوريث يوضع للحكم بغض النظر عن إمكانياته .

ونلمس من ذلك ان الوريث الجديد لزعامة الحركة في تلك الحقبة كفؤاً لتلك المهمة وانهُ سار على نهج الحسن بن الصباح وأبيه "في المذهب ، في أحكام طريقته. كما انه كان يسعى إلى إقامة شعائر الإسلام والالتزام بالشريعة ، بناء على هذا المذهب"[1](*) .

شكل موت بزرك أميد على ما يبدو فرحاً كبيراً عند أعداء الإسماعيلية كما ذكر رشيد الدين "عندما مات بزرك أميد أصبح أعداؤهم فرحين ووقحين"[2] . ولكن الأيام بددت فرحة أولئك الأعداء وأثبتت ان خليفة بزرك أبنه محمد سائراً على طريق أسلافه ، وان لم يأتِ بجديد[3] .

علماً ان عهد الكيا بزرك أميد قد أمتاز بانهُ كان مهتماً بالدعاية للإمام النزاري[4] ، وقد دفع هذا الأمر بعض الناس إلى نسبة كثير من الأعمال إلى الإمام المهتدي الذي يعود بنسبه إلى الإمام الإسماعيلي نزار والذي تعتقد النزارية بانهُ أفلح في الوصول إلى الموت أو أحد أبنائه . وسجل عصره مقتل الكثير من أتباعه ممن اعتقدوا بإمامة أبنه محمد وطرد وعذب آخرين[5] . ونلاحظ ان محمد بن الكيابزرك كان غير راضٍ عن سلوك والده في توريثه الحكم ، ولذلك جمع الناس كإجراء في عدم توريثه هو الحكم

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 2/322-323 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج4/217 .

(*) لابد ان ذلك النص هو اعتراف من الجويني بنفي تهمة الإلحاد التي ألصقت بالإسماعيلية ، وهي توضح بجلاء صورة الإسماعيلية كاحدى الفرق الإسلامية .

(2) جامع التواريخ : 146 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 168 .

(3) عكاوي ، الحشاشون : 163 .

(4) المصدر نفسه والصفحة .

(5) عكاوي ، الحشاشون : 163 ، سعد رستم ، الفرق والمذاهب الإسلامية : 296 .

لأبنه الحســـن من بعده وخاطبهم قائلاً "ان حســـن هذا هو أبني ليس بالإمام بل أحد دعاته ، وكل من يصـــغي إلى كلام هؤلاء ويصـــدقهم فهو كافر مشـــرك" وعلى هذا الأســـاس عاقب من اعتقد بوراثة أبنه للحكم من بعده وقد قتل في ســـبيل ذلك 250 شـــخصـــاً في الموت وربط جثثهم على ظهور 250 آخرين ممن أدينوا بتهمة الدعاية لولده حسن فنشر الخوف بين أتباعه القائلين بخلافة ولده[1] .

ويبدو ذلك الأمر نوعاً من أنواع الدعاية بعدم توريث الحكم وقبول ذلك الأمر من قبل محمد بن بزرك أميد ، فقد انتقل الحكم إلى ابنه بعد وفاته ، علماً ان الكيا بزرك كان قد مهد للحكم الوراثي داخل قلعة الموت خلال حقبة حكمه الطويلة حتى تقبل الجميع تلك الفكرة وأخذوا يدعون لها داخل قلاع الدعوة .

سجل عهد الكيا محمد بن بزرك تطورات جديدة على صعيد الدعوة النزارية في الموت ، وقد عاصـــر عهده بحســـب اعتقادات مؤرخي النزارية الإمام النزاري محمد المهتدي بن علي بن الإمام نزار ، وكان مولده سنة 500هـــ/1106م في قلعة لامسر وأصبح إماماً للنزارية بعد وفاة أبيه سنة 530هـــ ، وقد انتقل بعد ذلك إلى الموت بعد تسلمه مهام الإمامة[2] .

وقد شـــهد عصـــر محمد بن بزرك اهتماماً بالدعوة والجيش داخل القلاع ، وبالأخص منظمة الفدائيين ، وقد أعيد تنظيم المدارس الإســـماعيلية داخل القلاع ، وأدخل الإمام النزاري المهتدي الجدل والمناقشة في الفلسفة والفقه والعقائد الإسلامية[3] .

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 324/2 ، رشـــيد الدين ، جامع التواريخ : 162 ، كاشـــاني ، زبدة التواريخ : 183 ، قزويني ، لب التواريخ : 215 .

(2) غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 254 .

(3) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 484 .

ويبدو ان تطور الحركة النزارية أخذ أشـــكالاً أخرى ، حيث نســـب إلى الإمام النزاري المهتدي براعته في تطوير نظام المكاتبة بين الدعاة وأعضـــاء الحركة بنظام الشفرة ، فكانوا يستخدمون الأعداد للدلالة على الحروف الأبجدية(1) ، وكان الإسماعيلية بشــكل عام قد برعوا في اســتخدام الشــفرة والرموز في مراســلاتهم(2) ، كما برعوا في اســتخدام الحمام الزاجل لنقل الأخبار بصــورة ســريعة لمعرفة ما يجري من أحداث(3) . وقد أحدث اهتمام الحشيشية بصورة عامة بالبريد في أغلب عصورهم وتحديداً في عصر محمد بن كيا بزرك أحدث تفوقاً كبير على خصومهم من السلاجقة فقد كان الحشيشية يسعون إلى تطوير ذلك النظام ، فيما أسقط السلاجقة العمل بنظام البريد ، رغم إلحاح نظام الملك في إعادته على نحو ما كان معمول به في الدول السابقة(4) . كما مر ذكره .

وقد أفلح النزارية في اســـتخدام هذا النظام ومنذ وقت مبكر – تحديداً منذ عهد السلطان السلجوقي محمد بن ملكشاه – حيث سيطر النزارية على الاخبار واستطاعوا ان يزيفوا الأخبار ويرسلوا المكاتبات التي كان من نتيجتها ان أخر السلطان محمد بن ملكشاه الهجوم على قلعة شاه دز مرتين(5) . ولا ينكر بالطبع دور الرموز في مراسلات الحشيشية والتي تطور العمل بها زمن محمد بن كيا بزرك أميد ، وكان فك تلك الرموز مناطاً بكبار الدعاة ممن تلقى على عاتقهم المهمات الجسـام(6) ، ولابد ان ذلك الإجراء

---

(1) د. الخشت ، حركة الحشاشين : 114 .

(2) ينظر للاستزادة ، الداعي جعفر بن منصور اليمن ، كتاب الكشف ، تحت عنوان الكتابة السرية ، من مقدمة الكتاب : ص يه إلى ص لح .

(3) د. الخشت ، المصدر نفسه : 194 .

(4) ينظر : عماد الدين الأصـفهاني ، تاريخ دولة آل سـلجوق : 62–63 ، رشـيد الدين ، جامع التواريخ : 122 ، العزاوي ، فرقة النزارية : 127 .

(5) العزاوي ، المصدر نفسه : 127 .

(6) نزار ، أسرار فرقة الحشاشين : 113 .

كان كإجراء احترازي لبقاء أسرار تلك الرسائل حصراً بيد القيادات في الدعوة النزارية . اما سرعة البريد عندهم فيكفي أنهم استخدموا الحمام الزاجل للمرة الأولى سنة 321هـ/933م في مراسلاتهم وكانوا من الأوائل في هذا المضمار [1] . وينقل لنا القزويني رواية مهمة عن سرية وخبرة النزارية في نقل الأخبار حيث يذكر ان صاحب قزوين أخذ قاصداً من الباطنية ومعه كتاب فلما فتحوا الكتاب كان أبيض – أي بلا كتابة – فأخبر الشيخ أبو محمد[*] عن ذلك ، فأمر ان يعرض على النار فلما عرضوه على النار ظهر عليه كتابة كتبوها إلى رجل من أهل قها[**] ، يطلبون منه الإبل والحمام ، "فقال الملك : الأشكال بعد بحاله لانهُ ليس بقها الإبل ولا الحمام ! فقال الشيخ أبو محمد : طلبوا القسي والنبال. فقيل له : من أين قلت ؟ فقال : أما سمعتم تشبيه الإبل بالقسي في قوله حوص كاشباح الحنايا ضمر[***] ، وتشبيه النبل بالحمام في قوله ، وإذا رمت ترمي تموّت طائر[2] ، وهكذا تبدو براعة النزارية في استخدام البريد فيما بين القلاع وداخل تنظيمات الدعوة .

ازدادت قوة الحشيشية بعد حوادث الاغتيال التي نفذت في عهد الكيا بزرك أميد ، وجنى ثمار تلك النجاحات ولده محمد ، وكان مقتل الخليفة المسترشد ربما زاد من نفوذهم أو مكانتهم حيث فرضوا الضرائب على قوافل التجارة بحجة حمايتها[3] ،

---

(1) ينظر في ذلك العزاوي ، عباس ، الرموز السرية ضمن مجلة الموسم العدد 69-70 لسنة 2008م: 176 .

(*) الشيخ أبو محمد : لم أجد لهُ تعريفاً ويبدو انه أحد وجهاء أو أعيان مدينة قزوين .

(**) قها : بالكسر والقصر قرية عظيمة بين الري وقزوين . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 417/4 .

(***) من قصيدة لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدي مطلعها :

اما تري رأسي حاكى لونهُ طرة صبح تحت أذيال الدُجى

يُنظر : المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي (ت421هـ1030م) ، الأمالي ، ط1 ، تح: د. يحيى الجبوري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1995م : 55-56 .

(2) القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد : 437-438 .

(3) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 80 .

واســـتمرت العلاقات المتأزمة مع الســـلاجقة ، ويبدو ان ذلك كان ســـببه ازدياد نفوذ السلاجقة وقوة مركزهم أكثر من ذي قبل في مناطق تواجدهم الرئيسـة[1]. ولم يكن عهد الكيا محمد بن بزرك ليخلو من الأحداث حيث سجل عهده أولى عمليات الاغتيال ضد الخليفة العباسي الراشد ابن المسترشد الذي قتل والده على أيديهم[2] ، وكان الراشد قد اختلف مع الســـلطان مســـعود الذي عمل على خلعه إذ بويع للخليفة المقتفي بن المستظهر (530-547هـ/1135م/1152م) ، ويبدو ان الراشد فكر في أخذ ثأر والده فارتحل إلى الري "فلما قرب من بلاد الباطنية ، وكانوا في غفلة عن وصوله فقتل منهم جماعة عظيمة ، ثم لم يزل تتقلب به الأحوال ، ويكابد الغربة والترحال إلى ان قتلته الباطنية على باب أصـــبهان ، وكانوا في خدمته بزي الخراســـانية ، فهجموا عليه في خيمته بعد العصـر ، وهو في أعقاب مرض فقتلوه وقيل انهُ كان مسـموماً ... فلما قتل صـــاح الناس ... فقتلوا الباطنية"[3] . وتثار الشـــكوك حول مقتل الراشـــد من بعد أبيه المسترشد والاثنان وقفا بوجه السلطان السلجوقي مسعود ، والذي كان متهماً في مقتل المسترشد وكذلك الراشد "وقيل ان الذين قتلوه كانوا جماعة منم الخراسانية كانوا بخدمته فوثبوا عليه وقتلوه بدسـيسـة من مسـعود[4] ، ولم يكن أبد ببعيد ان سـبب مقتله الأفعال التي رافقت مقدمه إلى بلاد المشرق" وكان معهُ جماعة فقسطوا على مراغة مالاً وعاثوا

---

(1) للاســتزادة ، ينظر : رشــيد الدين ، جامع التواريخ : 137-161 ، كاشــاني ، زبدة التواريخ : 172-199 .

(2) ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول : 355 .

(3) ابن ظافر ، جمال الدين أبو الحسن علي بن منصور ظافر بن حسين الأزدي (ت623هـــ/1226م)، أخبار الدول المنقطعة ، ط1 ، تح : د. عصام مصطفى هزايمة وآخرون ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن – أربد ، 1999م : 446-447 ، أبو شامة ، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان (ت665هـ/1266م) ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط1 ، تح : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1997م : 1/121-122 ، المقريزي ، السلوك : 1/145 ، القرماني، أحمد بن سنان بن يوسف بن أحمد (ت1019هـ/1610م) ، أخبار الدول وأثار الأول ، ط1، دراسة وتحقيق : د. أحمد حطيط ود. فهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، 1992م : 2/171-172 .

(4) ابن تغري بردي ، مورد اللطافة : 1/219-220 .

هناك ومضوا إلى همذان وأفسدوا بها وقتلوا جماعة وصلبوا آخرين وحلقوا لحى جماعة من العلماء ثم مضوا إلى أصبهان وحاصروها ونهبوا القرى ، ومرض الراشد بظاهر أصبهان مرضاً شديداً فدخل عليه جماعة من العجم وكانوا فراشين معه فقتلوه بالسكاكين ثم قتلوا كلهم"[1] . ولابد ان تلك التصرفات أثارت حنق وغضب الكثيرين ، فليس من المعقول ان يكون جميع هؤلاء هم من الإسماعيلية أو من الذين ساهموا بمقتل والده المسترشد . وغير بعيد ان تنقله في بلاد المشرق أثار مخاوف سلاطين السلاجقة وهو ما أشارت إليه الروايات "وظن أصحابه – أي أصحاب الراشد – انهُ يقصد السلطان سنجر إلى خراسان"[2] .

ويذكر ابن خلدون رواية حول جمع الراشد وكان معه الملك داود[*] ومعهم الأمراء[**] فلما وصلوا إلى خوزستان فملكوا فارس وساروا إلى العراق ومعهم خوارزم شاه[3] ، وكان الذي فرق جمعهم هو قدوم السلطان مسعود "فلما قاربوا الجزيرة خرج السلطان مسعود لمدافعتهم فافترقوا ومضى الملك داود إلى فارس وخوارزم شاه إلى بلاد وبقي الراشد وحده ..." [4] ، ونستطيع ان نقول ان الحشيشية قد قتلوا الراشد للأفعال التي ذُكرت وبإشارة من أحد سلاطين السلاجقة .

---

(1) ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن أبو الحسن بن علي (ت597هـ/1200م) ، تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير ، ط1 ، دار النشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، 1997م: 68، القلقشندي، مآثر الأناقة : 34/2 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء : 436.

(2) ابن ظافر ، أخبار الدول المنقطعة : 446 .

(*) الملك داود : ابن السلطان محمود السلجوقي وقد اغتالته الباطنية كذلك غيلة في تبريز . ينظر : الحسيني ، زبدة التواريخ : 219 .

(**) منهم البقش السلامي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر الخمار تكين شحنه همذات . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 296/9 .

(3) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 634/3 .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 306/9 ، ابن خلدون ، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

ولقد ترك مقتل الراشـــد الكثير من الأحداث "وعظم أمر هذه الفتنة واختلفت الأحوال والمواسم وانقطعت كسوة الكعبة في هذه السنة من دار الخلافة من السلاطين حتى قام بكسوتها تاجر فارسي من المترددين إلى الهند ... وكثر الهرج من العيارين ، حتى ركب زعماؤهم الخيول وجمعوا الجموع وتســتر الوالي ببغداد بلباس ابن أخيه ســراويل الفتوة عن زعيمهم ليدخل في جملتهم"[1] . وقد انتقلت بمقتل الراشـــد بعض الرموز الدينية إلى الخليفة الجديد المقتفي الذي نصب من قبل السلطان مسعود وكانت تلك الرموز بعهدة الراشد – وهما البردة والقضيب – وقد بقيا بحوزته حتى قتل[2] . اما عساكره التي كانت معهُ والتي تجمعت من بغداد لمهاجمة الإسماعيلية فقد تفرقت عنه بمقتله ، وقد استولى الذعر على الخلفاء العباسيين واثروا الاعتزال في قصورهم على الظهور للعامة وزادوا في إجراءاتهم لحماية أنفسهم ، وقد سعى الإسماعيلية لمد نفوذهم بعيداً في بلاد الشـــام[3] ، واســتطاعوا ان ينتزعوا حصـــناً من أحد مماليك بني منقذ أصحاب شيرز في سنة 535هـ/1140م وكان لهم ذلك موقعاً ومقراً[4] . وربما كان ذلك بتخطيط الكيا محمد للتوسع بعيداً في بلاد الشام حين سجل عهده أيضاً وصول رجل

---

(1) ابن خلدون ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 317/9 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء : 437 .

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 273–274 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 48 .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 322/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : 217–218 .
Von Hammer : The Hist of the Assassin , p. 89 .
ينظر للاستزادة أسامة بن منقذ ، مؤيد الدولة أبو مظفر إسامة بن مرشد الكناني الشيرازي (ت584هـ/1188م) ، كتاب الاعتبار ، حرره : فيليب حتي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت : 159 وما بعدها ، ولو ان ابن منقذ يجعل ذلك في سنة 530هـ/1135م ويخصص لذلك عنواناً هو "الإسماعيلية تهاجم شيراز" ويذكر أيضاً المعارك والحروب بين الإسماعيلية وآل منقذ والتي تعود بزمنها إلى سنة (503هـ/1109م) . ينظر : ص77 و116 .

عربي من العراق عرف فيما بعد باسم (سنان راشد الدين) وعين داعية في سورية ، وأرسله إلى هناك من أمر تعيينه خلفاً لأبي محمد المينقي ممهوراً بخاتم الإمامة[1] .

كما أثار مقتل الراشد الفرح عند الإسماعيلية النزارية ولو ان الراشد كان قد خلع من خلافته ، لكن قتالهُ إياهم جعله عدواً ، ربما وضع في قائمة من يجب التخلص منهم . وقد حققوا بتلك العملية مقتل خليفتين[*] من العباسيين ، واحتفل بمقتله بأسبوع من الفرح في الموت[2] .

وفي سنة 541هـ/1146م قتل السلطان مسعود حاكم الري عباس السلجوقي، وقد كان عباس هذا من غلمان السلطان محمود ، ويبدو انهُ كان من ألد أعداء[*] الحشيشية ، وذكر ابن الأثير انهُ "كان كثير الجهاد للباطنية ، قتل منهم خلقاً كثيراً وبنى من رؤوسهم منارة بالري وحصر قلعة الموت ودخل إلى قرية من قراهم فألقى فيها النار فأحرق من فيها من رجل وامرأة وصبي وغير ذلك"[3] والنص يشير إلى أعداد الإسماعيلية الكبيرة ، ولأجل ذلك كان عباس هذا شديد الاحتراس واليقظة من انتقامهم

---

(1) غالب، سنان راشد الدين : 106-109 ، حسام خضور ، موجز التاريخ الإسماعيلية : 24.

(*) وقد سبق مقتل الراشد والمسترشد ، اغتيال الخليفة المقتدر بالله سنة 320هـ/932م ، من قبل الإسماعيلية . ينظر : ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 253/1 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 74/7 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 168/11-169 .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 146 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 168 .

(*) وسبب هذا العداء ان الحشيشية كانوا قد قتلوا سيده جوهر والذي عين من قبل السلطان سنجر ، وقد تنكر الحشيشية – مجموعة منهم – بزي النساء واستغثن به فوقف بسمع كلامهم فقتلوه وكان مقتله سبباً لأن يتقوى عباس صاحب الري ، وهو أحد مماليكه بعسكره . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 315/9 ، الحسيني ، زبدة التواريخ : 218 ، وكان مقتل جوهر هذا وبالاً على الحشيشية ، حيث أندفع لتصفيتهم وقتلهم بحجة مقتل جوهر ، وازداد نفوذه بتلك الطريقة . ينظر : الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 113 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 344/9 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 146 ، كاشاني، المصدر نفسه : 168 ، وللاستزادة ينظر : ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 392-393 .

حتى كان لا يفارقه درعه عند التنقل ، ويُذكر ان أحد الواعظين حاول التقرب منه ورمى بنفسه عليه ، فضربه أصحابه ومنعوه خوفاً لأنهُ كان شديد الاحتراس من الباطنية"[1] .

لم تكن علاقة الحشيشية على وتيرة واحدة مع جميع سلاطين السلاجقة ، يذهب المستشرق لويس مثلاً إلى ان سنجر والحشيشية كانوا على وفاق مع بعضهم ، مستدلاً في ان سنجر قدم خدمات للحشاشين ، وان تلك الخدمات تمثلت في أحد أوجهها بقتل ألد أعداء الحشيشية[2] . رغم ان الطرفين اقتتلا وتعاديا لأوقات طويلة. وربما يكون ذلك الرأي صحيحاً ، لكن كثيراً من الأحداث اثبتت ان الحشيشية قاموا باغتيال ألد أعداء مسعود رغم ان هذا قام بالتنكيل بهم وهذا ربما يعود إلى ان الحشيشية اعتبروا الجميع أعداء لهم ، فكانوا يقاتلون من تسمح الفرصة بقتالهِ .

على أية حال ، توسعت دولة الموت ، وأخذت تمد نفوذها وربما كان بين تزايد نفوذ الحشيشية وعقيدتهم السرية التي تلقن للمستجيبين أثرهُ في زيادة تفرد زعمائهم بالسلطة[3] . وهو نوع جديد طرأ على النظام السياسي في الموت .

ويبدو لنا ان المقصود هنا هو تغير نظام الحكم في الحركة حيث أصبح وراثياً ومعتمداً على أواصر القرابة أكثر من اعتماده على عوامل أخرى .

اما عن محاولات السلطان سنجر فقد جمع المعلومات عن الإسماعيلية وعقيدتهم ، فأوفد إلى قلعة الموت من يقوم بتلك المهمة ، عله يكشف بعضاً مما خفي

---

(1) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 344/9 .

(2) لويس ، الحشيشية : 84 . والمقصود هنا عباس حاكم الري الذي مر ذكره ، وان مقتله كان عند زيارته إلى بغداد وتم بناءًا على امر من السلطان مسعود وبطلب من السلطان سنجر وقد أرسل رأسه إلى قلعة الموت . ينظر : رشيد الدين ، المصدر نفسه : 155 ، كاشاني ، المصدر نفسه : 192 ، ابن الأثير : 344/9 . وهي إشارة وبلا شك لاتفاقات ومتعاهدات بين الطرفين الحشيشية والسلاجقة لكنها لم تكن على وتيرة واحدة .

(3) مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : 217-218 .

عليه ، وكان رد هؤلاء – أي الحشـــيشـــية – نؤمن بالله ووحدانيته ونعتبر من الحكمة الحق كل ما يتفق مع كلام وأحاديث رسوله ونحافظ عليهما كما وردت في القرآن الكريم وكتب الحديث ونؤمن فوق ذلك بكل ما جاء به الرســـول من آيات الخلق واليوم الآخر والثواب والعقاب والبعث والحسـاب واننا نتمسـك بهذه العقائد ولا نسـمح لأحد ان يبدي رأيه في أوامر الله – أو أن يبدل فيهما حرفاً ، تلك هي القواعد الأسـاسـية لعقيدة فرقتنا، فاذا لم يجب السـلطان عن هذه فليرســل من يناظرنا في عقيدتنا[1] . وهكذا أفصـــح الحشيشية بالقواعد العامة للحركة والتي هي بأصولها تشابه قواعد أغلب فرق الإسلامية . وتمثل تلك الرواية وبلا شـك محاولات السـلاجقة اختراق سـرية الحياة داخل قلاع الدعوة في بلاد المشرق .

وبأي حال فقد سـار كيا محمد على خطى والده وزعيم الحركة الحسـن[2] ، وان لم يكن كفواً كســـابقيه[3] وكانت دولة النزارية في عهده قد توطدت وربما جنت ثمار نضال من سبقوه فكانت للدولة النزارية مسكوكاتها الخاصة وقيادتها المركزية في الموت ، وكانت أراضـي النزاريين منفصلة الواحدة عن الأخرى بمسافات طويلة، حيث امتدت من سوريا إلى فارس الشرقية ، وزادت توسعاً في عهد الكيا محمد بن بزرك، مما جعل الاتصالات مع الموت صعبة للغاية ولأجل ذلك وضعت كل بقعة من أراضيهم تحت أمرة داع للدعاة يتم تعينه من الموت[4] . وتطور حال قيادة تلك الحصون والقلاع حيث انيطت مسؤولية قيادة القلاع الرئيسة والحصون إلى داع رفيع المستوى (الداعي الكبير)

---

(1) المصدر نفسه والصفحة .

(2) جمال الدين ، دولة الإسماعيلية في ايران : 183 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 2/322-323 .

(4) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيلية : 246-247 .

، كانت تعمل تحت أمرته شبكة من الدعاة المحليين في البلدان والقرى وقد حافظ هؤلاء جميعهم على نظام من الاتصالات المنتظمة فيما بينهم[1] .

لكن تلك الانجازات كانت بحسب ما أشار إليه لويس صغيرة مقارنة بأيام الحسن بن الصباح مستدلاً بذلك بعدد الاغتيالات التي نفذها الحشيشية والتي سجلت أربعة عشر اغتيالاً ، معللاً ان سبب ذلك كان انشغال الإسماعيلية المتزايد بالمشاكل المحلية والإقليمية وقد احتلت هذه الأمور مكان الصدارة في التاريخ الإسماعيلي ، ونادراً ما ورد ذكر المسائل الكبرى للسلطنة ، وهناك عوضاً عنها روايات عن أحوال الصراعات المحلية مع الحكام المجاورين حليت بقوائم الأبقار والأغنام والحمير ، وأسلاب أخرى جرى الاستيلاء عليها وكانت غاراتهم مستمرة بين رودبار وقزوين[2] .

ومع ذلك ومع كل تلك الصراعات المحلية فقد حافظ النزاريون على تماسك رائع لدولتهم تمثل في استقرار مدهش ، ربما كان منذ استقلالهم عن الفاطميين ، محتفظين باستقلالهم وسط الدول المعادية لهم[3] . وربما يمكن تفسير قلة عمليات الاغتيال زمن كيا محمد بن بزرك وتقلص نشاط الحركة في حرب السلاجقة تحول القلاع الجبارة والتي كانت نقاط انطلاق للهجوم على مدن وقرى المناوئين ، تحولها إلى أسواق تجارية يؤمها كبار التجار[4] ، وربما يمكن الاستدلال على ذلك من السجلات التي وصلت عن تلك الحقبة التي أظهرت اهتماماً من زعمائها بالتجارة والزراعة وبعض ألوان الصناعة ، ولا سيما صناعة سك العملة الخاصة بهم ، وكان اهتمامهم حسب ذلك قد

---

(1) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 74 . وللاستزادة ينظر : موسى ، الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية : 102 .

(2) لويس ، الحشيشية : 227 ، دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 591 .

(3) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 247 .

(4) د. الخشت ، حركة الحشاشين : 117 . وللاستزادة كذلك ينظر : رشيد الدين ، جامع التواريخ : 160 .

درج على الأمور الحياتية – الدنيوية – أكثر من أي شـــيء أخر ، وتراجع مقابل ذلك الأمل العظيم والكفاح الدموي من أجل القضـاء على الحكومات القائمة وإنشـاء حكومة بزعامة الإمام الإسماعيلي النزاري[1] .

اما قضـــية الاغتيالات فلم تتوقف وان كانت قد تراجعت عن ســـابقتها حيث سجلت سنة 538هـــ/1143م اغتيال الملك السلجوقي داود بن السلطان محمود "بأيدي الباطنية غيلة بتبريز"[2] .

وهناك من يشـير إلى ان اغتياله كان من قبل زنكي حاكم الموصـل ، وانهُ هو الذي أرسلهم ، وكان السبب وراء ذلك ان داود توسع في ولايته نحو سورية ، وخشي ان يعزله الســـلطان داود[3] . وفي نفس الوقت فقد كان داود أحد أطراف الصـــراع الذي تحالف مع الخليفة الراشد ضد السلطان مسعود وقد اغتيل الراشد على أيدي الحشيشية مثلما اغتيل الملك داود ، وحفظت قوائم الاغتيالات أســماء أخرى منهم أمير في بلاط السلطان سنجر ، وأمير من آل شاه خوارزم وأحد الحكام في جورجيا ومازندارين[*][4] ، وكان ضـمن قوائم الاغتيال تلك بعض القضـاة مثل قاضـي همذان وقاضـي قهستان ،

---

(1) د. الخشت ، المصدر نفسه والصفحة .

(2) الحسيني ، زبدة التواريخ : 219 ، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 114 .

(3) عكاوي ، الحشاشون : 164 .

(*) مازندران : بعد الزاي والنون ساكنة ودال مهملة اسم لولاية طبرستان وربما يكون الاسم محدثاً لأن الحموي يذكر انهُ لم يشـــاهد هذا الاســـم في كتب الأوائل ، معجم البلدان : 41/5 ، القلقشندي ، صبح الاعشى : 386/4 .

(4) رشـــيد الدين ، جامع التواريخ : 146 ، كاشـــاني ، زبدة التواريخ : 168–169 ، عكاوي ، الحشاشون : 164 .

وقاضـــي تفليس(**)[1] ، ويبدو ان الســبب في اغتيال هؤلاء هو الفتاوى التي صــدرت منهم ضد الحشيشية والتي تقضي بوجوب أو جواز إعدامهم[2] . وقد سجلت سنين حكم الكيا محمد بن بزرك عدة حملات من قبل حاكم طبرستان الأصفهيد شاه غازي رستم على الحشيشية ، وكان زعيمهم هناك رجل باوندي يدعى أبو جعفر فطارده شاه رستم حتى قتله "ولم يكن يعطي الأمان لكل من يعلم انهُ من الإســـماعيلية ، وقتل كل أهل كيلسيان وزنكيان(*) وركونه لأنهم قالوا أنهم سوف يفسحون الطريق أمام الإسماعيلية"[3] ، وتبين تلك الرواية نفوذ الحشيشية المتزايد ، وهو ما يفسر لنا حملات العنف والإبادة ضدهم ، ولم يكن ليفوت الحشيشية فرصة لتدبير اغتيال رستم شاه الذي وضع نفسه في خانة الأعداء لكن المحاولة باءت بالفشل ونجا منها وقتل من قاموا بتلك المحاولة[4] ، ولم يكن الأمر لينتهي عند هذا الحد وإنما استطاعت مجموعة من الحشيشية النجاح في التسلل إلى بلاط شاه رستم بزي مهرجين واستطاعوا طعنه بالحربة في كتفه حتى خرجت من الجانب الآخر ، ونجا منها مرة ثانية[5] .

(**) تفليس : مدينة على نهر الكر ولها سوران من طين وهي كثيرة الخصب أسعارها رخيصة يكثر بها العسل والسمن وأهلها أهل مروءات . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 825/2.

(1) رشيد الدين ، المصدر نفسه : 162 ، كاشاني ، المصدر نفسه : 183 .

(2) د. الخشت ، الحشاشين : 118 ، السعداوي ، الحشاشين : 45 ، عكاوي ، المصدر نفسه : 369 .

(*) زنكيان : يبدو انها زنجان لأن العجم يقولون زنكان بالكاف وهو بلد كبير مشـــهور من نواحي الجبل بين أذربيجان وبينها وهي قريبة من أبهر وقزوين . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 152/3 .

(3) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 369/2 .

(4) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

(5) المصدر نفسه : 70/2 .

وفي سنة 549هـ/1154م استغل الحشيشية انشغال السلاجقة وحروبهم مع الغز ، فحشـــدوا جيشـــاً كبيراً بلغت عدته ســـبعة ألاف رجل ، ما بين فارس وراجل وكانوا يقصـدون خراسـان مسـتغلين اشـتغال عسـكرها بالغز وكان منطلقهم من مدينة قهسـتان فقصـدوا أعمال خواف(**) وما يجاورها فلقيهم الأمير فرخشـاه بن محمود الكاسـاني في جماعة من حشـمه وأصـحابه فعلم انهُ لا طاقة لهم بجيش الإسـماعيلية ، فأرسـل يطلب المدد من الأمير محمد بن انز وكان من أكابر أمراء خراســـان فتحرك الأخير بجيشـــه وطالت الحرب بين الطرفين وانهزم الإســـماعيلية وكثر القتل والأســـر في جيشـــهم[1] وتتضـح حالة التنظيم في صـفوف الحشـيشـية من خلال هذه الرواية وبالإمكان تفسـير خســـارتهم بســـبب اعتيادهم على التحصـــن بالقلاع فاختاروا ان يكونوا مدافعين لا مهاجمين ، وفي سـنة 551هـــ/1156م في شـوال قصـد الإسـماعيلية طبس بخراسـان فأوقعوا بها وقعة عظيمة وأسروا جماعة من أعيان السلاجقة ، ونهبوا أولادهم ودوابهم[2] ، ويبدو ان تلك الحملة جاءت انتقاماً لخسارتهم قبل سنة واحدة من ذلك التاريخ .

ولم يكن الحشـيشـية بعيدين عن الصـراعات التي كانت في المشـرق الإسـلامي حيث دخلوا طرفاً في الصـراعات بين حكام وأمراء طبرسـتان ، يذكر ان بهرام(*) مضـى من امل إلى الري للقاء الإســـماعيلية ، وأغراهم بالأموال والســـلطة مقابل قتل حاكم

(**) خواف : بفتح أوله وأخره فاء ، قصـبة كبيرة من اعمال نيسـابور بخراسـان يتصـل أحد جانبيها ببوشـــنج من أعمال هراة والآخر بزوزن ويشـــتمل على مائتي قرية وفيها ثلاث مدن ســـنجان وسـيراوند وخرجرد وينسـب إليها جماعة من أهل العلم والأدب . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 399/2 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 339/9 ، د. عصـام الدين عبد الرؤوف ، الدول الإسـلامية المستقلة : 236 .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 411/9 .

(*) بهرام : بن شـهريار أخ الاصـفهيد علاء الدولة وهما من ال باوند أحد الحكام المحليين في بلاد المشرق . ينظر : ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 307/2-344 .

طبرستان الاصفهبد علاء الدولة فرفضوا طلبه[1] ، والرواية توضح ان الحشيشية لم يكونوا قتلة مأجورين ولم يدخلوا كأشرار لتصفية من لا يعتقدون انهُ يشكل تهديداً لوجودهم .

سجلت حوادث سنة 545هـ/1150م استيلاء الإسماعيلية وتغلبهم على طريثيث ، حتى ان حاكمها أظهر موافقتهم وعندما حاول علاء الدين محمود بن مسعود وهو ولد حاكم طريثيث أعادتها إلى سلطة السلاجقة لكن لم يفلح حتى اضطر السلطان سنجر إلى إرسال حملة بقيادة الأمير قجق[*] في طائفة من عسكر سنجر فاغار على المدينة ونهب وخرب وسبى وأحرق المساكن ، ويبدو ان حملته كانت من القسوة ما دفع ابن الأثير إلى القول بانه "فعل بهم أفاعيل عظيمة"[2] . وهي رواية تمثل النفوذ المتنامي للحشيشية والذي أخذ يتحول من السيطرة على القلاع إلى السيطرة على المدن بصورة واضحة .

ولم يكن السلاجقة وحدهم ليتصدوا لنفوذ الحشيشية حيث ان الاصفهبد شاه غازي حاكم طبرستان والموالي للسلاجقة قام بعدة حملات على قلعة الموت ، وكان سبب تلك الحملات على ما يبدو هو مقتل ابنه كرده بازو على يد الحشيشية ، ويبدو ان الشكوك حامت حول سنجر في تدبير تلك المحاولة وكان شاه غازي هو من اتهمه[3] .

---

(1) ابن اسفنديار ، المصدر نفسه : 370 . ينظر كذلك المرعشي ، سيد ظهير الدين بن سيد نصير الدين (ت بعد سنة 881هـ/1476م) ، تاريخ طبرستان ورويان ومازندران ، باهتمام برنهارد داران ، مطبعة دار السلطنة ، بطربورغ ، 1885م : 218-219 .

(*) لم أجد له تعريفاً .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/367-368 و371 .

(3) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 2/387-388 .

وتلك الإشارات ربما دفعت البعض للافتراض بان الحشيشية تعاونوا مع سنجر في بعض الأحيان[1](**) . اما عن طبيعة تلك الحملات التي وجهت نحو الموت فكانت من القسوة والشدة ما جعلت الحشيشية يلازمون قلعة الموت وربما القلاع الأخرى ويمكن القول انها كانت سبباً من أسباب قلة عمليات الاغتيال المنفذة من قبل الحشيشية ، وقد علل ابن الأثير ذلك بقوله : "وليس خافياً ان الله عز وجل جعل قتل الكفار والملاحدة سبباً في نجاة المؤمنين والمسلمين"[2] ، وقد سجلت حوادث الحصار تلك ان وقع البعض منهم أسرى بيد صاحب طبرستان الذي باع أسراهم كعبيد في الأسواق وسبى النساء ، وكنتيجة لردة الفعل تلك هاجم الحشيشية قوافل الحجاج ، ويبدو ان الهدف من ذلك العمل هو ايصال رسالة إلى جميع أقطار المسلمين عن تلك الأعمال التي قام بها شاه غازي "وكانت مصيبة عظيمة عمت بلاد الإسلام وخصت خراسان ولم يبق بلد إلا وفيه مأتم"[3] .

ومع ذلك تبدو المبالغة – على الرغم من قوة تلك الحملات – واضحة في نقل الروايات حول تجريد الإسماعيلية الحشيشية من نفوذهم "وفيما عدا الموت لم يبق تحت تصرفهم في كل بلاد "الديلم" شبر عن أرض"[4] ، على الرغم من جسامة الأموال التي صرفت وقوة تلك الحملات والتي ربما أبقت الحشيشية معزولين داخل قلاعهم إلى حد ما[5] . وما يدل على ذلك ما حدث في سنة 555هـ/1160م إذ كانت قد شهدت ازدياد نفوذ الحشيشية ، حتى وصل إلى مدينة غزنة ، حيث استطاع أحد دعاتهم كسب الكثير من الاتباع وقد تنبه لذلك سيف الدين محمد ابن الملك علاء الدين الحسين بن الحسن الغوري،

---

(1) وفي ذلك كان الجويني قد ذكر انهُ رأى مناشير ومراسيم متعددة لسنجار في مكتبة الموت وفيها يظهر انهُ حاول كسب ودهم وصداقتهم ويعلق الجويني على تلك المناشير بعد اطلاعه عليها "فأدركت منها سلامة طلب السلطان مع كثير من الاغماض والاغضاء" . فاتح العالم : 319/2 .

(**) وقد مرت الإشارة لذلك .

(2) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 387/2-388 ، ابن الأثير ، الكامل : 417/9 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 417/9 .

(4) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 388/2 .

(5) ينظر للاستزادة ، المصدر نفسه : 402/2-403 .

الذي ملك غزنة بعد وفاة أبيه علاء الدين فتنبه لذلك وأخرجهم من الديار جميعها ولم يبق فيها منهم أحد(1)(*) .

وفي سنة 557هـ/1161م توفي محمد بن بزرك أميد(2) ، ليخلف بعده أبنهُ الحسن .

المبحث الثاني

خلفاء الحسن بن الصباح بعد حادثة اعلان القيامة

- الحسن الثاني بن محمد بن بزرك أميد (557هـ-561هـ/1161م-1165م) :

كان الحسن قد خلف أبوه بعد وفاته جرياً على نظام الحركة التي وضع في عهد كيا بزرك أميد(*) ، وكان الحسن ذو شخصية قوية أثرت في مجرى الأحداث وقد أشار الجويني عند حديثه على عهد الحسن قائلاً : "وتابع حديث الدعوة إلى المذهب الصباحي والزاماته حتى بلغ فيه حد البراعة"(3) . كان الحسن ذو مقدرة بلاغية وخطابية كبيرة أثرت في النفوس ووقعت موقعاً عظيماً حتى أبدى عامة الناس إعجابهم بها"(4) ولم تقع في بداية عهد حكمه أحداثاً عسكرية وسياسية . سوى انهُ امتاز بالتساهل في

---

(1) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 448/9 .

(*) والحقيقة ان الدعوة الإسماعيلية في غزنة (أو غزنين) قديمة تعود بتاريخها إلى زمن الفاطميين وقد أشار لذلك أبو المعالي قائلاً : "كان في غزنين أحد هؤلاء ويسمى محمد أديب، كان داعي الفاطميين وقد أضل أناساً لا حصر لهم في المدن والقرى" . ينظر : محمد الحسيني العلوي (ت485هـ/1092م) ، بيان الأديان ، تصحيح : عباس اقبال ، ترجمه عن الفارسية : د. يحيى الخشاب ، منشور ضمن مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة ، عدد خاص في ذكرى المرحوم الأستاذ عبد الوهاب عزام ، لسنة 1960م : 43-44 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 323/2 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزبدة : 522 ، القزويني ، لب التواريخ : 316 ، ولو ان الأخير يذكر سنة وفاته في 557هـ .

(*) وكان قد نص عليه ولياً لعهده من بعده . ينظر : مستوفي ، حمد الله ، تاريخ زيدة : 522 .

(3) فاتح العالم : 323/2 .

(4) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 166-167 ، القزويني ، لب التواريخ : 216 .

بعض الأمور التي تخص الشريعة وتطبيقها الصارم كما كان متعارفاً عليه[1] . وقد بدأ حكمهُ بالتسامح وإطلاق سراح عدد من الأسرى من الري وقزوين وكان قد عمل في نهاية حكم أبيه محمد على توجيه أنظار جماعته إليه وتوجيه عواطفهم وميولهم نحو شخصه ولقد نجح في ذلك نجاحاً ولاشك ان ذلك كان يعود لما ذُكر عن مقدرته[2] .

وتتضح أكثر براعته من خلال ما ذكر عن كتابته لكتاب الفصول للحسن بن الصباح وانهُ كان يكتب الفصول على قدر استعداد العقول أي انهُ كان يكتب لكل طائفة على قدر ما تتحمل عقولها في هذا المعنى[3] . وبهذه الإمكانيات العلمية والفكرية يمكننا تصور شخصية الحسن وتأثيرهُ في نفوس أتباعهِ .

حاول الحشيشية منذ وصول الحسن بن محمد من الاستيلاء على خراسان ، ويبدو ان ما أغراهم لذلك هو انشغال حاكمها طغانشاه بن مؤيد والذي كان مشغولاً باللهو والمحرمات والشراب والمتع[4] ، وقد دفعهم ذلك لتشكيل عدة مجاميع من الفدائيين لاغتيال الرؤوس البارزة في خراسان ومنها طغانشاه وشرف الملك سرخسي وقوام كهين وقوام مهين وعمر ديوانه[*] . والذين يبدو أنهم كانوا من الوجهاء أو أصحاب النفوذ – وقد قتل اثنان من هؤلاء وقبض على أحد المنفذين فأبلغ عن زملائه فقبض على بعض وفر الآخرون وكان التخطيط لتلك العملية في نيسابور ، ولو انها فشلت في اغتيال جميع المقصودين ، وقد دفعت هذه الحوادث إلى ان يقود طغانشاه

---

(1) رشيد الدين ، المصدر نفسه ، والصفحة ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج219/4 .

(2) العزاوي ، دولة النزارية : 194-195 .

(3) العزاوي ، دولة النزارية : 195 . ينظر كذلك الحسن بن الصباح ، الفصول الأربعة ، منشور ضمن أيدلوجيا الارهاب الفدائي للدكتورة سميرة بن عمو : 81 وما بعدها. وللاستزادة كذلك ينظر : الجويني ، فاتح العالم : 323/2 ، مير خواند ، روضة الصفا : مج218/4 .

(4) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 446/2 .

(*) ولم أعثر لهؤلاء الأشخاص على ترجمة .

حملة عسكرية ضد ترشيزوتون(**) وقاين(***) وانزال الدمار بأهل تلك الديار "حتى شيد المنائر من جماجم الملاحدة"[1] ، ومن المرجح ان هذه الحوادث وقعت بعد سنة واحدة أو أكثر بقليل من حكم حسن بن محمد .

يبدو ان فترة الفتور أو حتى التراجع عن أيام الحسن بن الصباح وما أعقبها لم يكن يوازي ما تحقق أيام الحسن وكان هناك من لا يزال يحن إلى أيام الحسن بن الصباح وقد وجد بعض هؤلاء ضالتهم بالحسن بن محمد الذي بعث على نشر تعاليم الحسن بن الصباح ، وكان متفوقاً في عرض العقيدة[2] .

وكانت هذه المعلومات عن الحسن بن محمد متضاربة ففي الوقت الذي أشار الجويني انهُ كان سائراً في إقامة شعائر الإسلام والالتزام بالشريعة[3] ، يذكر ابن الأثير ان الحسن لما توفي والده أظهر التوبة "وأعاد هو ومن معه الصلوات وصيام شهر رمضان وأرسلوا إلى قزوين يطلبون من يصلي بهم ويعلمهم حدود الإسلام فأرسلوا إليهم"[4] ، وربما يكون ابن الأثير وقع في التباس عن شخص الحسن بن محمد حيث ان أغلب الروايات تقف منه موقفاً حاداً لما سنذكر من أسباب .

(**) ترشيزوتون : يبدو أنها طريثيث ويقال لها بالعجمية ترشيز . ينظر : السمعاني ، الأنساب: 65/4 ، وقد مر تعريف قرية طريثيث .

(***) قاين : بعد الألف ياء مثناة من تحت وأخره نون بلد قريب من طبس بين نيسابور واصبهان نسب إليها خلق كثير من أهل العلم وقاين قصبة قوهستان وهي صغيرة ومعاشهم قليل إلا ان عليهم حصن منيع وبينها وبين نيسابور تسع مراحل ومن قاين إلى هراة ثمان مراحل . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 462/1-463 ، الحموي ، معجم البلدان : 301/4 .

(1) ابن اسفنديار ، تاريخ طبرستان : 446 .

(2) رحاب عكاوي ، الحشاشون : 165-166 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 323/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : 217 .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 459/9 .

ولم يكن عصر الحسن بن محمد رغم قصر مدته خالياً من الأحداث ففي سنة 559هـ/1163م أغار محمد بن انز على الإسماعيلية في خراسان "فقتل منهم وغنم وأسر وأكثر وملأ أصحابه أيديهم من ذلك"[1] .

وبعدها بسنة أي في سنة 560هـ/1164م بنى الإسماعيلية قلعة بقزوين ، وقد اقتتلوا مع أهلها[2] . ولم يكن أبداً ببعيد اهتمام النزارية بقزوين لحديث عندهم نقلوه عن الإمام علي (عليه السلام) ونقل عن النبي { ρ } انهُ قال : {قزوين باب من أبواب الجنة}[*][3] .

- حادثة إعلان القيامة :

كان أهم ما يميز فترة الحسن بن محمد هو ما سمي بحادثة اعلان القيامة أمام كل الأتباع المجتمعين في قلعة الموت[4] .

---

(1) المصدر نفسه : 475/9 .

(2) المصدر نفسه : 478/9 .

(*) للتفاصيل حول ذلك الحديث ينظر : الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت360هـ/970م) ، مسند الشاميين ، ط1 ، تح : حمدي بن عبد المجيد ، دار النشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م : 380/4 ، الرافعي ، التدوين في أخبار قزوين : 16/1 و19، المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسان الدين الهندي (ت957هـ/1567م) ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ط1 ، تح : محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م : 131/12 ، المجلسي ، بحار الأنوار : 229/57 .

(3) كتاب سبعة فصول لسيدنا منشور ضمن كتاب آل – موت أيدلوجيا الارهاب الفدائي : 118، عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين : 1092–1093 .

(4) سبعة فصول لسيدنا : 82 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 166 ، كاشاني ، زبدة التواريخ: 168 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ زيدة : 523، قزويني ، لب التواريخ : 216 ، الخشت ، حركة الحشاشين : 119 .

وقد أثارت حادثة اعلان القيامة كثير من التفسيرات بين المؤرخين ، وقد فسرها النزارية بانها تعني تولي الإمامة من الإمام النزاري حسـن علي بن الإمام القاهر بن محمد بن علي بن نزار ، الذي كان توليه بعد وفاه أبيه أي سنة 557هـ/1161م وقيل بل سنة 552هـ/1157م[1] . ولم يكن بالطبع وفي أي حال ان تلك الحادثة وان اختُلف فيها من غير جذور في أساس الفكر الإسماعيلي ، حيث تحدث السجستاني قديماً عن ارتقاء الروح والعقل بالتعلم من عالم إلى آخر من عوالم العرفان والإدراك ووصـف ذلك الارتقاء بانهُ "القيامة الصـغرى" . وذكر ان قيامة الفرد الكبرى هي خلاص روحه عند موته الجسـماني إلى الوجود الروحاني الخالص[2] . ويعتبر الفاطميون القيامة العامة تأمل مرتقب لا يحدث إلا بعد اجتماع كل ناطق "أو رسـول" بكافة النطقاء في المقام الأفضـل وانتظام الكافة باجتماع الأشـرف الأكمل (أي قائم القيامة) فحينئذ تقوم به القيامة الكبرى[3] . وربما يعتمد الفكر النزاري على مقدمات فاطمية بخصـوص القيامة[4] ولو ان الآراء تباينت حول ذلك . فهناك من يذكر ان الاحتفالات اسـتمرت لعشـرة أيام – في الموت – ووزع خلالها الإمام المنح والعطايا للفقراء والبائسـين من أبناء الإسماعيلية ونظراً لتلك الاحتفالات فقد سميت أو سمي ذلك اليوم "بعيد القيامة" وقد جاءت التهاني من جميع القلاع والحصون[5] . ويُذكر ان أعلان القيامة كان اعلاناً

---

(1) غالب ، اعلام الإسماعيلية : 229 .

(2) السجستاني ، أبو يعقوب إسحاق بن أحمد دندان (ت القرن الرابع الهجري) ، كشف المحجوب، نشره كورين، طبعة طهران، 1941م: 83 ، العزاوي ، دولة النزارية : 227.

(3) الوليد ، علي بن محمد الوليد (ت612هـ/1215م) ، جلاء العقول وزبدة المحصول ، ضمن كتاب منتخبات إسماعيلية، تح: د. عادل العوا، مطبعة الجامعة السورية، دمشق، 1958م: 138 وما بعدها.

(4) العزاوي ، دولة النزارية : 217 .

(5) غالب ، اعلام الإسماعيلية : 229 .

روحياً الهدف منهُ هو تقدم الإسماعيليين الروحي وسموهم في مجال المعرفة[1] . أو انهُ كان يعني مجيء إسلام روحاني خالص متحرر من كل ذهن تشريعي ومن كل عبودية للفرائض والقوانين فهو دين شـــخصـــي للقيامة التي هي ولادة روحانية لأنها تجعل الإنسان ينكشف ويعيش المعنى الروحاني للإيحاءات الإلهية[2] .

وهنـاك من يجعـل ذلـك اليوم يوم لقـاء قـائـدهم وعودة إمـامهم للظهور "في هذا التاريخ التقى القائد الرابع للدولة والدعوة النزارية ، حســـن ، الذي أخذت المصـــادر الإسماعيلية تشير إليه دائماً باسم حسن على ذكره السلام"[3] .

وعن ما جرى في ذلك اليوم ذكر لنا الجويني تفاصـــيل أوفى مشـــيراً إلى ان الحسـن بن محمد التزم ومنذ جلوسـه على عرش أبيه بمسـخ الشـريعة الإسـلامية التي نادى بها الحسـن الصـباح[*][4] ، وان ذلك اليوم صـادف في شـهر رمضـان من سـنة 559هـ/1163م وفيها أمر الحسن ان يضعوا منبراً في قاعدة الموت يحولونه عن القبلة التي كان عليها التي هي على القاعدة الإســـلامية ثم دعا أهالي ولايته في الســـابع عشر[**] من رمضـان إلى الاجتماع في ذلك الميدان ونصـب أربعة أعلام كبيرة بأربعة

---

(1) تامر ، تاريخ الإســـماعيلية : 95/4 ، ســـميرة بن عمو ، أيدلوجيا الارهاب الفدائي: 181 وما بعدها .

(2) د. الخشت ، حركة الحشاشين : 119 .

(3) حمد الله مستوفي، تاريخ كزيدة: 523، ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 74.

(*) ومرة أخرى يقع الجويني بالتضارب في نقله للروايات فهو هنا يُقر بان الحسن بن الصباح كان مؤمناً ، وهو الذي نعته بالإلحاد والكفر والخروج عن ملة الإسلام .

(4) الجويني، فاتح العالم : 324/2 ، جامع التواريخ : 166 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 168.

(**) يصادف ذكر استشهاد الإمام علي {عليه السلام} .

ألوان وهي الأبيض والأحمر والأخضر والأصفر(***) . وضعت على أطرف المنبر الأربعة[1] . وكان من ألقى الخطبة والتي ألقيت باللغة العربية وان رجلاً أخر كان يترجم عن العربية للفارسية إلى الحضور الموجودين وكان مضمونها ان الحسن بن محمد بن بزرك خليفتنا وحجتنا وداعيتنا ونحن مستجيبون لكل ما يأمرنا به من أمور الدين والدنيا "حكمه محكم وقوله مطاع ، ولتعلموا ان مولانا لفيهم(*) سيهبنا رحمته وسيرفعها إلى الذات العليا"[2] .

على الرغم من ان أحد المصادر النزارية روت حادثة القيامة تلك بشي من الاختلاف إذ تذكر ان حسن بن بزرك أميد نزل من القلعة عند الظهر مرتدياً رداء أبيض وعمامة بيضاء واقترب من المنبر من جانبه الأيمن وارتقاه تفوه بالسلام ثلاث مرات أولاً للديلمية ثم للذين كانوا على اليمين وعلى اليسار ، ثم اتكأ وتكلم بصوت مرتفع موجهاً خطابه إلى سكان الأكوان من أنس وجن وملائكة وأعلن ان رسالة جاءته من الإمام المستتر مع دليل جديد ثم قال : ان إمام وقتنا قد أرسل إليكم مباركته ورحمته وسماكم عباده المختارين ولقد عفاكم من تكاليف الشريعة ، وأتى بكم إلى القيامة"[3] .

(***) يرمز البياض إلى أهل السنة والسواد إلى الشيعة الإمامية والأحمر إلى الخوارج والخرمية وبعض الفرق ذات الصلة بالإسماعيلية والأخضر إلى أهل البيت (عليهم السلام) بصفة عامة، أما الأصفر فيرمز إلى الفاطميين . ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى : 247/13 .

(1) الجويني ، فاتح العالم : 324/2-325 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : 218-219 ، قزويني ، لب التواريخ : 216 .

(*) اصطلاح معناه تراب بفيهم . ينظر : الأزهري ، تهذيب اللغة : 238/6-239 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 324/2-325 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 167 .

(3) مؤلف مجهول ، كلام بير ، نشر فلاديمير ايفانوف ، بومباي ، 1955م : 115 . وقد نسب الكتاب خطأً إلى ناصر خسرو والأصح ان مؤلفه مجهول . ينظر : ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 75 ، العزاوي ، دولة النزارية : 187-188 .

ثم أعلن بعدها تسمية الحسن خليفة وحجة وداعية وأمرهم بالالتزام بكلمته وأوامره "وليعلموا ان كلمته هي كلمتنا"[1] . ثم نزل عن المنبر وصلى ركعتين صلاة العيد ثم دعا الناس إلى الإفطار "وبعد ذلك أمر أصحاب الملاهي ومعهم وسائل المناهي ليسرّوا الفؤاد احتفالاً بالأعياد وقال اليوم عيد"[2] .

وقد أرسل إلى قهستان في قلعة مؤمناباد[**] وزعميها المظفر[***] ، وجرى الاحتفال هناك على غرار ما تم في قلعة الموت ويبدو ان أعلان القيامة في الموت قد أحدث شرخاً بين الإسماعيلية أنفسهم وهذا ما ذكره الجويني قائلاً : "أنقسم جميع الملاحدة ... إلى فئتين في عدد الآباء بين هذا الحسن ونزار ، يذكرونهم بألقابهم من غير أسماء ... "[3] ، ويتضح من هذا ان الاختلاف شمل الأئمة من نسل نزار .

تعد حادثة إعلان القيامة واحدة من أكبر الجوانب تاريخياً عند الإسماعيلية النزارية فقد امتازت بالغموض ، وربما أسيء فهمها لعدم وجود أي روايات معاصرة لها ، لا في المصادر الإسماعيلية ولا في غيرها من تلك الحقبة[4] . ورغم ذلك فان من ذكر الحدث لم يخبرنا كيف استقبل النزارية هذه الحادثة في رودبار وقوهستان وفي أمكنة أخرى ، ولم يكن الجويني وهو الذي عرف بعدائه لهم ليذكر حادثة إباحية واحدة عند النزارية في ذلك اليوم أو في تلك الحقبة[5] . وهو ما أشارت إليه بعض الروايات

---

(1) المصدرين أعلاهما نفس الصفحات .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 326/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 167 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج219/4-200 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 523 .

(**) مؤمناباد : سنأتي على ذكرها والإشارة إليها .

(***) لم أجد لهُ تعريفاً ولعله أحد زعماء قلعة مؤمناباد المحليين .

(3) فاتح العالم : 331/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 169 ، الخشت ، حركة الحشاشين: 120 .

(4) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 75 .

(5) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 252 .

في ان أعلان القيامة كان يعني التحلل من القيود الشـــرعية وإباحية النســـاء[1]. لكن الجويني لم يكن ليترك الحادثة تمر دون ان يذكر علاقة الإسماعيلية بالفلسفة مرة أخرى "وسر هذه الدعوة شر كلها ، لأنهم أسسوها على قواعد فلاسفة العالم ، فالزمان لا متناه ، وروحانيته معادة ، وأولوا الجنة وجهنم ، وقالوا على أساس هذا : القيامة ستكون حين يبلغ الخلق الخالق وتنكشـــف حقائق الناس وبواطنهم وترتفع أعمال طاعتهم لأن عالم الدنيا كله عمل ولا حســـاب ، اما الآخرة فكلها حســـاب ولا عمل ، فهذه هي الروحانية وتلك هي القيامة التي تنتظرها الملل والأديان جميعاً ... فعلى جميعهم ، في مرحلة القيامة ان يتجهوا نحو خالقهم ، ويتركوا الشريعة والعبادات بكل فرائضها مؤقتاً"[2] .

وهناك من يشير إلى ان إطلاق لقب الملاحدة ، كان قد تزامن مع اعلان القيامة وانها دفعت بالفقهاء لنعتهم ووصـفهم بالملاحدة[3] . والحقيقة ان تسمية الملاحدة كانت قد سبقت تلك الحادثة ، ولا أدل من ذلك ان أغلب من كتبوا عن الحشيشية – أو حتى الإسماعيلية – كانوا قد نعتوهم بذلك الوصف ومنذ عهد الحسن بن الصباح[4] . أو قبل

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 326/2–327 ، رشيد الدين ، المصدر نفسه : 168 ، كاشاني، زبدة التواريخ : 188 وما بعدها ، قزويني ، لب التواريخ : 216 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 332/2 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 523–524 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج219/4–220 .

(3) ينظر في ذلك الألوســـي ، شـــهاب الدين الســـيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش (ت1270هـ/1853م) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار النشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت : 7/1 ، حيث ينقل نصــاً يقول فيه ان الباطنية والملاحدة توصـلوا إلى نفي الشريعة بالكلية ، ينظر كذلك : دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القيصر ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2012م : 35–38 ، Von Hammer : The Hist of Assassins , p. 106-109 .

(4) ينظر : دي ساسي ، دراسة في سلالة الحشاشين : 206–207 .

ذلك التاريخ[1] ، وربما ان ذلك الأمر دعا الحسن بن الصباح لاطلاق تسمية "مؤمن اباد" على مقره والتي كانت تعني بلدة المؤمنين[2] . ولم يكن غريباً ، وذلك ان روايات الفقهاء غالباً ما قرنت بين الفلاسفة والملاحدة باعتبارهم في صف واحد[3] . وكانت رؤية الحشيشية وحسب تفسيرهم الباطني بأنهم الجماعة الوحيدة من المؤمنين الحقيقيين التي تعترف بإمام الزمان الصحيح أنهم هم من كانوا قادرين على فهم الحقيقة الروحانية والمعنى الصحيح لجميع الأديان[4] . وقد نتج عن إعلان القيامة ان وجد النزارية أنفسهم كافة إمام إسلام روحاني صرف مجرد من كل التزام بالشريعة والروح التشريعية[5] ، وفي الحقيقة فان هذا هو ما أشارت إليه معظم الروايات التي نقلها القدامى رغم ان المستشرق لويس يشير إلى ان معظم كتاب التواريخ من العلماء لم يذكروا موضوع

(1) ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبو بكر بن سعد بن جرير أبو عبد الله الدمشقي (ت751هـ/1350م) ، المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ط2 ، تح : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، 1982م : 153 .

(2) بروان ، تاريخ الأدب في إيران : 577 ، وفي الحقيقة فان الحسن لم يطلق تلك التسمية على مقره وإنما كانت المنطقة الجبلية بين بيرجند وطبس ومسينان تسمى مؤمناباد ومازال أسمها كما هو . الجويني ، فاتح العالم : 311/2 ، وقد وقع الجويني بنفس الخطأ حيث أدعى ان الحسن بن محمد هو من دعى المنطقة بمؤمناباد . ينظر : المصدر نفسه : 327/2، وكذلك راجع حمد الله مستوفي ، نزهة القلوب : 179 .

(3) بدر الدين العيني ، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (ت855هـ/1451م) ، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث ، بيروت ، د.ت : 46/1 ، وكذلك راجع حول نصير الدين الطوسي وهو من الإسماعيلية وقد برع بالفلسفة وكان يوصف بانهُ "وزيراً للملاحدة" . ابن مفلح ، برهان الدين بن محمد بن عبد الله (ت884هـ/1479م) ، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، ط1 ، تح : د. عبد الرحمن بن سليمان ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1989م : 120/2 .

(4) دفتري ، خرافات الحشاشين : 154-155 .

(5) سميرة بن عمو ، ال – موت أيدلوجيا الارهاب الفدائي : 181 .

إعلان القيامة[1] . لكننا نجد لذلك صـــدى عند الجويني وبعض مؤرخي التاريخ من الإيرانيين .

أصبح النزارية يطلقون على يوم (17) من رمضان من كل سنة بـ(عيد القيامة) [2] ويطلقون على الحسن بن محمد بن بزرك أميد تسمية "قائم القيامة"[*] وعلى دعوته بالقيامة .

ولقد أوقع الخوض بإعلان القيامة الكثير من الباحثين وقبلهم بالكثير من التناقضات ويبدو ان ذلك كان من عدم معرفة هؤلاء لتلك الحادثة أي (اعلان القيامة). ويبدو ان الشهرستاني كان قد أشار لذلك الأمر وقبل ان تعلن القيامة في الموت "وكما تحركت الأفلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشـــخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصـي في كل زمان دائراً على سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع"[3] .

ولم يكن بالطبع ان الشهرستاني قد استوحى فكرة نسخ الشريعة ووضعها ضمن عقائد الإســـماعيلية بناءًا على ما حصـــل زمن الحســـن بن محمد بن بزرك لأن الشهرستاني كان قد توفي قبل ذلك الحدث وقد كان القصد منهُ – أي اعلان القيامة – هو الســيطرة على زمام الأمور في قلعة الموت ، وقد جعلت الحســن خليفة في كل

---

(1) لويس ، الحشيشية الاغتيال الطقوسي : 233 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 333/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 169 .

(*) يرى لويس ان القائم شخصية متحكمة في الحياة الأخرى عند الإسماعيلية وانهُ أي الحسن أدعى انهُ إمام الزمان وابن إمام سالف من سلالة نزار ولم يكن حسن يدعي بذلك الأبوة الجسدية وإنما الأبوة الروحية لأن الجسد قد توقف في عصر القيامة ولم يعد لهُ أهميته . ينظر : لويس ، الحشيشية الاغتيال الطقوسي : 232 ، وللاستزادة ينظر : لويس ، أصول الإسماعيلية : 115-133 . وقد يوصلنا افتراض لويس ذلك إلى محاولة حسن بن محمد جعل كافة السلطات الدينية والدنيوية بيده . وهو أمر قد يوحي إلى حد ما حالة الضعف والوهن التي بدأت عند الحشيشية وربما تفسر أيضاً حنين البعض إلى أيام الحسن بن الصباح والتي أشار إليها لويس .

(3) الشهرستاني ، الملل والنحل : 194/1 .

الأماكن التي كانت تحت سلطة الحشيشية ، ولم يكن مجرد داع كما كان أسلافه في الموت[1] . ولم يكن أكثر من ظهور الحقيقة المكشوفة في شخص الإمام الإسماعيلي النزاري فهي قيامة روحانية محضة حصرياً للنزاريين[*] ، أينما وجدوا ولكن ربما تشابهت في بعض جوانبها مع الصوفية الذين يرتقون إلى مستوى الوجود الروحاني والتنقل على طول سراط روحاني من الظاهر إلى الباطن ومن الشريعة إلى الطريقة أي من التفسير الحرفي للتنزيل إلى فهم جوهره الروحاني المتمثل في الحقائق الخالدة[2] .

وقد أصبح ونتيجة لأهميته ذلك الحدث تقسيم تاريخ النزارية في الموت يخضع لذلك الحدث حيث وضع حكام الموت الثلاثة الحسن وبزرك ومحمد بن بزرك تحت قائمة حكام ديلمان ، اما من جاء بعدهم أي الحسن بن محمد فوضع تحت تسمية أئمة القيامة[3] ، وقد أدخل اعلان القيامة الحشيشية النزارية في متاهات عقائدية ، أنقسم على أثرها في ذلك بين متقبل ورافض لذلك الأمر ، وقد دفع ذلك الأمر بالحسن لاستخدام سياسة تعسفية لفرض تعاليمه[4] ، وكان نتيجة ذلك خطأ الحسن بن محمد خطأً فادحاً باعلانه القيامة لأسباب ليس أقلها متمثلاً في قوة الإمام الغير المنظور ووقعها على النفوس كونها أشد وأقوى من قوة الإمام المنظور[5] ، وربما يكون ذلك سراً من أسرار نجاح الحسن الصباح وتفوقه بعد انشقاقه عن الفاطميين وهو تحويل الطاعة

---

(1) عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين : 1089/2 .

(*) ربما يكون هذا الرأي في حصر القيامة بالنزاريين فقط فيه بعض المجانبة للواقع فالرايات التي رفعها الحسن بن محمد كانت ترمز إلى كافة المسلمين بمذاهبهم وتوجهاتهم وهي ربما رسالة مفادها ان سلطة الحشيشية وصلت أو ستصل إلى كل هؤلاء .

(2) دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 249-250 .

(3) عبد الرحمن بدوي ، مذاهب الإسلاميين : 1058/2 .

(4) ينظر في ذلك الجويني ، فاتح العالم : 332/2-333 ، د. فاروق عمر ود. مرتضى النقيب، تاريخ إيران : 194 .

(5) أبو النصر ، قلعة الموت : 154 .

إلى إمام خفي هو نزار بن المستنصر "مما حرر الدعوة المكبلة فبعثها من هجعتها"[1] ، وربما كان من نتائج اعلان القيامة ان حدثت نهضة في الأنشطة الفكرية والأدبية للإسماعيلية النزارية ، وكان ما آثارها أو ما تسبب بها هو عقيدة "القيامة" ، وكان المفكر الأبرز بعد ذلك هو نصير الدين الطوسي الذي صنف عدداً من الرسائل حول العقائد الإسماعيلية النزارية[2] .

- مقتل الحسن بن محمد ونهاية حكمه في الموت :

شهدت قلعة الموت لأول مرة في تاريخها السياسي قتل حاكمها بعد توليه سلطة الحكم ، وكان منفذ تلك العملية هو صهره حسين ناماور والذي كان بويهياً وذكر الجويني حول حسين ناماور انهُ كان من "جملة من كان يخاف الله ومازالت بقايا حب الإيمان عالقة في قلبه ... أصله من بقايا آل بويه من ولاية الديالمة ... فطعن الحسن المظل يوم الأحد السادس من ربيع الأول سنة احدى وستين وخمسمئة في قلعة لمسر بخنجر"[3] ، وقد شاع خبر مقتل الحسن في الآفاق وأدى إلى تغيرات على مستوى وضع خلفاء الحسن ، كان أبرزها ما أتخذه خليفة الحسن أبنهُ محمد الذي كان يرتدي

---

(1) لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة : 78 ، كوربان ، الافلوطينية والتوحيد الإسماعيلي : 189 . وفي الحقيقة فان تلك الآراء تبقى قابلة للبحث والمناقشة ، فالإمام النزاري وشخصيته كان على الدوام مثاراً للجدل والنقاش ، وحول أي من الشخصيات قد أفلح بالوصول إلى قلعة الموت من أولاد نزار ان كان نزار هو الذي أفلح بالوصول بنفسه .

(2) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 79 ، رغم ان هذا الرأي لا يؤيده الأستاذ مقلد مستنداً إلى عدم وصول ما يمكن الاستناد عليه خلال فترة وجود الطوسي في الموت لكن هذا الأمر لا يعني عدم تأثر الطوسي بالنزارية بالذات بعد حادثة إعلان القيامة . ينظر : النبوة والإمامة عند نصير الدين الطوسي : 75-78 . وكذلك الفصل الأخير من الدراسة .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 333/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 169 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 191 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 222 .

الدرع خشـــية حتى من ولده[1] وقد فتح مقتل الحســـن على ما يبدو الباب واســـعاً أمام سـلسـلة من الاغتيالات للذين خلفوه في حكم الموت ، واسـتمر هذا العمل إلى ما بعده من خلفائه .

- نور الـدين محمـد الثـاني بن حســـن الثـاني بن بزرك أميـد (561هـــــ/1165م – 607هـ/1210م):

خلف محمد بن الحسن أبيه في حكم دولة الموت ، وكان عمره حين وصـل إلى سـدة الحكم تسـع عشـرة سـنة ، وقد اسـتهل حكمه بقتل قاتل أبيه حسـن بن نامور مع أقربائه[2] .

وتبدو شـــخصـــية الحســـن مثار اعجاب فقد كان متعمقاً في دراســـة الفلســـفة ونظرياتها ، ونلاحظ انه فاق والده في هذا المجال[3] ، ولقد ذُكر بانهُ كان كاتباً مخصباً ، تطورت أثناء حكمه الطويل عقيدة القيامة ، وأحكمت ، وعملت تأثيراً كان ملحوظاً على العالم الخارجي ، وقد مرت دون ان تذكر في كتب التواريخ المعاصــرة لهُ ولم تعد تعرف إلا بعد تدمير الموت ، عندما وقعت الكتابات الإســماعيلية أو بعض ما وصـــل إلينا منها بيد الآخرين[4] .

ويُذكر انهُ قد سجل في فصول كتبه اصطلاحات الفلاسفة ، وأورد بعض نكاتهم متشـــبهاً بالحكماء بل مضـــارعاً لهم "وقد مزج ألفاظه ومعاني كلامه بالعربية فملأها

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 335 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 334/2 .

(3) مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : جلد جهارم 222/4–223 ، بروان ، تاريخ الأدب في إيران : 578 .

(4) لويس ، الحشيشية الاغتيال الطقوسي : 233/2 . وكانت تلك الكتابات قد وقعت بيد الجويني . ينظر : ص435 من الدراسة .

بالحكم والتفسـير والاخبار والأمثال والأشـعار"[1] ، ويُذكر في ذلك انه كان سـبباً من جملة أسباب ذلك العصر الذي بلغت فيه الثقافة الفارسية ذروتها ، وقد عاصره الكثير من الفلاسفة والشعراء ورجال الأدب والفقهاء[2] .

ولم يكن عهد الحسن قد تخللته الكثير من الحوادث المهمة سوى بعض الحوادث التي كان أبرزها مقتل وزير الخليفة[*] العباسـي في بغداد[3] ، والحادثة الأخرى وهي المتعلقة بالفقيه فخر الدين الرازي ، والذي كان شـديد الهجوم على الإسـماعيلية وكان غالباً ما يختتم دروسـه ومواعظه بعبارة "لعنهم الله وأبادهم" ، وقد اسـتطاع أحد الفداوية والذين أرسلهم محمد الثاني ان يتسلل إلى حلقة فخر الدين وينال رضـاه وبعد مدة من الزمن أختلى الفداوي بفخر الدين وأراد قتله ، لكن الفقيه وعد الفداوي بانهُ لن يتعرض للإسماعيلية بعد ان تسلم فخر الدين من الفداوي مبلغاً قدره 365 ديناراً ذهبياً مع الوعد بدفع مبلغ مماثل كل عام ، ولم يتفوه بعد ذلك بعبارة ضد الإسماعيلية ، وذهب الرازي يختتم مواعظه ودروسـه بمقولة "مهما أدعى الإسـماعيلية" وحين سـئل عن سـر ذلك التغير أجاب انهُ لا يجوز لعنهم فان حججهم بالغة مقنعة[4] . ويبدو ان تلك الحادثة جعلت فخر الدين يقدم نفسـه إلى الأميرين الغورين شـهاب الدين وغياث الدين وكذلك إلى محمد خوارزمشـاه بعد ان كف عن شـتم الإسـماعيلية وذكرهم بسـوء[5] . وكان المرتب (المبلغ) الذي يتلقاه من الإسماعيلية سبباً في ذلك .

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 334/2 ، مير خواند ، المصدر نفسه : جلد جهارم 222/4 .

(2) Von Hammer , The Hist of Assassin , p. 113-114 .

(*) عضـد الدين محمد بن عبد الله بن هبة الله وزير الخليفة المسـتضـيء عبر دجلة فقتلته الإسماعيلية سنة 573هـ/1177م . ينظر : أبو الفداء الأيوبي ، إسماعيل بن علي بن المظفر (ت732ه/1330م) ، المختصر في أخبار البشر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت: 78/3 .

(3) عكاوي ، الحشاشون : 168 .

(4) مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج222/4–223 ، لويس ، الحشيشية : 233–234 .

(5) بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 578 .

اما الحوادث المهمة الأخرى بالنسبة للحشيشية فهي الغارات التي كانوا يقومون بها على جيرانهم ، وكان من أحد أسبابها ضعف سلطة السلاجقة وانهيارهم وبروز نظام جديد من الامارات التي أنشأها أمراء وقادة السلاجقة[1] ، وكان من نتائج تلك السياسية ان برزت قوة الخوارزميين فاحتلوا همذان والري وهزموا آنذاك أخر سلاطين السلاجقة ولقى مصرعه في الري سنة 590هـ/1193م ، وقتل عندئذ أخر سلاطين السلاجقة طغرل وحمل رأسه إلى خوارزم شاه وسير آنذاك إلى بغداد[2] .

- الحشاشون وعلاقتهم بالإمارة الغورية والخوارزمية[*] :

راقب الحشيشية صعود القوة الجديدة التي حلت محل السلاجقة أعدائهم التقليديين في بلاد المشرق ، وكان الخوارزميون يحملون ذات النظرة التي كان السلاجقة قد تبنوها ضد الإسماعيلية وتحديداً النزارية . ولم يكن غير بعيد ان ينتظر الحشيشية الوقت ليدخلوا في صراع مع القوة الجديدة ، فقد دفعت الانتصارات التي حققها علاء الدين تكش على السلاجقة إلى ان تفرغ لمحاربة الإسماعيلية ، فاستولى على قلعة "ارسلان كشاه" وكانت من قلاع الإسماعيلية النزارية المشهورة هناك وكانت تقع على باب قزوين ثم انتقل بعدها إلى حصار قلعة الموت[3] . وقد رد الحشيشية على تلك

---

(1) للاستزادة ينظر : الحسيني ، زبدة التواريخ : 309 وما بعدها ، الحسيني ، أخبار الدولة السلجوقية : 152 وما بعدها ، وعكاوي ، الحشاشون : 168 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 10/232-233 ، للاستزادة ينظر : صبرة ، د. عفاف سيد ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ط1 ، الناشر دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، 1987م: 67-76 .

(*) للاستزادة حول نشاة الخوارزميين وأصولهم ونشاطهم في بلاد المشرق . ينظر : المصدر نفسه : 29-48 . وذلك لضيق صفحات البحث عن التوسع في نشاطهم .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 10/263 .

الحملة باغتيالهم لصـــدر الدين محمد رئيس الشـــافعية بالري الذي اشـــترك في ذلك الحصار "وكان قد تقدم عنده تقدماً عظيماً قتله الملاحدة"(1) .

وكان من أهم أسباب حملة السلطان علاء الدين تكش هو انهُ كان يخشى بأسهم في القتال ، لأن مبادئهم كانت تقوم على الفداء والتضـحية بالنفس وهو ما جعله سـبباً لقيادته تلك الحملات في سـبيل كسـر شـوكتهم والانتصـار عليهم(2) ، وفي سـنة 596هـ/1199م وثب الحشيشية على نظام الملك مسعود بن علي وكان وزيراً للسلطان – علاء الدين تكش الخوارزمي – فقتلوه(3) ، فأمر تكش ولده قطب الدين بقصـــد الإســماعيلية فقصــد قلعة ترشـيش(*) وهي من قلاعهم فحصـرها فأذعنوا له بالطاعة وصـالحوه على مائة ألف دينار ففارقها وقيل انهُ رضـي بالصـلح لأنهُ بلغهُ مرض أبيه، وكانوا قبل ذلك يراسلونه بالصـلح فلا يفعل(4) . وكان من ضـمن محاولات الحشيشية لضرب وإضعاف الخوارزميين فحاولوا اغتيال احدى شخصياتهم وهو خوارزم شاه تكش والذي كان حاذقاً بعلم الموسـيقى "قيل ان الباطنية جهزوا عليه من يقتله وكان يحترس كثيراً فجلس ليلة يلعب بالعود فاتفق انهُ عني بيتاً بالعجمي معناه قد أبصـــرتك وفهمه

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 263/10 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 150/5 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 114/5 .

(2) حمدي ، حافظ أحمد ، الدولة الخوارزمية والمغول ، تقديم : د. حسن إبراهيم حسن ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، د.ت : 30 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 263/10 .

(*) مر تعريفها . وهي طرثيث حيث تقرأ بالشكلين . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 22/2.

(4) ابن الأثير ، المصـدر نفسـه : 263/10–267 ، الذهبي ، تاريخ الإسـلام : 21/42 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 114/5 ، عكاوي ، الحشاشون : 169 .

الباطني فخاف وارتعد فأخذوه وحمل إليه فقرره فاعترف فقتله"[1]. وتشـــير الرواية إلى تسللهم داخل بلاط الخوارزميين كما فعلوا مع السلاجقة من قبل .

وكان بعد ذلك ما حدث في سنة 602هـــ ، حيث سار "أيتغمش[*] إلى بلاد الإسماعيلية المجاورة لقزوين فقتل منهم مقتلة كبيرة ونهب وسبى وحصر قلاعهم ففتح منها خمس قلاع"[2] ، ويبدو ان سبب تلك الحملة كان الصراعات التي نشأت بين الأمراء المحليين في بلاد المشرق والتي ازدادت بسبب سقوط السلاجقة من جهة ومن جهة أخرى ربما يكون لاغتيال شهاب الدين الغوري والذي سنأتي على ذكره دافعاً لتلك الحملة .

وفي سنة 602هـــ/1223م اختلفت الروايات في مقتل شهاب الدين الغوري فبعض الروايات تقول ان قاتله كان من الجماعة الكوكرية[**] ، ومنهم من نسبها إلى الحشيشية "ويقال من الإسماعيلية لأنهم كانوا غلوا منه وكانت عساكره تحاصر

---

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 234/42 ، الصفدي ، أبو الصفا صلاح الدين خليل بن عز الدين بن عبد الله (ت764هـ/1362م) ، الشعور بالعور ، ط1 ، تح : د. عبد الرزاق حسين ، دار النشر دار عمار ، الأردن – عمان ، 1988م : 138 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 13/268-269 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 155/6 .

(*) أيتغمش : صاحب بلاد الجبل همذان وأصفهان والري وما بينهما من البلاد وهو مملوك أبيه البهلوان وهو في طاعة أبي بكر بن البهلوان أبيه إلا انه قد غلب على البلاد فلم يلتفت لأبيه وكان الأخير أي أبو بكر بن البهلوان قد استنجد بايتغمش وقد كان أبو بكر في وقتها في بلد الإسماعيلية . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 318/10 ، وهو ما يشير إلى ان الحملة أعلاه كانت بسبب صراعات محلية .

(2) ينظر : المصدر نفسه : 319/10 ، إسماعيل الغساني ، إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي (ت803هـ/1401م) ، العسجد المسبوك والجوهر المملوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تح : شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي، بيروت ، 1975م : 304/2 .

(**) يبدو أنهم من بلاد الهند وكانوا من الوثنيين ، لأن حملات الدولة الغورية في عهد غياث الدين وشهاب الدين كانت على تلك المناطق . ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 322/21 ، الجميلي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية : 120 .

قلاعهم"[1] . ويبدو ان الحشيشية أوجسوا خيفة من شهاب الدين الذي حاصر قلاعهم وأنهم تخوفوا من خروجه إلى خراسان لقتالهم حتى ان علاء الدين محمد بن أبي علي متولي بلاد الغور والذي أرسله شهاب الدين بالمسير ومحاصرة قلاعهم كان يحاصر في تلك الأثناء مدينة قاين وهي للإسماعيلية ، وقد حصرها وضيق عليها فلما وصل خبر مقتل شهاب الدين صالح أهلها على ستين ألف دينار ورحل عنهم[2]، وقد أشار ابن ميسر ان من قام باغتيال شهاب الدين هم من الحشيشية وبتحريض من الخوارزميين[3] . ونلاحظ من خلال هذه الرواية انها تشير إلى ان الحشيشية دخلوا كأحد طرفي الصراع . وربما كان هؤلاء قد أدركوا مدى نفوذ النزارية المتزايد بعد عام 556هـ/1160م في بلاد الغور وغزنة حين ازداد نشاطهم وتفاقم خطرهم ، وهو ما دفع بسيف الدين الذي خلف والده علاء الدين حسين لإجلائهم – أي الحشيشية – عن تلك البلاد[4] .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 303/10 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 4/5 ، اليافعي ، مرآة الجنان : 3/4 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 540/4 .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 288/10 ، عكاوي ، الحشاشون : 169 .

(3) العزاوي ، دولة النزارية : 239–240 نقلاً عن ابن ميسر ، أخبار مصر .

(4) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 448/9 . يعود وجود الإسماعيلية في غزنة قديماً أي قبل سنة 485هـ/1092م . أي قبل استيلاء الحسن بن الصباح على قلعة الموت وقد ذكر أبو المعالي ان في غزنيين أحد هؤلاء ويسمى محمد أديب "كان داعي الفاطميين وقد أضل أناساً لا حصر لهم في المدن والقرى" وهو يشير إلى عمق وجذور للدعوة الإسماعيلية هناك ويبدو ان النزارية قد استفادوا من وجود هذه البدايات هناك . ينظر : أبو المعالي ، بيان الأديان : 43–44 . ينظر كذلك النص الفارسي من الكتاب بيان الأديان ، تحقيق وتصحيح جعفر واعظي ، دار النشر ، دار اقبال ، طهران ، 1967م : 209–210 . وغزنيين الواردة أعلاه هي غزنة وهكذا كان العلماء يتلفظونها . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 210/4 . وللاستزادة ينظر : الجميلي ، تاريخ الدولة العربية الإسلامية : 118 .

لم يكن عهد محمد بن الحســـن مثل عهود من ســـبقه من حيث الحروب أو الاغتيالات ويعلل الدكتور الخشــت ذلك بســبب توجهات نور الدين محمد نفســها التي كانت توجهات علمية أصلاً وكونه نشأ في جو من الترف[1] . وكان الأعداء التقليديون وهم السلاجقة قد أصبحوا في ذمة التاريخ بعد سقوط دولتهم .

- وفاة نور الدين محمد بن الحسن :

توفي الحسن في العاشر من ربيع الأول سنة سبع وستمائة ويشير الجويني إلى انهُ مات مســـموماً[2] . وهذه هي ثاني حادثة اغتيال لثاني حكام الموت بعد اعلان القيامة ، ومن الذين ساروا على ذلك النهج . وقد أتضح ذلك في الروايات التي أشارت إلى توجس محمد بن الحســن من ولده جلال الدين "فلاحظ أبوه على مخليته – يقصــد جلال الدين – هذا الإنكار ، ولهذا تولدت الضــــغينة بين الطرفين ، وتخوف كل واحد من الآخر وفي الأيام العامة التي يوجد فيها جلال الدين حســـن ، كان يبدو على والده الحذر فيرتدي الدرع تحت ثيابه ، ويحميه الملحدون الذين هم عماد حراسته من ابنه"[3] .

وربما كان لخشية الأب من ابنه وحذره الشديد ، تلك المراسلات ولأول مرة والتي ذكرت عند الجويني بين جلال الدين والخليفة[*] العباســي ببغداد "غير انهُ يكاتب خليفة بغداد والســـلاطين والملوك الآخرين ســراً ، يظهر لهم انهُ يدين بالإســـلام، على خلافة

---

(1) حركة الحشاشين : 121 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 335/2 ، مير خواند ، تاريخ روضــة الصــفا : مج224/4 ، قزويني، لب التواريخ : 216 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 174 ، مير خواند ، المصدر نفسه ، والمجلد والصفحة .

(*) كان الخليفة آنذاك الناصر لدين الله . ينظر : القرماني ، أخبار الدول : 184/2 .

عقيدة أبيه ، وحين يجيئه الدور للحكم سيزيل الإلحاد ويمهد لقاعدة الإسلام ، وعلى هذا مهد وأعد"[1] ونعود للقول ان الأب أحس بنوايا الابن وسمع بتلك المراسلات والتي كانت ربما سبباً في اغتياله وربما كان لسياسة الخليفة العباسي الناصر لدين الله في ذلك والذي عاصر وصول جلال الدين سبباً في تلك المراسلات حيث تمتعت الخلافة في عصره بانتعاش وتحول دوره في استعادة مكانة اسمى وحاول التقرب من الإسماعيلية والأثنى عشرية ، وقد حقق بالنسبة للهدف الأول نجاحات واسعة ومدهشة[2] .

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 335/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 174-175 ، قزويني ، لب التواريخ : 217 .

(2) لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة : 93 .

المبحث الثالث

بدايات دور الضعف والسقوط

- فترة حكم جلال الدين حسن الثالث بن محمد بن بزرك أميد (607هـ/1210م-618هـ/1221م) :

خلف والده بعد وفاته وكانت ولادته سنة 552هـ/1157م وكان عمره عند وصوله إلى حكم دولة القلاع (25 سنة) وقد أعلن يوم جلوسه على حكم الموت "انه مسلم فزجر قومه ... عن الإلحاد ومنعهم من هذه السيرة والزمهم بالإسلام وبإتباع منهج الشرع"[1] ، وذكر ابن الأثير في حوادث سنة 608هـ/1211م قائلاً "وفي هذه السنة أظهر الإسماعيلية ومقدمهم جلال الدين بن فلان بن حسن بن صباح الانتقال عن فعل المحرمات واستحلالها وأمر بإقامة الصلوات وشرائع الإسلام ببلادهم من خراسان والشام وإرسال مقدمهم رسلاً إلى الخليفة وغيره من ملوك الإسلام بخبرهم بذلك وأرسل والدته إلى الحج فأكرمت ببغداد إكراماً عظيماً وكذلك بطريق مكة"[2] .

يبدو ان علاقة الحسن الثالث بأولئك السلاطين والخليفة العباسي كانت قديماً قبل وفاة والده[3] .

وقبل ان نخوض في تفاصيل حقبة حكم الحسن علينا معرفة الأسباب التي جعلت الحسن يتقرب إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله وإلى المحيط بصورة عامة بالإضافة إلى ما ذكرناه من سياسة الناصر نفسها . ففي الحقبة التي أنسحب فيها النزارية إلى عالمهم الخاص كان المسرح السياسي من حولهم يشهد أحداثاً كثيرة وتغيرات هامة ، فقد تهاوت سلطة السلاجقة في بلاد المشرق سنة 590هـ/1193 ،

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 335/2 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 524 ، مير خواند، تاريخ روضة الصفا : مج224/4-225 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 357/10 ، أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر : 142/3 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه : 335/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 198 .

وحل محلهم الخوارزميون فحاصـــروا الموت وبدء هؤلاء يهاجمون قزوين[1] . وقد وجد النزارية أنفســـهم في ظروف جديدة غاية في التعقيد ، وقد أدرك جلال الدين ان أيام الحسن قد ذهبت وان صراع السلاجقة قد انتهى ولابد ان جناح الفداوية لم يعد كافياً هو الأخر لرأب الصـدع ولابد ان مقتل اثنين من حكام الموت كان سـبباً يضـاف إلى هذه الأسباب مجتمعة في محاولة جلال الدين كسب ود المحيطين به ، ويذكر لنا الصفدي رواية تدلل مرة أخرى على عدم فهم المؤرخين لذلك التقارب الذي سـعى إليه جلال الدين إذ يقول "وقد حكم عليهم – يقصـد النزارية– بعد الصـباح ابنه محمد ثم بعد الحسن[*] بن محمد بن صباح فرأى الحسن من الحزم التظاهر بالإسلام وذلك في سنة سـبع وسـت مائة فأدعى انهُ رأى علياً في النوم وقد أمره بإعادة شـعائر الإسـلام من الصلاة والصيام والآذان وتحريم الخمر ، وقال لقومه أليس الدين لي قالوا بلى قال فتارة أرفع التكاليف وتارة أضـعها فأطاعوه فكتب بذلك إلى بغداد والنواحي وأدخل بلاده الفقهاء والمؤذنين"[2] . وهي صورة عن ما كان قد حصل آنذاك أكثر من كونها صورة عن طبيعة الحياة عند الإسماعيلية النزارية .

ومع ذلك فيبدو ان هناك من كان يحاول تقويض تلك الجهود لجلال الدين ، وهو ما أتضـح من خلال محاولة اغتيال شـريف مكة والذي نجا وقتل ابن عمه والذي كان قريب الشـبه به إلى حد بعيد ، وتصـادفت تلك الحادثة مع وجود أم جلال الدين

---

(1) الراوندي ، راحة الصدور : 519 ، العزاوي ، دولة النزارية : 239 .

(*) لاحظ الخطأ في التسلسل حيث ان الحسن الصباح قتَّل ولديه كما ذكرنا ولم يخلفه أحد من أولاده .

(2) الوافي بالوفيات : 284/15 . وهذه الرواية في الحقيقة مجانبة للصواب مضافاً إلى ما ذكرناه من تسلسل حكام الموت ، فان مقتل حاكمين بعد إعلان القيامة يشير إلى ان هناك من كان يعارض سلطة الحاكم وان الطاعة لم تكن بهذه الصورة وهو ما سنراه حتى مع جلال الدين والذي يعتقد انهُ مات مسموماً .

حسن زوجة محمد الثاني في الحج وقد كان مدبر ذلك الاغتيال يسعى لإلصاق التهمة ولا شك بالنزارية ، فقام شريف مكة وهو يملؤه الغضب بمهاجمة ركب الحجاج العراقيين ونهبه . وجبى من الحجاج غرامة ثقيلة دفع معظمها من قبل والدة جلال الدين ، لكن الأخير استطاع تدارك الموقف ولم يندفع وراء ثورة الغضب تلك[1] ، وبذلك سعى دائماً للتقرب من العباسيين وحلفائهم "فصدقة الملوك والأمراء ولاسيما دار الخلافة ، ومالوا إليه ، وكاتبوه علنا ومنحوه الألقاب الحسنة"[2] . ونتيجة لذلك عرف جلال الدين بـ"المسلم الجديد" أو "نو مسلمان"[3] ودعي قومه في عهده بـ"المسلمين الجدد" وأمر بان تبنى المساجد في بلاده وطلب لهم الفقهاء من خراسان والعراق ، وأولاهم رعايته الخاصة ، ورجاهم ان يهتموا بالقضاء والخطابة وغير ذلك من الأمور الدينية[4] . ويبدو ان ذلك التقارب آثار حفيظة الخوارزميين وحكامهم مما أدى إلى توسع شقة الخلاف بين خوارزم وبغداد[5] ، ونلاحظ من ذلك ان الخوارزميين توجسوا خيفة من تقدم النزارية وزيادة تقربهم من العباسيين والمحيطين بهم . وكانت سياسة الحسن تقوم على تقديم المزيد من التنازلات وكان من نتيجة ذلك ان وصل عدد من الأعيان والفقهاء يبدون رغبتهم في الاطلاع على كتب الحسن بن الصباح وأسلاف جلال الدين "وعلى عدد من فصول أبيه وجده وغير ذلك من الكتب التي تتضمن مذهب الإلحاد والزندقة

---

(1) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 175 وما بعدها ، لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديد : 95.

(2) الجويني ، فاتح العالم : 2/335-336 ، رشيد الدين ، المصدر نفسه : 175 ، قزويني ، لب التواريخ : 217 .

(3) مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج225/4 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 2/335-336 ، رشيد الدين ، المصدر نفسه : 175 وما بعدها، مير خواند ، المصدر نفسه : مج225/4 .

(5) بروان، تاريخ الأدب في ايران: 578-579، غالب، اعلام الإسماعيلية: 210.

الذي خالف عقائد المسلمين ، غير ان جلال الدين أمر بإحراقها بحضور أهل قزوين وبعد ان طعن فيهم"[1] .

وفي الحقيقة لا يمكن إثبات ان تلك الكتب احتوت في نتاجها على الإلحاد ، وإنما على الفلسفة والتي وصمت دائماً بالإلحاد ، هذا بالنسبة لكتب الحسن بن الصباح والتي أقر الجويني فيما سبق انهُ كان على الشريعة الإسلامية حين ذكر ان محمد بن بزرك الذي أعلن قيامة القيامة في الموت كان ومنذ جلوسه "على عرش أبيه التزم بمسخ الشريعة الإسلامية التي نادى بها الحسن الصباح ، وأجاز تبديل قواعدها"[2] ، ولم يكن ذلك الإجراء من قبل جلال الدين إلا في حقيقته إرضاءً لأهالي قزوين والذين هم وبحكم تدينهم وتمسكهم الشديد بالإسلام . وكذلك بحكم الجوار وقرب المسافة بينهما تمكنوا من الحصول على كثير من الأكاذيب فجرت بين الطرفين حروب مستمرة وعداوات مريرة[3] . ولم يكن جلال الدين بعد كل الذي قام به بحاجة إلى خسارة دعم المحيطين به أو ان يؤكد صحة ما ذهب إليه الطاعون في صدق نواياه وقد أتضح ذلك من خلال بعض الروايات "وحين أعلن جلال الدين إسلامه رفضوا منه هذا الإعلان ثم تتبع قضاتهم وأئمتهم إسلامهم هذا ، وطالبوا البينات والدلائل على ذلك . ولما رأوا ان دار الخلافة وعدداً من أئمة الإسلام يفتون بقبول إسلامهم أقروا ذلك معهم"[4] .

وربما أضاع ذلك الإجراء الذي أقدم عليه جلال الدين الكثير من كتب الحسن الصباح ويكون قد قضى على جمع غفير من النتاج الفكري للحسن ، وقد أكمل المغول

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 336/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 198 وما بعدها .

(2) الجويني ، المصدر نفسه : 324/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج221/4 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 336/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 175-176 ، مير خواند، المصدر نفسه : مج225/4 .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 336/2 ، العزاوي ، الدولة النزارية : 243 .

وأجهزوا فيما بعد على ذلك الأرث . ولم يكن بوسعنا التأكد هل ان إجراء إحراق كتب الحسن تبعه حرق كل مؤلفات الحسن في باقي القلاع .

وقد ذهب جلال الدين إلى أبعد من ذلك في علاقته مع المحيطين وخاصة مع سكان قزوين في انهُ أعلن البراءة من أبيه وأجداده ويذكر الجويني انهُ عثر على ورقة كتبت على لسان جلال الدين احتفظ بها كبار قضاء قزوين كانت بخصوص ذلك(1) .

وكان الإجراء الأكبر وضوحاً والأبرز في حياة جلال الدين وهو كسر قاعدة حكام الموت أسلافه ، حيث ترك الموت قاعدة النزارية لمدة سنة ونصف زار فيها العراق وارآن(*) وأذربيجان(**) وكان بذلك الإجراء قد اختلط أكثر مع المحيط ، وكانت اقامته عند الاتابك مظفر الدين اوزبك والذي كان ملكاً على اران وأذربيجان، وفي تلك الأثناء كان ناصر الدين منكلي وهو ملك العراق قد أمتد بنفوذه إلى بعض ولايات جلال الدين مما دفع بالأخير لعقد معاهدة مع الاتابك الذي كان هو الأخر معادياً لمنكلي ، وقد استقبل الاتابك جلال الدين وجيشه وأغدق عليه فاشتدت عرى الصداقة بين الملكين ، وقد توطدت ثقة العباسيين وحلفائهم بالنزارية فأرسلوا لهم الجيوش بعد طلب جلال الدين والاتابك من دار الخلافة والشام وملوك الأطراف للمساعدة في حربهم ضد منكلي ، وقد وصل جيش دار الخلافة بقيادة مظفر الدين وجه السبع(*) ، ومن اردبيل وصل

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، حسين ، طائفة الإسماعيلية : 82-83 ، د. الخشت ، حركة الحشاشين : 121-122 .

(*) أران : بالفتح وتشديد الراء وألف ونون اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كثيرة منها كنجة وبرذعة وشحكور وبيلقان وبينها وبين أذربيجان نهر يقال له الرس وكل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو اران وما كان من جهة الشرق فهو أذربيجان . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 136/1 ، سهراب ، كتاب عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية العمارة ، أعتنى بنسخه وتصحيحه : هانس فون مثريك ، مطبعة ادولف هولزهوزن ، فينا ، 1929م : 49 .

(**) أذربيجان : كورة اختطها أذرباذ بن بيوراسف بن الاسود بن سام بن نوح ، وهي مصر لإقليم اردبيل بها جبل مساحته مائة وأربعون فرسخاً ، كله قرى ومزارع . ينظر : المقدسي، أحسن التقاسيم : 255 .

(*) وجه السبع : مظفر الدين سنقر صاحب بلاد خوزستان كان أحد الشجعان المذكورين وكان أحد أمراء الناصر الخليفة العباسي حج بالناس بعد الستمائة وكان من كبار الدولة . توفي سنة 625هـ/1227م .

جيش مظفر الدين كوكري(**) بن زين الدين علي كوجك[1] . ويبدو ان جلال الدين كان قد أصـــــبح بإجراءاته تلك محوراً مهماً حتى ذكر ان جلال الدين والاتابك كانا "مســــؤولين عن ترتيب الجيوش وتعبئتها"[2] ، وقد هُزم منكلي نتيجة لذلك التحالف ، وحل محله على العراق سيف الدين ايغلمش ، وكان هذا مملوكاً تركياً لاتابكه أذربيجان ، وقد اشترك في حربه ضد منكلي[3] . ولا يستبعد ان تعينه جاء بموافقة جلال الدين ، الذي قويت وتوطدت علاقته بالاتابك مظفر الدين ، وقد أخذ جلال الدين ملك الإسماعيلية قسمته من الغنائم بعد تلك المعركة[4] . ونتيجة لذلك الدور المهم في حربه ضـــــد منكلي وتقديراً لدور النزارية ودور جلال الدين ، فقد مُنح الأخير مدينتي ابهر(*) وزنجان وأعمالهما ، وقد كانت العديد من المدن والقلاع النزارية ملجأً للهاربين من

ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسـلام : 241/45 ، الحموي ، أبو الفضـائل محمد بن علي بن نظيف (ت بعد سنة 628هـ/1230م) ، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان المعروف بالتاريخ المنصوري ، تح : د. أبو العبد دودو ، دار النشـر مطبعة الحجاز مطبعة مجمع اللغة العربية ، دمشـق ، د.ت : 164 .

(**) كوكري : أو كوكبري : ومعناها الذيب الأزرق بكافين واو بعد الكاف الثاني باء موحدة وبعدها واو وراء وياء بن علي بن يكتين بن محمد السلطان مظفر الدين أبو سـعيد صـاحب اربل ابن الأمير زين الدين أبو الحسن علي كوجك التركماني وكوجك معناه لطيف ، كان شـهماً شـجاعاً تملك بلاداً كثيرة ثم وهبها لأولاد صـاحب الموصـل فلما مات الأب تملك مظفر الدين هذا وكان مراهقاً وصـار اتابكه مجاهد الدين قيماز وكتب محضـراً بانه لا يصـلح للملك فابعد ودخل في خدمة صـلاح الدين فيما بعد ولد سـنة 549هـ/1154م وتوفي سـنة 603هـ/1206م. ينظر : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 334/22-337 .

(1) الجويني ، فاتح العالم : 337/2 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 657/3-658 .

(2) الجويني ، المصـدر نفسـه ، والجزء والصـفحة ، كاشـاني ، زبدة التواريخ : 199 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 212/6 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه : 338/2 .

(4) مير خواند، تاريخ روضة الصفا : مج226/4 ، ابن خلدون ، المصدر نفسه: 658/3.

(*) ابهر وزنجان : مدينتان صـغيرتان حصـينتان كثيرتا المياه والأشـجار والزروع وزنجان أكبر من أبهر وأهل ابهر أحذق وانبل طباعاً وبين زنجان والدينور تسعون ميلاً وتتصـل بأرض البهلويين . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 678/2 .

المسلمين الذين فروا من خطر المغول عند عبورهم نهر جيحون حيث لقي هؤلاء الترحاب والضيافة من النزارية[1]. وفي نفس الوقت فانهم وجدوا مكاناً آمناً من خطر بدء يلوح في أفق المشرق والعالم ، ويبدو ان ذلك الاستقبال للفارين من شدة خطر المغول كان يصحبه الكرم والحفاوة حتى ان المقدم الإسماعيلية في قوهستان[**] والذي كان كريماً وسخياً في ضيافة العلماء والغرباء والفقراء على حد سواء وكان هذا الكرم على حساب رعايا قلعة الموت مما دفعهم إلى الشكوى لتغييره بحاكمٍ أقل حباءٍ وتصرفاً بالأموال الإسماعيلية[2] ، وكان المؤرخ الجوزجاني قد قام في تلك الفترة بثلاث بعثات دبلوماسية يتعلق غرضها بأمور تخص التجار وفتح الطرق ، وهي إشارة لمحاولة إسماعيلية قوهستان للاستفادة من حصانتهم ومنعتهم إلى منافع تجارية[3] .

دفعت تلك الأمور مجتمعة في زيادة ثقة المحيطين بجلال الدين[4] ، ولم يكن ببعيد دعم الخليفة الناصر العباسي لذلك التأييد ، وكان قبل ذلك قد سعى اوغلمش الذي نُصب بديلاً – عن منكلي – سعى لعقد حلف مع علاء الدين[*] محمد الثاني

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 338/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 178 وما بعدها ، مير خواند ، المصدر نفسه والمجلد والصفحة .

(**) كان حاكم قوهستان أثناء تلك الفترة هما شخصان شهاب الدين وشمس الدين . ينظر : ناديا ابيو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 83-84 .

(2) جوزجاني ، صدر جهان أبو عمر ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد (ت658هـ/1259م) ، طبقات ناصري ، تصحيح ومقابلة الحواشي وتعليق : عبد الحي حبيبي قندهاري ، مطبعة كابل ، كابل ، 1923م : 314-315 ، لويس ، الحشيشية الاغتيال الطقوسي : 256 .

(3) جوزجاني ، طبقات ناصري : 314-315 .

(4) عكاوي ، الحشاشون : 171 .

(*) علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش بن ايل أرسلان بن القسر بن محمد بن انوشتكين السلطان علاء الدين خوارزم شاه اباد ملوك العالم ودانت له الممالك واستولى على الأقاليم وكان صبوراً على التعب وادمان السير غير متنعم ولا مقبل على لذة إنما نهمته في الملك

تكش فتوجس الخليفة العباسـي الناصـر لدين الله من ذلك الحلف فعهد إلى أحد الحشيشية في قتله فتم لهُ ما أراد ، وكان ذلك سنة 614هـ/1217م[1] . وقد أحدث ذلك الاغتيال ردة فعل عنيفة لمنزلة اغلمش عند علاء الدين فعقد الأخير العزم على ان يقوض سلطان خصمه العنيد فدعا سنة 614هـ/1217م – أي في نفس السنة – إلى مؤتمر ديني لتقرير أحقية العلويين بالخلافة ، وكان أتباعهم لا يزالون يملأون فارس من أقصاها إلى أقصاها ثم ان اختياره وقع على علوي من ترمذ[**] يدعى علاء الملك كمنافس قوي للخليفة ، وقد شـرع في اعداد العدة لدخول بغداد ، ولم يوقفه إلى هجوم الشتاء فرجع من حيث أتى[2] .

اما الخلاف بين علاء الدين تكش والناصـر فيعود بأسـبابه إلى محاولة علاء الدين التلقب بلقب السلطان وان تكون له الخطبة ببغداد ، ولم تكن الخلافة وعلى رأسها

وتدبيره وحفظه وحفظ رعيته قاتل ملوك خراسان وما وراء النهر وقتل صاحب سمرقند . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات : 200/2 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 371/10 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 659/3 .

(**) ترمذ : بفتح التاء وبعضهم يقال بضمها وبعضهم بكسرها والمتداول بفتح التاء وكسر الميم وهي مدينة من أمهات المدن راكبة على نهر جيجون من جانبه الشرقي ولها قهندز وربض وبها سور وأسواقها مفروشة بالأجر ، وهي مدينة كبيرة حسنة العمارة والأسواق تخترقها الأنهار وبها البسـاتين . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 26/2 ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : 422/1 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 371/10 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 659/3 ، بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ط5 ، نقله إلى العربية : نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968م : 381 . حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول : 47 و97 .

الناصر لتسمح بظهور مناوئ لها(1)(*) . وكان ذلك يعود إلى شخصية(**) الناصر التي أرادت ان تعيد بعضاً من القوة لمؤسسة الخلافة في بغداد ونلاحظ ان انضمام النزارية زاد من عزم الناصر لذلك . ونتيجة لذلك الانتصار ورجوع علاء الدين فقد شيد الخليفة الناصر تخليداً لذكرى نجاته من هذا الخطر باب الطلسم في بغداد وقد جعل فوق هذا الباب صورة الخليفة وعن يمينه تنين وعن شماله أخر وقد أمسك بفكي كل منهما يريد تمزيقه ، ولقد ذهب الرسام فان برشام إلى ان هذين التنينين يرمزان إلى خصمي الخليفة الحشاشين والعلويين(2) ، وهذا اعتقاد خاطئ لأن الحشاشين كانوا على صلح ومعاهدة مع الخليفة الناصر والأصح ان يرمزان إلى خوارزمشاه والعلويين اللذان هددا الخلافة آنذاك . علماً ان التنين كان رمزاً للشيطان والشر في عقائد ومعتقدات قديمة(3) .

دفع ذلك التحالف بين جلال الدين والمقربين له إلى طلب الزواج من أمراء كيلان أو جيلان (*) ، وقد تقاعس هؤلاء أول الأمر عن تلبية طلبه لشكوكهم وحذرهم

---

(1) ابن الأثير ، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(*) وقد دفع ذلك الاغتيال مضافاً إلى محاولة غزو بغداد من علاء الدين خوارزم شاه إلى اعتناق الأخير للمذهب الشيعي محاولاً بذلك سحب البساط من تحت العباسيين . ينظر : حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول : 48 .

(**) وقد تبين ذلك من خلال شخصيته وإجراءاته في قمع المناوئين له حيث كانت لهُ حيل لطيفة ومكائد وكان يوقع العداء بين الملوك المتفقين والعكس "وهم لا يفطنون" . ينظر للاستزادة : القرماني ، أخبار الدول : 185/2 .

(2) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الإسلامية : 381 .

(3) ينظر للاستزادة : القمني ، سيد محمود ، الأسطورة والتراث ، ط3 ، الناشر المركز المصري لبحوث الحضارة ، القاهرة ، 1999م : 56 وما بعدها .

(*) جيلان : بالكسر اسم لبلاد كثيرة من وراء بلاد طبرستان ، وليس فيها مدينة كبيرة إنما هي قرى في مروج بين جبال ينسب إليها جيلاني وجبلي والعجم يقولون كيلان ، وقد نسب إليها من لا يحصى من أهل العلم في كل فن وعلى الخصوص في الفقه . ينظر ، الحموي ، معجم البلدان : 201/2 .

من النزارية ، فطلبوا موافقة دار الخلافة ، فأرسل جلال الدين رسولاً إلى بغداد فوافق الناصر لدين الله إلى التماسه مجيزاً بذلك زواجه من امراء جيلان ، وقد تزوج بعد ذلك بأربع من بنات أمرائهم وكانت أولى زوجاته أخت كيكاوس الذي كان حياً وعلى رأس حكمهِ لولاية كوتم ، ومن هذه الزوجة كان ولي عهد جلال الدين ، وهو ابنه علاء الدين محمد[1] .

ولابد ان زواجه ، وما حظي به من مكانة ليس في بلاد المشرق بل وعلى مستوى دار الخلافة في بغداد ، كان برهاناً جديداً على قوة ومركز جلال الدين ، وربما كان من جملة أسباب ذلك التقارب والتكاتف مع المحيطين به سببه إحساس جلال الدين بخطر المغول وتهديدهم فأعلن عن إصلاحات قام بها في سبيل درء الخطر الناشئ عن قوة المغول[2] . ونتيجة لتلك الإجراءات من قبل جلال الدين فقد أصبحت حقوقهُ في الأراضي النزارية معترفاً بها بشكل رسمي من قبل خليفة بغداد، وقد قبل النزاريون بتلك الإجراءات ناظرين إلى جلال الدين على انهُ الإمام الذي يهدي جماعته ، ويضع تفسير الشريعة ضمن الإطار الفكري الذي يراه مناسباً[3] .

وربما رأى البعض من النزارية في تلك الإجراءات عودة إلى التقية التي الغي العمل بها عند إعلان القيامة ، ويشير العزاوي ان ذلك الأمر لهُ علاقة بما أورده نصير الدين الطوسي في كتابه التصورات ، تكشف عن الأساس النظري بهذا الاتجاه ، يقول الطوسي "ولما كان ربط كل الأخلاق والمعاملات بأمر محق الوقت (أي الإمام) في كل عصر جالباً للخير ، وفصلها عن أمره مولداً للشر ، كان أصل تهذيب الأخلاق

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 339/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 199 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج226/4 ، الصياد ، المغول في التاريخ ، 1970م : 85 . وربما ان جلال الدين كان ينوي بتلك المصاهرة مد نفوذه نحو تلك البلاد .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 178-184 ، غالب ، اعلام الإسماعيلية : 213 .

(3) دفتري ، مختصر الإسماعيليين : 261 .

تنفيذ أمر محق الوقت والتسليم الخالص له . وذلك لأنهُ لا يمكن التكهن بأية أخلاق يرى بها محق الوقت الناس في عصره وفي أي شيء يرى مصلحتهم . ولذلك فان الناس إذا التزموا الأخلاق والعادات التي رخص لهم بها أحد المحقين (الأئمة) السابقين التزاماً دفعهم إلى ألا يتعدوها إلى ما يشير به عليهم المحق اللاحق – بزعم ان مصلحتهم في الالتزام بحكمه – وقعوا في الاضطراب ، وكان هذا الاضطراب سبباً للاعتراض وكان هذا الاعتراض سبباً لاعتراضهم وعدم استجابتهم"[1] .

ونلاحظ من هذا النص فهم وتقبل النزارية للواقع الجديد على الرغم من ان هناك ولابد من كان ناقماً على تلك التصرفات .

ومن نافلة القول نعود ونقول ان خليفة بغداد لبى رغبة السلطان جلال الدين حين أحس الأخير بخطر منكلي الذي شكل خطراً وتهديداً على أراض النزارية ، ولم يكن جلال الدين آنذاك إلا كأحد الأمراء الموجودين في بلاد المشرق الإسلامي حيث تنقل في ولائه وتحالفاته ، عندما أيد في البداية خوارزم شاه وألقى الخطبة في رودبار باسمه ودعا لهُ ، ثم حول ولائه إلى الخليفة ونفذ عملية اغتيال كما مر ذكره لمن دخل في طاعة خوارزم شاه[2] . وقد كان ذلك كافياً ربما وإلى حد ما لانتشار الإسماعيلية في أغلب البلاد الإسلامية وقد أتاحت لجلال الدين تلك السياسة ليس حرية التنقل فحسب وإنما إلى مراسلات مع حشيشية سوريا ، وان جلال الدين كان يتردد على سوريا ويقيم في قلعة الكهف لاصلاح شؤون أتباعه ومريديه[3] . ولابد ان سمعتهم الطويلة في عمليات الاغتيال كانت قد جعلتهم مرهوبي الجانب حتى بعد عودتهم إلى مهادنة ومصالحة المحيطين بهم .

---

(1) سميرة بن عمو ، أيدلوجيا الارهاب الفدائي : 169–170 ، نقلاً عن كتاب التصورات والذي نقلت منه الباحثة أبواباً وفصولاً : 97 . وينظر كذلك : العزاوي ، دولة النزارية : 246 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 335/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 177 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج225/4 ، عكاوي ، الحشاشون : 172 .

(3) غالب ، اعلام الإسماعيلية : 213 .

ولم يكن لما قدمه جلال الدين من أدلة وبراهين على صدق نيته في تعامله مع المحيطين به السبب الوحيد في نجاحاته ، فقد اثبت في أوقات كثيرة على انهُ سياسي بارع يحسب للأحداث والزمان حساباً صحيحاً ، ووضع نفسه في معادلة الموازنات لصراع قد يفضي إلى دمار النزارية وقلاعها ، إذا ما انتهج ذات النهج الذي اتبعه أسلافه ، رغم ان مستشرقاً كهامر كان يساوره الشك والريب في نوايا جلال الدين وقد قال عن إجراءاته ان سببها هو محاولة إعادته منظمة الحشيشية إلى ما كانت قد خسرته وسعياً لنيل الألقاب الملكية[1] . وعلى الرغم من ذلك فان الطوسي وصف ما فعله جلال الدين بأنهُ كان لأسباب يقتضيها الزمان ويعلمها هو وحده ، وهذا هو زمن الستر الذي يجب ان تطاع فيه أحكام الشريعة من جديد "فرجل الحقيقة إذا قفل طرفه عين عن الصلاة والصوم ... وقصر في إطاعة أحكام الشريعة خسر الدنيا والآخرة، فلا هو رجل شريعة ولا هو رجل حقيقة بل ملحد لا دين له"[2] .

- مراسلات جلال الدين مع المغول ووفاته مسموماً :

كان الشرق الإسلامي أبان غزوات المغول في حالة شديدة من الضعف والتخاذل ، تضمه مناطق تسودها الفتن والدسائس وتتنازعها الأهواء والأغراض وتصطرع فيها المذاهب والآراء ، ويسيطر عليها حكام متنازعون متباغضون ، يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح أوطانهم العليا[3] . وكان أول الحملات من قبل

---

(1) Von Hammer , Thw History of the Assassin , p. 156 .

في الحقيقة ان الإسماعيلية وصفوا بأنهم ملوك في بعض روايات المؤرخين وربما يكون ذلك سببه علاقة جلال الدين الجيدة ببغداد ، حيث ان الروايات تذكر جلال الدين وتقرن أسمه بعبارة ملك الإسماعيلية ، وهي ظاهرة اقتصرت على عهد جلال الدين دون غيره . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 11/44 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 658/3 ، ويشذ عن ذلك فقط ابن خلكان في وصف أصحاب النزارية بأنهم ملوك الإسماعيلية . ينظر : وفيات الأعيان : 450/2 .

(2) العزاوي ، دولة النزارية : 248 ، نقلاً عن كتاب مطلوب المؤمنين لنصير الدين الطوسي .

(3) ينظر ، الصياد ، المغول في التاريخ : 61 .

المغول سنة 615هـ-620هـ/1218م-1223م وكان صدامهم الأول بالخوارزميين بعد حادثة اترار ومذبحة التجار فيها[1] ، والغريب اننا لم نسمع شيئاً عن الإسماعيلية في الصـــدام الأول بين الخوارزميين والمغول في روايات المؤرخين، وربما ان ســـبب ذلك موقف الإســـماعيلية النزارية عموماً من الخوارزميين وتحالف النزارية آنذاك مع خليفة بغداد وموقف هذا من الخوارزميين ومن جهة أخرى فان جلال الدين تجنب الوقوع بين قوتين لا قبل لهُ بهما وهما قوة الخوارزميين وقوة المغول ولابد ان إجراءات الحســـن في التقرب من المحيطين به وان أفلحت في نفي صـــورة الإلحاد إلى حد ما لكن الشـــكوك بقت تفعل فعلها في النفوس ، وقد أتضـــح ذلك من خلال بعض الحوادث في زواجه مثلاً من بنات أمراء جيلان . وقد يُفســـر أيضـــاً عدم التطرق للنزارية بتفرغ المؤرخين لأحداث المغول وفضـــائعهم مع الخوارزميين[2] ، ولم يكن النزارية وهم في ذلك يثقون بأي من القوى – المقصـــود الخوارزميين باعتبارهم القوة الأكثر ثقلاً هناك – لذلك ونتيجة لتغير الأحوال بســـبب ظهور قوة المغول يذكر الجويني ان جنكيز خان حين وصل إلى تركستان ، وقبل ان يبلغ بلاد الإسلام خضع له جلال الدين وقدم طاعته "فنســـب إليه الإلحاد لذلك"[3] ، ثم يعود الجويني بعد ذلك ليصـــحح تلك الرواية بالقول "والصـــحيح ان جيوش فاتح العالم جنكيز خان حين بلغت بلاد الإســـلام ، كان جلال

---

(1) للاستزادة حول الصـراع بين المغول والخوارزميين وبداية الاحتكاك بين الطرفين ونفوذ المغول ومحاولتهم السيطرة على بلاد المشرق . ينظر : حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول : 46 وما بعدها ، وحول مذبحة اترار ، النسـوي ، محمد بن أحمد النسـوي الخوارزمي (كان حياً سـنة 639هـ/1241م) ، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، نشر وتحقيق حافظ أحمد حمدي، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1953م : 87 وما بعدها.

(2) ينظر حول آراء المؤرخين في فضـائح حملات المغول ، حمدي ، المصـدر نفسـه : 35 وما بعدها .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 339/2 ، الصياد ، المغول في التاريخ : 84 .

الدين أول ملك يرسل رسوله إليه ويقدم له طاعته فقبلت منه وأصبحت أساساً لهُ"[1] ، ولم يكن ذلك الفعل بالتأكيد أكثر من محاولة لجلال الدين في تأسيس مكانة جديدة بين الأمراء المحليين[2] .

ولم يمضي كثير من الوقت حتى توفي جلال الدين سنة 618هـ/1221م[3]، وكانت وفاته بسبب الاسهال الشديد "وقد اتهموا نساءه بالاتفاق مع أخته وعدد من اتباعهن فأطعموه السم"[4] .

ان فرضية موت الحسن جلال الدين مسموماً ربما تلاقي قبولاً أوفر حظاً ، لأن إجراءات الحسن في التقرب إلى المحيطين به لا يمكن ان تمر دون حدوث حالات من التذمر وقد استعرضنا لاشكال من ذلك التذمر ، ولا يمكن أيضاً ان يكون جميع النزارية في رضى عن ذلك التصرف ، وربما تكون مراسلاته مع جنكيز خان وتقديمه الطاعة لهُ سبباً في دس السم لهُ من قبل أمراء جيلان ، بمشورة الخليفة العباسي . رغم سكوت المصادر عن ذلك . وربما اندفع جلال الدين بتلك المراسلات مع المغول للموقف المعادي للخوارزميين ليس من الإسماعيلية فحسب وإنما مع الخلافة العباسية في بغداد .

أحدثت وفاة جلال الدين بهذه الطريقة ردة فعل عنيفة فان وزيره الذي عين وصياً ومدبراً لأمور الملك ومربي لأبنه علاء الدين أتخذ من موت جلال الدين بهذه الطريقة – أي السم – ذريعة لتصفية الكثيرين حيث قام فقتل "خلقاً كثيراً من أقاربه

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 177 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 200 .

(2) Von Hammer , The History of the Assassin , p. 154 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، قزويني ، لب التواريخ : 217 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 340/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج227/4 .

وأخته ونسائه وخاصته وأهل بطانته بتهمة القتل ، كما أحرق بعضهم"[1] ، ويشير عدد هؤلاء المقتولين إلى حجم المعارضـــة ، وليس من المعقول ان هؤلاء جميعاً كانوا قد اشتركوا في سم وقتل جلال الدين . وبمقتله مسموماً سنة 618هــ/1221م[2] ، يكون جلال الدين ثالث حكام الموت يقضي موته بالاغتيال ، وقد ترك موت جلال الدين أثره البالغ على الوضع في قلعة الموت ، حيث لم يكن لهُ من الأولاد لولايته إلا علاء الدين الذي كان طفلاً عمره تسع سنوات فقط[3] .

- فترة حكم علاء الدين ابن جلال الدين (618هـ/1221م – 653هـ/1255م) :

تركت وفاة جلال الدين مشـــكلتين ، ليس أقلها ما أحدثه من تغيير في العقائد ليلائم به وجوده مع المحيطين به ، وسـواء كانت تلك التغييرات عن قناعة ، أم ضـرباً من ضروب السياسة ، فانها لابد وان أحدثت تصدعاً في جدار الأفكار عند النزارية ، اما المشكلة الأخرى فهي ان ولي عهده كان صغير السن مما أتاح الفرصة للنساء في تدبير أمور الحركة[4] .

يبدو ان علاقات المحيطين بالنزارية قد انقطعت ولم يكن الحكام الجدد وليس علاء الدين – لأنهُ كان طفلاً – على استعداد للمسير في درب جلال الدين "فحين لم يلقوا رادعاً عن ارتكاب المنكرات والمحظورات ولا أمراً على إتباع الفرائض والســـنن واقتفاء الآثار السداد ، انحرفوا إلى طريق الإلحاد"[5] .

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 340/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج227/4 ، السعداوي ، الحشاشين : 47 .

(2) الجويني ، المصدر نفسه : 439/2 .

(3) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 179 ، العزاوي ، دولة النزارية : 249 .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 340/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج227/4 ، قزويني، لب التواريخ : 218 .

(5) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 179 .

وبذلك فقد الغيت جميع المراسيم التي أصدرها جلا الدين[1] ، وقطعت العلاقة من جديد بالمحيطين ، وهو ما يفسر ذكر الجويني مرة أخرى ونعته للنزارية بالملاحدة .

ولم تمض سوى خمس سنوات من عمر حكم علاء الدين حتى فصد من غير مرض أو مشاورة طبيب ، "فنزف دماً كثيراً ، وأختل عقله ولحقته الخيالات ، وما هي إلا مدة وجيزة حتى بدت عليه علائم الماليخوليا"[2] . وكان من نتيجة ذلك الاحتجام ان تغير طبعه ، ولم يكن أحد يجرؤ إلى التحدث معهُ بشأن وجوب احتمائه وعلاجه ولم يلمحوا له بالمرض ، ثم لم يجرؤوا على نقل الأخبار التي تشير الشجون والأحزان إليه[3] . وقد كان ذلك سبباً في وقوع حوادث السرقة في المملكة وقطع الطريق وإيذاء الناس[4] .

ومع ذلك فان سير الأحداث اثبت غير ذلك ، وقد أشار الدكتور غالب نقلاً عن كتاب "دستور المولى علاء الدين"[*] ان علاء الدين كان يتمتع بكافة قواه العقلية، وبمقدرة علمية لا تتوفر بشخص مصاب بمرض الماليخوليا (أي الجنون) أو بالأحرى النوبات الهستيرية[5] .

---

(1) مير خواند ، المصدر نفسه : مج227/4-228 .

(2) الجويني ، المصدر نفسه : 341/2 ، رشيد الدين ، المصدر نفسه : 180 ، د. عصام الدين رؤوف ، الدولة المستقلة في المشرق : 196، جمال الدين، دولة الإسماعيلية : 200-201.

(3) رشيد الدين ، المصدر نفسه والصفحة ، مير خواند ، المصدر نفسه : مج227/4 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 342/2 ، جمال الدين ، المصدر نفسه : 201 .

(*) وقد أملي هذا الكتاب على العلامة شمس الدين الطيبي ابان وجوده في الموت ، وهو كتاب لا زال مخطوطاً عند الدكتور مصطفى غالب . ينظر ، اعلام الإسماعيلية : 397 .

(5) غالب ، اعلام الإسماعيلية : 397 ، كذلك

Jon Norman Holister , The shi'a of India secondedition , oriental Books , Reprint croup , New Delhi , 1979 : p. 318 .

وقد دللت الأحداث وبرهنت على صحة ذلك الرأي وان علاء الدين كان مشاركاً في صناعة الأحداث .

- العلاقة بين الحشيشية والخوارزميين :

لم يكن عصــر علاء الدين خالياً من الأحداث والنزاعات ففي السـنة الثانية من حكمه هاجم الخوارزميين الري ، وأحدثوا مذبحة بدعاة الإســـماعيلية فيها ، وكان من أســـباب تلك المذبحة ان الإســـماعيلية حاولوا ان يمدوا بنفوذهم نحو أملاك الدولة الخوارزمية مســتغلين الضــعف الذي أصـــاب هؤلاء نتيجة لظهور المغول وصـــراعهم معهم[1] ، وقد اســتولوا على مدينة دمغان قرب قلعة جيردكوه وحاولوا الاســتيلاء على الري فارتكب الخوارزميين مذبحة فيهم سنة 624هـ/1226م[2] ، وكان ذلك سببه عودة جلال الدين منكبرتي من الهند بعد ســـلســـلة من الحروب هناك ، ويبدو ان النزارية استغلوا عدم وجوده من جهة وضعفه وانشغاله بحروبه مع المغول من جهة أخرى[3] . وكان نائب جلال الدين منكبرتي وهو اورخان بكنجة ، قد اقطعه جلال الدين ما تبقى من خراسان وكان اورخان يتعرض لما يتاخمه لبلاد الإسماعيلية مثل تون[*] وقاين[**] وقهستان بالنهب والقتل[4] . فما كان من النزارية إلا ان ارسلوا رسولاً لـــ اورخان الذي استقبل الرسول بفظاظة وجذبه من خفيه وحياصته وكمرّاته فألقى الرسول عدة سكاكين

---

(1) الخشت ، حركة الحشاشين : 124 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 472/10–473 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 126/4 ، عكاوي ، الحشاشون : 173 .

(3) حمدي ، الدولة الخوارزمية والمغول : 220 .

(*) تون : مدينة في نواحي قوهســـتان والنون في لغة العرب البياض . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 62/2 .

(**) قاين : مر تعريفها في ص269 .

(4) النسوي ، سيرة جلال الدين منكبرتي : 228–229 .

ورماها بين يدي اورخان وخاطبه قائلاً "هذه سكاكيننا ولنا من السيوف ما هو أمضى منها وأحد ، وأعلى يداً ، وليس لكم منهم شيء ، وعاد الرسول بظلامة ما انصفت ، وحاجة ما اسعفت"[1] .

ان مجرد مفاوضة النزارية لعدو مثل اورخان يستبيح أراضيهم وناسهم قتلاً وفتكاً يبين مدى التغير في سياسة النزارية وتحولهم في تعاملهم مع الآخرين ولم يكن ذلك عائداً فقط إلى قوة الخوارزميين وإنما لظهور المغول أيضاً .

على أية حال فلم يكن من حل إلا ان أنفذ ثلاثة من الفداوية في عملية اغتيال ناجحة ضد اورخان وقتل المنفذون وهم يصيحون "نحن قرابين المولى علاء الدين"[2] . ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا ما يؤيد قول الدكتور غالب من ان علاء الدين جهز جيشاً من الإسماعيلية ، بعد ان رفض اورخان تعويضات طالب بها الإسماعيلية عما أصابهم في حصون نيسابور فتحرك جيش الإسماعيلية وأسر اورخان عندما حاول الفرار وحوكم واعدم[3] .

ترافقت حادثة اغتيال اورخان مع وصول رسول علاء الدين زعيم النزارية إلى الخوارزميين للقاء شرف الملك[*] وزير السلطان جلال الدين منكبرتي ، وقد استقبل الأخير رسول قلعة الموت بصورة لائقة "فاستسر بمقدمهِ لرعب داخله من طلب الفداوية وأراد تمهيد قاعدة معه يؤمنه في الأجل عن مثل ما تم على اورخان من القتلة الفظيعة ... وكان قصوى مرادهم ، إزالة التعرض عن بلادهم وكانوا قد استولوا على دامغان في

---

(1) المصدر نفسه والصفحة ، صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية : 236–237 .

(2) النسوي ، المصدر نفسه : 229 ، صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية : 237 .

(3) غالب ، اعلام الإسماعيلية : 236–237 .

(*) شرف الملك فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندي خواجا جهان . ينظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 143/5 .

زمن التاتار حين خلت عمن يحميها"[1] . فعقدت هدنة بين الطرفين تتلخص في عدم تعرض الإســماعيلية لممتلكات الخوارزميين ، وان يدفع الإســماعيلية جزية عن مدينة دامغان لجلال الدين مقدارها ثلاثون ألف دينار وكتب لهم بذلك توقيعاً"[2] .

وكان الطرفان على ما يبدو بحاجة إلى تلك المعاهدة وفترة من الهدوء بعد المذابح والحروب التي وقعت بينهم وبين الخوارزميين ، والمغول من جهة أخرى بالنسبة للخوارزميين وقد تخللت تلك المعاهدة من الســـلام الحيطة والحذر من الأخر لكلا الطرفين[3] .

ومع ذلك تتضـــح صـــورة دخول النزارية وفدائيتهم إلى البلاط الخوارزمي من حادثة رسول قلعة الموت والذي بقي عند شرف الملك وكان يحظر معه إألى قصره، ويبدو ان الأخير كان يتخوف من الحشيشية فبالغ في إكرام رسولهم ، وشك في الوقت ذاته بوجود عدد من فدائيتهم بين رجالاته ، وهو ما أثبتت صحته الأيام ، حيث أفضى رسول الإسماعيلية لشرف الملك بوجود فدائيين في خاصته ، قد تسللوا واندسوا بينهم وقد ألح شرف الملك على ذكر أسمائهم بعد ان أعطى الرسول منديله كعلامة للأمان فأحظر المذكور خمسة من الفداوية كان أحدهم هندياً[*] وكان يقول لشرف الملك "كنت قد تمكنت منك يوم كذا وكذا في منزل كذا ، إلا أني كنت انتظر ورود الأمر بإمضـــاء العزيمة فيك فرمى شرف الملك حين سمع كلامه الفرجية[**] من ظهره وقعد بين أيديهم

---

(1) النسوي ، سيرة جلال الدين : 229 .

(2) النسوي ، المصدر نفسه : 230 ، ابن خلدون ، المصدر نفسه : 151/5 ، صبرة ، التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية : 237 .

(3) حمدي ، حافظ أحمد ، الشـــرق الإســـلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي للطبع والنشر، القاهرة ، 1950م : 86-87 .

(*) وهي إشارة على ان الفداوية لم يكونوا كلهم من الديلم .

(**) الفرجية : ثوب واسع طويل الاكمام يتزيا به علماء الدين . ينظر : إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط : 679/2 .

بالقميص وقال : ما سـبب ذلك ؟ وماذا يريد مني علاء الدين ؟ وما الذي صــدر عني من الذنب والتقصـير ليعطش إلى دمي وانا مملوكه ، كما انا مملوك السلطان ، وهانذا بين أيديكم فافعلوا ما شئتم ، وبالغ حتى جاوز التذلل حد الاقتصار "[1] .

وقد بلغ ذلك جلال الدين فانكر على شـــرف الملك تذلله ، وكمحاولة للخلاص من غضــب جلال الدين فقد أحرق شــرف الملك هؤلاء الفداوية ، فأرســل النزارية إليه رسولاً ليدفع فدية كل واحد منهم عشرة آلاف دينار دية وإلا قتلوه ففعل ذلك[2] .

استمر الإسماعيلية يؤدون دورهم ضمن الصراعات التي دارت بين الخوارزميين أنفســهم ، وقد أتضــح ذلك حين لجأ إليهم غياث الدين خوارزمشــاه ، وهو أخو جلال الدين منكبرتي ، وكان قد قصـــدهم محتمياً بهم ويريد الخلاص من أخيه بعد أن أحس بأن الأخير يريد الخلاص منه ، فاستجار بهم ، وتحرك على أثر ذلك جلال الدين يريد ان ينهب[*] بلادهم ان لم يســلموا إليه أخاه وأرســل بطلبه إلى مقدم الإســماعيلية لكن هؤلاء رفضــوا تســليمه وطلبوا من جلال الدين الكف عنه مقابل البقاء عندهم دون ان يتعرض لجلال الدين وممتلكاته ، "فأجابهم إلى ذلك واســتحلفهم على الوفاء بذلك وعاد فيهم"[3] .

يبدو ان ما دفع جلال الدين منكبرتي للقبول والعودة مضــافاً إلى حصــانة قلاع النزارية ، هو مهاجمة المغول لممتلكات دولته . وربما أحس بعدم جدوى مهاجمة قلاعهم .

---

(1) النسوي ، سيرة جلال الدين منكبرتي : 230 .

(2) النسوي ، المصدر نفسه : 231 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 157/5 .

(*) المقصود هنا أصفهان حسب رواية ابن الأثير ، ينظر : الكامل في التاريخ : 476/10 .

(3) ابن الأثير ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، النسوي ، سيرة جلال الدين منكبرتي : 242-243 .

لم تدم تلك الهدنة بين الطرفين طويلاً إذ سرعان ما رجع الخصام بين الطرفين وكان سببه على الأرجح محاولة الإسماعيلية النزارية إقامة علاقات صداقة مع عدوين لدودين للخوارزميين أولهما الخليفة العباسي[**] في بغداد والمغول من جهة أخرى ففي سنة 626هـ/1228م سافر مبعوث الإسماعيلية وهو بدر الدين إلى بلاط المغول عبر نهر امودريا وكان الخوارزميين ، قد أوقفوا قافلة إسماعيلية ، متجهة إلى الغرب – أراضي المغول – وتضم سبعين رجلاً بحجة ان مبعوثاً مغولياً كان يسافر معهم إلى هناك وذبحوهم جميعاً[1] . ولم يكن في الحقيقة ما يشير إلى وجود أي مبعوث مغولي ، ضمن تلك القافلة وقد لام النسوي شرف الملك – الذي قام بتلك الفعلة – على فعلته وقد أرسل علاء الدين أحد رسله وهو أسد الدين مودود معاتباً شرف الملك ومطالباً برد ما أخذ من القتلى فأمر السلطان جلال الدين شرف الملك برد ما أخذه من قوافلهم "وأنكر عليه فعله ، ونعى إليه عقله"[2] .

اما المراسلات بين الإسماعيلية والمغول آنذاك كانت في غرضها الأول هو التجارة وهو ما أتضح في سبب القبض على قافلة تجار الإسماعيلية ، حيث ان هؤلاء وكحالهم مع الآخرين كانوا على علاقات اقتصادية وتجارية مع المغول فكان جلال الدين ينوي في القبض على رسول المغول "تركيب الحجة على الملوك ومعاتبة الديوان العزيز في مراسلتهم"[3] .

(**) وكان الخليفة العباسي في بغداد آنذاك هو المستنصر بالله الذي استمر عهده من (623هـ/1226م–640هـ/1242م) . ينظر : القرماني ، أخبار الدول : 2/191–192 .

(1) النسوي ، سيرة جلال الدين : 265 وما بعدها ، لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة : 101–102 .

(2) النسوي ، سيرة جلال الدين : 266 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 181 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 205 .

(3) النسوي ، المصدر نفسه : 265 ، عكاوي ، الحشاشون : 175 .

سجلت سنة 626هـــ/1228م ، وهي ذات السنة التي شهدت – مقتل تجار الإسماعيلية – شهدت إرسال تسعة فدائيين من عند علاء الدين إلى السلطان جلال الدين منكبرتي تقرباً إليه "على ان تجهزهم إلا من شـــاء من أعداء فيقتلونهم"[1] . ورغم ان جلال الدين رفض ذلك العرض بإشـارة من وزيره شـرف الملك الذي رفض وجودهم في البلاط الخوارزمي ، وقد استمر لذلك الجفاء بين علاء الدين وجلال الدين منكبرتي ، لكن الأخير أرسل النسوي رسولاً إلى الإسماعيلية[2] . في شروط عدة ومطالب كثيرة لكنها كانت توضح مدى المهارة التي أتسم بها الإسماعيلية وزعيمهم علاء الدين الذي فاوض النسوي نفسه[3] .

يعلل أحد الباحثين محاولة تقرب الإسماعيلية من جلال الدين منكبرتي بإرسالهم الفداوية إليه ، بسبب ازدياد نفوذ وقوة جلال الدين ، وإتساع سيطرته على أقاليم كثيرة ، مما جعله يحيط بأملاك الإسماعيلية جنوبي بحر قزوين مضافاً إلى ضعف هيبة وقوة الإسماعيلية[4] . لكن الحقيقة توحي بغير ذلك فقد أحس الإسماعيلية بخطر المغول[*]

---

(1) النسوي ، المصدر نفسه : 246 .

(2) المصدر نفسه : 239 .

(3) للاستزادة ينظر : المصدر نفسه : 239–244 . وفيها يعترف الحشيشية بقتلهم لشهاب الدين الغوري وتحالفهم آنذاك مع السلطان الخوارزمي : 241 .

(4) النسـوي ، سـيرة جلال الدين ، هامش الكتاب : 246 ، صـبرة ، التاريخ السـياسـي للدولة الخوارزمية : 239 .

(*) وقد أتضح ذلك من خلال مراسلات الإسماعيلية إلى انجلترا وفرنسا بعد ان شاهدوا ان المغول ليس لطمعهم وقسوتهم حدود فطالبوا من الأوربيين المسـاعدة ولكنهم لم يلقوا جواباً وقد قال في ذلك أسـقف مدينة ونشـتر "دع هؤلاء الكلاب يأكل بعضـهم بعضـاً حتى يقضـي عليهم نهائياً وعندئذ سوف نقيم على أنقاضـهم الكنيسـة الكاثوليكية العالمية ، فنكون حقاً راعياً واحداً وقطيعاً واحداً" . ينظر : المقريزي ، كتاب السـلوك : 383/1 ، الحاشـية ولأجل ذلك فقد حاولوا تكوين اتحاد من جميع الإمارات المجاورة لهم لصـد الخطر المشـترك الذي تهددهم جميعاً . ينظر :

والذي لا يمكن معهُ إلا التغاضـي والركون إلى الصـلح والاعتراف بواقع الحال والتعاقد مع الخوارزميين لدرء الخطر الأكبر آنذاك ، وقد أشـارت الروايات ان جلال الدين قبل هو الأخر بنوع من التفاهم معهم ، وأثبتت الحوادث بدء من مذبحة التجار الإسماعيلية وغيرها ان الإسماعيلية كانوا أكثر بعداً في نظرهم للأمور ، وأكثر حساباً للخطر القادم . وليس أدل على ذلك إرسـالهم الفدائية ليكونوا بخدمة جلال الدين منكبرتي كونه المتصـدر لقتال المغول آنذاك لكن الأخير لم يحسـن التقدير وعادى الجميع بتلك التصرفات[1] .

وقد كان من نتيجة ذلك الصـراع بين الطرفين خسـائر فادحة للاثنين[2] ، وربما كانت سنة 628هـ/1230م وهي السنة التي هزم فيها الخوارزميون وانتهت دولتهم كانت سنة مناسبة لتوسع الإسماعيلية ، بعد ان تمتع هؤلاء بتجارتهم المزدهرة والأمن الذي وفرته لهم قلاعهم الحصينة ، وقد سمح لهم ذلك الوضع التدخل بشؤون سيستان ، التي كانت تعاني من نزاعات بين الأسـر الحاكمة وبالإضـافة إلى سـيطرتهم على دامغان وطاروم[*] سيطروا على قوميس ومناطق أخرى فوسعوا رقعة أراضيهم[3] .

الصـياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، دار النهضـة العربية للطباعة والنشـر ، بيروت ، 1980م : 234/1 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 490/10 .

(2) الصـياد ، المغول في التاريخ : 84-86 ، الخالدي ، إسماعيل عبد العزيز ، العالم الإسلامي والغزو المغولي ، ط1 ، مطابع دار القبس ، الكويت ، 1984م : 53-54 ، حمدي ، الدولة الخوارزمية : 53 .

(*) طاروم : أو تارم أو طارم كورة واسـعة في الجبال بين قزوين وجيلان فيها قرى كثيرة وجبال وعرة وليس فيها مدينة مشـهورة وتارم أيضـاً بليدة على حدود فارس من جهة كرمان. ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 6/2 ، وقد وردت عند ناصر خسرو باسم طارم وشميران قصبتها . ينظر سفرنامة : 37 .

(3) جوزجاني، طبقات ناصري : 416-418 ، دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 269.

اما صـــــراعهم مع الآخرين فقد تمثل مع جيرانهم حكام جيلان الذين ســـــاءت العلاقة معهم بعد اعدام زوجات جلال الدين حسـن والذين اتهمن بقتله بواسـطة السـم ، وقد أســفر ذلك الصـــراع عن ســيطرتهم على بعض الأراضـــي في جيلان بالقرب من تاريم[1](**) .

- مقتل علاء الدين ومشكلة نظام الحكم :

عاد الوضـــع مرة أخرى إلى التأزم في داخل قلعة الموت ولاحت في الأفق بوادر مشكلة جديدة كان سببها الابن الأكبر لعلاء الدين وهو ركن الدين خورشـاه الذي أعلن والده إمامته مذ كان طفلاً ، ويبدو ان ركن الدين قد اســتطاع ان يحصـــل على مكانة عالية داخل الموت "وحين شب لم يفرق تابعوهما المخذولون بينه وبين أبيه في التعظيم والمقام وكان حكمهُ نافذاً كحكم أبيه"[2] . وقد دفع ذلك الأمر بعلاء الدين إلى الاسـتياء وخشـــي ربما من منافســـة ولده لهُ وهو على قيد الحياة ، فقرر ان يجعل الولاية في ولد آخر[3] وهو الولد الثاني والمسمى بـ(شمس تبريز) لما كان تلمسه أيضاً في الأخير من القوة والإرادة لشؤون الإسماعيلية وقد كان شمس تبريز هذا فيلسوفاً[4] .

---

(1) رشـــــيد الدين ، جامع التواريخ : 181 ، كاشـــــاني ، زبدة التواريخ : 205 ، رحاب عكاوي، الحشاشون : 175 .

(**) تاريم هنا ذاتها تارم .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 2/342-3434 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج228/4 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه : 2/343 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 182 .

(4) norman , The Shi'a of India : p. 318 .
غالب ، أعلام الإسماعيلية : 397 .

جوبهت رغبة علاء الدين هذه بالرفض من قبل النزارية تماشياً مع تقاليد الحركة في ان التسمية الأولى هي التسمية الصحيحة[1] . وقد دفع ذلك الصراع بـ(شمس تبريز) إلى مغادرة قلعة الموت إلى إيران ومن ثم إلى قونيه[*] بعد اجتياح المغول لأراضـــي الحشـيشـية[2] ، وقد احدث ذلك الأمر انشـقاقاً في صـفوف النزارية وكان من نتائجه اغتيال علاء الدين بطعنة خنجر في رقبته أجهزت عليه ، وجرح إلى جانبه اثنان أحدهما هندي والآخر تركماني وقد مات الأخير بينما عاش الهندي ، وقد تعددت الآراء في مقتله وتوجهت الاتهامات لولده ركن الدين[3] . ولو ان القرائن حول ذلك كانت ضـعيفة[*][4] ، وكان من جملة المتهمين بضـعة أشـخاص اثنين أو ثلاث قدموا من

---

(1) الجويني ، المصـدر نفسـه : 343/2 ، ايفانوف ، غاية المواليد منشـور ضـمن المنتخب من بعض الكتب الإسماعيلية : 51 وما بعدها ، تامر ، الإمامة في الإسلام : 105-106.

(*) قونيه : بالضم ثم السكون ونون مكسورة وياء مثناة من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها سكن ملوكهم كما ان بها قبر أفلاطون الحكيم . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 415/4 .

(2) د. الخشت ، حركة الحشاشون : 126 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 343/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، القسم الخاص بالايلخانيين، نقله إلى العربية ، محمد صـادق نشـأت وآخرون ، راجعه وقدم : د. يحيى الخشـاب ، وزارة الثقافة والإرشـاد القومي ، القاهرة ، د.ت : مج245/2 ، مير خواند ، تاريخ روضـة الصـفا : مج228/4 .

(*) لأن ركن الدين كان مريضاً آنذاك وهو طريح الفراش ، بحيث تبدو نسبة الاغتيال إليه ضعيفة ولا صـحة لها . ينظر : الجويني ، المصـدر نفسـه : 344/2 ، ومع ذلك فهناك من يرى انهُ تظاهر بالمرض وانه هو من دبر حادثة الاغتيال تلك . ينظر : الصياد ، المغول في التاريخ : 239 .

(4) د. الخشت ، حركة الحشاشين : 126 .

قزوين وتسللوا إلى فراشه وقتلوه بالاتفاق مع بعض خواصه وأعيانه "ولهذا تعددت التهم وتوزعت الظنون"[1] ، وكان مقتله في سنة 653هـ/1255م[2]، في قلعة شيركوه[3] .

لكن الأمور اتضحت بعد مرور أسبوع على مقتله حيث ان حسن المازنداني وهو من خواص علاء الدين ومن الملازمين له وموضع أسراره ، هو من قام بقتله، وقد دلت عليه زوجته فقام ركن الدين بقتله وإحراق جثته انتقاماً لوالده[4] .

- فترة حكم ركن الدين خورشاه ونهاية الحركة (653هـ/1255م – 654هـ/1256م) :

ما ان انتهت مراسيم عزاء علاء الدين ، حتى شرع ولده ركن الدين خورشاه بإدارة أمور الحكم ، وكان الأب قد هيأ جيشاً لفتح (شال رود) من ناحية خلخال[*] ، فأرسل ركن الدين ذلك الجيش وأمرهم بالاستيلاء على هذه القلعة ، ثم أرسل رسلاً إلى كيلان والمناطق المجاورة يعلمهم بوفاة والده ويعرض عليهم العلاقة الوطيدة "على عكس ما كان عليه أبوه ثم أرسل رسلاً آخرين إلى جميع أطراف مملكته يأمرهم جميعاً بالسير على الدين الإسلامي ، وهو الطريق السليم"[5] .

---

(1) الجويني، المصدر نفسه : 344/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ (قسمت إسماعيليان) : 183.

(2) حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 526 ، قزويني ، لب التواريخ : 653 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، رشيد الدين ، المصدر نفسه والصفحة .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 344/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 205 ، حمد الله مستوفي ، المصدر نفسه : 527 .

(*) خلخال : بلفظ واحد خلاخيل النسوان مدينة وكورة في طرف أذربيجان متاخمة لجيلان في وسط الجبال وأكثر قراهم مزارع في جبال شاهقة بينها وبين قزوين سبعة أيام وبين أردبيل يومين وفيها قلاع حصينة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 382/2 ، يبدو ان النزارية كانوا قد أحسوا بأهمية تلك الأماكن لوجود القلاع فيها لحمايتهم من المغول وهو ما دفعهم للتوجه نحو تلك المناطق .

(5) الجويني ، فاتح العالم : 347/2 ، حمد الله مستوفي ، تاريخ كزيدة : 527 .

وكان ركن الدين قد أحس بخطر المغول واندفاعهم السريع في أراضـي المشرق ، وقد أظهر الإسماعيلية عموماً تماسكهم مع جيرانهم على مختلف اتجاهاتهم العقائدية ضد هذا الخطر الجديد ، عندما أصبحت قلاعهم مركزاً لاستقبال اللاجئين[1] .

وقد ازداد شـــعور ركن الدين بخطر المغول أكثر حين اندفع هولاكو ، ودخل ايران وانتزع قلعتي تون وخواف[**] من حصـون النزارية في قوهسـتان ، وأمر بقتل كل من يزيد عمره على عشر سنوات من أهل خواف ، واستحيا بعضاً من فتياتها الجميلات ، وهو ما يفســر محاولات ركن الدين بناء علاقات ودٍ مع الجميع ، لكن قوة المغول كانت أكبر من تلك الإجراءات وهو ما دفع ركن الدين إلى إرسال رسولاً إلى بيسور أحد قادة هولاكو بهمذان يقول لـهُ انـه قد اختار طريق الولاء والموادعة وانـهُ يود ان يزيل غبار الخلاف وكدر النزاع[2] ، وقد نصـح بيسـور ركن الدين ، بان يخرج هو بنفسـه للقاء هولاكو وخدمته ، وبعد أخذ ورد وتردد الرسل استقر الرأي على ان يرسل خورشاه أخاه الأصغر شهنشاه إلى هولاكو وخرج شهنشاه مع ثلاثمائة من الكفاة كرهينة والتقى هذا الوفد ببيسـور بظاهر قزوين وأرسـل معهم ولد خورشـاه إلى هولاكو . وكان الأخير قد تحرك نحو الموت[3] .

يبدو ان اهتمام المغول واندفاعهم لقلاع النزارية كان ما سـمعوه عن فنونهم في الاغتيال ومعاداة المحيطين لهم حتى ذُكر ان المغول حين تقدموا نحو قزوين اعتصـم

---

(1) رشيد الدين، جامع التواريخ (قسمت إسماعيليان): 185 ، د. الخشت ، حركة الحشاشين : 126 .

(**) خواف : بفتح أوله وأخره فاء قصـبة كبيرة من أعمال نيسـابور بخراسـان يتصـل أحد جانبيها ببوشـنج من اعمال هراة والأخر بزوزن يشـتمل على مائتي قرية وفيها ثلاث مدن سـنجان وسيراوند وخرجرد وينسب إليها جماعة من أهل العلم والأدب . ينظر : الحموي ، المصدر نفسه : 399/2 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 347/2-348 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 185 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 207 ، بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 581 .

(3) العزاوي ، دولة النزارية : 251 .

أهلها منهم بقصبة مدينتهم فدخلوها بالسيف وقاتلهم أهلها قتالاً شديداً بالسكاكين وهم معتادون بقتال السكاكين من حروبهم مع الإسماعيلية فقتل من الفريقين ما لا يحصى[1]
.

وكان بعض جيرانهم قد أدى دوراً في دفع المغول للتوجه نحو الإسماعيلية يُذكر ان منكوقان خان المغول عند جلوسه على عرش ايران قدم إليه قاضي القضاة شمس الدين القزويني ، وكان مرتدياً الزرد وأخبره انه يلبسه تحت ثيابه خشية الملاحدة "كما سرد لهُ طرفاً من اعتداءاتهم وغاراتهم ، وكان الخان يتوسم في أخيه هولاكو مخايل الملك ويرى عزائمه مراسم الفتح والغزو ، وكان قد تفكر ؛ فرأى ان بعض ممالك العالم قد دخل فعلاًَ في حوزة جنكيز خان ، وبعضها لم يستخلص بعد ، وان رقعة العالم فسيحة لا حد لها ، فاستقر رأيه على ان يعهد بكل طرف من المملكة إلى واحد من أخوته"[2] ، وقد وقعت كلمات شمس الدين تلك موقعاً عظيماً عند منكوخان حتى انه عند حديثه أغضب منكوخان "وفي أثناء حديثه وبينما كان مندفعاً بحماسة المتدين صدرت منه كلمات جافة أغضبت منكوخان ، وكان لها أثر عميق في نفسه إذ نسب إليه الضعف والعجز ، لأنهُ لم يستأصل شأفة هذه الطائفة... وما ذلك إلا لأنهم استطاعوا ان يغروا منكوخان بالمال ، بينما هم يتحينون فرصة ضعف دولته فيخرجون من الجبال والقلاع ، ليقضوا على البقية الباقية من المسلمين ويعفوا آثارهم"[3] . هذا

---

(1) ابن أبي الحديد المدائني ، شرح نهج البلاغة : 230/8 ، ابن أبي الحديد ، حملات الغزو المغولي للشرق ، فصل من شرح نهج البلاغة ، ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه : د. مختار جبلي ، دار لارماتون ، باريس ، 1995م : 42 .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ القسم الخاص بالايلخانيين : مج2ج233/1 ، ابن الطقطقي ، الفخري في الآداب السلطانية : 19 .

(3) جوزجاني ، طبقات ناصري : 413-414 .

بعض ما حفظه المؤرخون من تحريض شـمس الدين ، أما ما لم يحفظوه فلا شـك انهُ شي كبير[1] .

هكذا توجه المغول نحو قلاع النزارية ، وقد حاول المغول حشــد كافة القوى ضــدهم ، فقد أرســل هولاكو دعوة إلى الخليفة المســتعصــم أخر خلفاء العباســيين (640هـ/1242م – 656هـ/1258م) لينظم إليه في حملته ضد الحركة ، لكن الأخير رفض ولم تلق دعوته جواباً ، وهو ما دفع بهولاكو لتركيز جهوده نحو قلاع النزارية[2] .

وقد استخدم هولاكو كل الوسائل لتوحيد الجميع ضد الإسماعيلية وهو ما أتضح من الرســالة التي وجهها إلى الملوك والســلاطين ونحن ننقل جزء منها على الرغم من طولها لأنهُ يدخل ضـــمن خاصــــة البحث "لقد أتينا هنا بناء على أمر الخان الأعظم وعزمنا على تحطيم قلاع الإسماعيلية ، والقضاء على تلك الطائفة ، فاذا ساهمتم معنا في تلك الحملة بالجيوش والعدد والآلات فسوف تبقى لكم ولاياتكم وجيوشكم ومساكنك ، وســـتحمد لكم مواقفكم . اما إذا تهاونتم في الامتثال للأوامر وأهملتم ، فاننا حين نفرغ بقوة الله تعالى من أمر الملاحدة ، فســوف لا نقبل عذركم ، ونتوجه إليكم فيجري على ولايتكم ومســاكنكم ما يكون قد جرى عليهم"[3] ، ونســتطيع ان نقول ان ما دفع المغول للتوجه نحو الإســـماعيلية والاهتمام بأمرهم حتى جعلوا مهمة القضـــاء عليهم مهمتهم الأولى في بلاد فارس بالإضافة إلى ما ذكر كان ما أورده أحد المؤرخين الفرنسيين وهو

---

(1) علماء كانوا وراء حملة هولاكو ضد الإسماعيلية ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، العددان 69–70 : 247 .

(2) طعيمة ، د. صــابر ، الغلو والفرق الغالية بين الإســلاميين ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2009م : 821 .

(3) رشيد الدين ، جامع التواريخ (القسم الخاص بالايلخانيين) : مج2ج240/1 ، للاستزادة ينظر: ماركوبولو ، رحلات ماركوبولو : 1/91–92 .

ويليام اوف رويدول الذي كان في منغوليا في ذلك الوقت عندما بعث الحشيشية بمجموعة من الفدائيين لاغتيال مونغكة وقد باءت تلك المحاولة بالفشل ولو صحت تلك الرواية فانها تكون سبباً أخر يضاف إلى كره المغول للإسماعيلية ومقتهم[1] ، وإذا ما قرنا بينها وبين حادثة اغتيال أحد أسرة جنكيز خان وهو جغتاي من قبل الحشيشية[2] ، كما سنأتي على ذكره عرفنا ردة الفعل تلك تجاه الإسماعيلية .

لم يكن الحال داخل قلاع النزارية على وفاق ، فقد كان الخلاف واضحاً بين الذين يفكرون بالاستسلام والحصول على الأمان والشروط الجيدة للصلح ، وبين الذين فضلوا القتال حتى النهاية وكان ركن الدين هو من أصحاب الرأي الأول بإشارة من نصير الدين الطوسي الذي نصح ركن الدين بالاستسلام وكان الطوسي فلكياً وقد أخبر ركن الدين بان النجوم لا تبشر بالخير ، وكان الطوسي صاحب سفارة ركن الدين إلى المغول ، وهو الذي ذهب لبحث شروط الاستسلام ، وقد وافق هولاكو على استقبال ركن الدين وأسرته والمتعلقين به[3] .

وهكذا كان الحال قد ترافق مع بدء حملة هولاكو على قلاع الإسماعيلية ، بالانقسام بين مؤيد لمقاومة المغول وبين معارض . ولابد ان ذلك كان له أثره في إضعاف الموقف عموماً داخل القلاع .

---

(1) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 85 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 357/2 .

(3) رشيد الدين ، جامع التواريخ (قسمت إسماعيليان) : 190 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 210، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج231/4 ، رضوي ، محمد تقي مدرسي ، أحوال وآثار خواجة نصير الدين الطوسي ، دار انتشارات ، طهران ، 1997م : 137 . وللاستزادة أكثر حول تفاصيل نزول ركن الدين واستسلامه للمغول وما جرى من حوادث بين الطرفين . ينظر : ابن الفوطي ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد كمال الدين (ت723هـ) ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تح : د. بشار عواد معروف ود. عماد عبد السلام رؤوف ، طبعة ايران ، د.ت : 329-330 .

- قلاع الحشيشية والمغول :

ما كاد المغول ينادون منكوخان خلفاً لجنكيزخان حتى تقرر تجريد حملتين جديدتين كانت أحداهما إلى فارس وكان يترأسـها هولاكو[1] . وكان الجيش قد زود بالكثير من الأشخاص المدربين على استعمال أدوات القتال ، من المجانيق وزراقات النفط ورماة السهام . وقبل قيام الجيش بمهمته أرسل المرشدين فاختيروا الطريق الذي سوف تمر منه عساكر هولاكو[2] ، وكانت الإشارة تقضي بان يبدأ حملته تلك بالإسماعيلية والقضاء على سلطانهم وكانت آنذاك كلمات القاضي شمس الدين قد أخذ موقعها في نفس الخان الأعظم للمغول . وكان ذلك سنة 651هـ/1253م[3] ، ومع ذلك فان سير الأحداث كان يفيد بان هولاكو كان حذراً من التقدم نحو معاقل الطائفة ، وكان يحاول كسب الوقت وإعطاء الوعود الكاذبة وهو ما جعل ركن الدين يصدق تلك الوعود[4] ، أو ربما اضطر لتصديق تلك الوعود .

لم يكن المغول أول أمرهم عند دخولهم بلاد المشرق الإسلامي كانوا قد تغاضوا نوعاً ما عن الإسماعيلية ، نعم ربما لعب موقف جلال الدين منهم أثره في تركهم ، أو ان المغول لم يأبهوا بقوة الإسماعيلية بعد انكسار الخوارزميين ، الذين هم أشد قوة ومكانة من الإسماعيلية ، اما ما ذهب إليه البعض من ان المغول أرادوا مكافأة الإسماعيلية لموقفهم من غزوهم الخوارزميين[5] ، فيبدو ان ذلك بعيداً عن سير الأحداث وليس أقلها ما ذكرناه من محاولات تقرب الإسماعيلية من الخوارزميين . ولا

(1) رشيد الدين ، جامع التواريخ قسم الايلخانين : مج2ج233/1-234 .
(2) المصدر نفسه : 235 .
(3) رشيد الدين ، جامع التواريخ (قسمت إسماعيليان) : 185 .
(4) الجويني ، فاتح العالم : 350/2-351 ، غالب ، اعلام الإسماعيلية : 290 .
(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 490/10 ، النسوي ، سيرة جلال الدين : 246 .

يمكن الركون أيضاً إلى ما ذهب إليه البعض من محاولات التقرب إلى المحيط من قبل جلال الدين أو خلفه ركن الدين وانها كانت نوعاً من الخوف من قوتهم وسطوتهم ، حداً ذهب معه القائل بذلك الرأي إلى التشكيك بنوايا جلال الدين وما فعله خورشاه[1] ، مع ان ذلك أحد الأسباب ولا ريب ، وإذ كانت قوة المغول قد برزت في عهد ركن الدين بشكل واضح فان ذلك لم يكن واضحاً كل الوضوح في عهد جلال الدين ولو ان الأخير لمس ذلك الأمر ، وربما كان النزارية يسعون في موقفهم من المغول في عهد جلال الدين إلى إضعاف الخوارزميين[2] لا غير .

كان البعض من الإسماعيلية ، ربما قد أحس بالوعود الكاذبة للمغول ، فقد هاجم القائد المغولي (هركتاي) ولايتي طارم ورودبار ، محدثاً فيها التخريب والدمار، ثم قصد أسوار المنصورية[*] وآلة بشين[**] ، حيث أجروا مذبحة دامت (18) يوماً وفي التاسع من شوال سنة 651هـ/1253م شنت حامية كردكوه وهي بيد الإسماعيلية غارة ليلية ودمروا معسكر المغول الحصين وقتلوا منهم مائة شخص كما قتلوا قائدهم الأمير بوري[3] ، فما كان من كيتوبوقانويان القائد المغولي إلا ان شن هجوماً عنيفاً على ولاية قهستان ، وطارد جنوده القوات الموجودة في نواحي "تون" وترشيز ووزيركوه ، وأباحوا

---

(1) Skes sir perey , History of perisia , Oxford – (2) , 1922 , II , p. 95 .

(2) الصياد ، المغول في التاريخ : 84 .

(*) المنصورية ، يبدو أنها أحد المناطق قريبة إلى جهة السند وذكر ان منها إلى مدينة مامهل ست مراحل ومن المديل إلى هذه المدينة مرحلتان . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 170/1 .

(**) آلة بشين : أو نشين وآلة عقاب ونشين جالس أي عش العقاب ، وقد سميت كذلك لارتفاعها . ينظر : الجويني ، فاتح العالم : 256/2 ، الهامش . للاستزادة حول مدينة بشين ينظر : الإدريسي ، المصدر نفسه : 480/1 .

(3) الجويني ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، رشيد الدين ، جامع التواريخ ، القسم الخاص بالايلخانين : مج2ج244/1 .

فيها القتل والغارة ، لكنهم لم يفلحوا في السيطرة على قلعة كردكوه في حين سقطت تون وترشـيز بأيديهم وقلعة مهرين وقلعة كمالي[1]، اما كردكوه فقد حوصـرت بشـدة ، ومن أثر ذلك الحصـار فقد انتشـر الوباء بين المدافعين ، وتوفي كثير منهم وحين علم ركن الدين بذلك أرسل 110 من فدائيته المشهورين ، وقد صادف ان تزوج أمير إسماعيلي داخل القلعة فخضبوا أيدي العروس بالحناء ولما كان الماء عزيزاً فقد شربوا ذلك الماء فلم يمت منهم أحد وبهذا وضـح للأهالي فائدة الحناء في دفع الوباء فطلبوا المزيد من هذا الصنف ، وقد اخترق هؤلاء الفداوية صفوف المغول وبعضهم يحمل الحناء والملح ، لأن الملح كان قد نفذ ومروا جميعاً حتى وصلوا إلى القلعة وأوصلوا معهم ما يحملون فزاد ذلك صمود قلعة كردكوه[2] .

وكانوا قبل ذلك – أي المغول – قد طلبوا من ركن الدين وكبادرة لحسن النية ان يخرب القلاع التي يحتمي بها الإسـماعيلية ، ويبدو ان ركن الدين وكما ذكرنا كان متردداً وكان يميل إلى الاستسـلام فقد قام بتخريب بعض من القلاع مثل قلعة هامون دز والموت ولمسر وحطم أبراجها ورمى أبوابها واشتغل بتخريب أسوارها وحصونها ، ولكنه طلب مهلة سـنة يغادر بعدها القلعة ، فعرف هولاكو عدم جدية ركن الدين[3] . وكان تخريب تلك القلاع ظاهرياً[4] ، ولم يؤثر في حصـانتها أو مناعتها من الهجمات مما أثار شـكوك هولاكو الذي أحس بعدم صـدق ركن الدين الذي كان على ما يبدو متحيراً في اتخاذ القرار .

---

(1) رشيد الدين ، المصدر نفسه والمجلد والصفحة .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ : 244–245 ، الصياد ، المغول في التاريخ : 238–239 .

(3) رشيد الدين ، المصدر نفسه (الايلخانيين) : 250 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج4/231–232 ، العزاوي ، دولة النزارية : 252 .

(4) مير خواند ، المصدر نفسه ، والمجلد والصفحة ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 225 ، لويس، الحشيشية الاغتيال الطقوسي : 252 .

لكن مع ذلك فقد اثبت صـــمود كردكوه للمغول ان ســياســة القوة وحدها قد لا تجدي نفعاً أو أنها قد تكون مدعاة لكثير من الجهد والأموال وهو ما أثبتته الأيام كما ســنرى ، فعمدوا إلى اتخاذ ســياســة اللين والمهادنة مع خورشــاه ، لأنه أدرك قوة تلك القلاع ، فأرسل إلى الإسماعيلية رسولاً وهو ناصـر الدين محتشم قوهستان وهو الذي كان إســماعيلياً ونزل من قلعة ســرتخت بعد ان أرســل له هولاكو رســالة يدعوه فيها للطاعة[1] .

ثم تعاقبت الرسـل تنذر ركن الدين "لقد عقدنا العزم انهُ إذا جاء خورشـاه بنفسـه لاستقبالنا ، فاننا سنعفو عنه رغم جرائمه العديدة"[2] . وكانت تلك الرسل تحمل عبارات الترغيب تارة والترهيب أخرى وخير بين أمرين "إذا نزل من القلعة وترك المقاومة ، وتوجه إلى معسكر الخان فان تصرفه هذا سيكون سبباً في انقاذ حياة طائفة كبيرة من الضعفاء والمساكين ، وإذا لم يقدم نفسه خلال خمسة أيام ، فان عليه ان يستحكم في قلاعه ويستعد للقتال"[3] .

إزاء ذلك كله قرر خورشـــاه النزول من القلعة وكان في قلعة ميمون دز ، وكان قراره بعد مشاورة أعيان دولته وتوجه إلى هولاكو بصحبة الخواجة نصير الدين الطوسي والخواجة أصــيل الدين الزورزني ، والوزير مؤيد الدين فودع بذلك هذا الحصـــن الذي

---

(1) ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة : 329–330 ، رشـيد الدين ، المصـدر نفسـه (الايلخانيين) : مج2ج45/1 .

(2) رشـــيد الدين ، جامع التواريخ (الايلخانيين): 251 ، كاشـــاني ، زبدة التواريخ : 225–226 ، الصياد ، المغول في التاريخ : 240 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 350/2–351 ، رشـيد الدين ، المصـدر نفسـه : 254 ، مير خواند، تاريخ روضة الصفا : مج232/4 .

ظلت أســرته تتخذه مقراً لها مدة قرنين "ثم جاء فقبل الأرض بين يدي الســلطان الأعظم"[1] .

ولابد ان ما دفعه إلى الاستسلام مضـافاً إلى الوعود ، ما كان يلحظه طيلة فترة المفاوضــات من تلك الإمدادات التي وصـلت إلى المغول والجيوش الكبيرة الجرارة "من قبل البحر الذي هو خلف ركن الدين ، ولاسيما ميمون دز الذي كان حصنه ومعقله"[2] .

أهتم هولاكو باستسلام ركن الدين ، وكان ذلك أمراً بديهياً فالإسماعيلية كانوا ما يزالون ممتلكين لبعض القلاع ويستطيعون إثارة المتاعب ، وقد أودعت أسرته وبطانته وخدمه وحيواناته الخاصة في قزوين وقام هو بنفسه بمرافقة هولاكو[3] . وقد أصدر وهو في الأسر المغولي أمراً عاماً إلى قواده لتسليم الحصون النزارية ، فاستولى المغول على بعض من أربعين قلعة بهذه الطريقة في رودبار ، حيث عملوا على هدمها ، بعد وضع حاميتها رهن الاعتقال ، وبقي عدة حصــون رئيســة مثل الموت ولامســار وجيردكوه ، بعيدين عن الاستسلام ، ربما ظناً منهم ان إمامهم تصرف تحت الإكراه[4] .

كان استسلام ركن الدين نصراً لهولاكو ، فقد وفر الجهد والوقت والمال لحصار قلاع النزارية ومقاومتها ، وكان يكفي انهً اســتطاع بأوامره ان يجعل كثيراً من قلاع الحشــيشــية تفتح أبوابها دون عناء ، وكان التدمير مصــير تلك القلاع بعد نزول

---

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 351/2 ، رشيد الدين ، المصدر نفسه : مج2ج254/1 ، رضوي ، أحوال وأثار خواجة نصير الدين : 137 .

(2) الجويني ، المصدر نفسه : 352/2 ، رشيد الدين ، المصدر نفسه (قسمت إسماعيليان) : 193 ، لويس ، الحشيشية : 258-259 .

(3) الجويني ، فاتح العالم : 352/2 ، لويس ، الحشــيشــية : 258-259 ، نزار ، أســرار فرقة الحشاشين : 155 وما بعدها .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 352/2-353 ، ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة : 329-330، دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 217.

سكانها[1] ، وقد أشار رشيد الدين لدور ركن الدين في عملية استسلام القلاع إذ قال "هناك قلاع كثيرة تخص الملاحدة ، موجودة في هذه الديار وفي ديار الشـــام يمكن استخدامها بتوجيه خورشاه ونفوذه ، وإلا فان عليه ان يقضي سنوات عديدة حتى يتيسر فتحها وعلى هذا صار هولاكو يعز خورشاه ويكرمه مدة من الزمن"[2] . كما سمح لهُ بالإقامة معززاً بينهم وسمح لهُ بالزواج من فتاة مغولية وهبها له[3] أو تركية هام بحبها حسب الروايات[4] .

وهذه كلها أدلة على قوة الإســـماعيلية ومناعة قلاعهم وخشـــية المغول منهم فهولاكو كان معتاداً على قتل خصومه متمردين أو مستسلمين ، لكنه غير سياسته مع خورشاه لعلمه ان قلاع الحشيشية كان بإمكانها ان تتسبب لهُ بالمشاكل[5] .

وبحسب رواية رشيد الدين فان خورشاه أبدى رغبته في ان يرحل إلى منكوخان المغول الأكبر في قره قوم عاصمة المغول[6] فانفذه هولاكو في حرس يتناوب حراسته وحملوه على دواب البريد ، إلا ان منكو لم يأذن لهُ في المثول بين يديه ورده من قره قروم وأبلغه انهُ لن يأذن لهُ حتى تسلم قلعتا كردكوه ولمسر للمغول ، ولم يسمح لهُ بلقاء منكو وأرجعوه على أمل ان يقنع أنصاره بالاستسلام وفي طريق العودة وحين بلغ منطقة تســـمى تيعاب هيؤوا لهُ فرصـــة الهروب ليلحقوا به "ويذيقوه وبال الموت والعذاب"[7] ،

(1) الجويني ، المصدر نفسه : 355/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 232–233 .

(2) رشيد الدين ، جامع التواريخ (الايلخانيين) : مج2ج258/1 .

(3) رشيد الدين ، جامع التواريخ (الايلخانيين) : 257 .

(4) الجويني ، فاتح العالم : 356/2 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 213 .

(5) الأمين ، الإسماعيليون والمغول : 139–140 .

(6) ولو ان بروان يذهب إلى ان ذهابه لم يكن بناءًا على طلبه . ينظر : تاريخ الأدب في ايران: 582 ، السيد ، الحشاشون دراسة في ظاهرة الارهاب : 116.

(7) الجويني، المصدر نفسه : 358/2 ، مير خواند ، تاريخ روضة الصفا : مج233/4–234، ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة : 330 .

ولما تخلصـوا منه قتلوا أقاربه وأفراد أسـرته من النسـاء والرجال حتى الأطفال في المهد فيما بين ابهر وقزوين[1] . وسلموا اثنين أو ثلاثة منهم من أهل ركن الدين إلى بلغان – أحد أفراد الأســـرة المغولية – ليقتص منهم ويثأر لدم أخيه جغتاي الذي طعن بخنجر الفدائيين[2] . ويشير د. عصام الدين ان سبب تلك المذبحة كان مقتل جغتاي الذي قتله الفداوية[3] . لكن الحقيقة ان ســياســة المغول كانت تقوم على القتل والإبادة بصـــورة وحشية وقد توجس هؤلاء خوفاً من الحشيشية منذ البداية . وقد أتضـح ذلك من وصـية منكوخان لهولاكو وهو يتقدم نحو بلاد المشـــرق "اما من يعصـــيك ؛ فاغرقه في الذلة والمهانة مع نسائه وأقاربه ، وكل ما يتعلق به ، وأبدأ بإقليم قهستان في خراسان فخرب القلاع والحصون .

"أجعل كردكوه وقلعة لنبه سـر ، بحيث يكون رأسـهما إلى أسـفل وجسـدهما إلى أعلى ، ولا تبقي في الدنيا قلعة قط ، ولا كومه واحدة من تراب"[4] .

هكذا قتل ركن الدين عندما أصبحت القلاع أغلبها تحت سيطرة المغول ، وحين أحس منكو بأنهُ أصـبح قليل التأثير ليفتح القلاع الباقية مثل الموت ولمسـر وكردكوه ، اما الموت فقد قاومت عدة أيام ثم استسلمت ، وصـمدت لمسر لأكثر من عام وتمكنت كردكوه من الصـــمود لعدة أعوام[5] ، وقد ذكر بروان ان لمســـر صـــمدت حتى عام

---

(1) رشيد الدين ، المصدر نفسه : مج2ج258/1 .

(2) الجويني ، المصدر نفسه : 358/2 .

(3) د. عصام الدين رؤوف ، الدول المستقلة : 197 .

(4) رشيد الدين ، جامع التواريخ (الايلخانيين) : 237 .

Boyle , Jone , The Ismaili sand thje mongol Invasions in , Nasr , ed Ismaili contriobutions to Islamic culture , London , p. 10 .

(5) الجويني ، فاتح العالم : 351/2 الهامش حيث رجح بقاء بعض القلاع لعشـــرين ســـنة . د.الخشـت ، حركة الحشـاشـين : 128 . ويذكر ابن الفوطي انها فتحت بعد سـنين متطاولة . ينظر : الحوادث الجامعة : 330 .

658هـــ/1259م ، وكان منهاج السراج أحد مفكري النزارية مستحكماً فيها ، وقد ألف خلالها كتاب طبقات ناصــري[1] ، اما كردكوه فهناك من أشـــار إلى انها بقيت ممتنعة لمدة ثلاث عشرة سنة أخرى حتى سنة 669هـ/1270م ولم يستسلم المدافعون عنها إلا بعد ان نفذ عتادهم وأنهكتهم الأمراض[2] .

وفي النهاية نجح التتار في تدمير كل القلاع التي بقيت صـــامدة أمامهم ، وبعد ان استسلمت الموت صعد جنود المغول إليها وكسروا المجانيق وخلعوا الأبواب ، وقد طلب السكان مهلة ثلاثة أيام لنقل أمتعتهم وفي اليوم الرابع عملوا فيها الغارة والنهب "ثم صعد هولاكو خان فوق قلعة الموت لرؤيتها ، فدهش جداً لعظمة ذلك الجبل"[3] .

ورغم دمار كل القلاع فيما بعد إلا ان ذلك لم يكن يعني نهاية الحركة أبداً ؛ إذ انها تمكنت في الدخول في دور ستر جديد مغرق في السرية والتخفي ، لابسة خرقة الصـــوفية "وكالعادة في التاريخ الإســـماعيلي تمكن رجال الحركة من إنقاذ طفل لركن الدين خورشاه أسمه شمس الدين محمد الملقب بـــ"اقاشمي" الذي خلف أباه في إمامة الحركة ومنذ ذلك الوقت انتشروا في الهند وزنزبار وشمالي فارس ، ويعرفون الآن باسم الخوجات والمولدية أو الاغاخانية[4] .

---

(1) بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 582 ، العلي ، علاء الدين الجويني وكتابه جهان كشـــاي: 117 .

(2) جوزجاني ، طبقات ناصري : 485 وما بعدها ، دفتري ، مختصر تاريخ الإسماعيليين : 272 .

(3) رشيد الدين ، جامع التواريخ (الايلخانيين) : مج2ج256/1 .
Norman , The Shi'a of India , p. 319 , Delacy , ASHORT History of the FATIMD , p : 244 .

(4) لويس ، الحشيشية : 260 ، د. الخشت ، حركة الحشاشين : 128 ، ناديا ابيو جمال، الناجون من الغزو المغولي : 85-94 ، دفتري ، خرافات الحشاشين : 77 .

الفصل الرابع
الحشاشون في بلاد الشام
والنزعات الفكرية عند الحركة

- المبحث الأول : الدعوة الإسماعيلية النشأة والتكوين في بلاد الشام .
- بداية الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام وجذورها .
- الحركة وأولى الاغتيالات .
- الحركة وإجراءاتها بعد مذبحة حلب .
- دور بهرام بن موسى ودعوته في دمشق .
- إجراءات بهرام في قلعة بانياس .
- مقتل بهرام وأثرهُ .
- الحشاشون يعيدون ترتيب صفوفهم .
- المبحث الثاني : عهد راشد الدين سنان حتى نهاية الحركة .
- راشد الدين سنان ودوره في تطور الحركة في بلاد الشام .
- إجراءات راشد الدين سنان .
- العلاقات الخارجية في عهد راشد الدين .
- علاقاتهم مع الصليبيين .
- علاقة الحشاشين مع صلاح الدين .
- إعلان القيامة وراشد الدين .
- وفاة راشد الدين سنان وأثرها في سير الأحداث .
- أوضاع الحشيشية في بلاد الشام بعد راشد الدين .
- عهد الانحلال وسقوط القلاع .
- المبحث الثالث : النزعات الفكرية عند الحشاشين .
- الجويني ومكتبة الموت .
- النتاج الفكري عند الحشاشين .
- أدب الحشيشية وبعض من مؤلفاتها .
- الحشاشون والتصوف .
- الحشيشية ومفكري الفرق الأخرى .
- الغزالي والإسماعيليون والأثر الفكري للكتابة بينهما .

الفصل الرابع
المبحث الأول
الدعوة الإسماعيلية "النشأة والتكوين في بلاد الشام"

انتشرت الدعوة الإسماعيلية في الشام بصورة عامة زمن بدء الدعوة[1] ، وكانت بلاد الشــام قد عرفت التشــيع قديماً على يد نفر من الصــحابة كأبي ذر الغفاري الذي نشــر الدعوة للإمام علي (عليه الســلام) وكانت قد روج لذلك قبل نشـوب الخلاف بين الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ومعاوية ، وقد استطاع ان يعمل بجبل عامل وتشيع أهله هناك – أي أهل جبل عامل – ومنذ ذلك اليوم كانت الشام تميل تارة للتشيع وتنقلب في أخرى[2] . ثم ظهر بعدها الباطنية وكان تاريخهم هناك يكتنفهُ الغموض "اما الباطنية فكان ظهورهم أكثر غموضـــاً في هذه المرحلة ... فقد كان لهؤلاء الباطنية مشــروعهم الخاص مغتنمين الفرصـــة للترويج لهُ ... على حســاب الخلافة العباســية والأطراف المتصــارعة في الشــام ، بما في ذلك الدولة الفاطمية المتراجعة التي شـكلت ارثاً لهم برغم الخروج عليها ، وقد تيســرت لهم هذه الفرصــة بصــورة ما في حلب التي عانى صــاحبها[*] ارتباكاً واضــحاً في ســياســته"[3] . ولقد وجه الفاطميون عيونهم نحو

---

(1) ينظر في ذلك البدايات الأولى لهجرة الإمام الإســـماعيلي عبد الله بن محمد بن إســـماعيل واستقراره في سلمية ، عماد الدين القرشي ، عيون الأخبار : السبع الرابع/365 .

(2) ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف : 31 ، كرد علي ، خطط الشام : 263/1 ، جعفر المهاجر ، التأسيس لتاريخ الشيعة : 19 وما بعدها .

(*) المقصود هنا صاحب حلب رضوان بن السلطان تتش الب ارسلان السلجوقي والذي تملك صلب بعد أبيه، وقد قرب إليه الباطنية كما سنأتي على ذكره. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: 315/19

(3) بيضــون ، إبراهيم ، تاريخ بلاد الشــام إشــكالية الموقع والدور في العصــور الإســلامية ، دار المنتخب العربي للدراســات والنشــر والتوزيع ، بيروت ، 1995م : 301 . حول الوجود الفاطمي في بلاد الشــام وللاستزادة ينظر : محاسنة ، د. محمد حسين ، تاريخ مدينة دمشق خلال الحكم الفاطمي ، ط1 ، دار الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية ، دمشق ، 2001م : 83 وما بعدها .

حلب وأخذت دعوتهم هناك بالانتشـــار زمن الخليفة الفاطمي العزيز(*) بالله[1] . وكان ذلك التاريخ قبل ظهور الحســن بن الصــباح بزمن طويل وبعد ظهوره وحين اسـتطاع الخلاص من قبضـة مطارديه على أثر وفاة المستنصـر وملاحقة بدر الجمالي لهُ حيث انفرقت الإسـماعيلية إلى نزارية ومسـتعلية[2] . وحين حقق الحسـن ابن الصــباح أولى نجاحاته في بلاد المشــرق ، أخذت أنظاره تتجه نحو مصـــر حيث الخلافة الفاطمية ، ولابد انهُ فكر في قاعدة قريبة منها لإعادة الخلافة إلى نزار الابن الأكبر والذي بنظر النزارية سـلبه المسـتعلي الحق في الإمامة ، وكانت مصـر بعد الإجراءات التي أتخذها الفاطميون في تتبع النزارية قد أصبحت مكاناً غير أمنٍ لذلك الأمر فتوجه نحو سوريا[3] . وكانت الطبيعة الوعرة والمناطق الجغرافية بما فيها من جبال ووديان وصـــحارى وهضـــاب عاملاً مهماً دفعت الحســن للتركيز على تلك البلاد[4] . وهكذا أخذ الحســن يفكر بتوســيع دعوته عبر ســورية وفي أقاليم أخرى فكانت الأجزاء الغربية الجبلية في سورية هدفهُ الثاني لكونها تؤمن الحماية والحركة للإسماعيلية بجانب أنها مسكونة من قبل شيعة يسهل التأثير فيهم[5] . وكان ذلك الأمر مهماً يوازي أهمية الموقع ان لم يكن يزيد عليه ، وكان الحسن عند رحلته من مصر إلى بلاد المشرق نزل إلى ساحل الشام بثغر عكا وكان يطوف المن والأمصـــار ويدرس الأوضـــاع هناك وكان أثناء ذلك يبث

(*) العزيز بالله : أحد خلفاء الفاطميين الذين اسـتمرت خلافته من 365هـــ/975م حتى سـنة 386هـــ/996م . وقد استمرت خلافته خمس وعشرين سنة . ينظر : الصنهاجي ، أخبار بني عبيد : 55-57 .

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ : 453/7 ، أبو الفداء الأيوبي ، المختصر : 141/2-142.

(2) ينظر : الفصل الثاني من الأطروحة تحت عنوان الحسن الصباح .

(3) د. محمد الخشت ، حركة الحشاشين : 132 .

(4) المصدر نفسه والصفحة ، د. صابر طعيمة ، الغلو والفرق الغالية : 831 .

(5) د. علي موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 125 ، فروخ ، عمرو ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت : 146/3-147 .

دعوته في كل بلد نزل به فاجتذب له عدد كبير من الناس[1] وقد مر في رحلته تلك بحلب التي قيل عنها "انها أم البلاد"[2] وفي هذه الرحلة التقى أثناء سفره بعددٍ من دعاة الإسماعيلية فبذر فيهم الدعوة إلى نزار ، وكانت سورية آنذاك قد وقعت بين عدة قوى متناحرة كان منهم السلاجقة في الداخل والفاطميون في الجانب الخارجي الموازي لساحل البحر المتوسط[3] ، ثم ازداد الموقف تعقيداً عند ظهور الصليبيين الذين وصلوا سنة 490هـ/1096م ، واستطاعوا السيطرة على انطاكية[*] وبعض المناطق الأخرى[4] ويمكن القول ان الحسن الصباح دفع ببعض دعاته إلى بلاد الشام بعد صراعه مع السلاجقة للشدة والقسوة التي تعامل بها هؤلاء مع الإسماعيلية عموماً ومع دعاتهم بصورة خاصة ولا أدل من ذلك ما ذكر حول مقتل ابن عطاش . ومثلما استثمر الحشيشية الخلافات في بلاد المشرق وتغلغلوا هناك كذلك كان الحال في بلاد الشام ، حيث كانت الحياة السياسية بيد السلاجقة الذين توزعت سلطتهم بين أمراء ومقدمين سلاجقة كان أعظمهم أهمية رضوان ودقاق وهما أولاد تتش وكان هذا صاحب الشام

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 2/304-305 ، د. مصطفى غالب ، الثائر الحميري : 51 .

(2) ابن العديم الحلبي ، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط1 ، تح : د. سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، دمشق والقاهرة ، 1997 : 3/404 .

(3) د. محمد الخشت ، حركة الحشاشين : 132 .

(*) انطاكية : بالفتح ثم السكون والياء مخففة قيل ان أول من بناها انطيخس وهو الملك الثالث بعد الاسكندر وقيل غير ذلك ، طولها تسع وستون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة ، وكانت قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من أعيان البلاد وأمهاتها موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 1/266 وما بعدها .

(4) الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 3/330 ، ويجعل ابن الأثير ابتداء أمر الفرنجة الصليبيين قبل ذلك التاريخ . ينظر : الكامل في التاريخ : 9/13-14 .

فلما مات اختلف من بعدهِ ابنائه رضـوان ودقاق وكان الأخير بدمشـق ورضـوان بحلب فخطب رضــوان بأعماله للمســتعلي بالله أياماً قلائل ثم عاود الخطبة للعباســيين وكان ذلك سنة 491هـ/1097م[1] ، وذلك التقرب من الفاطميين من قبل رضوان يمكن تفسيره فيما بعد باتفاقه مع الحشاشين في صراعه مع أخيه دقاق ، وكان طرف الصراع الأخر الثالث هو جناح الدولة[*] بن اتكين الذي كان ينوب عن عبد الله بن تتش في مدينة حمص[2] .

استغل الإسماعيلية منجم رضـوان وكان رجلاً يقال له الحكيم أسعد وهذا الرجل هو من استطاع ان يكسب رضـوان ويقربه إلى المذهب الإسماعيلي ، وكان ذلك على ما يبدو بإشــارة من الفاطميين "واتته رســل المصــريين يدعونه إلى طاعتهم يبذلون لهُ المال وانفاذ العساكر إليه ليملك دمشق فخطب لهم بشيزر وجمع الأعمال سوى انطاكية وحلب والمعرة[**] أربع جمع ثم حضــر عنده ســقمان بن ارتق وباغيســيان صــاحب انطاكية فانكر ذلك واستعظماه فأعاد الخطبة العباسية في هذه السنة وأرسل إلى بغداد يعتذر"[3] . وكانت تلك على ما يبدو بداية ليتخذها الحشــيشــية منطلقاً لهم فيما بعد . وكانت خطتهم في ذلك قبوله بالتحالف مع الإســماعيلية وكان الفضــل في ذلك للحكيم أسعد الذي كسب ثقة رضوان وكان الأخير يميل إليه "فقدمه بعد مسير جناح الدولة"[4]

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 85/4 . T.Keightley , SECRET SOCIETJES , p : 59

(*) جناح الدولة : حسين بن ملاعب صاحب حمص كان أميراً مجاهداً يباشر الحروب بنفسه قتلته الباطنية بتحريض من رضوان . ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 168/5.

(2) ابن كثير ، البداية والنهاية : 149/12 .

(**) المعرة : والمعرة الشــدة وكوكب في الســماء والمعرة الدية وقتال الجيش والمقصــود هنا معرة مصــرين بفتح أوله وثانيه وتشــديد الراء وهي بليدة بنواحي حلب ومن أعمالها بينهما نحو خمس فراسخ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 155/5-156 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 11/9 .

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 189 .

. ونلاحظ من ذلك ان الحكيم أسعد كان لهُ شأناً مهماً في الدعوة الإسماعيلية في بلاد الشام مع شخصية أخرى وهو أبو طاهر(*) الصائغ وفيها يقول ابن القلانسي انها كانا أول من "أظهر هذا المذهب بالشـــام في أيام الملك رضـــوان واســـتمالا إليه بالخدع والمحالات ومال إليهم خلق كثير من الإســـماعيلية بســـرمين(**) والجور(***) وجبل السماق(****) وبني عليم(*****)"(1) ، وكان قد سبق أبو طاهر الصائغ والحكيم أسعد داعية أخر هو أبو الفتح الســـرميني وكان قد جعل أبو طاهر ينوب في قيادة الحركة بـدلاً عـن الـحـكـيـم أســـعـد (الـمـنـجـم) بـعـد وفـاتـه وكـان أبـو

(*) كان رأس الباطنية وكان حلبياً . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 30/35 و17/36 .

(**) سرمين : مدينة حسنة كثيرة البساتين وأكثر شجرها الزيتون وهي من أعمال حلب قيل انها سميت بسرمين ابن اليفز بن سام بن نوح (عليه السلام) وكان أهلها إسماعيلية . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 215/3 ، السخاوي ، البلدانيات : 204 .

(***) الجور : لم أجد لها تعريفاً .

(****) جبل السماق : جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع عامتها أصبحت للإسماعيلية وأكثرهم في طاعة صاحب حلب وفيها مزارع وبساتين والمياه الجارية فيه قليلة يكثر فيه القطن والمشمش والفواكه وسمي بالسماق لكثرة ما ينبت فيه منه. ينظر : الحموي ، المصدر نفسه : 102/2 .

(*****) بني عليم : أو جبل بني عليم وهو منسوب إلى بني عليم بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان نزلوه فعرف بهم ونسلهم به اليوم ، وهو جبل عال مشرف على جبل السماق وفي ذيله قرية كبيرة يقال لها ريحا وفي رأس الجبل عين ماء ويضم قرية كفر لاثا وبه حصن منيع . ينظر : ابن العديم الحلبي ، بغية الطلب : 446/1-447 .

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 189 .

الفتح هذا مقيماً بافاميه(*) وقد قرر ذلك مع أهلها"(1)(**) .

وكان أول ضحايا الحشيشية بالاغتيال جناح الدولة وقد دخل كأحد الأطراف المتصارعة في بلاد الشام وكان قد استولى على الأمور في حلب زمن والد رضوان أي تتش بن الب ارسلان(2) ، ويبدو ان رضوان لم يكن مطمئناً لنشاط جناح الدولة وقد التقت ميوله تلك مع الحكيم أسعد فخططوا للتخلص منه وكان آنذاك يسير إلى حصن الأكراد – أي جناح الدولة – يريد ان يخلصه من الأفرنج الصليبيين وكانت فرصة مناسبة للتخلص منه حين دخل إلى المسجد هجم عليه ثلاثة من الباطنية فقتلوه وكان الحكيم المنجم هو من "ندب لقتل جناح الدولة"(3) . وكانت أصابع الاتهام تشير إلى رضوان في تدبير ذلك الاغتيال(4) بالتعاون مع الباطنية ، وان أبا طاهر الصائغ كان مشتركاً أيضاً في عملية الاغتيال تقرباً إلى الملك رضوان(5) وكان ذلك سنة 495هـ/1101م وهناك من جعلها سنة 496هـ/1102م(6) ، وبعد أربع وعشرين يوماً

(*) افامية : أو فاميه ميم ثم ياء مثناة من تحت خفيفة مدينة كبيرة وكورة من سواحل حمص فتحت صلحاً على يد أبو عبيدة سنة 71هـ/690م. ينظر: الحموي: معجم البلدان: 233/4.

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 149 .

(**) يُذكر ان سرمين كان أكثر أهلها من الإسماعيلية ولهم بها دار دعوة ولم يزل بهذه الدار نائب عن الإسماعيلية بعد استيلاء المغول على حلب وبلادها إلى ان رفع السلطان الظاهر ببيرس أيديهم عنها سنة 665هـ/1266م . ينظر : ابن العديم ، بغية الطلب : 138/1-139 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 71/34-72 ، ويبدو من هذه الرواية ان الإسماعيلية حصلت لها على موطئ قدم وأخذت تنظم أمور الدعوة فيها للإسماعيلية .

(2) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : 153/18 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 56/9 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 169/5 .

(4) ابن الأثير، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 214/5.

(5) ابن العديم ، بغية الطلب : 2808/6 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 50/34 .

(6) عباس ، د. احسان ، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1988م : 65 .

من حادثة الاغتيال تلك توفي الحكيم المنجم[1] أو بأربعة عشر يوماً وهناك من يرى انه قتل[2] ، وربما يكون مقتله انتقاماً لقتل جناح الدولة .

هكذا نجح الحشيشية في جذب أول حكام السلاجقة إلى صفوفهم ، وعلى عكس ما كان يحصل في بلاد المشرق فقد تعادى هناك الطرفان بشكل عام ولو ان ذلك كان تصحبه بعض المهادنات ، حيث ارتبط الحشيشية وسنجر مثلاً ببعض التحالفات لكن الشكل العام للعلاقة بين الطرفين كان العداء ، اما في بلاد الشام فقد اختارت النزارية المهادنة أول الأمر مع رضوان الذي كان بحاجة إلى حليف قوي في الداخل لمواجهة مؤامرات منافسيه وخصومه ، فوجد ضالته في هذين الداعين فأطلق لهما حرية العمل والحركة وسمح لهما ببناء دار للدعوة[3] ، ولم تكن العلاقة بين الطرفين رضوان والنزارية على الود دائماً ، وذلك بسبب عداء العامة للإسماعيلية حيث ذكر في حوادث سنة (501هـ/1107م) "وفي هذه السنة بلغ فخر الملوك رضوان ما ذكر به من مشايعة الباطنية واصطناعهم وحفظ جانبهم وانهُ لعن بذلك في مجلس السلطان ، فلما بلغه الخبر أمر ابا الغنائم ابن أخي ابن الفتح الباطني بالخروج عن حلب فيمن معهُ فانسل القوم بعد ان تخطف جانبهم وقتل منهم أفراد"[4].

---

(1) ابن العديم ، بغية الطلبة : 2808/6 .

(2) ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 169/5 ، الجنزوري ، علية عبد السميع ، الحروب الصليبية المقدمات السياسية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999م : 227-228 .

(3) اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي (ت726هـ/1326م) ، ذيل مرآة الزمان ، ط1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، 1954م : 38/8 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 205/5 ، ابن الشحنة ، أبو الفضل محمد (ت890هـ/1485م) ، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم : عبد الله الدرويش ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، 1984م : 35 .

(4) عباس، شذرات من كتب مفقودة في التاريخ: 66 . T.Keightley , SECRET SOCIETJES , p : 60

ونلمس من ذلك ان إسماعيلية بلاد الشام انهم اختصوا بتسمية الحشاشين[1] دون إسماعيلية بلاد المشرق التي عرفت على الأغلب والأعم بالنزارية ، والحقيقة أنهم كانوا أتباع الحسن الصباح ، وبهذا يمكن القول بصحة استنتاج طه شرف في عدم دقة ما ذهب إليه القلقشندي في اعتبار هؤلاء النزارية من المستعلية إذ ينقل عنه نصاً يقول فيه "ولما افترقوا إلى مستعلوية ونزارية ... أخذ منهم ببلاد المشرق بمذهب النزارية، عملاً بدعوة ابن الصباح ... وأخذ من منهم بالشام بقلاع الإسماعيلية بمذهب المستعلوية ، وصاروا شيعة لمن بعد المستعلي من خلفاء الفاطميين بمصر"[2] ولم يكن في الحقيقة ان هؤلاء قد انحازوا إلى جانب خليفة مصر الفاطمي وإنما كانوا أصحاب الدعوة الجديدة الدعوة النزارية[3] .

- النجاحات التي حققتها الحشيشية في بلاد الشام :

أدت سياسة التقرب التي انتهجها الحشيشية من رضوان إلى ازدياد عددهم ، وكان أبو طاهر الصائغ العجمي وهو من أصول فارسية[4] ، قد أصبح زعيماً للحركة بعد الحكيم المنجم أي بعد وفاته[5] . وقد استطاع التقرب من رضوان وان يصبح فيما بعد من أعيانه والمقربين له . ولم تكن للإسماعيلية قوة تستطيع تسيير الأمور وفرض السيطرة فيها إلى حد بعيد ، وذلك كون الحسن بن الصباح ، كان منشغلاً بتثبيت وتدعيم مركزه في بلاد المشرق ، وهو ما دفعه إلى عدم المساعدة إلا عند الضرورة[6] ،

---

(1) التطلي ، رحلة بنيامين : 114 و186 .

(2) القلقشندي ، صبح الأعشى : 249/13 ، وللاستزادة ينظر : ابن الشحنة ، الدر المنتخب : 265 .

(3) دولة النزارية أجداد اغا خان : 179 .

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 149 ، د. محمد الخشت ، حركة الحشاشين : 134 .

(5) ابن القلانسي ، المصدر نفسه ، والصفحة .

(6) ابن الأثير ، الكامل : 94/9 .

بالرغم من ان الروايات كانت تخلط على الأعم بين ميل رضوان للإسماعيلية أصحاب الدعوة في مصر أي الفاطميين[1] ، وهذا الأمر قد أضاع قسماً من الحقيقة في مدى فاعلية نفوذ الحشيشية هناك .

أخذ الحشاشون يفكرون ويفتشون في الحصول على موطئ قدم لهم ، وكانت سياسة التقرب من رضوان قد أتت ثمارها حتى أصبحوا مرهوبي الجانب وازداد نفوذهم وسلطانهم عند رضوان ، وأخذوا يفدون من فارس إلى الشام جماعات حتى تضاعف عددهم وبرزت قوتهم في حلب بشكل خاص[2] .

وكانت أوصاف المبالغة واضحة في وصف قوة الحشيشية أو محاولة كيل التهم لهم "وكثروا وصار لهم فيها دار دعوة وعظم شأنهم ، وصار كل من يجني جناية انتسب إليهم فمنعوه وحرسوه وكاتبوا الملوك في أمره حتى يخلصوه ، فكثر بذلك أتباعهم واشتهر أمرهم واشتدت شوكتهم وصار الرجل منهم يلقي الرجل من غيرهم فينزع عنه ثيابه ولا يقدر على الامتناع منه ولا يجد ناصراً ويلقى أحدهم المرأة والصبي في الطريق فيقبض عليه ويذهب به أنى شاء ولا يقدر أحد على استخلاصه"[3] ، ويمكن القول ان المبالغة واضحة في الرواية أعلاها فمن المعروف ان حركة تقوم في وسط معادٍ لها لا يمكنها ان تألب العامة عليها بهكذا أعمال ، فما بالك والإسماعيلية في بداية أمرها .

---

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب : 491/2 ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب : 264-265 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 210/10 .

(3) ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن علي بن محمد ناصر الدين (ت807هـ/1404م) ، تاريخ الدول والملوك والمعروف بتاريخ ابن الفرات ، حققه وعلق عليه : د. حسن محمد الشماع ، مصر ، 1970م : 71/1 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 315/19 ، تاريخ الإسلام : 30/35 .

توجه الحشاشون نحو الاحتماء بمكان حصين بعد ان زاد عددهم ونفوذهم ، وقد انتهجوا بذلك سياسة الحسن بن الصباح وربما بإشارة منه وكان ذلك بحدود سنة 499هـ/1105م[1] .

ثم ينقل المؤرخ ابن العديم رواية أخرى حول ازدياد نفوذهم بحلب تشير إلى تحول أحد وجوههم ودعاتهم وهو الحسن بن عجل المعروف بالصوفي إلى حلب وتحديداً إلى دار الدعوة التي ابتناها الإسماعيلية وكان تحوله إليها من سرمين بعد ان قوي أمرهم هناك[2] ، ويمكن القول ان الحشيشية كانت تنقل دعاتها الأكفاء من مناطق النفوذ القوية إلى الأخرى الأقل نفوذاً لغرض نشر الدعوة استناداً إلى تلك الرواية .

كان تفكير الحشاشين يميل إلى تملك احدى الحصون في أفامية ، وكان ابن ملاعب[*] الكلابي والذي كان متغلباً على حمص قد حصل هناك على أمنع الحصون سنة 484هـ/1091م[3] . ويُذكر ان ابن ملاعب كان قد ألحق ضرراً بحمص وأهلها وأخذ رجاله يقطعون الطريق ، فكثر السراق عنده ، فأخذها منهُ تتش بن الب ارسلان وأبعدها عنه – أي حمص – فتقلبت به الأحوال إلى ان دخل مصر فلم يلتفت إليه من بها "واتفق ان المتولي لافأمية من جهة الملك رضوان أرسل إلى صاحب مصر وكان يميل إلى مذهبهم – يقصد الإسماعيلية – يستدعي منهم من يسلم إليه الحصن وهو من أمنع الحصون وطلب ابن ملاعب منهم ان يكون هو المقيم به وقال انني أرغب

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 49/9 .

(2) ابن العديم ، بغية الطلب : 139/1 و476 .

(*) ابن ملاعب : خلف بن ملاعب الاشهبي الملقب بسيف الدولة ، كان كريماً شجاعاً وجباراً ظالماً يقطع الطريق ويخيف السبيل وإليه تنسب قبة ابن ملاعب وهي حصن دثر في طريق بلد حلب . ينظر : ابن العديم ، المصدر نفسه : 3354/7 .

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 121 ، ابن العديم ، المصدر نفسه : 3354/7-3355، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 174/5 .

في قتال الفرنج وأؤثر الجهاد فسلموه إليه وأخذوا رهائنه"[1] ، ويعطي ابن ميسر صورة أوضح عن سيطرة ابن ملاعب على أفامية إذ يقول في حوادث سنة 489هـ/1095م "فيها خرج ابن ملاعب من مصر والياً على افامية فتسلمها ، وذلك ان أهلها قدموا إلى مصر ، وكانت مذاهبهم إسماعيلية وسألوا والياً يكون عليهم ، فوقع الاختيار على ابن ملاعب ، وكان بحمص فأفسد فيها افساداً كثيراً"[2] ، ونستنتج من هذه الرواية ان محاولات السيطرة على مناطق نفوذ بين حشيشية بلاد الشام والفاطميين الذين كانوا لا يزالون أصحاب القرار هناك رغم ان رضوان لم يعطي ولائه إليهم إلا لمدة قليلة .

على أية حال لم تكن سيرة ابن ملاعب في حصن أفامية سيرة محمودة إذ عاد لقطع الطريق وإخافة السبيل واجتمع عنده كثيرٌ من المفسدين[3] وكانت تلك التصرفات ذريعة لتصفيته . وقد مثلت أولى أنواع الصدام وبدايته بين الحشيشية من جهة والفاطميين من جهة أخرى حيث ان أبا طاهر الصائغ والذي كان أحد دعاة الحسن الصباح ، والذي كان مراقباً لتلك الأحداث استثمر تلك التصرفات ، وقد وقعت عينه على ذلك الحصن كقاعدة للحشيشية ، وكانت نقطة البداية في التوجه نحو ذلك الحصن عندما سيطر الفرنج وملكوا سرمين والتي كان أهلها إسماعيلية[4] فتفرقوا عنها ولجأ أبو الفتح السرميني قاضيها إلى ابن ملاعب وكان أبو الفتح من أعوان النزارية[5] ، فأكرمه ابن ملاعب واحتفى به وأحبه لكن القاضي أبو الفتح لم يكن راضياً عن

---

(1) ابن العديم ، بغية الطلب : 3355/7 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 16/2 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 93/9-94 ، ابن خلدون : 174/5 .

(2) أخبار مصر : 63/2 ، وينظر كذلك : عباس ، شذرات من كتب مفقودة : 122 .

(3) ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 16/2 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 94/9 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 9 .

(4) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 94/9 ، ابن الشحنة ، الدر المنتخب : 164 .

(5) غالب ، سنان راشد الدين شيخ "الجبل الثالث" : 89 .

تصرفات ابن ملاعب فراسل سراً أبو طاهر الصائغ واتفقا على الفتك بابن ملاعب وان يسلم أفامية إلى الملك رضوان ، ولكن الخطة فشلت ووصل الخبر إلى ابن ملاعب[1] . ولكن القاضي أبو الفتح استطاع تبرئة نفسه بعد ذلك واعتذر منه "فقبل عذره منه"[2] . فعاود القاضي أبو الفتح مراسلة أبو طاهر الصائغ وعملوا الحيلة في السيطرة على القلعة وقتل ابن ملاعب وأحد أولاده ونجا الأخر والتحق بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيرز فحفظهُ لعهد كان بينهما ولما سمع أبو طاهر خبر "أفامية سار إليها وهو لا يشكك انها له فقال له القاضي ان وافقتني وأقمت معي فبالرحب والسعة ونحن بحكمك وإلا فأرجع من حيث جئت فايس ابن الصائغ منه"[3] ، ويرجح الخشت ان تلك الحادثة دفعت بأبي طاهر ان يشد الرحال إلى الموت ليلتقي هناك بالحسن ويتلقى منه التعليمات[4] . ومع ذلك فيبدو ان أبو طاهر أقام في حصن أفامية ، وربما تكون مقولة أبو الفتح تلك لأبي طاهر مجرد مناورة هدفها عدم لفت أنظار رضوان نحو نفوذ الحشيشية ، وربما لأن الوقت لم يحن لاعلان سيطرتهم وتثبيت نفوذهم وقد نقل ذلك المقريزي عندما ذكر مقولة أبو الفتح السرميني لأبي طاهر "هذا الموضع نحن محترمون مادام لنا وإذا خرج إلى غيرنا أمتهنا"[5] ومن غير المستبعد ان أبو الفتح لم يكن يريد إثارة ريبة الفاطميين حول نفوذ الحشيشية أعوان نزار .

---

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 94/9 .

(2) ابن العديم ، بغية الطلب : 3357/7 ، ابن الأثير ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 73/34 .

(3) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 149 (يرويها بشيء من الاختلاف) ، ابن الأثير ، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(4) حركة الحشاشين ، 134 .

(5) المقفى الكبير : 384/1 ، د. محمد عبد الله المقدم ، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 2008م : 179-180 .

لم تكن بعد ذلك الأمور لتسير بما كانت تتمناه أو يتمناه أبو الفتح وأبو طاهر حيث استطاع بعض أبناء ابن ملاعب الذين نجوا من القتل والتحقوا بالصليبيين ان يألبوا هؤلاء على أبو الفتح وأبو طاهر وحوصرت قلعة أفامية حتى جهد أهلها بالجوع والمرض وقتل على أثرها أبو الفتح السرميني وفتحت القلعة وأسر أبو طاهر فافتدى نفسه وجماعة من كبار الإسماعيلية أنفسهم بأموال كثيرة(1) . وهكذا ضاعت إدراج الرياح فرصة الحصول على أمنع الحصون في أفامية ، واتجهت الأنظار نحو حصن شيزر(*) ، وكان هذا لبني منقذ ، وأعدت الخطة سنة 502هـ/1108م للاستيلاء عليه واستغل الحشاشين احتفالات للنصارى "وفيها في فصح النصارى ثار جماعة من الباطنية في حصن شيزر على حين غفلة من أهله في مائة رجل فملكوه وأخرجوا من كان فيه وأغلقوا بابه وصعدوا إلى القلعة فملكوها وكان أصحابها بنو منقذ قد نزلوا لمشاهدة عيد النصارى ... وأدركهم الأمراء بنو منقذ ... فصعدوا عليهم وقاتلوهم فانخذل الباطنية وأخذهم السيف من كل جانب فلم يفلت منهم أحد وقتل من كان على مثل رأيهم في البلد"(2) . وبتلك المحاولة باءت مرة أخرى آمال الحشاشين في الحصول على موطئ قدم لهم . لكن ذلك لم يكن ليفت في عضد رجال الحركة .

---

(1) ابن العديم ، بغية الطلب : 3359/7 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 74/34 .

(*) حصن شيزر : يذكر ان ذلك الحصن كان قريب من حماة بينهما نحو نصف نهار وهو من أمنع القلاع وأحصنها على حجر عال له طريق منقور في طرق الجبل وقد قطع الطريق في وسطه وجعل عليه جسر من خشب فإذا قطع ذلك الخشب تعذر الصعود إليه . ينظر : أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين : 352/1 ، وللاستزادة ينظر : ابن بدران ، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم الدمشقي (ت1346هـ/1927م) ، منادمة الاطلال ومسامرة الخيال ، ط2 ، تح : زهير الشاويش ، دار النشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1985م : 219 .

(2) العظيمي ، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار أبو عبد الله التنوخي الحلبي (ت556هـ/1161م) ، تاريخ حلب والمعروف بتاريخ العظيمي ، حققه وقدم له : إبراهيم زعرور

- الحركة وأولى الاغتيالات :

كان جناح الدولة أول ضحايا الاغتيالات من قبل الحشاشين في بلاد الشام وبالاتفاق مع رضوان وكانوا على الأرجح قد أرسلوا من الموت حيث ذكر ابن القلانسي ان مغتالوه كانوا ثلة نفر من عجم الباطنية وكانوا قد تنكروا بزي الصوفية على عادتهم وكانت الحادثة قد أثارت الفزع في أهل حمص "وأجفلوا في الحال وهربت أكثر سكانها من الأتراك إلى دمشق واضطربت الأحوال بها"(1) وبذلك تحقق بث الرعب في نفوس المناوئين بين الأمراء المتصارعين في بلاد الشام وهو ما ستجني الحركة ثماره لاحقاً ، وتحديداً حين سيتولى بهرام(*) أحد دعاة الحشيشية أمرهم في سوريا(2) .

كان رضوان وكذلك الحشيشية تسعى إلى إضعاف نفوذ المحيطين بهم من الأمراء ، وكان هؤلاء قد شكلوا أولى تحالفاتهم ضد الصليبيين وكان منهم مودود(*) بن

، طبعة دمشق لسنة 1984م : 366 ، ابن منقذ ، مؤيد الدولة أبو مظفر اسامة بن مرشد الكناني الشيرازي (ت584هـ/1188م) ، كتاب الاعتبار ، حرره : فيليب حتي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 1930م : 77 ، كتاب الاعتبار ، يبدو ان الجزء الخاص باستيلاء الإسماعيلية على حصن شيزر كان من الجزء المخروم من المخطوطة وقد نوه لذلك المحقق وفي الكتاب إشارات متفرقة حول استيلاء الإسماعيلية على حصن شيزر . ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 133/9 ، الذهبي ، العبر في خبر من غبر : 4/4 .

(1) ذيل تاريخ دمشق : 142 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 50/13 .

(*) ينظر : ص353 وما بعدها .

(2) أبو الفدا ، المختصر في أخبار البشر : 7/3 ، ود. الخشت ، حركة الحشاشين : 136 .

(*) مودود بن التونكتين : سلطان الموصل قتل بدمشق ودفن فيها . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 195/35 .

التونكتين صـاحب الموصـل وتميرك(**) صـاحب سـنجار(***) والأمير اياز(****) بن ايغازي وطغتكين(*****) صـاحب دمشـق وكان سـبب الاجتماع ان ملك الفرنج بغدوين تابع الغارات على بلد ودمشـق"[1] ، ولقد أحرز المجتمعون النصـر على الصـليبيين وحقق هؤلاء أولى الانتصـارات[2] ، وكان هذا الأمر قد أثار حفيظة رضـوان وجعله يتخوف من نفوذ هؤلاء وتأثيرهم على أملاكه وقد ذكر في ذلك ان رضـوان اسـتعان بالإسماعيلية في حفظ حلب من التحالف الذي بعثه السلطان لمحاربة الفرنجة في بلاد الشام بقيادة مودود[3] ، وهكذا خطط لاغتيال أحد هؤلاء الحكام وهو زعيم ذلك التحالف ، وكان الوقت المناسب لذلك بعد ان تفرقت العسـاكر على أمل العودة للقاء في الربيع لمعاودة الحرب وقد انتهز الحشـيشـية فرصـة قلة الإجراءات وكان عند طغتكين ضـيفاً

(**) تميرك : أخو ارسلان تاش . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 93/9 .

(***) سنجار : بكسر أوله وسكون ثانيه ثم جيم وأخره راء مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة بينها وبين الموصل ثلاثة أيام . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 262/3 .

(****) اياز بن ايغازي : ابن السـلطان ايلغازي يذكر ان البرسـقي كان قد قبض عليه فنشـبت الحرب بين والده ايلغازي والبرسقي لذلك السبب . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 154/9 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 250/5-251 .

(*****) طغتكين : أبو منصـور المعروف باتابك من رجال الدولة كان أتابكاً لدقاق مدة من الزمن وكان زوج أمه ، فلما مات دقاق استولى على دمشـق وكان شـهماً شـجاعاً محباً للعمارة وقد امتدت ولايته إلى ان مات سـنة 522هـ/1128م . ينظر : ابن عسـاكر ، تاريخ مدينة دمشق: 3/25 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 41/33 .

(1) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 149/9 ، الذهبي ، تاريخ الإسـلام : 26/35 ، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون : 46/5 .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، وابن خلدون ، المصدر نفسه : 49/5 .

(3) زيد ، أسـامة زكي ، الصـليبيون وإسـماعيلية الشـام في عصـر الحروب الصـليبية (القرن 6هـ/12م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الإسكندرية ، 1980م : 139 .

فدخل معه إلى الجامع ليصلي "ويده في يد طغتكين فوثب عليه باطني فضربه فجرحه أربع جراحات وقُتل الباطني وأخذ رأسه فلم يعرف"[1] .

أثار مقتل مودود الاختلاف في تحديد الجهة التي اغتالته رغم ان الحشيشية كانت هي المنفذة فهناك من أشار إلى ان الحشيشية خشت بطشه فقتلته بالتعاون مع رضوان[2] وكان ذلك ما أشار إليه ابن الفرات نقلاً عن مودود قوله "إذا فرغت من الصليبيين قصدت الباطنية"[3] ، وربما يكون مقتله جمع بين هذا الأمر والأمر الأخر وهو الانتقام مما فعله والده (التونتاش) في المشرق من قتل وتنكيل[4] ، وهناك من قال ان طغتكين خشى بطشه فوضع عليه من قتله[5] ، وربما رجح صاحب ذلك الرأي هذا الاستنتاج للعلاقة التي نشأت بين طغتكين ورضوان والتي لم تدم طويلاً[6].

ومن الأحداث المهمة بصورة عامة في عهد رضوان كان ما حدث سنة 505هـ/1111م وهي السنة التي شهدت وصول الفقيه أبو حرب[*] عيسى بن يزيد،

---

(1) الفارقي ، تاريخ الفارقي : 280 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 150/9 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 226/2 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 21/2 ، ابن شاكر الكتبي ، محمد بن شاكر (ت764هـ/1362م) ، عيون التواريخ ، تح : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1977م : 1/2 .

(2) ابن الحريري ، أحمد بن علي بن المغربي (ت نحو 926هـ/1520م) ، الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تح : د. سهيل زكار ، مكتبة الفلاح ، دمشق ، 1984م : 38 .

(3) تاريخ ابن الفرات : 78/1 .

(4) د. علي موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 128 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية : 176/12 ، الخشت ، حركة الحشاشين : 135 .

(6) ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : 153/18 .

(*) لم أجد لهُ تعريفاً .

قادماً من بلاد ما وراء النهر وكان أحد الميسورين والأغنياء في خوجنده(**) وكانت بصحبته قافلة من خمسمائة جملّ محملة بأنواع السلع والبضائع وقد وصل أبو حرب بالقافلة إلى حلب وكان الفقيه من الذين اشتهروا بعدائهم للإسماعيلية ، وكان ينفق أمواله في تأييد خصومهم ، وكان أحمد بن نصر الرازي أحد الباطنية يتتبع الأخير – أي أبو حرب – طلباً للثأر منه لأن أحد رجاله قتل أخاه – أي أخ أحمد بن نصر – في احدى المعارك(***) ، فلما وصلت القافلة إلى حلب قصد أحمد بن نصر هذا أبو طاهر الصائغ واتفق مع الأخير على خطة للإيقاع بأبي حرب وقد اندفع الصائغ فوصف ثروة أبو حرب لرضوان واتفق معه على اغتيال أبو حرب ، وبعث له بعضاً من مماليكه أي مماليك رضوان ليكونوا عوناً لأحمد بن نصر وكان هذا قد صحب قافلة أبو حرب من خراسان وهجم عليه مع مماليكه لكن أبو حرب استطاع التخلص من هذا الهجوم ونجا من القتل وقُتل أحمد بن نصر ومن معه[1] ، وقد أثارت تلك الحادثة غضب أبو حرب ولم تنته الأمور عند هذا الحد حيث ان الأهالي اندفعوا فاعتذروا من أبي حرب وكتب هذا إلى طغتكين وأمراء المسلمين يذكر لهم ما حدث

(**) خجنده : بضم أوله وفتح ثانيه ونون ثم دال مهملة في الإقليم الرابع طولها اثنتان وتسعون درجة ونصف وعرضها سبع وثلاثون بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون بينها وبين سمرقند عشرة أيام مشرقاً وهي مدينة نزهة ليس بذلك الصقع أنزه منها ولا أحسن فواكه وفي وسطها نهر جار متصل وهي متاخمة لفرغانة وأهلها مياسير . ينظر : الإدريسي، نزهة المشتاق : 505/1 ، الحموي ، معجم البلدان : 347/2 . وكنا قد أشرنا في الفصل الثاني والثالث لشخصيات من خجندة كانت قد اغتيلت على أيدي الحشاشين لمواقفهم المعادية منهم .

(***) كان ذلك في سنة 494هـ/1100م عندما قام الخجندي وجمع جمعاً غفيراً وحفر الأخاديد وأوقد النيران وجعل العامة يأتون بالباطنية أفواجاً ومنفردين فيلقونهم في النار . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 37/9–38 . وقد مر ذكر تلك الحادثة في الفصل الثالث .

(1) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات : 57/1 .

فاندفع هؤلاء بكلام ينتقدون رضـــوان الذي تبرأ من تلك المحاولة[1] ، ولابد انها البت السـكان المحليين والأمراء الآخرين وهو ما سـيبان أثره بعد وفاة رضـوان ، وكان من الحوادث الأخرى أيضاً محاولة الحشيشية الاستيلاء على قلعة حلب بخطة وضعها أحد الإسماعيلية وهو ديلمي وكان يسكن بالقلعة هناك وقد قتل أثناء تلك المحاولة[2] .

على أية حال فقد شهدت السنة التي اغتيل فيها مودود موت رضوان حاكم حلب وحليف الحشيشية وقد تولى بعده سدة الحكم ابنهُ الب ارسلان ، وكان عمره آنذاك ست عشـرة سـنة ، وتولى تدبير أمره خادمٌ لأبيه اسـمه لؤلؤ[*] اليايا ، وكان ذلك سـنة 507هـ/1113م[3] ، وبينما ذكر ابن خلدون أنها كانت سنة 509هـ/1115م[4] ، يبدو ان التاريخ الأول أقرب إلى سير الأحداث ، حيث ان السنة الثانية من حكمه كانت قد شهدت التنكيل بالإسماعيلية وكان سبب ذلك هو قاضي حلب أبو الحسن بن الخشاب والذي لاحظ ازدياد نفوذ الحشـيشـية فيها في عهد رضـوان ثم عهد ولده حتى انهم سـيطروا على احدى القلاع الواقعة في حلب وكانوا قد طلبوا من رضـوان ان يعطيهم احدى القلاع التي كانت للشريف أبو علي الحسن بن هبة الله الحسيني الهاشمي مقدم الأحداث هناك ورئيس المدينة ، وكانت تلك القلعة على جانب من الحصـانة فأجاب رضـوان طلب الحشـيشـية وسـلم لهم القلعة[5] . وكانوا ربما توسـعوا في مد نفوذهم ولو لفترة قصـيرة بعد موت رضـوان مسـتغلين بذلك صـغر سـن خليفته فقام القاضـي أبو

(1) المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، ابن العديم : 2/162-163 .

(2) ابن الفرات ، المصدر نفسه ، للاستزادة ينظر : 1/57-59 .

(*) لم أجد لهُ ترجمة .

(3) ابن العديم : بغية الطلب : 4/1986 ، ابن عساكر ، المصدر نفسه : 9/204 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 2/21 .

(4) تاريخ ابن خلدون : 5/177 .

(5) ابن الشـحنة ، الدر المنتخب : 35 ، العظيمي ، تاريخ حلب : 366 ، ولو انه يجعل تلك الحادثة سنة 507ه/1113م .

الحسن فأوغر صدر الب ارسلان وخادمه فأخرجهم من القلعة بعد ان قتل ثلثمائة نفس وأسر مائتين وطيف برؤوسهم في البلد وكان ذلك في سنة 508هـ/1114م[1] ، وقد قتل في تلك المذبحة أغلب وجهاء الإسماعيلية منهم أبو طاهر الصائغ وإسماعيل الداعي وأخو الحكيم المنجم وحبس الباقون واستصفيت أموالهم وشفع في بعضهم فمنهم من أطلق ومنهم من رمي من أعلى القلعة ومنهم من قُتل وهرب جماعة منهم إلى الأفرنج وتفرقوا في البلاد[2] ، وكان من المحرضين على تلك المذبحة أيضاً الرئيس ابن بديع صاحب الشرطة ، الذي حرض ضدهم عندما وصل كتاب السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي إلى الب ارسلان يقول فيه مخاطباً لالب ارسلان "كان والدك يخالفني في الباطنية وأنت ولدي فأحب ان تقتلهم" فشرع الرئيس ابن بديع مقدم الأحداث في الحديث مع الب أرسلان في أمرهم وقرر الأمر معه على الإيقاع بهم والنكاية فيهم فساعده على ذلك[3] .

وكانت تلك المذبحة رغم شدتها وقسوتها اثبتت فيما بعد قوة الإرادة الكامنة عند الإسماعيلية الحشيشية ولولاها لما بعثوا من جديد بسياسة جديدة ، تمثلت في عدم محاولة الاستيلاء على المدن ، والاكتفاء ببعض الأماكن ذات المواقع الستراتيجية[4] ، وفي تلك السنة قتل الب ارسلان وكان من قتله غلمانه وذلك بموافقة وتدبير خادمه لؤلؤ[5] ، وإزاء تلك الأحداث ان بقيت قوة الحشيشية في ضعف وانحدار ولم يكن من الممكن إيجاد تنظيم قوي والحركة دائمة التعرض للنكسات ، بالرغم من اشتداد نزاعهم مع السلاجقة كان عليهم ان يواجهوا أوقات عصيبة وإخفاقات شتى .

---

(1) ابن العديم ، بغية الطلب : 1986/4 ، ابن الشحنة ، المصدر نفسه ، والصفحة .
(2) العظيمي ، تاريخ حلب : 366 ، ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 189–190 .
(3) ابن العديم ، زبدة الحلب : 168/2–169 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 177/5 .
(4) أسامة زكي ، الصليبيون وإسماعيلية الشام : 145 .
(5) ابن العديم ، بغية الطلب : 1984/4 ، القلقشندي ، مآثر الأنافة : 20/2 .

- الحركة وإجراءاتها بعد مذبحة حلب :

كان الحشاشون على الرغم من كل الذي حصل لهم ، يحظون بمكانة مهمة ، وقد استمروا محتفظين ببعض المناطق التي سيطروا عليها في بعض أطراف حلب ، وكانوا كعادتهم يسعون للانتقام من أصحاب المجزرة التي وقعت بهم في حلب ، والتي كان ابن بديع طرفاً فيها وفي تلك الحقبة كانت حلب بسبب مراسلات الب ارسلان مع ظهير الدين اتابك صاحب دمشق ، قد أصبحت بيد الأخر والقى إليه مقاليد الأمور وقام الاتابك ظهير الدين بتغيير في بعض القيادات في حلب[1] ، ولكن بالرغم من ذلك سجن ابن بديع بعد ان القي القبض عليه وعزل من منصبه ثم أفرج عنه بعد محاولته الانتحار داخل السجن[2] .

وبعد خروجه من السجن ذهب إلى مالك[*] بن أسلم صاحب قلعة جعبر[**] وتوجه من هناك إلى ايغازي ليطلب إليه التوسط ليعود إلى حلب وعند عبوره نهر الفرات هو وأسرته كان الفداوية بانتظاره وكانوا ثلاثة فوثب عليه رجلان طعناه عدة طعنات بخناجرهما ولكنهما قتلا بيد اثنين من أولاده المرافقين له وقتل ابن بديع مع أحد أولاده "وجرح الأخر وحمل إلى القلعة فوثب عليه من الباطنية رجلٌ أخر وقتله وحمل ليُقتل فرمى بنفسه في الماء وغرق"[3] ، ونلمس من هذه الرواية ان الحشيشية كانت لا

---

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 191 .

(2) ابن العديم ، زبدة الحلب : 534/2 .

(*) على الأرجح ان نسبه يعود إلى بنو مقلد العقيلي. ينظر: الحموي ، معجم البلدان : 142/2.

(**) قلعة جعبر : على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين وكانت قديماً تسمى دوسر فملكها رجل من بني قثير أعمى يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبيل ويلتجئ إليه وقد قصدها السلطان جلال الدين ملك شاه بن ارسلان وأخذها من جعبر ونفى عنها بنو قثير وكانت قلعتها لسالم بن مالك . ينظر : الحموي ، المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(3) ابن العديم ، زبدة الحلب : 550/2 ، أبو النصر ، قلعة الموت : 157-158 .

تزال تحتفظ بشـــبكة جيدة من العيون(***) في أغلب الأماكن ، وان نفوذها داخل بلاط حلب لم يكن لينتهي بشكل كامل وهو ما لمسناه من حادثة تتبع ابن بديع.

وقد اندفع بعد تلك الحادثة الإسـماعيلية مجدداً محاولين الحصـول على حصـن أو قلعة فكانت محاولتهم في شيزر التي باءت بالفشل وبعد ان جمع أحد دعاتهم إبراهيم بن إسـماعيل العجمي فلولهم من أهالي حلب وفامية وسـرمين ومعرة النعمان ومصـرين وغيرها[1] ، وكانت رغبتهم في الاسـتقرار هناك أي في بلاد الشـام تبعها تنظيم العلاقة مع النزارية في بلاد المشرق وهذا ما نلاحظه من خلال احدى الرسائل التي عثر عليها عند كبير الإسـماعيلية وأحد قادتها(*) في حصـن شـيزر التي وصـلت من الحسـن بن الصـباح من قلعة الموت والتي تدل على تنظيم العلاقة للدعوة وقيادتها بين الحشـيشـية في بلاد المشــرق والشـــام ، وكانت الرســـالة قد كتب في ثناياها عبارة "رحمكم الله يا أخواننا ألن يصاد من الطير إلا ما يحسن التسبيح لا غير"[2] ، ويستدل طه أحمد بتلك الرســـالة ان الحســـن الصـــباح كان على علم تام بالأحداث وانه هو من كان يخطط للاستيلاء على الحصون عن طريق المراسلة بالحمام الزاجل[3] .

(***) لقد نظم الحشيشية شبكة هائلة من المخبرين والجواسيس الذين كانوا يمدون قيادتهم بكافة تحركات أعدائهم ، وقد تمثل ذلك الجهد الاسـتخباري في اغتيال أحد جواسـيس الفاطميين نهاراً في أحد شـوارع دمشق سنة 514هــ/1120م . ينظر : المقدم ، د. محمد عبد الله ، الاغتيالات في بلاد الشام والجزية العربية زمن الحروب الصليبية، ط1، دار العالم العربي، القاهرة ، 2009م : 181.

(1) طه أحمد شرف، دولة النزارية : 198 ، د. مصطفى غالب ، سنان راشد الدين : 91-92.

(*) كان ذلك الداعي هو إبراهيم العجمي .

(2) د. مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية : 86 ، سنان راشد الدين : 93 .

(3) دولة النزارية : 200 .

توجهت الأنظار بعد ذلك إلى أحد الدعاة وكان شـــخصـــاً يدعى أبا محمد(**) ليكون رئيساً لهم . والمعلومات عن هذه الشخصية تكاد تكون شحيحة ، سوى إشارات مقتضبة في ثنايا الكتب وكان منها انهُ أرسل إلى الشام سنة 500هـ/1106م داعياً من دعاة الحشيشية[1] ، وقد استطاع الهروب من مذابح حلب وشيزر بالرغم من ارتباطه بعلاقات صداقة مع ايلغازي ، وقد استغل هذه الصداقة لتقوية نفوذ الحشيشية داخل حلب مجدداً ، وكانت أنظارهم ترنو إلى أحد الحصـــون في داخلها ووقع اختيارهم على قلعة الشريف(***) لأهميتها[2] ، وكانت الإسماعيلية قد ملكوها في عهد رضوان وتم إجلائهم بعد المذبحة التي حدثت في عهد الب ارسلان ابنه[3] . وكان أبو محمد هذا قد أرسل إلى ايلغازي رسالة يوضح فيها هذا الأمر يذكر فيها قائلاً "وخرج رسول أبي محمد رئيس الإسماعيلية في حلب، إلى ماردين(*) إلى عند نجم الدين ايلغازي ، ومعهُ هدية سَنية ... وكان بينه وبين ايلغازي مصادقة ، ومعه "كتاب فيه : اننا ضيوفك وقد

(**) وكان هذا نائباً لبرهام الاسترباذي والذي سنأتي على ذكره . ينظر : ابن العديم ، زبدة الحلب : 580/2 .

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 327/41 .

(***) قلعة الشريف : كانت مبنية على الجبل الملاصق لمدينة حلب وسورها دائر مع سور المدينة وكان من بنى هذه القلعة هو الشريف أبو علي الحسن بن هبة الله الحتيتي الهاشمي مقدم الأحداث بحلب ورئيس المدينة سنة 478هـ/1085م خوفاً على نفسه من أهل حلب . ينظر: ابن العديم ، بغية الطلب : 54/1-55 .

(2) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات : 39/2-40 .

(3) ابن الشحنة ، الدر المنتخب : 35 .

(*) ماردين : بكسر الراء والدال كأنه جمع مارد وهي عظيمة في سطح جبل من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأتقنها وأحسنها سوقاً وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف بالمرعز ولها قلعة من مشاهير القلاع في قنة جبل ، تكثر فيها الخانات والمدارس والربط ودورها كالدرج كل دار فوق الأخرى وكل درب يشرف على ما تحته . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 39/5 ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : 257/1 .

كثرت نقلتنها ، ونريد ان تمن علينا بإطلاق قلعة الشـريف لنتخذها مسـكناً ملاذاً نأوي إليه"[1] . تخوف ايلغازي من حصول الحشيشية على موقع حصين داخل حلب ، ولابد ان تجربه رضـوان من قبلهِ معهم كانت شـاخصـة أمام عينيه ، كما انهُ لم يكن يريد ان يألب عليه العامة ، وذلك ما أتضح من خلال قبول ايلغازي طلب الحشيشية بإعطائهم القلعة لكنهُ أخبرهم انهُ وقبل ان يصـل كتابهم كان قد أمر بهدم سـورها ، ولم يكن في الحقيقة إلا انهُ أرسـل مع وصـول طلبهم رسـالةً بالحمام الزاجل من أجل هدمها قبل وصـولهم إليها[2] ، ومع ذلك أعاد الحشـيشـية الطلب "نحن نأخذها ونعمرها" ليرسـل ايلغازي جواباً قائلاً لهم "هذا ثغر قريب من الفرنج وقد صـعد إليه وجوه المدينة وأهل الدين ، ولا يمكنني مناصـبتهم العداء ، فاني أخاف ان يفسـد حال البلد ولو أنكم أتيتموني في السـر ولا تظهرون ذلك"[3] ، ويبدو ان نفوذهم لم يكن قد ضـعف رغم كل تلك النكسـات التي مروا بها وتعرضـوا لها وهو ما أوضـحه ابن الفرات موضـحاً قوتهم "ولو ما وفق الله تعالى ايلغازي والأمير عماد الدين[*] زنكي وولده العادل نور الدين[**]

---

(1) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات : 2/39-40 .

(2) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، يذكر ابن العديم ان ايلغازي أو ولده قام بتخريب القلعة دون ذكر الإسماعيلية وانهُ أمر بإخراج جند رضوان منها بعذر الإغارة على أعمال الفرنج . ينظر : زبدة الحلب : 2/563 ، وكان قبلها على الأرجح حاكم القلعة فضـائل بن بديع . ينظر : العظيمي ، تاريخ حلب : 377 ، ابن العديم ، بغية الطلب : 7/3216 .

(3) ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات : 2/40 .

(*) عماد الدين زنكي : أبو الجود بن اق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور المعروف والده بالحاجب صاحب الموصل فوض إليه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد – أي لأبيه – وقد راسله الخليفة العباسي المسترشد وجعل له ولاية الموصل بدلاً عن دبيس بن صدقة الأسدي وكان ذلك سنة 521هـ . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان: 2/327-328 .

(**) نور الدين محمود : بن عماد الدين زنكي بنت اق سنقر ، ملك دمشق سنة 549هـ/1154م، ثم استولى على بقية بلاد الشام من حماة وبعلبك ، وافتتح من بلاد الروم عدة حصون منها

محمود فيها لقيهم إياه من هذا الطريق – الذي صـــدوا به هذه الطائفة ... لكانوا قد اســتولوا على هذه البلاد ، وســرت دعوتهم ... في الوهاد والنجاد"[1] ، ولكن أمالهم لم تنتهي عند عدم حصولهم على قلعة أو حصن وبفضل تقربهم وصداقتهم من نجم الدين ايلغازي[2] ، واســتثمارهم لتلك الصــداقة فقد أخذوا ينشـرون دعوتهم وازداد نفوذهم كثيراً وكانوا قد ركزوا جهودهم بين بلاد ما بين النهرين[*] وبلاد الجزيرة وعلى الأخص بين مدينتي آمد[**] وديار بكر[***] ولم تكن سـنة 518هـــ/1124م لتحل حتى أصـبحوا

مرعش وبهنسا وتلك الأطراف ، وتوفي سـنة 569هــــ/1173م . ينظر : المصــدر نفســه : 184/5-187 .

(1) ابن الفرات ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية : 96 ، وقد ورد خطأً عند الأســتاذ محمد كامل حســين انهم تمكنوا ان يمتلكوا قلعة الشــريف مرة أخرى .

(2) ابن شـــاكر الكتبي ، عيون التواريخ : 155/12 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 194/12 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 176/4 ، ابن العماد العكبري ، شذرات الذهب : 268/4 .

(*) ودليل على انتشــار دعوتهم هناك ان الذهبي نقل نصــاً يذكر فيه ان أهالي مدينة عانة نسـبوا إلى هذا المذهب – أي الباطنية – قديماً من أيام المقتدي بالله ، وقد أحالهم إلى الوزير أبو الشــجاع فطلبهم فأنكروا وجحدوا فأطلقهم . ينظر : تاريخ الإســلام : 35/34 ، وابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات : 89/2 .

(**) آمد : بكسر الميم وربما تكون لفظة رومية ولها في العربية أصلٌ حسن وان الآمد هو الغاية ، وهي أعظم مدن ديار بكر وأجلها تقع في الإقليم الخامس طولها خمس وســبعون درجة وأربعون دقيقة وعرضــها خمس وثلاثون درجة وخمس عشــرة دقيقة وهو بلد حصــين مبني بالحجارة السود على نشز دجلة محيطة بأكثره مستديرة به كالهلال وفي وسطه عيون وأبار قريبة وقد فتحت سنة 20هـ/640م . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 56-57 .

(***) ديار بكر : بلاد كثير واسعة تنسب إلى بن وائل بن قاسط وحدها من غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصـيبين إلى دجلة ومن حصــن كيفا وآمد وميافارقين وقد يتجاوز دجلة إلى سعران وجيزان وحيني وما تخلل ذلك من البلاد ولا يتجاوز السهل . ينظر : المصدر نفسه : 494/2 .

يشكلون قوة لا يستهان بها في آمد ، وازداد نفوذهم حتى ذكر ابن شاكر الكتبي نصاً في حوادث تلك السـنة جاء فيه "فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم أهلها فقتلوا منهم سبعمائة نفس"[1] ، وكانت محاولة الحشيشية تتضمن حسب هذه الرواية السيطرة على المدينة وأنهم كانوا موجودون داخلها قبل ذلك وهو ما أتضح من رواية أخرى تذكر ذلك بالقول "وصل الخبر بان الباطنية وثبوا في آمد ليملكوها ، فظهر عليهم أهل البلد فقتلوا من الباطنية سبعمائة"[2] ، وذهب د. طه أحمد في تعليله محاولة الحشيشية السيطرة على آمد بأنها محاولة للاتصال بنزارية الموت في بلاد المشرق ، وهو ما يفسر نشر دعوتهم في بلاد الجزيرة لكي يكون معبراً إلى إقليم قوهستان وبلاد الديلم[3] .

وقد يكون هذا الافتراض ممكن القبول في محاولتهم المبكرة لامتداد وتشـكيل دولة من القلاع بين بلاد المشرق وبلاد الشام كما نوه لذلك المستشرق لويس لكن ذلك السعي كان رغم الإمكانيات التي أتيحت لهم والتي يمكن تفسيرها بانها التساهلات التي قدمها ايلغازي وإمكانياتهم آنذاك .

وما ان حلت سنة 517هـ/1123م حتى توفي ايلغازي وحل محله ابن أخيه بلك بن بهرام وكان هذا لهُ موقفٌ مختلفٌ عن سابقه فقد قبض على زعيم الإسماعيلية وكان نائباً لبهرام وأمرهم جميعاً بمغادرة حلب فباعوا أموالهم ورحالهم وخرجوا منها[4] .

- دور بهرام بن موسى ودعوته في دمشق :

(1) عيون التواريخ : 155/12 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 194/12 .

(2) ابن الجوزي ، مرآة الزمان : 69/8 .

(3) دولة النزارية اجد أغا خان : 204-205 .

(4) ابن العديم ، زبدة الحلب : 567/2-580 .

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة 520هـ/1126م وتحت عنوان "ملك الإسماعيلية قلعة بانياس[*]" انهُ في هذه السنة عظم أمر الإسماعيلية بالشام وقويت شوكتهم وملكوا بانياس في ذي القعدة في تلك السنة ، وسبب ذلك ان بهرام ابن أخت الاسداباذي قُتل خاله ببغداد وهرب متوجهاً نحو بلاد الشام وصار داعي الإسماعيلية واستطاع كسب الأعضـــاء لدعوته[1] ، وكان ذلك على الأرجح قبل وفاة ايلغازي الذي حاول ان يتقي بأسهم وسطوتهم وكانت شخصيته أي – بهرام – مجهولة آنذاك[2] .

كان بهرام هذا هو بهرام بن موسى الاستراباذي الفارسي مولود بسمرقند سنة 459هـ/1066م[3] وكان والده من كبار التجار الإسماعيليين فيها ، تلقى بهرام علومه الأولى في نيسابور وتوجه سنة 485هـ/1092م إلى مصر لحضور مجالس الحكمة التأويلية وللمثول بين يدي الإمام المستنصر فأقام في القاهرة مدة نصف سنة، وعاد بعدها ليستقر ببلاد الشام داعياً ومبشراً بإمامة نزار في قلعة صهيون[*] ، ولما أعلنت الدعوة النزارية في قلعة الموت انتدب ليمثل الإسماعيلية في بلاد الشام[4] .

(*) قلعة بانياس : بانياس ثغر من بلاد المسلمين ولها قلعة صغيرة يستدير بها تحت السور كانت بيد الافرنج فاسترجعها نور الدين. ينظر : ابن جبير ، رحلة ابن جبير : 209–210.

(1) الكامل في التاريخ : 9/235–236 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/236 .

(3) غالب ، سنان راشد الدين: 104 ، خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 47.

(*) قلعة صهيون : بلدة منيعة لها قلعة حصينة قل ان يوجد مثلها وكانت قديماً من أعمال حمص وهي بعيدة عن البحر لكنها تشرف عليه من بعدٍ لأنها على طرف جبل عال تحته أودية هائلة واسعة عميقة وليس لها خندق محفور الا من جهة واحدة طوله ستين ذراعاً وهو نقر في حجر ولها ثلاثة أسوار سوران دون الربض وسور دون القلعة . ينظر ، ابن الشحنة، الدر المنتخب : 267 .

(4) غالب ، المصدر نفسه : 105–106 ، خضور ، المصدر نفسه : 48 .

كانت على الأرجح شخصية بهرام هذاهي ما وقع عليه الاختيار من قبل الحسن الصباح ، فبهرام كان قد تدرب في مجالس الحكمة الفاطمية ، وبعد ان حدث الانشقاق مال إلى نزار ودعا له وقد تجول في بلاد فارس قبل ان ينتقل إلى بلاد الشام[1] .

كشف بهرام عن شخصيته أمام ايلغازي ، وتحالف الأخير معهُ فزاد نفوذه مجدداً في حلب وكثر أتباعه وأعانه الوزير أبو طاهر بن سعد المرغيناتي وزير توري صاحب طغتكين قصداً للاعتضاد به على ما يريد "وصار أتباعه أضعافاً مما كانوا"[2] كان توري صاحب دمشق وكان طاهر هذا وزيره ، ويبدو ان ايلغازي هو من توسط قبل وفاته لدى طغتكين صاحب دمشق ، للاستعانة ببهرام ورحب طغتكين بالفكرة فكان ان سعى بهرام للحصول على موطئ قدم يكون أمناً للدعوة وطلب بهرام من طغتكين حصناً يأوي إليه هو أتباعه فأشار الوزير بتسليم قلعة بانياس إليه فسلمت إليه[3] ، وملك عدة حصون بالجبال[4] ، ويبدو ان الإسماعيلية استفادت من الأخطاء السابقة فاختارت حصوناً بعيدة عن المدن وفي مناطق نائية مبتعدين عن حلب ، ولم يكن هذا خالياً من مشاركة الإسماعيلية للآخرين في حربهم ضد الصليبيين ، ولو ان الكثير من المؤرخين أغفلوا تلك المشاركة ، ولكن بعض الإشارات التي وردت تكفي للتدليل على ذلك ذكر ابن القلانسي في حوادث 519هـ/1125م في تجمع المسلمين لحرب الأفرنج قائلاً "فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء

---

(1) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 171 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 236/9 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 7/3 .

(3) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، أبو الفداء ، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، العظيمي، تاريخ حلب : 376 .

(4) أبو الفداء ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

المقضـــي والحكم النافذ من أحداث دمشـــق والشـــباب ورجال الغوطة والمرج وأحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص[*] وغيرها"[1] .

ونستطيع ان نقول ان نفوذ الحشيشية أخذ بالازدياد بعد تسلمهم قلعة بانياس وقد كانت الإشارات لذلك تكفي ففي حوادث سنة 520هـ/1126م ورد ما نصه "استفحل أمر بهرام داعي الباطنية وعظم خطبه في حلب والشـام وهو على غاية الاسـتتار والتخفي وتغيير الزي واللباس بحيث يطوف البلاد والمعاقل ولا يعرف أحدٌ شـخصـه"[2] ، وكان أهالي دمشق يخشون بأسهم بعد تسلمهم قلعة بانياس وبعد ان اجتمع إليه أصحابه من كل ناحية "وحلت المحنة بظهوره وأشـتد الحال على الفقهاء والعلماء وأهل الدين ... إلا انهم لا يقدرون على ان ينطقوا بحرفٍ واحد خوفاً من سـلطانهم ... فلم يقدر أحد على إنكار هذه الحال فانتظروا بهم الدوائر"[3] . ومع ذلك فان الباحث حسـام خضـور يرى ان طغتكين أعطاهم القلعة وتسـاهل معهم ليكونوا درعاً لدمشـق ضـد الصـليبيين[4] . وذلك بالطبع لم يكن متأتياً من فراغ وإنما لقوتهم وشـجاعتهم ، ولتلك الصـورة التي أرعبت حتى الصليبيين .

(*) حمص : بالكسر ثم السكون والصاد مهملة بلد مشهور كبير قديم كبير مسور وفي طرفه القبلي قلعة حصينة وهي بين دمشق وحلب في منتصف الطريق . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 302/2 ، ويقال انها سميت بذلك نسبة إلى رجل من العماليق . ينظر : معجم ما استعجم : 468 .

(1) ذيل تاريخ دمشق : 212-213 ، كرد علي ، خطط الشام : 304/1 ، إبراهيم بيضون ، تاريخ بلاد الشام : 301 .

(2) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 215 .

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ: 236/9، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان ، ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 34/2، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 179/5 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 157/1.

(4) أهم القلاع الإسماعيلية : 48 . : T.Keightley , SECRET SOCIETJES , p 84-85

- إجراءات بهرام في قلعة بانياس :

ما ان تسلم بهرام قلعة بانياس حتى شرع بتحصينها وترميم أجزائها وأخذ يبث دعاته في سائر الجهات "فاستغووا خلقاً كثير ... فقوي شرهم وظهر بقبيح الاعتقاد سرهم"(1) والنص رغم ما فيه من تحامل من المؤرخ إلا انهُ يبين مدى الانتشار السريع والنجاحات التي أخذت تكسبها الحركة ، وكان نتيجة لتلك النجاحات ان ملكوا عدة حصون منها حصن القدموس(*) وغيره بوادي اليتم(**) من أعمال بعلبك(2)(***) ، ويذكر أنهم تسلموا القدموس بعد تسلمهم قلعة بانياس وكان صاحب القدموس ابن محرز(****)(3) ، وينقل تامر رأياً بشأن القدموس يقول فيها نقلاً عن كتاب فصول وأخبار ان الإسماعيلية اشتروا قلعة

---

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 221 .

(*) حصن القدموس : أو قلعة القدموس ، كانت من أعمال طرابلس تقرأ بفتح الكاف والدال مهملة وضم الميم وسكون الواو وسين مهملة في الأخر وهي بالقرب من قلعة الخوابي ، ينظر : القلقشندي، صبح الأعشى : 151/4-152 ، تبعد عن بانياس الساحل ثلاثين كيلومتراً إلى جهة الشرق ونفس المسافة عن مصياف ترتفع عن سطح البحر ألف متر . ينظر : حسام خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 157 وما بعدها ، عارف تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 194/1-195 .

(**) وادي اليتم: على مرحلة من دمشق، وهو من أعمالها. ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 428/5.

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 250/9 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 179/5 .

(***) بعلبك : بالفتح ثم السكون وفتح اللام وباء موحدة وكاف مشددة ، مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وأثار عظيمة وقصور على أساطين الرخام ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وقيل اثنا عشر فرسخاً من جهة الساحل طولها ثمان وستون درجة وعشرون دقيقة في الإقليم الرابع وعرضها سبع وثلاثون درجة وثلث . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 453/1 .

(****) ابن محرز : لم أجد لهُ ترجمة .

(3) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان : 130/8 ، زامباور ، معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تح: زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، دار ، بيروت ، 1980م : 161/1.

القــدموس من ابن عمرون[*****] الــدمشـــقي بعــد ان عززوا وجودهم في قلعــة مصـــياف[******] ســنة 511هـــــ/1117م ، ومن المؤكد ان هذه القلعة جلا عنها الإســماعيليون ثلاث مرات ولكنهم لم يلبثوا ان يعودا إليها ، وليس مســتبعداً ان يكون المحارزة قد حاولوا امتلاكها أو ظلوا فيها فترة قصيرة[1] ، وهكذا ثبتت الحشيشية أقدامها هناك ، ثم أنهم بعد ذلك اســتطاعوا ان يملكوا ســبع قلاع بين حماة[*] وحمص "ولهذا عظم أمر بهرام وملك عدة حصون بالجبال أضنها القلاع المعروفة بهم الآن وهي سبع قلاع بين حماة وحمص متصلة بالبحر الرومي على القرب من طرابلس وهي مصياف

(*****) لم أجد لهُ تعريفاً .

(******) قلعة مصياف : حصن حصين مشهور للإسماعيلية بالساحل الشامي قرب طرابلس وبعضـهم يقرأها مصياب . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 144/5 . وهي قبالة انطرسوس وقبالة هذا الحصن في شرق الجبل بلد سلمية ، وقد تقرأ أيضاً مصيات . ينظر : ابن خلدون ، المقدمة : 68 ، وللاستزادة ينظر : حسام خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 158 وما بعدها .

(1) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 272/9 ، تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 195/1 .

(*) حماة : بالفتح بلفظ حماة المرأة وهي أم زوجها ، مدينة كبيرة عظيمة كثيرة الخيرات رخيصــة الأســعار واســعة الرقعة يحيط بها ســور ، محكم وماؤها من نهر العاصــي وفي طرفها قلعة عظيمة عجيبة في حضنها وقد ورد ذكرها في أشعار امرؤ القيس ، طولها اثنتان وستون درجة وعرضها خمس وثلاثون . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 300/2 .

والرصافة(**) والخوابي(***) والقدموس والكهف(****) والعليقة(*****) والمنيقة(*) ومن هنا سميت بقلاع الدعوة"(1) ، وكانت هذه القلاع كلها تقع على خط واحد وهذا ما أشار إليه القلقشـندي "فمن بلاطنس(**) إلى العليقة أو قلاع الدعوة مما يلي بلاطنس ثم منها إلى الكهف ثم منها إلى القدموس ثم منها إلى الخوابي ثم منها إلى الرصـــافة ثم منها إلى

(**) الرصافة : مواضع كثيرة بالشام حملت هذا الاسم . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 47/3 . اما ها هنا فهي قلعة تبعد عن قلعة مصـــياف ثمانية كيلومترات إلى جهة الغرب الجنوبي تشـرف على مسـافات واسـعة من الجهة الشـرقية والغربية وقد اعتبرت برجاً للمراقبة ويقال انه بنيت زمن راشد الدين سنان . ينظر : عارف تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 201/1، وهذا يعني انها لم تكن من القلاع التي بسطت نفوذها الحشيشية عليها زمن بهرام .

(***) الخوابي : أحد الحصـون المنيعة بينه وبين انطرسـوس خمسـة عشر ميلاً من جهة الجنوب ويقع على أعلى قمة جبل . ينظر : الإدريســـي ، نزهة المشـــتاق : 375/1 ، والخوابي احدى مدن حمص . ينظر : المقدسي ، أحسن التقاسيم : 142 .

(****) الكهف : تقع جنوب غرب القدموس بالقرب من قرية المريجة التابعة لناحية القدموس ، وتبعد عن الأخيرة مسافة 20كم ولها بوابة رئيسة وقد تم شرائها من صاحبها ابن سيف الدين بن عمرون الدمشقي بعد بضـع سنوات من بيع أبيه للقدموس . ينظر : حسام خضـور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 175-179، وهي قريبة من بانياس تقع بينها وبين الساحل. ينظر: الحموي، معجم البلدان: 356/3

(*****) العليقة : وأسـمه على لفظ واحد العليق ، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : 93/1 ، بينها وبين القدموس ما يقرب الـ15 كم إلى جهة الشمال الغربي وبناؤها قائم على جبل صخري كلسي بارز أكسبها منعة وهيبة وارتفاعاً . ينظر : عارف تامر ، الإسماعيلية : 199/1 .

(*) والمنيقة : بفتح الميم وســـكون الهاء وفاء في الأخر وهي قلعة بالقرب من قلعة الكهف على نحو سـاعة على جبل مرتفع . ينظر : القلقشـندي ، صـبح الأعشـى : 152/4 ، وقد سـيطر عليها الحشـيشـية بعد ان أرسوا قواعدهم في قلعة العليقة وقد اعتبرت مركزهم الرئيس في القطاع الشمالي . ينظر : عارف تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 200/1-201 .

(1) القلقشندي ، المصدر نفسه : 157/1 ، مآثر الانافة : 255/1 ، ابن الشحنة,الدر المنتخب : 264-266.

(**) بلاطنس : بضـم الطاء والنون والسـين مهملة حصـن منيع بسواحل الشـام مقابل اللاذقية من أعمال حلب . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 478/1 .

مصياف ... فهذه جملة مراكز طرابلس"[1] ، وبذلك شكل الحشاشون وحدة مترابطة من القلاع شكلت شبكة دفاع موحدة ، ولم تكن السيطرة على هذه القلاع قد جاء على دفعة واحدة وإنما كان على مراحل حيث ان القدموس مثلاً كان الباطنية قد اشتروها سنة 527هـ/1132م[2] . ولم يكن لهم وهم يمارسون بث دعوتهم بعد ان ازداد نشاطهم ، ان ينسوا تصفية بعض من حساباتهم مع بعض الخصوم ، وكان على لائحة تلك التصفيات قاضي حلب أبو الفضل بن الخشاب ، والذي تم اغتيالهُ على أيديهم سنة 519هـ/1125م[3] ، وكانت أسباب مقتله المذبحة التي لحقت بهم وكان هو سبباً فيها .

وقد سجلت سنة 520هـ/1126م[*] اغتيال اق سنقر البرسقي[**] وكان أميراً على الموصل[4] ، وقد كان البرسقي شديد الحذر والتحفظ منهم ، وكان اغتياله بالموصل في مسجدها الجامع وقد كان منفذو الاغتيال يلبسون زي الصوفية حيث وثبوا

---

(1) القلقشندي ، صبح الأعشى : 430/14 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 272/9 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 37/2 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 204/12 .

(3) العظيمي ، تاريخ حلب : 375 ، محمد عبد الله المقدم ، الاغتيالات في بلاد الشام : 182 .

(*) يجعلها ابن الأزرق سنة 518هـ/1124م بدل سنة 520هـ/1126م . ينظر للاستزادة ، الفارقي ، أحمد بن يوسف بن علي (ت590هـ/1193م) ، تاريخ آمد وميافارقين ، منشور ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، تأليف تحقيق ترجمة : د. سهيل زكار ، دمشق ، 1995م : 217/11 .

(**) البرسقي ، اقنسر سيف الدين قسيم الدولة أبو سعيد البرسقي مولى الأمير برسق غلام السلطان طغرلبك نزقت به الحال إلى ان ولاه السلطان محمود أمرة الموصل والرحبة ثم ولاه شحنكية بغداد . ينظر : الصفدي ، الوافي بالوفيات : 182/9 .

(4) الدمشقي ، ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيسي (ت842هـ/1438م) ، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، ط1 ، تح : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993م : 455/1 . وللاستزادة ينظر : القلقشندي ، مآثر الانافة : 282 .

عليه عند بدأ الصـــــلاة وكان وجودهم لم يثير أي ريبة "لم يؤبه لهم ولا ارتيب بهم فلما بدأ بالصلاة وثبوا عليه بسكاكينهم فضربوه عدة ضربات لم تؤثر في لبس الحديد الذي عليه وقد غفل أصحابه عنه وانتضى سيفاً كان معهُ وضرب أحدهم فقتله وصاح واحد منهم حيث رأوا السكاكين لا تعمل فيه شيئاً ويلكم أطلبوا رأسه وأعلاه وقصدوا حلقه بضرباتهم فأثخنوه إلى حين إدراكه أصحابه وحماته فقضي عليه ... وقتلوا جميع من كان وثب عليه"[1] .

ويمكن تفسير استهداف الحشاشين للبرسقي ، بأنهم حاولوا ان يمدوا بنفوذهم نحو الموصل[*] والجزيرة العربية كما أسلفنا وكانت في ذلك الحين من مراكز النشاط الإسماعيلية النزارية وكان العداء مستعراً بين الأمراء الأتراك والحشيشية ، وكان البرسقي من الذين تصدوا لهذا النشاط[2] وقتل منهم عصبة[3] .

دلت الإجراءات التي أتخذها البرسقي على توقعه الاغتيال من قبل الحشيشية، كما ان سعيه مع أمراء آخرين ومنهم مودود لإقامة إمارة مستقلة تضم الموصل وحلب بسبب ما كانت تتمتع به حلب من موارد وثروة اقتصادية تزيد من قوة إمارته في

---

(1) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 214 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 236/9 ، ابن العديم ، بغية الطلب : 1969/4م ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 238/2 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 230/5 .

(*) كانت منطقة حلب والموصل تكاد تشكل وحدة جغرافية من حيث ارتباطها ببعض وتكامل شبكة حصونها مع بعضها البعض وكانت تتعرض باستمرار لغارات البيزنطيين والصليبيين. ينظر : مارس ، د. كمال بن ، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل وحلب) ، ط1، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2004م : 66 .

(2) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ : 170/12 ، هادي العلوي ، الاغتيال السياسي في الإسلام : 109-110 .

(3) ابن شاكر الكتبي، المصدر نفسه والجزء والصفحة ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 182/9.

الموصل قد يشكل تهديداً لوجود الحشيشية هناك[1] فتلمسوا هذا الخطر وأحسوا به . كما ان محاولة اغتيال للبرسقي من طرف أخر كانت قد سبقت اغتيال الحشيشية له[2] .

كان من نتائج اغتيال البرسقي ان تولى ابنه عز الدين مسعود شؤون الحكم بدلاً عن والده البرسقي ، وكان ان بدء بتتبع أخبار الحشيشية في الموصل والاستقصاء عن أحوالهم فقيل أنهم كانوا يجلسون إلى أسكاف بدرب ايليا فأحضر ووعد الإحسان ان أقر فلم يقر فهدد بالقتل فقال انهم وردوا من سنين لقتله فلم يتمكنوا منه إلا الآن "فقطعت يداه ورجلاه ... ورجم بالحجارة حتى مات"[3] ، وكانت السنة ذاتها التي قُتل فيها البرسقي قد سجلت زيادة في نفوذ الحشيشية في الشام وحلب[4] .

- مقتل بهرام وأثره :

لم تكن المنطقة التي بدء الإسماعيلية الحشيشية يفرضون سيطرتهم عليها ، لتخلو من المشاكل وقد كانوا قد استخدموا أسلوب الغارات على المناطق التي حصلوا على موطئ قدمٍ فيها ، وقد حققت تلك الأساليب بعض النجاحات لهم بعد سنين من الانكسار والخسائر التي لحقت بهم ، وكانت طريقتهم الأخرى في التوسع تقوم على

---

(1) أسامة زكي ، الصليبيون وإسماعيلية الشام : 174 .

(2) كان دبيس بن صدقة وكان أميراً على الحلة وكان هذا معادياً للبرسقي وقد حاول اغتياله بان أرسل إليه تسعة أشخاص لكن المحاولة باءت بالفشل وكشف أمر هؤلاء وقتلوا ، وكان قبل ذلك ان وقعت حروباً بين الطرفين . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 284/35 وما بعدها و295 ، ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ : 130/12-131 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 237/9 .

(4) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 215 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 312/35 .

شـراء الحصـون والقلاع[1] . وقد كانت المنطقة التي توسـعوا فيها من وادي من أعمال بعلبك مسـكونةً من خليط من السـكان كالدروز والنصـيرية والمجوس وغيرهم وظهروا وكأنهم يقدمون أرضـاً صـالحة للتوسـع لصـالح الحشـيشـية[2] ، وقد أشـار لذلك أحد المؤرخين الانكليز واصـفاً المنطقة وتضـاريسـها وهو من القرن الثالث عشـر الميلادي حيث رسـم بعض الخرائط في رحلته وأسـماها "بيان رحلة من لندن إلى بيت المقدس" ، وقد أوضـح عند حدود الاقطاعيات اللاتينية والمناطق الإسـلامية جبلاً يمثل أرض الحشـاشـين ووصـف الأرض الممتدة وراءه بهذه العبارة "كل هذه الأرض الكبيرة والغنية هي تحت سيادة المسلمين العرب وعدد أسماء الكثيرين من الحكام المسلمين" .

وكانت الجبال النصـيرية وجبل لبنان هو الذي يرسـم الحدود بين الفرنج والمسـلمين بفعل التضـاريس التي تنتصـب سـداً بوجه كل محاولة للاختراق أمنت هذه الجبال ملاذاً من الطراز الأول للطوائف التي حاولت الهرب من الاضـطهاد وأي شـكل من أشـكال السـلطة الخارجية ، وهكذا كانت جبال النصـيرية وجبل للبنان مسـرحاً للانشـقاقات الدينية والسـياسـية . وكانت في الغالب تتبع حكم الحكام المسـلمين أو اللاتينيين[3] ، ولم يكن الأمر مقتصـراً عند هذا الحد من التنوع حيث ذكر الرحالة بنيامين عند وصـفه أرض الحشـاشـين الذين نعتهم "بالملاحدة"[*] ان هناك (4000)

---

(1) مثل قلعة القدموس . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 204/12 ، محمد الخشـت ، حركة الحشاشين : 137 .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه : 250/9 ، لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة : 122 ، رحاب عكاوي ، الحشـاشـون : 161 . وينظر كذلك للاسـتزادة حول هذا الموضـوع أي وجود الدروز والنصـيرية : DUSSAUD , RENE , HISTORE E ETRELIGON DESNOSAIRIS LIBRAIRIE EMILE BOUILLON , PARIS , 1900 , p : 27-49

(3) بانيك غوترون ، الحشـاشـون والدروز والنصـيريون وفقاً للمراجع في القرون الوسـطى ، ضـمن كتاب مسيحيون ومسلمون في زمن الحروب الصليبية ، باريس ، 2007م : 30-31.

(*) يبدو انهُ سمع بهذه التسمية من السكان المحليين .

ألاف يهودي يقيمون بين ظهراني الحشاشين ويسكنون في الجبال معهم ويرافقونهم في غزواتهم وحروبهم ذاكراً شـجاعة الحشـيشـية بالقول "وهم أشـداء ، لا يقدر أحد على قتالهم"[1] .

يبدو ان طغتكين حين أعطى بانياس للحشاشين كان على علم انها ستكون درعاً ضـد الصـليبيين من جهة ومن جهة أخرى فانه ربما أراد التخلص من الصـراعات والمشـاكل التي ممكن ان تنجم عن العناصـر التي سـكنت تلك المنطقة[2] ، وهو ما حصل عندما بدأ الحشاشين يتوسعون في تلك المناطق فاصطدموا بسكان وادي التيم من نصـيرية ودروز وسـواهم[3] ، وجرى بين الطرفين حروب ومشـاكل[4]، وكان قائد الدروز هناك رجلٌ يدعى برق بن جندل كان قد وقف حجر عثرة في توسع الإسماعيلية الحشيشية فعمل بهرام الحيلة في مقتله وكان ذلك سنة 523هـ/1128م[5] وقد أدى مقتل زعيم الدروز إلى ردة فعل أهل وادي التيم ، وخرج أخو برق وهو الضـحاك بن جندل يطلب ثأر أخيه من الإسـماعيلية فحشـدوا وقصـدوا بانياس ، وجمع بهرام جمعاً وخرج إليهم "فبغتوه صباحاً وأعجلوه قبل ان يركب من مخيمه هو وأصحابه فقتلوهم شر قتلة ، وقتل هو أيضـاً في جملتهم وأخذوا رأسـه فطافوا به في قراهم"[6] . ولم تقف الأمور عند هذا الحد والذي أتضح ان بهرام كان يستخف بقوة هؤلاء المحيطين به فلم يأخذ التدابير الكافية لمواجهة ردة الفعل الغاضـبة ويبدو ان المحيطين بالحشـيشـية كانوا يسـتمدون

---

(1) رحلة بنيامين التطلي : 185 .

(2) حسام خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 48 .

(3) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 197 .

(4) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 7/3 .

(5) العظيمي ، تاريخ حلب : 381 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 16/36 .

(6) ابن القلانسـي ، ذيل تاريخ دمشـق : 221 ، العظيمي ، تاريخ حلب : 381 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 250/9 ، أبو الفداء ، المختصـر في أخبار البشـر : 7/3 ، ابن شـاكر الكتبي ، عيون التواريخ : 197/2 .

قوتهم من الفاطميين وهو ما أتضح من نصٍ نقله ابن شاكر الكتبي حين أخذ الدروز رأس بهرام وراحوا يطوفون به "وأخذوا رأسه فطافوا به في قراهم ثم بعثوه إلى خليفة مصر الآمر لأنهم كانوا ينتمون إليه ويقولون بانتظار الحاكم ... فبعث إلى ضحاك وإلى أعيان أهل الوادي الخلع والافتقاد"[1] ، وكان من نتائج مقتل بهرام ان تعرض الحشاشين إلى مذبحة أخرى وكان المحرض على تلك المذبحة هو الوزير وجيه الدولة المفرج بن الصوفي والذي أغرى تاج الملوك[*] بن طغتكين بالإسماعيلية وهون عليه أمرهم والفتك بهم وكان المدبر حاجبه يوسف[**] بن الفيروز ودبر لذلك ثلاثة ممن يثق بهم لقتل الوزير المزدقاني الذي كان حليفاً لهم[2] فقُتل وقطع رأسه وأمر بجثته فاخرجت إلى باب الحديد[***] ثم توجه ابن الصوفي وحاجبه ابن فيروز ومن معه من الجند ودخلوا دار الدعوة التي كانت للإسماعيلية فأوقعوا بهم "وقتلوا من كان بها وشاع الخبر وثارت العامة والغوغاء وسلوا السيوف والخناجر وقتلوا من ظفروا به من الباطنية وأستخرجوهم من مواضعهم وأبادوهم تقطيعاً وذبحاً ورضاً بالأحجار ... وصلبت جماعة على شرفات دمشق وشرع الرئيس ابن الصوفي وأخوته يلبسون الدرع ويتحصنون من

---

(1) عيون التواريخ : 12/197-198 ، من منتقفى المقريزي من أخبار مصر لابن ميسر ، منشور ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب تاريخ الحروب الصليبية : 37/25 .

(*) تاج الملوك : بوري بن طغتكين أبو سعيد المعروف بتاج الملوك ولي أمر دمشق بعد وفاة أبيه سنة 522هـ/1128م توفي سنة 526هـ/1131 متأثراً بجراح أصيب بها على يد اثنين من الباطنية . ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : 409/10 .

(**) يوسف بن الفيروز : لم أجد لهُ تعريفاً .

(2) أسعد ، منير الخوري عيسى ، تاريخ حمص من ظهور الإسلام حتى يومنا هذا ، ط1 ، نشرته مطرانية حمص الارثوذكسية ، سوريا ، 1984م : 200 .

(***) احدى أبواب مدينة دمشق ، ينظر : ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : 107/1 ، وللاستزادة ينظر : ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق : 17/1 ، ويذكر ان ذلك الباب انشأ زمن نور الدين زنكي : 315/2 .

الإسماعيلية ويخافون الغيلة"[1] ، ويضيف العظيمي ان هذه المذبحة وصلت إلى حماة "فقتلوا خلقاً من الباطنية وحماة أيضـــاً"[2] ، ويذكر ان بين حادثة مقتل بهرام وتلك المذبحة ما يقرب من السنة وان عدد من قُتل قارب على الستة ألاف[*] . وقد قام بهرام قبل مقتله بتعيين الداعي إسماعيل[3] أو إسماعيل الفارسي[4] ، خلفاً له لحكم بانياس ، اما المزدقاني فكان قد عين قبل مقتله نائباً عن بهرام بدمشــق رجلاً إســماعيلياً يقال لهُ أبو الوفا فعظم أمره "حتى صار الحكم لهُ بدمشق"[5] .

وعظم أمر أبو الوفا حتى صـــار لهُ الحكم بدمشـــق ، وقد أثارت تلك المكانة حفيظة الآخرين ضده ، وكانت سبباً أخر يضاف إلى المذبحة بحق الإسماعيلية هناك وكان بحســب ما أشــارت إليه الروايات ان أبو الوفا كاتب الأفرنج على ان يســلم لهم دمشق ويسلموا إليه عوضاً عن ذلك مدينة صور[**] "واتفقوا على ذلك وان يكون قدوم الفرنج إلى دمشق يوم الجمعة ، ليجعل أبو الوفا أصحابه على أبواب جامع دمشق وعلم

---

(1) ابن عســاكر ، تاريخ مدينة دمشــق : 409/10 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 250/9 ، ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ : 203/12-204 .

(2) تاريخ حلب : 382 .

(*) يبدو ان هذا الرقم مبالغٌ فيه أو ان من قتل لم يكن من الإسـماعيلية وإنما قُتل بسـبب الأحداث التي شهدتها المدينة .

(3) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 7/3 .

(4) ابن شاكر الكتبي، المصدر نفسه : 198/12 ، مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية : 172.

(5) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، أبو الفداء ، المصدر نفسه ، والجز والصفحة .

(**) صور : بالضم ثم التشديد والفتح كأنه جمع صاور فاعل من الصورة مثل شاهد وشهد وهي قرية على شــاطئ الخابور بينها وبين الفدين نحو من أربعة فراســخ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 434/3 .

تاج الملوك صـــاحب دمشـــق بذلك فاســـتدعى وزيره ، المزدغاني وقتلهُ وأمر بقتل الإسماعيلية الذين بدمشق"[1] .

وإذا ما قارنا بين هذه الرواية ورواية ابن الأثير أمكننا ان نجد التناقض في سير الأحداث يذكر ابن الأثير روايته قائلاً "ثم ان المزدقاني أقام بدمشق عوض بهرام إنساناً أسمهُ أبو الوفا فقوي أمره وعلا شأنه وكثر أتباعه وقام بدمشق فصار المستولي على من بها من المسلمين وحكمهُ أكثر من حكم صاحبها تاج الملوك ثم المزدقاني راسل الفرنج ليسلم إليهم مدينة دمشق ويسلموا مدينة صور"[2] وهكذا تتضح الصورة أكثر في ان المزدقاني وزير تاج الملوك هو من راسل الأفرنج ، وتبين الرواية كذلك المكانة التي أصبح عليها أبو الوفا علماً ان الأخير لم تدم فترة منزلته تلك أكثر من سنة . لتأتي بعد ذلك رواية الكتبي فتزيح الغموض الذي يكتنف الحادثة وما حل ليس بالإسماعيلية فقط وإنما بكل من كان مع تاج الملوك فيذكر بعد حادثة مقتل بهرام "وتغيرت ســـيرة تاج الملوك بوري بن طغتكين وأضمر الغدر لأصحابه والحيف على رعيته وتمكن الوزير المزدقاني في دمشق وأهلها وكان يصادق الباطنية ويراعي أصاحبهم غرضه في ذلك ان يساعدوه على أعدائه وينجدوه ان دهمه أمر لا يطيق وتغير مزاج بوري[*] صاحب دمشـــق على خواص والده وأركان دولته وقبض عليهم واحداً بعد واحد فاســـترابوا به ونفرت عنه القلوب وفسدت سياسته"[3] . ولم يشر الكتبي وهو من المعادين للإسماعيلية ، لم يشر إلى أية مراسلة بينهم وبين الأفرنج ولم يجعل تلك المراسلات سبباً للمجزرة

---

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 7/3 ، ينظر كذلك للاستزادة : ميشيل لباد ، تاريخ قلعة مصياف ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، 1965م : 504 .

(2) الكامل في التاريخ : 250/9 .

(*) هو تاج الملوك . ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 299/5 .

(3) عيون التواريخ : 198/12 .

التي لحقت بهم[1][**] . ثم تأتي بعد ذلك أعداد من قُتل من الحشـــيشـــية هناك وهي عرضـــة للاختلاف والمبالغة فذُكر ان من قُتل كان زهاء "ســـتة ألاف نفس"[2] ، وزاد البعض حتى جعلهم عشرة ألاف[3] أو عشرين ألفاً[4] .

وكان من جملة من قُتل شـــاذي الخادم ربيب أبي طاهر الصـــائغ[5] ، وتبدو الإشـارات واضـحة لوجود نشـاط وتوجيه لسياسـة الحشـيشـية في بلاد الشـام من قلعة الموت وهو ما أتضـــح من رواية ابن القلانســـي حين يذكر الإجراءات التي أتخذها بن الحسن الصوفي الذي كان طرفاً في المذبحة والذي بالغ في عملية الانتقام منهم "فأخذوا في التحرز والاحتياط من اغتيال من يندب إليهما من باطنية الموت مقر الباطنية"[6] .

لم تكن الأحوال بعد ذلك لتسير إلى جانب الإسماعيلية فالداعي إسماعيل الذي حل نائباً بدلاً عن بهرام كان قد أحس بحراجة الموقف وتخوف ان تسـقط بانياس بأيدي تاج الملوك بوري فيكون نصيب الإسماعيلية مذبحة أخرى على غرار ما حصل بدمشق

(1) ينظر للاستزادة: ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق: 223، عيون التواريخ: 12/203-204.

(**) يذكر في ذلك لويس قائلاً ان هذه الرواية المتكررة عن تأمر الوزير مسيسـة على مصـدر واحد ليس بالمعتمد كثيراً ويمكن ان تطرح جانباً كاختراع من قبل أقاويل معادية ، ويعلل أيضـــاً حول ما ذُكر عن علاقة الحشـيشـية بالأفرنج ان أغلب الروايات عن تلك العلاقات قليلة والقصـص الواردة في مصـادر المسلمين المتأخرة عن تعاون الإسـماعيلية الحشـيشـية مع العدو ربما كانت صـدى لعقلية العصـر المتأخر. ينظر: الدعوة الإسماعيلية الجديد: 123، وراجع الحشيشية الاغتيال الطقوسي: 274 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 9/250 .

(3) ســبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان ، قســم1 ، 8/130 ويذكر ان الناس لم تتعرض لحرمهم ولا لأموالهم .

(4) لويس ، الدعوة الجديدة : 123 .

(5) ابن القلانسي ، ذيل تاريخ دمشق : 224 .

(6) المصدر نفسه والصفحة .

"وعلم إسماعيل ان البلاء محيط به ان أقام ببانياس ولم يكن لهُ صبر على الثبات"[1] ، ووقع بين أمرين الأول انتقام تاج الملوك وهو أمرٌ وارد والآخر الصـــــليبيين "فأنفذ إلى الأفرنج يبذل لهم تسليم بانياس إليهم ليأمن من بهم فسلمها إليهم وحصل هو وجماعة في أيديهم فتسللوا من بانياس إلى الأعمال الفرنجية ... وعرض اسمعيل علة الذرب[*] فهلك وقُبر في بانياس في أوائل سنة 524هـــ/1129م فخلت منهم تلك الناحية"[2] ، وكان من نتائج تلك المذبحة أيضاً "ان تخبط الناس في الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دمشق"[3] .

ولم تكن بالطبع إزاء كل الذي حدث للحركة ان تترك الانتقام من الرؤوس التي كانت سبباً لتلك المذبحة فبعد سنة من حادثة المذبحة تلك أرسل فدائيان أعجميان من "الباطنية ســـنة 525هـــــ/1130م لقتل بوري طغتكين فجرحاه جراحات أثخنته وبقي مجروحاً إلى ان مات سنة 526هـــ/1131م[4] ، وكان سبب موتهِ تلك الجراح التي أصــابته واشـتدت عليه حتى أضــعفت قواه[5] ، وكان هذان الفدائيان قد تسـللا كالعادة حتى أصبحا في حفظ ركاب تاج الملوك وأصبحا موضع ثقته ثم نفذا هجومهما عليه[6]

---

(1) ابن القلانســي ، ذيل تاريخ دمشــق : 224 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 251/9 ، ابن العكبري ، شذرات الذهب : 229/3 .

(*) علة الذرب : بالتحريك تصيب المعدة فلا تهضم الطعام ويفسد فيها ولا تمسكه . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب : 385/1 ، مادة (ذرب) .

(2) ابن القلانسي ، المصدر نفسه والصفحة .

(3) ابن شاكر الكتبي ، عيون التواريخ : 204/12 .

(4) ابن عســـاكر ، تاريخ مدينة دمشـــق : 409/10 ، رشــيد الدين ، جامع التواريخ (قســـمت إسماعيليان) : 145 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 3/11-12 ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 249/5 .

(5) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 265/9 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 36/2 .

(6) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان : 130/8 .

، وكانوا بعد ذلك التاريخ – أي الحشيشية – بسنين طويلة قد اغتالوا قاتل زعيمهم بهرام وهو الضحاك بن جندل في سنة 544هـ/1149م[1] .

- الحشاشون يعيدون ترتيب صفوفهم :

لم تكن الضـربات التي تلقتها الحركة ، لتفت في عضـدها ، ورغم انها قضـت على أعداد كبيرة من رجالتها ، وقياداتها ، مضـافاً إلى ما كانت تعانيه الحركة في قلعة الموت في بلاد المشرق من ضغط كبير وصل أقصى درجاته بسيطرة السلطان محمود السلجوقي على قلعة الموت لفترة من الزمن[2] ، بالرغم من ذلك لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام ما حصـل لهم وقد ظهر أحد دعاتهم والمعروف بأبي الفتح[*] الذي كان مسـؤولاً عن أوضاع الهاربين من الحشيشية من تلك المذابح إلى مدينة حلب[3] والتي يبدو انها كانت ملجأً لهم ، فضـلاً عن أن أنظارهم كانت ترنوا إلى جملة من القلاع الواقعة بين مدينة حماة والبحر[4] ، وكان ان توجهت الأنظار كما أشرنا إلى قلعة القدموس والقلاع الأخرى على الرغم من ان التواريخ كما مر ذكره تجعل ذلك التوسع بعد استيلاؤهم على بانياس لكن القدموس مثلاً أصبحت لهم في سنة 527هـ/1132م[5] .

---

(1) د. محمد الخشت ، حركة الحشاشين : 140 .

(2) ابن الأثير ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

(*) أبو الفتح السرميني ، نسبة إلى سرمين ، أحد دعاة الإسماعيلية . ينظر : موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 127 .

(3) العظيمي ، تاريخ حلب : 385 ، علي حسن موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 109 .

(4) سميرة بن عمو ، أيدلوجيا الإرهاب الفدائي : 67 .

(5) ابن كثير ، البداية والنهاية : 204/12 ، محمد كرد علي ، خطط الشام : 8/2 .

على أية حال فان الحقبة التي تلت المذبحة وتحديداً بعد سنة 527هـ/1132 كانت قد امتازت بالسيطرة على عدة قلاع وحصون جبلية[1][**] .

وكانت لعموم الحال تلك الفترة وحتى سنة 535هـ/1140م تكاد تكون فيها الأحداث قليلة ولا تمدنا المصادر إلا بالنزر اليسير من الروايات أو الإشارات وكان ذلك قبل ان يتزعم الحركة راشد الدين سنان ، وكان ما يعوزها بشكل عام على الأرجح في تلك الفترة هو التنظيم المركزي والهرمية التراتبية الثابتة والنواة الاستراتيجية[2] .

كان من الحوادث البارزة في تلك الحقبة هي السيطرة على قلعة أو حصن مصياف وهذا ما تم سنة 535هـ/1140م[3] ، وكان هذا الحصن لبني منقذ وقد تم التخطيط للسيطرة عليه وقُتل صاحبه والذي كان مملوكاً لصاحب شيزر وقد بقي بأيديهم إلى دولة الملك الظاهر[4] ، وقد كان اختيارهم موفقاً لذلك الحصن فقد كانت منطقة "مصياف" تكثر فيها القلاع والحصون مضافاً إلى عزلتها وكانت للمنطقة جذور إسماعيلية ، يكثر فيها أنصار الدعوة ، ولا ينكر ما لأهمية سلمية الروحية من تأثير بالنسبة للإسماعيلية كونها مهد للإمام المستتر لفترة طويلة[5] والتي كانت قريبة على مصياف وهكذا كانت سنة 535هـ/1140م قد شهدت تنامي قوة الحشيشية وسيطرتهم على حصون وقلاع شكلت سداً منيعاً بوجه الصليبيين ولو ان هؤلاء – أي الحشيشية – أمنوا جانب القادة المسلمين الآخرين لأصبحوا رأس الحربة في قتال الصليبيين وقد نوه لأهمية تلك المناطق محمد كرد علي قائلاً "فان دمشق وحلب وعليهما في الجنوب

---

(1) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 179/5 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 157/1 .

(**) راجع في ذلك موضوع إجراءات بهرام في قلعة بانياس .

(2) سميرة بن عمو ، المصدر نفسه : 66 .

(3) الصفدي ، الوافي بالوافيات : 252/27 ، وللاستزادة ينظر : ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف : 46 وما بعدها .

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 216/36 ، محمد كرد علي ، خطط الشام : 13/2 .

(5) هاشم عثمان ، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، 1994م : 83-85 .

والشمال المعول في الحرب لأنهما المعسكران العظيمان في داخلية البلاد كثيراً ما شغلا بأنفســهما ورد دســائس الذين يتربصــون الدوائر بملوكها ، والفرقة الباطنية التي كان المقصد من الاغفاء عنها ان تقف سداً في وجه الأعداء لما عرف به أربابها من الشدة والمضاء"[1] .

كانت قوة الحشاشين قد بلغت آنذاك صورةً جيدة ، رغم الاختلاف في الروايات في عدد حصــونهم وقلاعهم التي اســتملكوها بين خمس قلاع[2] أو ســبع[3] أو حســب روايات بعض المســتشــرقين الذين ذكروا بان عددها وصــل إلى عشــرة قلاع[4]، وكان بحكم جوارهم لحكام طرابلس من الصــليبيين عليهم ان يواجهوا مشــاكل عدة ، مضــافاً إلى إيواء الوافدين من أنصار الدعوة ، وخلق وحدة متماسكة من تشتت الأهواء والمنازع والدفاع عن عدوين ناصــبهما العداء في الشــرق والغرب ، وتوضــيح العلاقة مع حكام قلعة الموت[5] . وكانوا بعد ذلك كله بحاجة إلى شــخص قوي أو قيادة قوية تســتطيع المحافظة على المكتسـبات وتقدير الأمور بشـكل لا يؤدي إلى خسـارة ما تم تحقيقه . وحتى ذلك التاريخ أي سنة 535هــ/1140م وما بعدها لم يكن للحركة سوى ما ذكرناه من محاولات للمد بنفوذها والمحافظة على الأرواح ، وما سجل من انتصـار في اغتيال للأمير الصــليبي ريموند الثاني أمير طرابلس عام 547هـــ/1152م ، كان ذلك بين

---

(1) خطط الشام : 15/2 .

(2) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 449/5 .

(3) القلقشندي ، صبح الأعشى : 157/1 .

(4) مجموعة من المستشرقين ، مسيحيون ومسلمون في زمن الحملات الصليبية : 40 .

(5) ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 51 .

فدائيي الحركة والصليبيين وكذلك أول شخصية صليبية تنجح الحركة في اغتيالها[1] ، وقد عرضهم ذلك لهجوم الصليبيين الذي أجبروهم على دفع الجزية[2] .

المبحث الثاني

عهد راشد الدين سنان حتى نهاية الحركة

- راشد الدين ودوره في تطور الحركة في بلاد الشام :

هو سنان بن سلمان بن محمد أبو الحسن راشد الدين البصري كبير الإسماعيلية وصاحب الدعوة النزارية ، كان أديباً فاضلاً عارفاً بالفلسفة وشيئاً من الكلام والشعر والأخبار[3] ، وكان مولده كما هو مبين من لقبه في البصرة[*] سنة 528هـ/1133م ، وكان أول أمره أحد دعاة الإسماعيلية النزارية[4] ، ويبدو انهُ قد أمتلك مواهب عدة أجبرت البعض على وصفه كونه "ذا أدب وفضيلة ونظر في الفلسفة وأيام الناس وفيه شهامة ودهاء ومكر وغور"[5] ، وتبدو إمكانياته من خلال بعض الروايات التي ذُكرت حوله والتي جذبت أتباع الإسماعيلية إليه حيث كان متنسكاً "متخشعاً واعظاً كان يجلس

---

(1) د. عثمان عبد الحميد عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية : 166، الخشت ، حركة الحشاشين : 140 ، ولو ان الأخير يذكرها في حوادث سنة 545هـ/1150م .

(2) بانيك غوترون، الحشاشون والدروز والنصيريون وفقاً للمراجع الغربية في القرون الوسطى : 33.

(3) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 .

(*) ذُكر ان راشد الدين كان من كورة كبيرة من أعمال واسط يقال لها الشرطة وهي بين واسط والبصرة ولكنها على يمين المنحدر إلى البصرة ، وكان أهل تلك المنطقة كلهم إسحاقية نصيرية وينتسب راشد الدين إلى احدى قرى تلك المنطقة والتي تسمى بقرية (عقر السدن) . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 334/3 .

(4) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 184/21 ، محمد الخشت : حركة الحشاشين : 142 .

(5) الذهبي ، المصدر نفسه ، 182/21 .

عـلـى صـخـرة كـأنـه صـخـرة لا يـتـحـرك مـنـه سـوى

لسانه فربطهم [يقصد قومه]" [1] ، وقد جعلت تلك الإمكانيات حركة الحشاشين تنسب إليه وأصبحت تعرف بالطائفة السنانية[2] ، وهكذا تتضح أهمية راشد الدين مثلما اتضحت أهمية الحسن الصباح في بلاد المشرق فسميت الفرقة باسمه الصباحية[3] .

وكالعادة تبدو البدايات الأولى عن حياتهِ مبهمة إلا من إشارات قد لا تغني الباحث في سيرته ، لكنها تشير إلى إمكانيات اتضحت وبجلاء للمتتبع فهو الذي "فعل الأفاعيل التي لم يقدر عليها أحد من قبل ولا بعده"[4] إلى جانب إطلاعه على رسائل أخوان الصفا وقراءته كتب الفلسفة[5] وبراعته بالكيمياء دفعت الرواة للقول بانهُ كان "رجل صاحب سيميا فأراهم بها ما أضل به عقولهم"[6] ، وكانت النظرة إليه – أي إلى سنان تشابه إلى حد بعيد ما ذكر عن تربية الفداوية وجنان الحشاشين المزعومة فقد ذكر عن راشد الدين بانه جعل أتباعهُ يشاهدون "ما أضل عقولهم من تحييل أشخاص من مات منهم على طاعة أئمتهم في جنات النعيم وأشخاص من مات منهم على عصيان أئمتهم في النار والجحيم فثبت ذلك عندهم واعتقدوه حقاً ومن قدح في ذلك فقد دخل في أهل الضلال"[7] .

---

(1) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 185/21 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 185/5 ، اليافعي ، مرآة الجنان : 387/3 ، المقريزي ، السلوك : 173/1 .

(3) الرازي ، اعتقادات فرق المسلمين : 78 .

(4) الحموي ، معجم البلدان : 137/4 .

(5) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 ، العكبري ، شذارت الذهب : 294/4 .

(6) القلقشندي ، صبح الأعشى : 247/13 .

(7) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

كان ســنان قبل ذلك قد درس وتثقف في مدارس قلعة الموت[1] ، وعلى الأرجح انه اختير لإمكانياته ونبوغه كي يكون داعية ذا وزن حيث انهُ استطاع بعد وقت قصير عند استقراره في البصرة ان يعيد النشاط الإسماعيلي في العراق بشكل أقوى وواسع من ذي قبل[2] ، وكان ذلك النشــاط هو ما دفع لاختياره وإيفاده إلى بلاد الشــام ليتولى أمر الدعوة هناك بعد ان أصبحت الحركة في وضع حرج بسبب الخلافات التي نشبت بين بعض الدعاة في تلك الحقبة خاصة سنة 577هـ/1161م[3] .

ســار راشــد الدين من قلعة الموت إلى بلاد الشــام ، ووصــل إلى حلب وكان متخفياً آنذاك بزي الدراويش ، وبقي أشــــهر عدة ينتقل في المدن التي تكثر فيها الإسـماعيلية ، ثم وصـل بعد ذلك إلى مصـياف ، وقد برزت إمكانياته فأدهش العلماء والفقهاء بما أظهره من مقدرة علمية جعلته يحتل مكانة مهمة فقوي نفوذه[4] ، وكان طول تلك الفترة قد امتهن مهنة تدريس الصــبيان وكذلك تعليم الخط ويبدو انهُ اســتقر بمصــياف[5] ، وقد اســتثمر أثناء مقامه هناك براعته في الطب والتي يبدو انها كانت احدى خصائصه فكان "إذا مرض أحدهم يأمرهم بشيء يداوونه به فيتعافى من مرضه فسموه طبيباً وصار الناس يقصدونه بسبب المرض ويتباركون به ، ويثنون عليه"[6] .

---

(1) قلعجي ، قدري ، صلاح الدين الأيوبي، ط5، دار الكاتب العربي ، بيروت ، 1979م : 261.

(2) غالب ، تاريخ الدعوة الإسماعيلية : 265 .

(3) ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 57 ، غالب ، المصدر نفسه والصفحة .

(4) لباد ، المصدر نفسه : 256 .

(5) مناقب المولى سنان راشد الدين ، رواها وجمعها أبو فراس المينقي ، شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي (ت883هـــ/1478) ، تح : د.مصطفى غالب ، دار اليقظة العربية ودار منشورات حمد ، بيروت ، 1967م : 169 ، وللاستزادة ينظر كذلك : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 329/41 .

(6) المناقب : 169 ، علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 139 .

أثمرت تلك الجهود في لفت أنظار الدعاة هناك لراشد الدين سنان من قبل أحد الدعاة المهمين هناك وهو أبو محمد المينقي والذي كان مقيماً بقلعة الكهف فبقي مقيماً فيها سبع سنوات أظهر فيها الزهد والصلاح حتى أطلق عليه لقب الشيخ العراقي[1] ، وكان طيلة فترة بقائه لمدة سبع سنوات يخفي أمره عن أبو محمد المنيقي بحقيقته ، حتى مرض الأخير عندئذ صارحه راشد الدين قائلاً لهُ : "يا شيخ أبا محمد قد انقضت مدتك ، وحان أجلك ، ... فقف على تقليدي هذا قبل موتك"[2] ، وبهذه الصورة استلم أبو محمد المنيقي الأمر ودعا أكابر الأعيان وقرأ عليهم تقليد راشد الدين وأمرهم بطاعته وكونه نائب الإمام "والحاكم عليكم بأمره من بعده"[3] .

وهكذا تسلم راشد الدين قيادة الدعوة في بلاد الشام ، لكن ما بقي طي الكتمان هو ما قام به راشد الدين خلال تلك الفترة في سبيل إنقاذ الحركة من الصراعات والانقسامات التي أصابتها – التي لم تمدنا المصادر والروايات بالكثير عنها – وكيفية بقاء راشد الدين دون البوح بشخصيته أو مهمته للموجودين هناك ، ويمكن تعليل ذلك بان الكيا محمد حاكم قلعة الموت وزعيم الحركة آنذاك ربما أحس بإمكانيات راشد الدين وهو ما يفسر تقريب الكيا محمد لراشد الدين حتى انهُ أجلسه مع ولديه الحسن والحسين في الدرس معاً ، ثم تولى بعدها أبنه الحسن قيادة الحركة فأنفذ هذا الأخير راشد الدين إلى الشام[4] ، وقد يكون الأمر هو ان الحسن شعر بالأوضاع المتردية للحركة في بلاد

(1) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى سنان راشد الدين : 170 .

(2) المصدر نفسه : 170–171 .

(3) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 329/41 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 ، أبو فراس المنيقي ، المصدر نفسه : 171 .

(4) الذهبي ، المصدر نفسه : 330/41 ، سير أعلام النبلاء : 187/21 ، الصفدي ، المصدر نفسه: 282/15 .

الشـام فأوفد راشـد الدين لاسـتقراء ما يجري من جهة ولاسـتلام قيادة الحركة من جهة أخرى بعد وفاة أبو محمد المنيقي رغم تزويدهُ إياه بالتقليد(*) .

ورغم ان الإسماعيلية الحشيشية تتفق على ان راشد الدين تولى شؤون الدعوة هناك في سنة 558هـ/1162م(1) إلا ان بعض الروايات تذكر شخصاً أسمهُ الخواجة علي بن مسعود(**) كان قد تولى شؤون الحركة تلك السنة وكان توليه بغير نص إلا باتفاق الجماعة "ثم أتفق الرئيس أبو منصور بن أحمد(***) بن الشيخ أبي محمد والرئيس فهد(****) فانفذوا من قتله وبقي الأمر شورى فجاء الأمر من الألموت بقتل قاتله وإطلاق فهد ومعه وصيه وأمر ان يقرأها على الجماعة ..." (2) .

وهكذا تتضح الصورة الحقيقية لرواية الاختلاف بين إسماعيلية الموت أنفسهم، وهو ما أشار إليه صاحب المناقب في رواية عابرة ذكر فيها ان راشد الدين حين تولى شؤون الدعوة بلغه ان جماعة من أهل مصياف كانوا قد ذكروا سنان بالسخرية عند

(*) التقليد : يعني بالعرف الإسماعيلي الأمر الإمامي الذي يصدره الإمام الإسماعيلي من مقر الدعوة بخاتمه وتوقيعه والذي يطلب فيه من الأتباع بأن يؤدوا الطاعة المفروضة عليهم لإمام عصرهم لنفس الشخص حامل التقليد باعتباره نائباً للإمام وموضع ثقته وباب من أبواب دعوته ولا مناص مطلقاً من تنفيذ مضمون التقليد مهما كان نوعه وفحواه فالكل لهُ مؤيدون ولمضمونه منفذون . ينظر : د. علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 139 .

(1) مصطفى غالب ، اعلام الإسماعيلية : 296 .

(**) لم أجد لم تعريف ويبدو انه أحد دعاة الإسماعيلية وتقلد أمورهم لفترة بعد وفاة أبو محمد المنيقي أو قبله في احدى القلاع .

(***) لم أجد له ترجمة .

(****) لم أجد له ترجمة ويبدو من خلال الرواية ان هذين الشخصين هما أحد دعاة الإسماعيلية في قلاع الدعوة .

(2) الذهبي ، المصدر نفسه : 331/41 ، سير أعلام النبلاء : 187/21 ، الصفدي ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة .

توليه قيادة الحركة فوصله ذلك "فوبخهم وأغلظ عليهم في القول فاعتذروا عن ذلك"[1] ، دون أية إشارة لتعيين الخواجة علي بن مسعود ، ولم يذكر ان الأخير جلس على عرش الحركة آنذاك ، ويبدو ان الأرجح ما نقله الذهبي والصفدي في جلوس علي بن مسعود الخواجة ، وذلك يتفق مع سير الأحداث مع إخفاء راشد الدين لشخصيته وتنقله بين قلاع الدعوة في بلاد الشام إلى ما أشيع عن الخلافات بين دعاة وقادة الحشاشين هناك والتي اتضحت بهذه الرواية – أي رواية مقتل الخواجة – .

وهكذا وبعد كل ذلك قاد راشد الدين جموع الحشاشين في وسط جم من المشاكل والاضطرابات وكان عليه ان يأخذ بعين الاعتبار سقوط الخلافة الفاطمية[*] وكان ذلك الأمر قد أفزعه حيث تربع مجدداً على قيادة العالم الإسلامي العباسيين[2].

- إجراءات راشد الدين سنان :

لم يكن الحال بالنسبة للإسماعيلية الحشيشية مسراً في بلاد الشام ، وكانت النكبات قد أخذت منهم الكثير ، وأدت الخلافات دورها في إضعافهم ، ورغم انشغال البعض عنهم بالحروب والمشاكل وذلك في النصف الأول من القرن السادس الهجري / 12 ميلادي فقد مرت تلك الفترة دون ان يتخللها نشاط ملحوظ لهم في بلاد الشام ضد أي طرف في المنطقة[3] ، ويبدو انهم نأوا عن الانجرار لأية مشكلة محاولين بذلك الحفاظ على أوضاعهم ، وكانت المدة التي قضاها راشد الدين متخفياً يدرس فيها

---

(1) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى : 172 .

(*) وكان ذلك سنة 567هـ/1171م ، وكان أخر خلفائهم الخليفة العاضد لدين الله . ينظر : محمود مقديش ، محمود بنت سعيد مقديش أبو الثناء (ت1228هـ1813م) ، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، ط1 ، تح : علي الزاوي ومحمد محفوظ ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1988م : 359 .

(2) المقدم ، الاغتيالات في بلاد الشام : 187 .

(3) كمال بن مارس ، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية : 170 .

أحوال الإسـماعيلية وغيرهم من المسـلمين في بلاد الشـام ، وما كان من أمر جموع الصـليبيين ولاسـيما في هذه السـنوات التي ظهر فيها محمود الدين[*] زنكي صـاحب حلب والتي تولى فيها إمارة حلب سنة 541هـ/1146م[1] ، وربما أحس الحشيشية بالخوف بسـبب الصـراعات الداخلية وصـراع نور الدين والصـليبيين اللذان أخذا يصطرعان عند تخوم جبال البهرة [**] ، وقد القى ذلك الخوف في نفوس الإسماعيلية هناك[2] .

شـرع راشـد الدين في إجراءات عدة لتفادي الوقوع في الأخطاء السـابقة التي أفضـت إلى الكثير من المذابح والمحن ، فنقل أول الأمر مقر إقامته إلى قلعة مصـياف[3] ، وقد أصـبحت بذلك عاصـمة لقلاع الإسـماعيلية الأخرى هناك وكان

(*) محمد الدين زنكي : الملقب بالملك العادل وهو ابن عماد الدين زنكي لما قُتل أبوه ملك حلب وحماة وحمص ومنيج وحران ثم حاصر دمشق وملكها سنة 549هـ/1154م ، توفي سنة 569هـ/1173 . ينظر : اليافعي ، مرآة الجنان : 3/387-389 .

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب : 2/653 ، محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية : 100 .

(**) جبال البهرة : وهي الجبال المعروفة بجبال العلويين في الوقت الحاضـر وكانت آنذاك تعرف بجبال (قلاع الدعوة) ، وكانت رقعتها تمتد من شرقي مدينة طرطوس جنوباً حتى صـهيون شمالاً ومن البحر غرباً حتى حدود مدينة حماة شرقاً ويدخل ضمن حدودها قلاع الإسماعيلية التي مر ذكرها كمصياف والخوابي والكهف والرصافة والقدموس وصهيون والمرقب والعليقة وكانت خارج هذا المحيط قلاع أخرى كشـيرز وبانياس الشـام وطرابلس حتى قلعة الشـقيف وقد وقعت تلك تحت سـيطرتهم ، وقد اضـطر الحشاشين إلى العيش والتحصن في تلك المنطقة . ينظر : عارف تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 13/4 ، وكان الصـليبيون قد قاموا ببناء هذه الحصـون والقلاع قديماً لتسيطر على الممرات التي امتدت بين الأقاليم الإسـلامية الداخلية والمناطق الأفرنجية السـاحلية . ينظر : عثمان ، تاريخ الشـيعة في سـاحل بلاد الشام الشمالي : 84 .

(2) ميشـيل لباد ، الإسـماعيليون والدولة الإسـماعيلية : 58 ، للاسـتزادة ينظر : دهش ، الحركة الإسماعيلية في بلاد الشام ، رسالة ماجستير : 114 .

(3) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 298 ، د. رحاب عكاوي ، الحشاشون : 189 ، خضـور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 193 .

وقوعها على مساحة لا بأس بها من القرى والجبال[1] خطوة موفقة لحماية قيادة الدعوة الإسماعيلية كونها حصينة وجبلها ذو صخر عمودي تحيط بها المستنقعات من كل ناحية وكانت مزودة بأبراج للمراقبة والدفاع وبذلك يستحيل أخذ القلعة إلا بعد معارك ضارية يقتل فيها المئات والألوف[2] .

وبذلك كانت الصورة قد وضحت أكثر عند اتخاذ حصن مصياف لذلك الغرض ، حيث أصبح دورهم أكثر وضوحاً في المجالين الإسلامي والصليبي على السواء ، وكان اتخاذ مصياف قد عزز ذلك الدور ، حيث لعبت مصياف دوراً مهماً في تاريخ الإسماعيلية لمناعتها ولأهمية موقعها بين دمشق وطرابلس في منطقة جبل اللكام[*][3] ، ثم تبعه بعد ذلك إجراءٌ أخر قام به راشد الدين وهو ترميم القلاع والحصون ، والاستيلاء على قلاعٍ أخرى كان من بينها قلعة العليقة[4] ، ولضبط الأمور أكثر كان راشد الدين يقضي أيام الأسبوع متنقلاً في القلاع الأربع الكهف ومصياف والقدموس والعليقة ويزور كذلك الخوابي والمنيقة ويخصص يومين للإقامة بجبل مشهد ، حيث كان مولعاً بالتأليف ورصد النجوم والعبادة والتأمل وكان في كل تنقله ذلك يسير مشياً

---

(1) خضور ، المصدر نفسه : 193-194 ، قلعجي ، صلاح الدين : 262-263 .

(2) خضور ، المصدر نفسه والصفحة ، ولباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 80-81 .

(*) جبل اللكام : يبتدئ من بحر القلزم ويمتد إلى نواحي الشام ويسمى هناك جبل لبنان ثم ينتهي إلى حمص ويجاورها ويسمى هناك بهرا – أي جبال البهرة التي مر ذكرها – وتنوخ ثم يمر إلى ان يجاور اللاذقية ، وثم يسمى اللكام وينتهي إلى عين زربة والهارونية وهو ليس بمعمور الأرض . الإدريسي ، نزهة المشتاق : 353/1-354 .

(3) محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية : 101 ، عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 165 .

(4) المنيقي ، مناقب المولى : 198 و208 ، حسام خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية: 145-146 .

في طرق سرية متخفياً حتى لا يكشف أمره[1] . وعلى الجانب الأخر من الإجراءات فقد أنهى راشد الدين الخلافات الداخلية التي عصفت بالإسماعيلية ببلاد الشام وبذلك تمكن من توطيد مركز الحركة[2] ، وكان مما لم يتشاغل عنه في خضم تلك الإجراءات انشأهُ مدرسة لتدريب الفداوية – الفدائية – ومنظمات الاستطلاع السرية حتى إذا بلغ طلابها مرتبة الجدارة في علمهم بعث لهم ليرفعوا إليه أنباء قلاعه وأخبار أعوانه في الداخل وخصـــومه في الخارج فلا ينحدر إلى مزالق الخطأ والذل في معالجة الأمور ووضـــع الحلول[3] ،وقد دفعت تلك الإجراءات وبثه العيون واستطلاعه للأخبار بوساطة الحمام الزاجل والذي استطاع راشد الدين بمهارته ان يعرف الأخبار القاصية والدانية أولاً بأول دفعت بعض الناس من أتباعه لأن تتناقل أخباراً عن معرفته بالغيب عندما كان يعلن تلك الأخبار عليهم قبل حدوثها لعلمه بها عن طريق تلك الشـــبكة[4] ، وقد وقع ذلك الأمر في نفوس الكثير من الإســـماعيلية فانقادوا لراشـــد الدين وحفظوا له مكانة كبيرة بينهم[5] .

وقد دفعت تلك المكانة الرحالة ابن جبير لوصـــف ســـنان بان أتباعه "يبذلون الأنفس دونه وحصــلوا من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمر أحدهم بالتردي من شــاهقة

---

(1) المنيقي ، مناقب المولى : 195–210 ، حيث يتبين من خلال قراءة تلك الصـــفحات كثرة التنقل لضبط الأمور من قبل راشد الدين . غالب ، اعلام الإسماعيلية : 298 ، تامر ، سنان وصلاح الدين ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1956م : 33 نقلاً عن كتاب فصول وأخبار : 164 .

(2) علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 141 .

(3) تامر ، المصدر نفسه ، والصفحة ، علي حسن ، المصدر نفسه والصفحة ، الإسماعيلية في دائرة المعارف ، بحث نشور ضمن مجلة المواسم ، العدد 69–70 : 95 .

(4) لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 63–64 .

(5) وتتضح تلك الصورة من خلال الحكايات الكثيرة التي وردت في المناقب .

جبل فيتردى ويستعجل في مرضاته الردى"[1] ، ودفعت رحالة أحر لوصفهم بأنهم "متضامون مع بعضهم إذعاناً لتعاليم شيخهم ، حتى أنهم ليضحون بالنفس طوعاً ويفتكون بالملوك والأمراء إذا اقتضى"[2] ، ومن خلال هذه الروايات حول تدريب الفداوية من الواضح ان راشد الدين كان يريد نوعاً من الاستقلال عن سلطة الموت والتي كانت هي المسؤولة عن إرسال أولئك الفداوية بشكل كبير وهو ما سنلمس أثره من استقلال واضح لسلطة الحشيشية في بلاد الشام عن بلاد المشرق .

وبهذه الإجراءات احتل سنان بين أتباعه مكان المؤسس موازياً بذلك مكانة الحسن الصباح في بلاد المشرق ، وقد أفلح في كل تلك الإجراءات في إيجاد قاعدة للدعوة تكون مكاناً حصيناً يستقطب جموع الإسماعيلية ، مدركاً ان حماية الأتباع تتوقف على الدفاع المحكم لا الهجوم البائس[3] فكان بذلك يبني القلاع ويزيد في حصانتها ويوعر مسالكها[4] ، وكان وهو في خضم تلك الإجراءات يدرب جيلاً من الفداوية على تعلم لغات وعادات أهل البلاد المجاورة وتقاليدهم ومذاهبهم[5] وهو ما أتاح لهم التنقل بحرية في المهمات التي أوكلت لهم في مجتمع متعدد الأطياف والألوان .

- العلاقات الخارجية في عهد راشد الدين :

بالرغم من المشاكل الداخلية وانشغال راشد الدين فيها ، إلا ان ذلك لم يكن ليبعد نظره عن علاقاته الخارجية مع المحيطين به ، فقد أدى انشغال بعض الحكام المسلمين

---

(1) رحلة ابن جبير : 180 .

(2) بنيامين التطلي ، رحلة بنيامين : 114 .

(3) ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 61 .

(4) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 330/41 ، سير أعلام النبلاء : 186/21 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 .

(5) عكاوي ، الحشاشون : 190 .

أو حتى الصليبيين بمشاكلهم إلى نوع من التغاضي عن نشاط الحشيشية ، ولم يكن ذلك يعني تغاضياً عنهم بصورة كاملة فمنذ عام 541هـ/1146م – وقبل ان يصل راشد الدين لقيادة الحركة – كان السلطان نور الدين محمود زنكي حاكم حلب ينظر بعين الريبة والقلق إلى نفوذ الإسماعيلية وسط مملكته ، وقد حاول الإسماعيلية الانسياب بعسكره إلى جبال السماق وكان نور الدين أمر بأبطال "حي على خير العمل في أواخر تأذين الغداة ... وعظم هذا الأمر على الإسماعيلية ... وضاقت لهُ صدورهم وهاجوا له وماجوا ثم سكنوا واحجموا للخوف من السطوة النورية المشهورة"[1] ، ولم يكن ذلك الأمر إلى محاولة للتضييق من قبل نور الدين لنشاط الإسماعيلية الحشيشية وهو ما أشار إليه القزويني قائلاً "وحكي ان نور الدين صاحب الشام أنكر ملك الإسماعيلية في وسط بلاده ، فجاءه قاصداً أخذه ، فلما نزل عليه في ليلته الأولى أصبح فرأى عند رأسه رقعة وسكيناً وكان في الرقعة ان لم ترحل الليلة الآتية تكون هذه في بطنك ! فارتحل عنه"[2] ، وكان المنطقة – أي جبل السماق – بعمومها للإسماعيلية[3] .

وتؤكد تلك الحادثة ان الحشاشين لم يكونوا ليرغبوا بقتل نور الدين ، وتذكر هذه الحادثة بحادثة السلطان السلجوقي التي مر ذكرها عندما غرس الحشيشية سكيناً إلى جواره وتركوا لهُ رقعة فيها تحذير بالكف عنهم .

وإشارة الحشاشين هنا ترجح محاولتهم تجنب الاصطدام والصراع مع المحيطين بهم ، وكان ذلك قبل قدوم راشد الدين ، وسوى تلك المحاولات لم يكن في عهد نور الدين ما يميز العلاقة[*] بين الطرفين راشد الدين ونور الدين مع ان الأخير أحس

---

(1) أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين : 202/1 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 15/37 .
(2) أثار البلاد وأخبار العباد : 207 .
(3) المصدر نفسه والصفحة .
(*) كان نور الدين قد بدء يفكر جدياً بما يمكن ان يكون عليه حال الحشاشين بعد راشد الدين ، فأمر باعداد جيشه وشن عليهم حرباً شعواء وكان يحظر لغزوهم لكن الموت حال بينه وبين تلك

بتنامي قوة الحشيشية بعد مجيء راشد الدين وتوسعت قوتهم حتى ملكوا أربعة وسبعين قلعة وحصناً وقد جعلت تلك الحصون والقلاع من الحشيشية قوة يُحسب لها حساب سياسي وعسكري ، وكانت سنة 569هـ/1173م وهي سنة وفاة نور الدين(1) ، كانت قد شهدت تنامي خوف الصليبيين من الحشيشية حتى ان ملكهم عموري الأول ملك بيت المقدس عرض على راشد الدين ان يدفع لهُ الجزية التي كان يحصلها فرسان الداوية(**) سنوياً من بلاد الإسماعيلية المجاورة لهم(2) .

- الحشاشون وعلاقتهم مع الصليبيين والسلطان صلاح الدين الأيوبي :

أ- علاقتهم مع الصليبيين :

وسط تلك الصراعات السياسية والعسكرية كان الحشاشين يقيمون علاقاتهم مع المحيطين بهم على أساس من المصلحة الذاتية ومن المرجح ان شعورهم بالأقلية في وسط المحيط المتاخم لهم هو الذي أملى عليهم ضرورة إتباع سياسة العنف أحياناً

الحملة . ينظر : أسامة زكي ، الصليبيون وإسماعيلية الشام : 199 . رغم ان الباحث لم يجد بين يديه ما يشير إلى تلك الحملة أو ان غرضها كان الحشاشين وإنما كان غرضها مصر لأخذها من يد صلاح الدين . ينظر : أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 72/3.

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 72/3 .

(**) فرسان الداوية : أو فرسان الهيكل أو المعبد طائفة عسكرية دينية أوربية تعرف باسم فرسان معبد سليمان تكونت الطائفة في القرن 12 ميلادي لحماية حجاج بيت المقدس ، وكانوا من أولى التنظيمات الصليبية وتأسست جماعتهم تحديداً سنة 1118م عن طريق سبع فرسان اقسموا بحماية الحجاج الذاهبين إلى بيت المقدس وقد حازوا على اعتراف البابا سنة 1128م وفي 1147م شاركوا بأولى معاركهم ضد المسلمين وكانت ملابسهم بيضاء مزينة بالصليب ذات اللون الأحمر وقد دخلوا في منافسات مع التنظيمات الأخرى مثل فرسان الاسبتارية وفرسان التيتون في النفوذ والثروة والحروب ودخلوا في عدة تحالفات . ينظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ط3 ، شركة أبناء شريف الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، 2009م : 2387 .

(2) كمال بن مارس ، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية : 171 ، وللاستزادة ينظر : الصوري ، وليم ، تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) ، نقله إلى العربية: د. سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت : 967/2 .

والمراوغة والمداهنة أحياناً أخرى[1] ، ويرجع البعض ذلك إلى ان الحركة الإسماعيلية لم تتخذ شكلاً واحداً ولا اقتصرت على اسم معين بل ظهرت بأشكال متعددة في نظرياتها وتنظيماتها[2] .

كان راشد الدين يعي أوضاع المحيطين به إلى حد بعيد ، وقد أتضح ذلك من خلال إنشائه شبكة من العيون والمخبرين في أنحاء حدود حكمه ودول جيرانه ناقلين له الأخبار بالنار تارة والحمام الزاجل تارة أخرى الذي برع الإسماعيلية في استخدامه تماشياً مع خطتهم في الحيطة والحذر[3] ، ولابد ان تلك المعلومات ساعدت أكثر في فهم ما يجري من أحداث على الصعيدين الداخلي والخارجي وعلى أساسها كانت تبنى المواقف والتوجيهات ، فمثلاً على الصعيد الخارجي شهدت سنة 567هـ/1171م نهاية الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي الذي قطع الخطبة والدعاء للخليفة الفاطمي العاضد لدين الله[4] ، وكان العاضد لا عقب له وقد استبد صلاح الدين بأمور مصر ، حيث كان نائباً عن نور الدين محمود الذين كان حاكماً للبلاد الشامية ومصر[5] ، وقد أمر صلاح الدين بان يخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله وأعاد شعار العباسيين وهو السواد[6] ، وقد مر ذلك دون أية مشاكل أول الأمر وفي

---

(1) عشري ، الإسماعيلية في بلاد الشام : 166 .

(2) عبدة ، سمير ، الإسماعيليون في سوريا ، نشأتهم – تطورهم – تعدادهم ، ط1 ، دار حسن ملص للنشر ، دمشق ، 2008م : 17 .

(3) ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 63 .

(4) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر : 66/3 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 77/2.

(5) القلقشندي ، مآثر الانافة : 53/2 .

(6) ابن الأثير ، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد (ت630هـ) ، التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تح : عبد القادر أحمد طليمات ، طبعة مصر ، القاهرة ، 1963م : 156 .

هدوء تام ودون ان ينتطح فيه عنزان كما ذُكر[1] ، وكان ذلك الأمر أشد ما أفزع راشد الدين ، حيث تربعت الخلافة العباسية من جديد على قيادة العالم الإسلامي[2] ، ورغم الخلاف بين الفاطميين الذين كانوا على المذهب المستعلوي وراشد الدين والحشيشية اللذين كانوا نزارية إلى ان شعور راشد الدين بان بلاد الشام ومصر أصبحتا تحت نفوذ واحد موحد يخلو من دولة للإسماعيلية وباختصار أدق فان حالة التوازن في الصراع قد فقدت بين القوى بزوال الخلافة الفاطمية . وهو أمر ربما أثار حفيظة راشد الدين سنان ومخاوفه .

دفع ذلك الأمر براشد الدين إلى التحالف مع الصليبيين ، وكان ذلك سنة 569هـ/1173م أي بعد سقوط الخلافة الفاطمية بسنتين وهذا ما ذهبت إليه أهم الروايات التي ورد ذكرها في المراجع الغربية ، حيث أرسل وفد إلى بيت المقدس آنذاك[3] ، وقد ذهب أحد المؤرخين الغربيين إلى ان راشد الدين والحشاشين كانا قد وضعا على المحك إذ كانوا كما في أيام الحسن الصباح ينتظرون ان يفيق الفاطميون لتدشين عصر ذهبي جديد[4] وربما اعتقد راشد الدين خلال تلك السنتين بإمكانية إعادة الخلافة إلى الفاطميين بانياً أمالهُ على محاولة للبعض لكنها ضاعت أدراج الرياح[5] .

---

(1) أبو شامة ، الروضتين : 339/2 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 78/2 ، أيمن فؤاد ، الدولة الفاطمية في مصر : 306 .

(2) محمد المقدم ، الاغتيالات في بلاد الشام : 187 .

(3) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية : 967/2 ، مسيحيون ومسلمون في زمن الحروب الصليبية : 39 .

(4) معلوف ، أمين ، الحروب الصليبية كما رآها العرب ، ط6 ، ترجمة : د. عفيف دمشقية ، دار الفارابي ، بيروت ، 2010م : 238-239 .

(5) للاستزادة حول تلك المحاولة ينظر : الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) ، دول الإسلام ، ط1 ، حققه وعلق عليه : حسن إسماعيل مروة ،

وكانت ردة فعل راشـــد الدين بصـــورة عامة محط أنظار البعض من الرواة والمؤرخين الغربيين لنسج القصص حتى انها ذهبت إلى ان راشد الدين أرسل رسالة إلى أموري أو (عموري) الملك الأفرنجي يخبره فيها انهُ وجميع أنصـــاره مســـتعدين لاعتناق المســـيحية[1] ، ورغم النظرة التي تبناها هؤلاء المؤرخين في ان هؤلاء – أي الإسـماعيلية – كانوا يعيشـون وبحسـب زعمهم دون قانون ويأكلون لحم الخنازير[2] ، لكن تلك الصـورة نفتها رواية أخرى لوليم الصـوري عن الحشـيشـية إذ ذكر قائلاً فيها "كانوا قد اتبعوا شـريعة وتقاليد المسـلمين منذ قرابة أربعمائة عام وبشـكل تام لدرجة ان جميع الشـــعوب تبـدو بـالمقـارنـة معهم منحرفـة وأنهم وحـدهم المتقيـدون الكـاملون بالشريعة"[3] ، وفي الاعتقاد فان الرواية ليست بحاجة إلى مناقشة، وهي باعتراف كاتب غربي كالصـــوري توضـــح ان هذا الأمر ينافي ما ذكره أقرانه من المؤرخين ، وكانت مبررات اعتناق المســـيحية من قبل البعض قد فســـرت على انها تصـــب في إعفاء الإسماعيلية من الجزية التي فرضت عليهم[4] ، وكان من المستبعد ان راشد الدين قد كان بنيته تبديل دينه ، وربما لم تطرح هذه القضـــية في اللقاء ، وقد يكون ذلك اللقاء ركز فقط على مسألة الضريبة التي فرضها الداوية على الحشاشين[5] ، وتوضح تلك

وقرأه وقدم له : محمود الأرناؤوط ، دار صـــادر ، بيروت ، 1999م : 76/2 ، ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون : 104/4 ، حيث ذُكرت المحاولة بتفاصيلها .

(1) مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 37 ، أمين معلوف ، المصدر نفسه : 239 .

(2) المصدر نفسه : 41 .

(3) الحروب الصليبية : 967/2 ، بورتشاد ، رحلة بورتشاد ، موجودة ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية ، مر التعريف بها : 243/39 .

(4) فيليب حتي ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ط1 ، ترجمة : د. جورج حداد وعبد الكريم رفيق ، إشـــراف : د. جبرائيل جبور ، دار الثقافة ، بيروت ، 1951م ، أمين معلوف ، الحروب الصليبية : 239 .

(5) مسيحيون ومسلمون في زمن الحروب الصليبية : 40 .

الحادثة من جانب أخر ازدياد قوة ونفوذ الحشـــاشـــين حتى دفع بعموري إلى مهادنتهم لذلك[1] .

رحب عموري ملك الأفرنج بذلك التحالف ، واستقبل رسول الحشاشين بسرور وقد وافق على المطالب المقدمة من رسـولهم حتى ذُكر مما قدمه من تنازلات لرسـول راشد الدين انهُ كان على استعداد لان يعوض الداوية من خزينته الخاصـة ويدفع لهم ألفي قطعة ذهبية ، وهي مقدار الجزية السـنوية التي طلب الحشـيشـية إعفاءهم منها وبقي رسـول الحشـاشـين مدة طويلة من الزمن عند الملك عموري ليتفق الطرفان مع بعضهما حول جميع التفاصيل وعندما أنهى كل شيء رجع إلى راشد الدين وكان عند عودته قد أرسـل معهُ أحد الأدلاء وبعد ان أجتاز طرابلس وقبل ان يدخل بلاده انقض عليه فرسـان الداوية فجأة وقتلوه ولم يكن هذا الرسـول قد أتخذ الحيطة والحذر لأنهُ لم يكن متوقعاً لهكذا أمر[2] .

اسـتفظع الملك عموري ذلك العمل ، وقام على الصـعيد ذاته بإلقاء القاتل في السجن ، وأرسل رسولاً إلى راشد الدين يبدي فيه أسفه واستنكاره لذلك الفعل وكان ينوي عرض تلك المسألة على ملوك وأمراء الأرض عن طريق مبعوثين ذوي منزلة سامية[3] ، لكن أي ردة فعل أو حديث عن الذي جرى بعد تلك الحادثة لم يكن ليظهر على نطاق العلاقات بين الطرفين سوى رواية بورتشـاد التي أشـار إلى ان الحشـاشـين بعد مقتل رسولهم أحسوا بان الصليبيين لا يمكن الوثوق بهم فانسحبوا على الفور وتراجعوا[4] . ولم يذكر ذلك الرحالة بعد ذلك أي نوع من العلاقات بين الطرفين سوى انهُ أشار لما كان موجود من حدود بينهما وذكر ذلك قائلاً "والحدود بين هؤلاء القوم وبلاد الصليبيين معلمة ببعض الأحجار ، محفور عليها من جهة الصـليبيين صـلبان ، وعلى جهة

---

(1) كمال بن مارس ، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية : 171 .

(2) وليم الصوري ، الحروب الصليبية : 967/2 ، أمين معلوف ، الحروب الصليبية : 239 .

(3) الصوري ، الحروب الصليبية : 967/2 ، نزار ، أسرار فرقة الحشاشين : 170-171 .

(4) رحلة بورتشارد ، ضمن الموسوعة الشاملة : 243/39 .

الحشيشية خناجر ، ولم يستطيع أي واحد من السلاطين حتى الآن إخضاعهم ... وهم مرعبون بالنسبة إلى جميع الأقوام من حولهم بسبب حدتهم المتناهية العظيمة"[1] .

كان الحدث الأهم والأبرز بعد ذلك في العلاقات بين الحشيشية والصليبيين هو حادثة اغتيال كونراد دومونفيرا الملك الوصـــــي على بيت المقدس آنذاك[2] ، وكان هذا حسب وصف ابن الأثير "من أكبر شياطين الفرنج"[3] ، وعلى الرغم من الاختلاف في حادثة الاغتيال وتضارب الروايات في ذلك إلى ان الحادث كان السبب المباشر والأهم الذي جذب انتباه الكتاب المسيحيين الغربيين إلى الحشاشين ، ولهذا ركز هؤلاء على طقوس الطائفة وتفانيهم الكبير لطاعة زعيمهم وكان لذلك الاغتيال أثر مدوٍ في المراجع الغربية وربما يكون السـبب في ذلك طريقة الاغتيال التي أثارت رهبة الأفرنج بصـــورة عامة .

اختلفت المصـــادر في أسـباب اغتيال المركيس كونراد ، لكنها تتفق على رواية الاغتيال وكيفيته ، وهي ان راشـــد الدين كان قد انتخب اثنين من رجاله الفداوية اللذان علمهما الحديث بالأفرنجي[4] ، وأرسلهما حتى وصلا صور وتعايشا مع النصارى حتى

---

(1) المصدر نفسه والجزء والصفحة . وقد تكون تلك العلامات – أي السكاكين – هي التي دفعت مؤرخاً لوصف الجبال الذي تمتد عليه سلطتهم بانهُ جبل سكين . ينظر : ابن سعيد المغربي ، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك (ت685هـــ/1286م) ، الجغرافيا ، مطبعة دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت : 41 .

(2) مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 41 .

(3) الكامل في التاريخ : 213/10 ، وكان اغتياله سنة 588هـ/1192م .

(4) المنيقي ، مناقب المولى : 185 ، وقد نقل الأستاذ علي حسن عن أحد المؤرخين الصليبيين ان الحشيشية كانوا يقلدون عادات وتصرفات مختلف الشعوب والأمم . ينظر : شيوخ الجبل الإسماعيلية : 174 ، ولابد ان تدريب راشد الدين بدأ يأتي ثماره آنذاك .

خفي أمرهما متظاهرين باعتناق المسـيحية[1] ، وكانا يلبسـان ملابس الرهبان[2] التي زودهما بها راشـد الدين[3] ، وكانا قد حازا على رضـى ومحبة الرهبان والمركيس كذلك وكان الأخير "لم يكن يصـبر عنهما"[4] ، وكانا إزاء كل تلك الفترة بانتظار اللحظة المناسـبة ، وقد كان الوقت مناسـباً عندما دعي لوليمة فلما خرجا من الدعوة وثبا عليه بسكاكينهما فقتلاه ، وهرب أحدهما ودخل الكنيسة فقال المركيس وهو مجروح "أحملوني إلى الكنيسة" فحملوه فلما حمل إليها بصر به ذلك الهارب فجرحه ثانية ومات المركيس على أثر تلك الطعنات ، وقبض على الجارحين ، وبحث عنهما فوجدا من الفداوية الإسـماعيلية فسـألوهما : "من أمركما بهذا الفعل فقالا : "ملك الانكلتير" فقتلا شـر قتلة"[5] .

ورغم انهما اتهما ملك الانكلتير – أي انكلترا – لكن القرائن كلها وباعترافهما تشير إلى ان راشد الدين كان المخطط الأول لعملية الاغتيال .

كان المركيس الذي اغتيل شـخصـية مؤثرة في أحداث الحروب الصـليبية يُذكر انهُ وصـل إلى صـور فدخلها وكان أهلها "في هرج ومرج وليس لهم رأس فملكوه عليهم

---

(1) ابن واصل ، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم أبو عبد الله (ت697هـ/1298م) ، مفروج الكروب في أخبار بني أيوب ، حققه وعلق عليه : د. جمال الدين الشيال ، طبعة مصر ، القاهرة ، 1953م : 381/2 .

(2) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 167 .

(3) أبو فراس المنيقي ، المصدر نفسه : 186 .

(4) أبو شامة ، الروضتين : 298/4 ، ابن واصل ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 79/41 .

(5) عماد الدين الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت597ه/1200م) ، الفتح القسي في الفتح القدسـي ، ط1 ، دار المنار ، د.م ، 2004م : 307 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 213/10-214 ، ابن واصـل ، المصـدر نفسـه : 381/2-382 ، ابن الموقع ، محمود بن عبد المحسن الحسيني (ت1321هـ/1903م) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تح : عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، دار النشر مكتبة دنديس ، عمان ، 1999م: 385/1-386 .

فقام بأمرهم أتم قيام وضبط البلد وحصنها وحاصرهم صلاح الدين مدة بعد فتح بيت المقدس فلم يقدر عليهم"[1] .

وتشير الروايات إلى ان ذلك الأمر دفع بصلاح الدين إلى ان يرسل إلى مقدم الإسماعيلية راشد الدين من يقتل ملك الانكتار وان قتل المركيس فله عشرة ألاف دينار "فلم يمكنهم قتل ملك انكلتار ولم يرى سنان مصلحة لهم لئلا يخلو وجه صلاح الدين من الفرنج ويتفرغ لهم"[2] ، ولم تشر أي من المصادر باستثناء ابن الأثير والذهبي لرواية مقايضة مقتل المركيس مقابل عشرة ألاف دينار[3] ، وربما ان التعاون الذي نشأ بين راشد الدين وصلاح الدين[4] جعل الأخير يتكفل ببعض مصاريف تلك العملية .

وقد أشار لذلك التعاون بين راشد الدين وصلاح الدين ، صاحب المناقب ، ولو ان رواية الأخير تتخللها بعض المبالغة[5] ، حيث أشارت إلى نجاة الفدائيين ونجاحهما بذبح المركيس وحمل رأسه إلى صلاح الدين ، وهو ما لم تشر إليه أغلب الروايات مع صعوبة ذلك[6] .

---

(1) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 78/41 .

(2) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 213/10 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 78/41 .

(3) ينظر في ذلك المصادر التي ذكرت رواية مقتل المركيس دون الإشارة إلى مقايضة ذلك بالأموال ، عماد الدين الأصفهاني ، الفتح القسي : 307 ، أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين : 298/4–300 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 103/2 ، ابن واصل ، مفرج الكروي : 382/2 .

(4) سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان : 430/8 ، محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية : 140 .

(5) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى : 186–187 ، سبط ابن الجوزي ، مرآة الزمان : 430/8 .

(6) عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 169 .

بينما أشارت رواية أخرى وكان مصدرها الكتاب الغربيين ان سبب الاغتيال كان اعتراض المركيس سفينة تجارية(*) إسماعيلية كانت تحمل تجارة تخص راشد الدين وكانت مبحرة في طريق تجاري في البحر المتوسط عندما وقعت بيد الأفرنج وقد فشلت المساعي بين الطرفين مما أدى إلى اغتيال المركيس[1] .

ولم يشر أي مصدر عربي لهذه الحادثة بينما ذكرها مصطفى غالب معتمداً بذلك على رواية صاحب المناقب التي لم أجدها عنده[2] .

ونلمس من خلال تلك الروايات ان اغتيال المركيس كان باتفاق بين راشد الدين وصلاح الدين ، وقد استفاد الأخير من قصة الاغتيال تلك حيث ان المفاوضات كانت قائمة بين صلاح الدين والأفرنج ، وكان ذلك سنة 588هـ/1192م[3] ، ورغم ان كونراد كان طرفاً في تلك الاتفاقية وقد خشي الأفرنج من ميله لصلاح الدين وعند ذلك تتكسر شوكتهم[4] ، لكن اغتيالهُ في الوقت ذاته كان إلى صالح صلاح الدين حيث اختفى أحد أطراف القوة هناك والحالة في انكلترا أصبحت حرجة وكان على الملك الانجليزي إنهاء الحرب والعودة إلى بلاده[5] ، وكان ذلك ما يسعى إليه صلاح الدين . وقد أتضح ذلك التقارب أكبر بين راشد الدين وصلاح الدين عندما عقد الأخير الصلح مع الأفرنج

(*) كان بعض الباحثين الغربيين قد أشروا إلى امتلاك الحشاشين على الأقل سفينة للإبحار . ينظر : مسيحيون ومسلمون في زمن الحروب الصليبية : هامش ص42 .

(1) مسيحيون ومسلمون : 42 ، عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 167 .

(2) أعلام الإسماعيلية : 303 .

(3) ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط1 ، وضع حواشيه : خليل المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م : 426 .

(4) عمران ، د. محمود سعيد ، تاريخ الحروب الصليبية : 1095-1291م ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000م : 180 .

(5) د. محمود سعيد عمران ، تاريخ الحروب الصليبية : 182 .

حيث طلب صـــلاح الدين من ملك انكلترا دخول بلاد الإسـماعيلية في الهدنة[1] أو في هدنته[2] .

وكانت بعد ذلك حادثة الاغتيال قد أخذ أبعاداً أخرى عند المؤرخين الغربيين حيث وصف أحدهم تأثيرها على المؤرخين هناك قائلاً "وقد كان بهذه المسألة انعكاسات مدهشـــــة على نتاج التاريخ الغربي ، وأخذت منحى لم يكن في الحســـــبان ، فقد أتهم ريشارد قلب الأسد[*] ، بأنهُ تحالف مع شيخ الجبل ... ليس فقط من أجل قتل كونراد ، بل أيضاً بغية التأمر على قتل ملك فرنسا فيليب اوغست ، وبما ان هذه الشائعة أخذت أبعاداً هائلة نجد تاريخين متقابلين عن هذه الأحداث"[3] ، وكان في اتجاهه وجهة نظر فرنسية ، وكان أولاً يوجه الاتهام إلى ملك انكلترا بإرسال الحشاشين إلى فرنسا ، وكان من وجهة النظر الانكليزية والتي تبناها الرهبان الانكليز والتي اسـتنكروا فيها هذا الزعم ، وكان من أثر ذلك أن اصدار ديوان القنصلية الانكليزية رسالتين زعم ان شيخ الجبل كتبها ، ولم تكن تمت إلى الواقع بصـــلة ، ورغم ذلك انتشــرت تلك الحوليات بصـــورة واسعة وكان القصد من تلك الرسالتين تبرئة ريتشارد وكانت تلك الرسالتان تؤكدان على كذب الشـــائعة القائلة بمحاولة قتل اوغســـت والأخرى تؤكد مقتل المركيس كونراد جاء لمصـــادرته سـفينة تجارية تخص شـيخ الجبل[4] ، وكانت بعد ذلك ان أخذت صـــورة الحشـــاشـين وشـيخهم راشـد الدين مدى أبعد من ذلك لدى الكتاب الغربيين وقد أخذوا

---

(1) الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت876هـــ/1471م) ، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح: ناظم رشيد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1978م : 177 .

(2) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 105/3 .

(*) وقد أشـارت لذلك بعض الروايات العربية ذكر ذلك أبو شـامة قائلاً "وسـر الانكلتير بمصـاب المركيس فانهُ كان يضـاده ويراسل السلطان في الاعانة عليه فلما قتل سكن روعة وذهب عنه ضره" ، الروضتين في أخبار الدولتين : 299/4 .

(3) مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 41–42 .

(4) مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 42 .

ينقلون القصص وينسجونها من حوله "عندما كان الشيخ يتجول على صهوة جواده ، كان يسير أمامه مناد يحمل فأساً دانمركياً ذا قبضة طويلة مطلية كلها بالفضة غرز فيها عدد كبير من السكاكين وهو ينادي : "ابتعدوا من أمام من يحمل موت الملوك بين يديه"[1] .

وهكذا كانت صورة شيخ الجبل والحشاشين تتبلور في عقلية المؤرخين الغربيين لتتحول كلمة الحشاش إلى قاتل .

ب- علاقة الحشاشين مع صلاح الدين :

لم تكد الحياة السياسية لتستقر لصلاح الدين بعد إزالته الخلافة الفاطمية حتى استبد بالأمور ، وكان نور الدين زنكي قد ترك ولده إسماعيل خلفاً لهُ في إدارة الأمور في حلب ، وكانت أنظار صلاح الدين تتجه نحو حلب ليضمها تحت سلطانه فيصبح بذلك إسماعيل بن نور الدين تحت سلطان صلاح الدين[2] ، وقد اتجه لأجل ذلك إلى حلب فحاصرها ودار بينه وبين أهلها قتال ومنازعات[3] ، وفي تلك الأثناء أرسل سعد الدين كمشتكين[*] إلى مقدم الإسماعيلية راشد الدين سنان أموالاً عظيمة ليقتلوا صلاح

---

(1) رواية ارنولد دولوبيك ضمن كتاب مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 46 .

(2) ابن العديم ، زبدة الحلب ، طبعة دار الكتب العلمية : 368 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 74/3 ، الحنبلي ، شفاء القلوب : 85-86 ، هاملتون .أ.ر ، صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي ، حررها يوسف ايبش ، ط2 ، الناشر بيسان للنشر والتوزيع والاعلام ، بيروت ، 1996م : 122-123 ، وللاستزادة ينظر : عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، طبعة جديدة مزيدة ومعدلة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1996م : 29 وما بعدها .

(3) الحنبلي ، المصدر نفسه : 86 .

(*) كان نور الدين نائباً عنه بقلعة الموصل واستمر نائباً لإسماعيل نائباً كذلك عن حلب ، ويرجح ابن الأثير علاقة الحشاشين بكمشتكين قديماً عندما أشتد الصراع بين أحد أعيان حلب وهو أبو صالح بن العجمي وكان مقدماً عند نور الدين محمود فلما مات نور الدين أصبح مقدماً عند إسماعيل أبنه وقد

الدين فأرسل سنان جماعة فوثبوا على صلاح الدين فقتلوا دونه[1] ، ويمكن تفسير المراسلات بين راشد الدين وإسماعيل بن نور الدين والتي اشرنا إليها في الهامش بان نوعاً من التعاون كان قائماً بين الطرفين ، ويبدو ان حمل أموال لأجل قتل أبو صالح بن العجمي كان تصرفاً شخصياً من كمشتكين .

ونلاحظ من ذلك ان راشد الدين شعر بخطر نفوذ صلاح الدين وزيادة قوته ، وربما أحس بان نوايا صلاح ستتجه يوماً نحو قلاع الإسماعيلية ، وقد التقت تلك النوايا والمخاوف مع ما كان يخطط لهُ الملك الصالح إسماعيل ، وكان الأخير هو الأخر يخطط لاغتيال صلاح الدين وفي ذلك ينقل أبو شامة ما يوضح تلك النوايا بالقول

قوي نفوذه وتوسع وازداد حتى أخذ ينافس كمشتكين وهو على هذه الحال وثب عليه جماعة من الباطنية في الجامع وقتلوه وخلى الجو لكمشتكين فلما قُتل كمشتكين قالوا ان الأخير هو من وضع الباطنية عليه فقتلته . ينظر : عماد الدين الأصفهاني ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1200م) ، البرق الشامي ، ط1 ، تح : د. فالح حسين ، مؤسسة عبد الحميد شومان ، عمان – الأردن ، 1987م : 51/3 ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 87/10 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 27/40 ، ويبدو من خلال رواية أخرى لابن شداد ان علاقة كانت بين إسماعيل بن نور الدين والإسماعيلية وهو ما أتضح بعد مقتل ابن العجمي حيث أرسل سنان معاتباً لراشد الدين في مقتل ابن العجمي فسير سنان إلى إسماعيل يعلمه انهُ ما قتله إلا بأمر منه ومع الرسول كتاب بتوقيع إسماعيل وبعد التحقيق كشف ان كمشتكين هو من قام بإرسال الكتاب بعد ان قدم أوراقاً بيضاء لإسماعيل وقع عليها وأدعى انها تصرف في شؤون الدولة فكان الكتاب من جملة الورق الذي علَمّ فيه وتحقق تزويره . ينظر : ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م)، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : زكريا عبارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1991م : ج1/ق61/2-62 .

(1) أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين : 350/2 ، ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت632هـ/1234م) ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية سيرة صلاح الدين ، ط1 ، تح : د. جمال الدين الشيال ، مكتبة ومطبعة الخانجي ، القاهرة ، 1964م : 96 ، البنداري ، الفتح بن علي الأصفهاني (ت583هـ/1187م) ، سنا البرق الشامي ، تح : د. فتحية النبرواي ، الناشر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1979م : 83 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 83/2 ، أبو الفداء ، المختصر : 74/3 .

"وكانت ليالي الجماعة لا تنقضـــي إلا بنصـــب الحبائل للســلطان والفكرة في مخاتلته وإرســال المكروه فاجمعوا آراءهم على مراسـلة سـنان صــاحب الحشـيشـية في ارصــاد المتالف للسلطان"[1] .

وقد باءت تلك المحاولة بالفشــل وســبب ذلك ان المهاجمين – أي الفداوية – كشف أمرهم قبل تنفيذ تلك المهمة مما كان سبباً في قتلهم ونجاة صلاح الدين[2] . وقد أثارت تلك المحاولة رعب صلاح الدين فالتجأ إلى خيمته ، ولكنه بقي محاصراً لعزاز[*] حتى تسـلمها بعد قتال شـديد ، وقد كانت تلك المحاولة عند محاصـرته إياها[3] ،وقد أشــار الأســتاذ عاشــور إلى ان محاولة الاغتيال تلك إنما جاءت عبر تخطيط بعض الذين حاولوا إعادة الخلافة الفاطمية والحشــاشــين[4][**] ، مســتنداً بذلك إلى رواية ابن واصـل[5] ، ولم يشر ابن واصـل لأي تعاون بين الحشـاشـين وإسماعيلية مصر ، وإنما

---

(1) الروضـتين في أخبار الدولتين : 53/2 . حول علاقة الملك الصـالح إسماعيل بالحشـاشـين وللاستزادة ينظر : T.Keightley , SECRET SOCIETJES , p : 75-80

(2) الحنبلي ، شفاء القلوب : 86 .

(*) عزاز : بفتح أوله وتكرير الزاي وربما قلبت بالألف في أولها ولعزاز الأرض الصــلبة وهي بليدة فيها قلعة ورستاق شمالي حلب بينهما يوم وهي طيبة الهواء عذبة الماء ، وقد ذكر أيضـاً ان عزاز بالرقة ، والمقصود هنا عزاز الأولى وهي تتسق مع سير الأحداث . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 118/4 .

(3) ابن شداد ، النوادر السلطانية : 96 ، كانت سنة 571هـ/1175م .

(4) الأيوبيون والمماليك : 36 .

(**) يذكر المقريزي عند حديثه عن نيابة مصـياف يذكر فيها ان الحشـيشـية اعتبروا أنفسـهم أصـحاب الحق بوراثة الخلافة الفاطمية بعد انقضــاء خلافتهم وان "الدولة العلوية ما أنقضــت حتى انتقلت إلينا الولاية على شـيعتهم وان الملك الإسـماعيلي فينا قد انحصـر ميراثه وان كل من مات من الخلفاء الفاطميين رحمهم الله نحن وراثه". للاستزادة ينظر : القلقشندي، صبح الأعشى: 114/12 ، وبذلك يمكن القول ان الحشاشين حاولوا السيطرة ربما على مصر بتدبير إعادة الخلافة الفاطمية إليها ولكن بشكل جديد

(5) أبو المعالي ، محمد بن عمر المظفر بن شـاهنشـاه الأيوبي (ت617هـــ/1221م) ، مضـمار الحقائق وســر الخلائق ، تح : د. حســن حبشـــي ، دار الكتب ، القاهرة ، د.ت : 63 ، ابن واصل ، مفرج الكروب : 110/2 .

كانت الرسائل بين الحشاشين وأهالي حلب ، لكن تاريخ 570هـــ/1174م كان قد شهد إعلان صلاح الدين نفسهُ ملكاً على مصر والشام بمباركة الخليفة العباسي[1] ، وربما تكون تلك المحاولة إضافة إلى ما ذُكر محاولة من الحشاشين لإيصال رسالة لصلاح الدين غرضها إضعاف نفوذ الخلافة العباسية الذي حل محل الخلافة الفاطمية .

وقد كانت تلك المحاولة كافية لأن تعطي وتبلور صورة الحشاشين وإمكانياتهم عند صلاح الدين وقد أتضح ذلك من مراسلاته مع الخليفة العباسي ، عندما شرح لهُ العوائق التي تقف بوجهه لفتح بيت المقدس قائلاً لهُ "فكثرت إلينا مكاتبات أهل الآراء الصائبة ونظرنا للإسلام ولنا ولبلاد الإسلام في العاقبة ، وعرفنا ان البيت لم تتيسر الأسباب لفتحه وأمر الكفر ان لم يجرد العزم في قلعه وإلا ثبتت عروقه واتسعت على أهل الدين خروقه وكانت الحجة لله قائمة وهمم القادرين بالقعود أثمة وانا لا نتمكن بمصر منه مع بعد المسافة وانقطاع العمارة وكلال الدواب"[2] .

ونعود ونقول ان المصادر كانت أكثر غموضاً في رواية حادثة الاغتيال تلك فالبعض يجعلها كما مر سنة 571هـ/1175م[3] ، وآخرون وضعوها سنة 572هـ/1176م ، ويذكر ان تلك المحاولة كانت عند محاصرته لاعزاز[4] ، وهو ما قد يشير إلى انها المحاولة الأولى مع الفرق بالسنة الواحدة ، اما أبو شامة فيشير إلى محاولتين كانت الأولى سنة 570هـــ/1174م عند محاصرته حلب في مستهل جمادي الآخرة[5] والأخرى عند محاصرته عزاز ويذكر انها المرة الثانية ويبدو انها كانت في

---

(1) عماد الدين الأصفهاني ، الفتح القسي : 29 .

(2) البنداري ، سنا البرق الشامي : 100-101 ، ابن شداد ، النوادر السلطانية : 96 ، أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين : 365/2 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 95/13 وحول تفاصيل أوفى ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 10/40 .

(3) ابن شداد ، المصدر نفسه والصفحة .

(4) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 75/3 .

(5) الروضتين في أخبار الدولتين : 350/2-354 .

الحادي عشر من شهر ذي القعدة سنة 571هـ/1175م[1] ، ويمكن القول ان صلاح الدين تعرض لمحاولتي اغتيال وقد التبس على المؤرخين ذكر الأولى عن الثانية إلا لبعض منهم وكان من بينهم أبو شامة .

كانت المحاولة الثانية أشـد وقعاً من الأولى ، فقد قُتل هذه المرة بعضٌ من المقربين من صـلاح الدين[*] ، وجرح هو ، وكان الفداوية الذين أقدموا على عملية الاغتيال تلك قد تنكروا بزي جنودهِ وتسللوا إلى معسكره وكان من أثرها على صلاح الدين ان "احترز واحتجب ، وضـرب حول سـرادقه على مثال خشـب الخركاه تازيراً وأوثقه تحجيراً ، وجلس في بيت الخشـب وبرز للناس كالمحتجب وما حدَّث إلا من عرفه ومن لم يعرفه صـرفه ، وما قرب إلا من يثق باعتقاده ويعتمد على سـداده وإذا ركب وأبصر في موكبه من لا يعرفه أبعده ثم سأل عنه فان كان مستشفعاً أو مستسعداً أشفعه وأسعده"[2] .

بعد محاولات الاغتيال تلك ، من الواضح اختلاف الروايات بشأن ما حدث بين الطرفين راشـد الدين وصـلاح الدين ، حيث توجه الأخير بعد محاولة الاغتيال الثانية نحو بلد الإسـماعيلية وحاصـرهم ، فنهبه وخربه وأحرقه ، وحاصـر قلعة مصـياف ،

---

(1) المصدر نفسه : 409/2 . ويذكر الصفدي عند معرض حديثه عن العلاقة بين الطرفين راشد الدين وصلاح الدين ان الأخير أرسل رسولاً إلى راشد الدين حين "وثبوا على صلاح الدين في المرة الثالثة" ينظر : الوافي بالوفيات : 285/15 ، وهي إشـارة ربما لثلاث محاولات متعاقبة لاغتيال صلاح الدين لكن الروايات تبدو أكثر التباساً واضطراباً عند حديثها عن تلك المحاولات ويبدو ان صلاح الدين وبحسب هذه الرواية كان قد تعرض لثلاث محاولات اغتيال .

(*) ينظر حول ذلك العماد الأصفهاني ، البستان الجامع : 371/11 ، أبو شامة ، المصدر نفسه: 409/2 .

(2) البنداري ، سنا البرق الشامي : 100-101 ، ابن شداد ، النوادر السلطانية : 96 ، أبو شامة ، المصدر نفسه : 409/2 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 281/21 .

فأرسل سنان إلى خال صلاح الدين وهو شهاب الدين(*) الحارمي صاحب حماة يسأله ان يسعى في الصلح ، فسأل الحارمي الصفح عنهم فأجابه صلاح الدين إلى ذلك وصالحهم ، ورحل عنهم[1] ، وكان من شروط الصلح إطلاق عز الدين(**) جورديك ، وشمس الدين علي(***) ابن الداية ، وأخواه سابق الدين ، وبدر الدين ، فسار أولاد الداية إلى الملك الناصر فأكرمهم وأنعم عليهم[2](****) .

وهنا نلاحظ ان رواية ابن الأثير تختلف قليلاً عما أورده الآخرون حيث ذكر ان راشد الدين طلب من شهاب الدين الحارمي التوسط لفظ النزاع وإصلاح الحال وهدده قائلاً ان لم تفعل "قتلناك وجميع أهل صلاح الدين فشفع فيهم وسأل الصفح عنهم فأجابه إلى ذلك وصالحهم ورحل"[3] .

اما الروايات الأخرى ومن بينها الروايات الإسماعيلية فتذكر قصة مطولة عن مراسلات بين صلاح الدين وراشد الدين عند حصاره قلعة مصياف ، والرسائل مليئة

(*) شهاب الدين الحارمي : محمود بن تتش خال صلاح الدين كان من خيار الأمراء وشجعانهم، وكان صلاح الدين قد أقطعه حماة . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام: 130/40.

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب : 373/3 .

(**) عز الدين جورديك : أحد المماليك النورية كان بقلعة حماة ذُكر انهُ كان من الشجعان . ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 67/10 و161 .

(***) شمس الدين علي بن الداية: كان من أكابر الأمراء النورية بحلب بل أكبرهم جميعاً . ابن الأثير، المصدر نفسه: 58/10-59 ، وينظر كذلك: ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 165/7.

(2) ابن العديم ، المصدر نفسه ، طبعة دار الكتب العلمية : 373 .

(****) كان هؤلاء سجناء في حلب عند الملك الصالح إسماعيل وكان قد قبض عليهم وسجنهم وقتل القاضي ابن الخشاب ، وكان ذلك سنة 570هـ/1174م . ينظر : الذهبي ، تاريخ الإسلام : 235/40-236 ، ويبدو من هذه الرواية ان الحشاشين كانوا قد أصبحوا قوة مؤثرة في سير الأحداث حتى ان صلاح الدين استطاع بوساطة ذلك الصلح إطلاق هؤلاء .

(3) الكامل في التاريخ : 81/10 .

بالتهديد والوعيد وكثير من المواقف التي توضح كرامات وخواص راشد الدين[1] ، وقد حفظ لنا الرواة جزءًا من تلك الروايات والأشعار التي أرسلها راشد الدين رداً على تهديد صلاح الدين جاء فيها :

يا ذا الذي بقراع السيف هددنا

لأقام مصرع جنبي حين تصرعه

قام الحمام إلى البازي يهدده

واستيقظت لأسود البر أضبعه

أضحى يسد فم الأفعى بأصبعه

يكفيه ما قد تلاقي منه أصبعه[2]

ثم أعقب تلك الأبيات عبارة تهديد من راشد الدين لصلاح الدين رداً على تهديد الأخير للحشاشين "وقفنا على تفاصيله وجمله وعلمنا ما هددنا به من قوله وعمله فيالله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل وبعوضة تعض في التماثيل ولقد قالها من قبلك قوم آخرون فدمرنا عليهم وما كان لهم من ناصرين ... واما ما صدر من قولك في قطع رأسي وقلعك لقلاعي من الجبال الرواسي فتلك أماني كاذبة وخيالات غير صائبة"[3] ، ثم تذهب الروايات الإسماعيلية إلى أبعد من ذلك في خوف صلاح الدين والذي استطاع راشد الدين ان يدخل إلى خيمته ويترك له سكيناً من سكاكين الفدائية مغموسة

---

(1) ينظر للاستزادة : أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى راشد الدين : 175-183 ، عارف تامر ، سنان وصلاح الدين : 67-76 .

(2) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 186/5 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 332/41 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 284/15-285 ، اليافعي ، مرآة الجنان : 388/3 ، ابن العكبري ، شذرات الذهب : 294/4 .

(3) ينظر للاستزادة حول تلك الرسالة وتفاصيلها بشكل أوفى : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 186/5-187 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 285/15 ، الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 189/21 .

بالســم إلى نصــفها ووضــع معها جرادق من خبز الإســماعيلية – والجردق رغيف بالفارسية – وورقة فيها بيتان من الشعر :

اما وجلال الملك ما تملكونها

مراغمة منا وذا النصر قائم

تخبركم انا قدرنا عليكم

نؤخركم حتى تتم العزائم[1]

فما كان من صلاح الدين إلا ان رحل بعد ان ترك آلات الحصار والأسلحة في مكانها وسير صلاح الدين رسولاً إلى راشد الدين يطلب فيه الأمان فأعطاه الأخير[2] ، والتناقض واضح بين الروايتين بين رحيل صلاح الدين لما ذكرناه أولاً وفي المرة الثانية .

ان نظرة سريعة في تلك الروايات تُمكنا من القول ان راشد الدين لم يكن ضعيفاً وان حصــار صــلاح الدين ومهاجمة جنوده لقرى الإســماعيلية ورغم ما حققه من انتصــارات تمثلت بغنائم ونهب لبلاد الإســماعيلية[3] ، لم تكن لتُفلح في فتح بلادهم فمصياف عاصمتهم بقت مستعصية ولم يقدر على فتحها[4] ، ويمكن القول بعد ذلك ان الطرفين قبلوا ببقاء الحال على ما هو عليه وربما أفلحت محاولات الاغتيال الفاشلة التي قام بها النزارية من جهة والتهديد باختراق خيمة صلاح الدين من قبل أحد الفداوية

---

(1) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى راشد الدين : 180-181 .

(2) المصدر نفسه : 183 ، د. علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 156-157 .

(3) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ : 81/10 .

(4) يشير إلى ذلك الذهبي ولو انه لا يصرح بعدم فتحها . ينظر : تاريخ الإسلام : 14/40-15، ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 100-101 ، د. كمال بن فارس ، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية : 171 .

المسمى حسن الاكرامي[1] أو حسن الاكرمي العراقي[2] والذي أفلح وحسب الروايات النزارية باستبدال مصابيح خيمة صلاح الدين تاركاً خنجراً مسموماً ورسالة تهديد إلى جانبه[3] ، أفلحت بشعور صلاح الدين بان الحشاشين قدروا على اختراق تلك الحيطة التي أقامها من حوله فتوصل إلى ذلك الاتفاق وأنسحب بجيشه بعد ان رضي بالغنائم التي حصل عليها من قرى الإسماعيلية ، وليس حصونها التي استعصت .

تأتي بعد ذلك روايات تتحدث عن تهديد الحشاشين لصلاح الدين نقلته كتب السير والأخبار ، كان اغربها وصول نفوذ الحشيشية إلى قصر صلاح الدين بل إلى خاصته المقربة ، وكان ان أرسل راشد الدين رسولاً إلى صلاح الدين وأمره ان لا يؤدي رسالته إلا في خلوة ففتشه السلطان صلاح الدين فلم يجد معهُ ما يخيف فأخلى لهُ المجلس إلا نفراً يسير فامتنع الرسول من أداء الرسالة ، حتى يخرجوا فخرجوا كلهم غير مملوكين صغيرين فامتنع الرسول من تأدية الرسالة حتى يخرجان هذان المملوكين فقال لهُ صلاح الدين رداً عليه "هذان ما يخرجان قال ولم قال لأنهما مثل أولادي فالتفت الرسول إليهما وقال : إذا أمرتكما عن مخدومي بقتل هذا السلطان تقتلاه قالا نعم وجذب سيفهما فبهت السلطان وخرج الرسول وأخذهما معهُ فجنح صلاح الدين إلى الصلح ودخل في مرضاته"[4] .

شكلت تلك الحادثة ، مع حادثة أخرى حدثت مع رسول لصلاح الدين لقلاع الإسماعيلية قاصداً راشد الدين حين شاهد ذلك الرسول طاعة الفداوية لزعيمها عندما رمى بسكين من فوق قلعة الكهف وأمر عشر من فدائيته قائلاً "من أراد هذه فليلق نفسه

---

(1) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 300 .

(2) عكاوي ، الحشاشون : 191 .

(3) غالب ، المصدر نفسه : 300–301 .

(4) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 285/15 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 334/41 ، سير أعلام النبلاء : 190/21 ، العكبري ، شذرات الذهب : 295/4 .

فتبادروا جميعاً وثباً خلفها فتقطعوا" فرجع رسول صلاح الدين ليخبرهُ بما رأى فصالحه الأخير[1] . وكانت تلك الحوادث تكفي لأن يهادن صلاح الدين الحشيشية وان ينسحب من أراضيهم ، ولم يكن أبداً من المستبعد انهُ كان قد عرف قدرتهم في التخطيط للاغتيال فكان ان دخل معهم في جبهة واحدة لمحاربة الصليبيين وهو ما أخذت تنوه إليه روايات الحشاشين عن تقارب بينهم وبين صلاح الدين حتى ذهبت تلك الروايات إلى ان الأخير ترك لهم أدوات الحصار من الزردخانة وغيرها من آلات الحصار على اختلاف أصنافها ، فوزعها راشد الدين وجعل "لكل قلعة من قلاع الدعوة سهماً يخصها ويحمل إليها"[2] ، ومن ثم زادت على ذلك بعد عملية اغتيال المركيس كونراد ، وقد ذُكر ان صلاح الدين وبعد نجاح الحشاشين في اغتيال المركيس جعل لهم "عند ذلك في كل مدينة من المدن دار دعوة في مصر ودمشق وحمص وحماة وحلب وغيرها من المدن ولا تزال (أو هي تعرف) إلى زماننا هذا تعرف بالدعوة"[3] . ولا يمكن بأية حال التأكد من مدى صحة هذه الرواية أو الجزم بها ، لكن يمكن القول ان تعاوناً قد نشأ بين الطرفين ، راشد الدين وصلاح الدين ، وانهما اتفقا معاً للعمل ضد الصليبيين كما أتضح ذلك في رواية اغتيال المركيس الصليبي[4] .

تبقى بعد ذلك الروايات تشير إلى ان راشد الدين لم يكن ليغتال صلاح الدين لأنهُ كان يعلم من قرائن الكواكب (التنجيم) انهُ يموت في نفس السنة التي يموت فيها صلاح الدين[5] ، ولكن سير الأحداث أشار إلى غير ذلك حيث ان راشد الدين وفدائيته

---

(1) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 285/15 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 334/41 .

(2) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى : 183 .

(3) المصدر نفسه : 190 ، المقصود هنا هو زمن مؤرخ المخطوط ، محمد كامل حسين ، طائفة الإسماعيلية : 102-104 .

(4) أبو فراس ، المصدر نفسه : 185 ، محمد كامل ، المصدر نفسه : 104 .

(5) أبو فراس ، مناقب المولى راشد الدين : 185 ، محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية : 104 .

أخفقوا مرتين أو أكثر في اغتيال صلاح الدين ، والأصح ان راشد الدين أحس ان وجود صـــلاح الدين أمرٌ ضـــروري ربما لأنه أحدث توازناً مع الصـــليبيين ، وقد يذكرنا هذا الموقف بالذي حصل بين الحسن الصباح وسنجر[1](*) .

لم يكن هناك بعد ذلك ما يُذكر أو يشـــار إليه حول العلاقة بين الاثنين راشـــد الدين وصـــــلاح الدين ولكن كانت الأحداث متفرقة وذات دلالات في العلاقة بين الحشاشين والآخرين المجاورين لهم فبعد اغتيال شهاب الدين أبو صالح العجمي الذي مر ذكره ، حاول الحشيشية اغتيال شخصيات في دائرة نفوذ الملك إسماعيل بن نور الدين وكان منهم شـــخص يدعى اللالا(**) ، وقد نجى من الاغتيال ويمكن تفســـير محاولة اغتياله تلك بسبب مكانته وقربه من شهاب الدين أبو صالح العجمي[2] ، وكان الشخص الأخر الذي وضع في دائرة الخطط المُعدة للاغتيال جمال الدين شاذبخت(***) ، وكانت الحشيشية "قد اجتهدت في قتله فلم يقدروا على الوثوب عليه لشدة احترازه في القلعة"[3] ، كما قصدوا شخصية أخرى وهو مظفر الدين الذي تحصن هو الآخر بقلعة حلب ولم يخرج منها وقد أرســل إلى عز الدين رســالة يقوله لهُ فيها "ان الإســماعيلية

---

(1) ينظر للاستزادة : الجويني ، فاتح العالم : 2/318-319 .

(*) وقد أشار لذلك احد الباحثين قائلاً ان القادة الحلبيين كانوا قد شعروا بتنامي خطر ونفوذ صلاح الدين فبينما زادت قوته ونفوذه وأملاكه وكانت أملاك حلب تنحسر تدريجياً وهو مؤشر ربما دفع بهؤلاء للتنفيذ والتخطيط مع راشـــد الدين لاغتيال صـــلاح الدين . ينظر : عبد الله المقدم ، الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة العربية : 252 .

(**) اللالا : الذي يربي أولاد الملوك . ينظر : ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 1/365 .

(2) ابن العديم ، زبدة الحلب ، طبعة دار الكتب : 374 .

(***) شـــاذبخت : كان مخدوماً ومن خواص الملك نور الدين زنكي . ينظر : ابن العديم ، بغية الطلب : 10/4415-4416 .

(3) ابن العديم ، زبد الحلب : 375 .

أوعدوني القتل ، وما أمكنني إلا الاحتراز بالسلاح ، انا ومن معي"[1] ، ويبدو ان هؤلاء كانوا في دائرة نفوذ الملك الصالح إسماعيل .

من الواضح ومن خلال تلك الأحداث ان العلاقات أخذت تسوء بشكل أو بأخر مع الملك الصالح إسماعيل أو على الأقل انها لم تُعد على ما كانت عليه وهو ما أتضح من هذه المحاولات التي خصت مقربين من الملك الصالح إسماعيل والذي كان الحشاشين حلفاء لهُ ، وقد جاء رد إسماعيل على تلك الأفعال على ما يبدو سنة 575هـ/1179م عندما هاجم أحدى قرى الإسماعيلية والتي تعرف بحجيرا[*] من ضياع نقرة بني أسد فكتب سنان إلى الملك الصالح ، كتباً عدة في إطلاقها ، فلم يطلقها فأرسل سنان جماعة من الرجال معهم النفط والنار فعمدوا إلى الدكان في رأس "الزجاجين" فألقوا النار ، فنهض نائب رئيس البلد بمن معه "ليطفئوا الحريق فأتى الإسماعيلية من أسطحة الأسواق وألقوا النار والنفط في الأسواق فاحترق سوق البز الكبير وسوق العطارين وسوق مجد الدين ... واحترق للتجار والسوقية من القماش والآلات شيء كثير وافتقر كثير منهم ... ولم يظفروا من الإسماعيلية بأحد"[2] . ولم يسجل من قبل استخدام أسلوب مشابه كهذا من الحشاشين ، وقد تُفسر هذه الحادثة بتصرف الملك إسماعيل الذي كانت له علاقة وثيقة براشد الدين وكذلك في عهد أبيه نور الدين وقد أتضح ذلك بما أصاب الإسماعيلية عموماً من ضعف بانقضاء الخلافة الفاطمية وأثار ذلك على إسماعيلية مصر والشام وبغداد بصورة عامة[3] ، وقد يكون التقارب بين راشد الدين وصلاح الدين سبباً يضاف إلى سوء العلاقة مع الملك الصالح إسماعيل . وهي ما تؤكده روايات الاغتيال التي ذكرناها والتي ربما كانت تؤكد علاقة

---

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب : 386 .

(*) حجيرا : بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة وراء وألف مقصورة من قرى غوطة دمشق . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 226/2 .

(2) ابن العديم ، زبدة الحلب ، طبعة دار الكتب : 378/3 ، هاشم عثمان ، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام : 86-87 .

(3) ابن العكبري ، شذرات الذهب : 250/4 ، وكان ذلك في زمن الخليفة العباسي المستضيء.

الحشاشين بصلاح الدين ففي سنة 581هـــ/1185م قتل الحشاشون ابن نيسان وهو وزير صاحب مدينة آمد[1] ، وكان ابن نيسان هذا هو والد الذي أخذ منه صلاح الدين آمد[2] ، ويمكن تفسير اغتياله بمحاولته التحريض على صلاح الدين هناك من جهة ، ومن جهة أخرى ربما كان لهُ موقف ما من الحشـــاشـــين الذين حاولوا مد نفوذهم إلى مدينة آمد .

وكان بعد كل الذي ذكرناه إشارات متفرقة كان راشد الدين قد قام بها وقد وردت عند صاحب المناقب الذي ذكر ان سنان قام بترميم الحصون والقلاع الإسماعيلية ، وهي إشـــارات تدل على مهارة وبراعة أجادها راشـــد الدين[3] ، وكان الحدث الأخر في ذلك المجال هو بناء قلعة الرصافي من جديد بغير مكانها الأول كما ذُكر[4] .

- إعلان القيامة وراشد الدين :

سجل عهد راشد الدين على مستوى الأحداث التي شهدها الحشاشين ، حدثاً أخر إلا وهو ما عرف في بلاد المشرق بحادثة إعلان القيامة التي سبق التطرق إليها. وقد تصادف ذلك الحدث مع وجود راشد الدين سنان في إدارة دفة الحكم هناك، وكان الفارق بين ما حدث في بلاد المشـــرق وبلاد الشـــام من ناحية المرويات التاريخية اننا نجد سكوتاً عند المصادر التي عاصرت الحدث في بلاد المشرق عكس ما حدث في بلاد الشام حيث ذكرها بعض المؤرخين مثل ابن العديم في حوادث سنة 572هـ/1176م قائلاً "وفي هذه السنة أظهر أهل "جبل السماق" الفسق والفجور ، وتسموا بالصفاة ، واختلط النســاء والرجال .... فســير الملك الصـــالح إليهم عســكر حلب ، فهربوا من

(1) عماد الدين الأصفهاني ، البرق الشامي : 78/5 ، والبرق الجامع : 422 .
(2) الذهبي ، تاريخ الإسلام : 14/41 .
(3) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى راشد الدين : 195–198 و209 ، مصطفى غالب ، أعلام الإسماعيلية : 298 ، وهناك رواية للصفدي بخصوص بناء الحصون وتجديدها وتحصينها في عهد راشد الدين . ينظر : الوافي بالوفيات : 282/15 .
(4) أبو فراس ، المصدر نفسه : 208 .

"الجبل" وتحصنوا في رؤوس الجبال فأرسل "سنان" وسأل فيهم وأنكر حالتهم ، وكانوا قد نسبوا ذلك إليه ، وأنهم فعلوا ذلك بأمره(*) ، فأشار سعد الدين بقبول شفاعته فيهم . وعاد العسكر عنهم"(1)(**) .

(*) نجد رواية أخرى بخصوص حادثة القيامة في بلاد الشام حيث يذكر ان راشد الدين حاول مجاراة قلعة الموت وما حدث فيها "ولما أراد ان يحلهم – يقصد راشد الدين – من الإسلام ويسقط عنهم التكاليف لأمر جاءه من قلعة الموت على عهد الكيا محمد نزل إلى مصيات في شهر رمضان فأكل فيها فأكلوا معه ، واستمر أمرهم على ذلك . ينظر : عبد اللطيف البغدادي ، بن يوسف بن محمد بن علي موفق الدين (ت629هـ/1231م) ، نصوص من تاريخه ورحلته ، منشور ضمن الموسوعة الشامية للحروب الصليبية، مر تعريفها : 80/14 ، وسوى تلك الإشارة لم نجد ما يمكن الركون إليه في علاقة الحشاشين ببلاد الشام بأقرانهم في بلاد المشرق في تلك الفترة وان كانت العلاقة قد ساءت بين الطرفين كما سنرى عند التطرق لذلك اما تهمة الإباحية التي أتهم بها الحشيشية في بلاد الشام فيمكن الافتراض والاستنتاج إلى ما أورده بعض المؤرخين الأوربيين الذين ذكروا ان عام 570هـ/1174م كان عام العلاقات الطيبة بين الإسماعيلية الحشيشية والصليبيين . ينظر : عثمان عشري ، الإسماعيلية في بلاد الشام : 163 . وقد يكون ذلك سبباً يضاف إلى جملة أسباب ليس أقلها ما تعرض إليه صلاح الدين من محاولات اغتيال وما حدث في قرية حجيرا وسوء العلاقات مع الملك الصالح إسماعيل والتي دفعت باجمعها لمحاولة النيل منهم، وهو ما لم نجده مثلاً في بلاد المشرق والتي أقامت ما عرف فيما بعد بحادثة القيامة .

(1) زبدة الحلب ، طبعة دار الكتب العلمية : 373 .

(**) ان روايات الاتهام للحشاشين بالفسق والفجور كانت تردد مراراً في المراجع حتى الغربية منها فقد ذكرت مثلاً عند بنيامين التطلي في رحلته . ينظر : 114 و185 ، والتي من المؤكد ان روايته تلك استمدها من السكان المحليين الذين كانوا معادين للإسماعيلية ، وقد وصفهم بعض المؤرخين الغربيين بأنهم يأكلون لحم الخنزير ، ويقيمون علاقات مع كل النساء من دون تفرقة ويشربون الخمر ، وقد أشار أحد الباحثين الغربيين لذلك الوصف بانه يمثل الوصف المقلوب لكلمة الهرطوقيين . ينظر في ذلك ما ذكره وليم الصوري ، في تاريخ الحروب الصليبية : 2/966–967، ومسيحيون ومسلمون زمن الحملات الصليبية : 37 و40 . وتبدو كل تلك الروايات بانها كانت تتبارى عموماً بنعت الحشاشين بتلك الأوصاف ، وهو ما أتضح مثلاً عند الصوري الذي أشار إلى ان راشد الدين درس العقيدة المسيحية واقتنع بها ودمر جميع المساجد الموجودة في قلاعه. ينظر : الصوري ، المصدر نفسه : 967/2 ، بينما لا نجد أية إشارة لحادثة من هذا النوع عند المصادر العربية والتي لم تكن لتدخر جهداً في ذكر هكذا حادثة .

والرواية يبدو عليها الاضـطراب وعدم الوضـوح انها توضـح ان ذلك الأمر – حادثة القيامة – قد تمت بدون علم راشـد الدين ، والذي أنكر ما قاموا به حين علم بهم وكبادرة من حسن نية راشد الدين وحسب تلك الرواية فان رفضـهِ لذلك التصـرف حين "تتبع المقدمين فأهلكهم"[1] .

ويرجح لويس ان تلك الحادثة ربما كانت سـبباً مهماً للأسـطورة المتأخرة عن "حدائق الجنان" عند الإسـماعيلية[2] ، لكن ذلك الافتراض ربما يعود إلى حوادث عدة وليس تلك الحادثة تحديداً وكان من تلك الحوادث مثلاً ما حدث عند زيارة رسل صـلاح الدين ومشـاهدتهم طاعة الفداوية لشـيخ الجبل أو ما حدث عند زيارة رسـل الصـليبيين ربما كانت تلك البذور الأولى لتلك الفكرة[3] . وعلى الرغم من ذلك كله نلاحظ ان المصادر الفارسية لم تكن لتهتم كثيراً بالأوضاع في بلاد الشام ولم تذكر أي شيء في حوادث سـنة 559هـ/1163م – وهي السـنة التي أعلن فيها عيد القيامة – عند إسماعيلية الشام ، وفي الوقت ذاته لم يكن هناك ذكر لراشد الدين سنان في مصـادر النزارية في بلاد المشـرق ، وناقل المناقب – أي أبو فراس المنيقي – لا يذكر الكثير عن الموت وطبيعة العلاقة بين الطرفين ، وان أشـار مرة واحدة إلى الإمام الذي يُعتبر سنان نائبه[4](*) .

---

(1) ابن العديم ، زبدة الحلب ، طبعة دار الكتب العلمية : 374 .

(2) الحشيشية ، الاغتيال الطقوسي : 277 .

(3) مسـيحيون ومسـلمون زمن الحملات الصـليبية : 43 ، وللاسـتزادة ينظر : عثمان عشـري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 174–175 .

(4) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى : 170–171 ، محمد العزاوي ، دولة النزارية : 190.

(*) كانت الأفكار والعقائد الإسـماعيلية يغشـاها الغموض حتى زمن متقدم في القرن العشـرين ، وذلك بسبب سوء الفهم والتخرصـات والافتراءات المتعمدة التي أطلقها معارضـو الإسـماعيلية، وحتى بعض الأبحاث الحديثة فانها كانت مشوبة بالدعاية المعادية لهم . ينظر : هالم ، هاينز، كوزمولوجية الإسماعيليين من العهد ما قبل الفاطمي ، منشور ضمن الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم : 83 .

ربما دفع الفتور في العلاقة بين الموت وراشـــد الدين إلى الاعتقاد بان الأخير كان مستقلاً في حكمه عن المشرق وقد يعزز أكثر هذا الرأي ان تعاظم نفوذ راشد الدين جعله لا يعير أهمية لقلعة الموت ، وربما اغتاظت الأخيرة من تصـــرفات راشـــد الدين فســـيرت إليه من يغتاله "وســـير إليه داعي دعاتهم من الموت جماعة في عدة مرات ليقتلوه خوفاً من استبداده عليه بالرئاسة فكان سنان يقتلهم وبعضهم يخدعه سنان ويثنيه عما سير لأجله"[1] .

هكذا كانت العلاقة بين الطرفين ، وعلى الرغم من ذلك فاننا نجد رواية حادثة القيامة التي أعلنت في بلاد المشرق ، نجد صداها في بلاد الشام رغم ضعف العلاقات بين حشيشية المشرق وبلاد الشام .

تصـــــادفت كل تلك الحوادث مع حدثٍ أخر في تلك المرحلة إلا وهو هجوم النبوية[*] على قرية تسمى باب بزاغة[**] على باب حلب ، وجميع من فيها إسـماعيلية وبين النبوية والإسـماعيلية عداوة[***] شـديدة فأوقعوا القتل والنهب بالإسـماعيلية حتى اضطر جماعة منهم للاحتماء والاختباء في الجبال والكهوف[2] ، وذُكر ان أسباب ذلك الهجوم كان ان النبوية هؤلاء قد اختلفوا مع ســيف الدين غازي الذي أحظر رأســاً من

(1) الصـفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 ، الذهبي ، تاريخ الإسـلام : 330/41 ، سـير أعلام النبلاء : 187/21 .

(*) النبوية : تنظيم إسـلامي يبدو انه كان من التنظيمات المتشـددة . ينظر للاسـتزادة : لويس ، الدعوة الإســـماعيلية الجديدة : 131 . ولم أجد أية إشـــارة لطبيعة ذلك التنظيم على الأقل في المصادر التي وقعت بين يدي .

(**) باب بزاغة : بليدة بين منبج وحلب . الدمشقي ، توضيح المشتبه : 295/1 .

(***) ربما كان سببها الاختلاف العقائدي .

(2) ابن الأزرق ، تاريخ آمد وميافارقين ، ضمن الموسوعة الشامية : 314/11 ، ابن العديم ، زبدة الحلب ، دار الكتب العلمية : 374 .

رؤوس النبوية من نصيبين(*) وأمر بصلبه "فهاشت النبوية ، وخرجوا من بلد الموصل ونصيبين وبلدها ، وساروا طالبين صلاح الدين بالعدة واجتازوا بالخابور فتبعهم خلق كثير من الخابور وطرف الفرات وعبروا"(1) ، وقد أحدثوا القتل بالحشيشية وكانت مذبحة كبيرة فضلاً عن أخذ السبايا من النساء والأطفال ومر الجميع تحت السيف والقتل والسبي ، ونهب منهم ما لا يحصى وبقيت تلك الصحراء مدة لا يستطيع أحد العبور منها بسبب جثث القتلى(2) ، وقد اختلف البعض باعداد من قُتل وقدر لويس استناداً إلى ما بين يديه من مصادر ان أعدادهم وصلت إلى ثلاث عشر ألف(3) ومن هذه الواقعة استفاد صلاح الدين حيث الضعف الذي أصاب الحشيشية فأغار على سرمين(**) ومعرة(***) مصرين وجبل السماق فقتل أكثر السكان(4) ، وكانت مهاجمة صلاح الدين

(*) نصيبين : مدينة ديار ربيعة وهي مدينة كبيرة في مستو من الأرض ذات سور حصين وأسواق عامرة وتجارات وبها فعلة وصناع طراز لصنع جيد الثياب ومياهها كثيرة وبقربها جبل ماردين ، طولها خمس وسبعون درجة وعشرون دقيقة وعرضها ست وثلاثون درجة واثنتا عشرة دقيقة في الإقليم الرابع ، وهي كثيرة الوباء لكثرة بساتينها . ينظر : الإدريسي ، نزهة المشتاق : 661/2 ، الحموي ، معجم البلدان : 288/5 .

(1) ابن الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين : 314/11 . ولو ان ابن العديم يروي ذلك بشيء من الاختلاف . ينظر : زبدة الحلب ، دار الكتب العلمية : 373-374 .

(2) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(3) الدعوة الإسماعيلية الجديدة : 131 .

(**) سرمين : بفتح السين وسكون الراء وميم مكسورة بينها وبين حلب نحو يوم وحلب في شماليها ذات خصب وأسواق ومسجد جامع ، السخاوي ، البلدانيات : 204 .

(***) معرة مصرين : بفتح أوله وثانيه وتشديد الراء هي بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها بينهما نخو خمسة فراسخ . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 155/5 .

(4) ابن الفارقي ، تاريخ آمد وميافارقين : 314/11 ، لويس ، الدعوة الإسماعيلية الجديدة : 131 ، علي حسن ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 152-153 و159 .0

وتلك الأحداث سنة 570هـ/1174م[1] ، أي قبل ان تتحسن العلاقات بين راشد الدين وصلاح الدين .

ولم تشر بعد ذلك الروايات إلى أية ردة فعل قام بها الحشاشون تجاه النبوية ونستطيع القول أن صلاح الدين تعرض لعمليات الاغتيال تلك ربما بسبب مهاجمته لتلك المناطق ذات النفوذ الإسماعيلي[*] . مضافاً إلى ما ذكرنا من أسباب .

- وفاة راشد الدين سنان وأثرها في سير الأحداث :

تكاد أغلب الروايات تجمعُ على ان وفاة راشد الدين كانت سنة 588هـ/1192م[2] ، وهي ذات السنة التي توفي فيها صلاح الدين[3] ، وقد استمرت فترة حكم راشد الدين نيفاً وثلاثين سنة[4] ، امتدت من 558هـ/1162م حتى 588هـ/1192م ، حقق خلالها

---

(1) ابن الفارقي ، المصدر نفسه والجزء والصفحة . يجعلها ابن العديم سنة 572هـ . ينظر : زبدة الحلب : 373 .

(*) يبدو ان صلاح الدين وبعد الذي حدث بينه وبين راشد الدين توقف عن مهاجمة مناطق النفوذ الإسماعيلي ولا يوجد بين أيدينا إلى ما يشير إلى انه هاجم مناطق كانت الحشيشية تبسط نفوذها عليها حتى انهُ عندما خيم قريباً من الموصل في سنة 581هـ/1185م نزل قريباً من منطقة تعرف أو تسمى بالإسماعيليات . ينظر : ابن واصل ، مفروج الكروب : 166/2 ، أو الإسماعيلان . ينظر : ابن شداد ، النوادر السلطانية : 117 ، ورغم اننا لا نجد بين أيدينا ما يشير إلى هذا الموقع لكن يمكن الافتراض انهُ كان يعود إلى الإسماعيلية التي أكسبته أسمها مع قرب المنطقة من بلاد الشام ، ورغم ذلك لا يوجد ما يشير إلى ان صلاح الدين هاجم ساكنيه وهم من الإسماعيلية على أغلب الظن .

(2) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 107/3 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 104/2 ، القلقشندي ، صبح الأعشى : 158/1 ، المقريزي ، السلوك : 173/1 ، العكبري، شذرات الذهب : 294/4 .

(3) أبو الفداء ، المصدر نفسه ، والجزء والصفحة ، بينما ذكر الحنبلي انها كانت سنة 589هـ/1193م ، ينظر : شفاء القلوب : 179 .

(4) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 .

الكثير من النجاحات ، مما جعل البعض يعظمونه[1] ، ومن يطالع المخطوطة التي ذكرت شذرات من أعماله – مناقب المولى راشد الدين – يجد ذلك واضحاً حيث نسبت إليه بعض الأعمال الخارقة التي تقف عند حد الاعجاز والخروج عن المألوف[2] ، على الرغم من ان المناقب كتبت وجمعت بحسب راويها في سنة 624هـ ـ 1226م[3] ، وهي مدة ليست بالبعيدة عن زمن وفاة راشد الدين . وقد اندفع بعض الرحالة والرواة "وربما بسبب النجاحات التي استطاع راشد الدين ان يحققها" اندفع هؤلاء ليصفوا راشد الدين بعدة أوصاف وان حركة الحشاشين جعلته في مصاف الاله وهو ما ورد عند ابن جبير الذي وصف حركة الحشاشين وزعيمها قائلاً : "فاتخذوه إلهاً يعبدونه ويبذلون الأنفس دونه وحصلوا من طاعته وامتثال أمره بحيث يأمرهم بالتردي من شاهقة جبل فيتردى ويستعجل في مرضاته الردى"[4] ، وقد انتقلت تلك الصورة بعد ذلك إلى رواية الصليبيين والمؤرخين الأوربيين[5] ، وكان أحد المؤرخين الأوربيين قد وصف تربية الفداوية وسلطة راشد الدين عليهم بصورة تجعله وكأنه "ذو سلطة على كل الآلهة الحية"[6] .

تبدو هذه النعوت كلها قد استمدت أصولها من الطاعة المطلقة لشيخ الجبل ، وجدير بالذكر ان ذلك ظهر – في ذلك الوصف – مع ظهور راشد الدين فالحركة عرفت قبله تنفيذ عمليات الاغتيال وبصورة مذهلة لكن راشد الدين كان قد ظهر بصورة

---

(1) القلقشندي ، صبح الأعشى : 247/13 .

(2) ينظر للاستزادة : أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى : 190 وما بعدها ، بروان ، تاريخ الأدب في إيران : 256 .

(3) أبو فراس ، المصدر نفسه : 167 .

(4) رحلة ابن جبير : 108 ، التطلي ، رحلة بنيامين : 185 حيث ذكر انهم كانوا يطيعون شيخهم . وللاستزادة ينظر : سميرة بن عمو ، ايدلوجيا الإرهاب الفدائي : 55 .

(5) ينظر : مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 36 و46 .

(6) ابن الشحنة ، الدر المنتخب : 265 ، مسيحيون ومسلمون : 37 .

مختلفة عن الآخرين ، وهو ما دفع بالحركة إلى الأمام . ولم يكن بأي حال لزعيمهم ان يدعي الإلوهية كما زعم المؤرخين[1] ، وإنما كان لا يطلب من أنصاره أكثر من الطاعة ، وقد اتضــح ذلك من خلال معاتبته لبعض من أنصــاره لجرم اقترفوه أو لأنهم سـخروا منه حسب الروايات ، ولما وصل إليه الخبر عاتبهم ورضي عليهم وصفح عنهم وغفر زلتهم "وأمر بطاعته والسلام"[2] .

- أوضاع الحشيشية في بلاد الشام بعد راشد الدين :

ترك راشـد الدين من بعده حركة الحشـاشـين في أفضـل أحوالها ، رغم تعرضـها لكثير من الأزمات التي تطرقت إليها ، وكان تأثيرهُ في الحركة كبيراً حتى انها عرفت باسـمه أي السـنانية[3] ، ومن الواضـح انهُ ترك من بعده أحد الدعاة لقيادة الحركة وهو الداعي أبو منصــور بن محمد (نصــر العجمي[*]) [4] ، أو أسـد الدين[5] ، وقد أفتتح عهده بقتل صــاحب أخلاط[*] ، وذكر المؤرخ العماد الأصـفهاني في هذه الحادثة قائلاً

---

(1) ابن جبير ، رحلة ابن جبير : 108 .

(2) أبو فراس المنيقي ، مناقب المولى : 173 .

(3) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : 185/5 ، اليافعي ، مرآة الجنان : 387/3 ، المقريزي ، السلوك : 173/1 .

(*) لم أجد لهُ تعريفاً وافياً ســوى ان العماد الأصــفهاني ذكرهُ بالقول انهُ لا يفهم شــيئاً . ينظر : البستان الجامع : 438 ، وربما كان دور هذا الداعية ضعيفاً لأن هناك ما يشير إلى ان الحسن بن راشد الدين سنان هو من خلف أباه في حكم الحشيشية .

(4) على موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 175 .

(5) ابن نظيف الحموي ، التاريخ المنصوري : 96 .

(*) أخلاط : مدينة على الحدود ما بين بلاد المســلمين والأرمن بينها وبين مدينة يقال لها بركري تسعة عشر فرسخاً ، وكان أهلها يجيدون التكلم بثلاث لغات الفارسية والعربية والأرمنية . ينظر : ناصر خسرو ، سفرنامة : 40 .

"وفي سنة 589هـ/1193م قتلت الإسماعيلية بكتمر (**) صاحب أخلاط وملك بعده أخلاط هزار ديناري"[1] .

ونلاحظ من هذا النص أنهُ لا توجد أية إشارة للدوافع التي تم بها اغتياله(***).

اما على مستوى العلاقات مع الصليبيين ، فقد ساد نوع من التحسن في العلاقة بين الطرفين ، وربما اعتقد الصليبيون ان موت راشد الدين أحدث فراغاً في الحركة ، لكن ابنه الحسن ربما استطاع ملأ هذا الفراغ ، وقد فتح أبواب قلاعه ، ليستقبل ملك الصليبيين هنري الشامبيني الذي تولى أمر الصليبيين بالشام بعد مصرع مونتغرات وكان استقباله لهُ في قلعة الكهف[2] ، ويمكن القول ان تغير الأوضاع بصورة عامة بعد وفاة صلاح الدين وبعد ما آلت إليه الأمور في بلاد الشام من هدوء في العلاقات بين الطرفين المسلمين والصليبيين هو ما دفع بالحسن ابن راشد الدين لإقامة تلك العلاقة مضافاً إلى شخصية هنري نفسها التي يبدو وأنها جنحت للسلام وهو ما جاء عند ابن الأثير حول هنري الذي وصفه بانه كان "خير الطبع قليل الشر رفيقاً بالمسلمين محباً بهم"[3] . وهناك في قلعة الكهف شاهد هنري بنفسه وهو بضيافة الحسن ولد راشد الدين طاعة الفداوية لزعيمهم وتفانيهم من أجله وللحركة عموماً ، فعلى الحصن الجبلي كان يقف جماعة من الحرس الفداوية بملابسهم البيضاء ، ولدى

(**) اكتمر : اسم صاحب أو حاكم أخلاط ولقبه سبق الدين . ينظر : ابن الأثير ، الكامل : 133/10 .

(1) البستان الجامع : 483 ، الذهبي ، تاريخ الإسلام : 237/44 .

(***) يذكر ابن الأثير ان هزار ديناري هو من سلط على بكتمر من قتله ، ويمكن القول ان تنامي قوة بكتمر بعد وفاة صلاح الدين أثارت الحشاشين ومخاوفهم ، فكانت ربما لهم اليد في اغتياله . ينظر : ابن الأثير ، المصدر نفسه : 228/10-229 .

(2) عثمان عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 174 .

(3) الكامل في التاريخ : 218/10 .

إشـــارة من شـــيخ الجبل عمد اثنان من الحرس لإلقاء نفســـيهما من أعلى البرج إلى الصخور فتمزقا[1] .

ولم يكن بعد ذلك عموماً ليخفى ما كانت الحركة تعانيه من ضـــعف عام بعد موت راشـد الدين ، حيث لم تكن لخلفائه من بعده تلك المواهب وقوة الشـخصـية التي تمتع بها ســـنان[2] ، وكان الحدث البارز بعد موت راشـــد الدين هو عودة نفوذ قلعة الموت على شـؤون الحشـيشـية في بلاد الشـام[3] . وقد اسـتمرت علاقات خلفاء راشـد الدين بخلفاء صـــلاح الدين من الأيوبيين بصـــورة جيدة[4] . ورغم تحســـن العلاقة مع الصـــليبيين إلا ان ذلك لم يكن لمدة طويلة أو ليســـتمر على الدوام ، وكان الذي حدث سـنة 610هـــــ/1213م هو دليل على ذلك حيث وثب الباطنية على ابن الابرنس – صاحب انطاكية – فقتلته ، وكان عمره ثماني عشرة سنة ، فحزن عليه أبوه حزناً شديداً "وأعظمت الفرنج ذلك وخافوه واحترزوا لأنفسهم"[5] ، ويبدو ان تلك الاغتيالات بصفوف الصـليبيين دفعتهم لكسـب ود الحشـاشـين من خلال دفع الاتاوات والضـرائب أو الهدايا لكي لا يقعوا في دوائر الاسـتهداف ، ومع ذلك فقد اندفع الصـليبيون بعد سـنة واحدة – أي 611هـــ/1214م – نحو بلاد الإسماعيلية "ونازلوا من قلاعهم الخوابي وحاصروها حصـاراً شـديداً وكانوا حانقين عليهم بسـبب قتلهم ابن الابرنس صـاحب انطاكية ، ولما

---

(1) فيليب ، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين : 247 ، ميشيل لباد ، الإسماعيليون : 108 ، بروان ، تاريخ الأدب في ايران : 255 .

(2) حسين ، طائفة الإسماعيلية : 106 ، خضور ، موجز التاريخ الإسماعيلي: 27.

(3) حسـين ، المصـدر نفسـه ، والصـفحة ، دفتري ، الإسـماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 615 ، والإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط : 183 .

(4) دفتري ، خرافات الحشاشين : 122 .

(5) ابن واصل ، مفرج الكروب : 219/3 .

بلغ الملك الظاهر [*] ذلك خرج من حلب في عســــاكره متوجهاً إلى بلاد الإســـماعيلية ليدفع عنهم الافرنج ولما بلغ ذلك الافرنج رحلوا عن الخوابي فتنفس خناق من كان فيه ونزل الملك الظاهر بصلدي[**] ، وبعث نجدة إلى الخوابي ، فصعدت إليه ، وأنفذ إلى الحصـن إقامة كثيرة وميرة ، وبعث إلى الفرنج يعلمهم انهُ لا يمكنهم من الإسماعيلية ، فرحلوا إلى انطاكية"[1] . وفي النص إشـــارة واضــــحة وجلية عن العلاقة ونوعها بين الطرفين ، وان جبهة موحدة قامت بينهما للوقوف بوجه الصــــليبيين ، وفي ســــنة 612هــ/1215م قتلت الباطنية أخاً للملكة صاحبة عكا ، وكان قد خرج من البحر في جيش كثيف من الصليبيين لنصرة صاحب انطاكية ونازل الصليبيون حصن الخوابي ، واشـــتدوا في حصــــاره وقتال أهله ، وقاتلهم "رجالة الحلبيين الذين بعثهم الملك الظاهر نجدة لأهل الخوابي"[2] ، وهي إشــارة إلى التعاون بين الحشــاشــين والملك الظاهر مرة أخرى .

اما العلاقة بين الحشيشية والجمعيتين الصليبيتين الداوية والاسبتارية فيبدو انها كانت علاقة مستقرة ولم تسجل الحوادث هجمات للحشاشين أو اغتيالات ضدهما، فقد

(*) الملك الظاهر : سيف الدين أبو سعيد برقوق بن آنص العثماني ، قام بدولة الشراكسة جلبه عثمان مسافر فلذلك يقال له برقوق العثماني فاشتراه الاتابك يلبغا العمري وهو من جملة الأتراك الذين مســـهم الرق مماليك بني أيوب تقلبت به الأحوال إلى ان صـــار أمير مائة مقدم وكان متمكناً جمع الأموال والخزائن واشــترى المماليك الشــركســية فتمكنت من الملك وتلاعبت بعده المماليك الشركسية بملك مصر وصاروا ملوكها وسلاطينها بالقوة والغلب والاستيلاء وكانت تقع بينهم فتن وجدال وقتل نفوس . ينظر : العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي : 4/38-41 .

(**) صلدي : لم أجد لها تعريفاً لكن كلمة صلد تعني الحجر الصلب والأملس يقال حجر صلد وجبين صلد ومكان صلد صلب شديد . ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، مادة (صلد) : 3/256-258 ، ويبدو ان المنطقة اكتسبت اسمها من طبيعتها القاسية أو الوعرة .

(1) ابن واصل ، مفروج الكروب : 3/224 .

(2) ابن واصل ، مفروج الكروب : 3/229 .

نجتا تلك الجمعيتان من ضربات الحشيشية فقد كانت قلاع الاسبتارية والداوية تطوقان قلاع الحشيشية ونفوذهما ، ويبدو ان أي تقارب لم يقم بين الطرفين وبالإضافة لمقتل رسول الحشيشية الذي سبق ذكره فقد أصدر البابا غريفوريوس التاسع مرسوماً سنة 634هـ/1236م منع بموجبه فرسان الداوية والاسبتارية من التحالف مع الحشاشين ضد بوهمند الخامس أمير انطاكية وكونت طرابلس الذي كانت الجمعية العسكرية على خلاف معه[1] . ويمكن تفسير عدم تنفيذ اغتيالات ضد هاتين الجمعيتين بما ذكره أحد المستشرقين من ان شيخ الجبل "لا يحقق أي مكسب ان امر بقتل رئيس فرسان الهيكل أو فرسان مار يوحنا ، إذ كان يعلم علم اليقين انهُ لو أمر بقتل احدهما فسرعان ما يعين مكانه أخر لا يقل كفاءة عن الأول ؛ ولهذا السبب لم يشأ ان يفقد حشاشين في قضية خاسرة"[2] ، وربما كانت تجربة مهاجمة فرسان الدواية الذين شنوا هجوماً عنيفاً على معاقل الحشيشية سنة 552هـ/1157م – زمن راشد الدين – وسطوا على ممتلكات الحشاشين وأجبروهم على عقد معاهدة دفعوا للاسبتارية بموجبها الجزية السنوية[3] ، ربما كان ذلك ماثلاً أمام أعين خلفاء راشد الدين ، فلم يتعرضوا لهم .

وفي سنة 619هـ/1222م توفي أسد الدين زعيم الحشاشين ، والذي لم نكن نعلم عنهُ شيء ، ويبدو ان حسن بن راشد الدين هو من كان الزعيم الفعلي للحركة ، وقد جاء بعد أسد الدين أخوه صلاح الدين وهو الأخر يشترك في قلة الروايات عنهُ وهي سمة من سمات تاريخ الحركة آنذاك . ولم تشر الروايات إلى الفترة التي بقى فيها قائداً للحركة ، ولم تكن على الأرجح طويلة أو مؤثرة ثم تولى قيادة الحركة من بعده أخوهما

---

(1) مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية : 44 .

(2) Jean deJoin ville , viede saint Louis , Jacques monfrined trad , paris , 1995 , p. 222-225 .

(3) د. كمال بن مارس ، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية : 174 .

تاج الدين ، فبقي مدة وسيروا من قلعة الموت فعزلوه واستدعوه وولوا محيي الدين والذي كان أعجمياً ذكر ابن نظيف عنه قائلاً "حسن السيرة"[1] وكان الواضح من خلال الرواية ان قرارات دولة الإسماعيلية في بلاد الشام أصبحت خاضعة وبشكل كبير لبلاد المشرق (قلعة الموت) وكانت قيادات بلاد الشام تعين بأوامر من هناك .

كان من الحوادث البارزة أيضاً ما حدث سنة 624هـ/1226م ، حيث ذُكر ان الإسماعيلية قتلت خال الخوارزمي[*] ووصلت رسلهم إلى الأشرف[**] بذلك[2] ، وربما تكون هذه الرواية دليل أخر على استمرار العلاقة بين الحشيشية وخلفاء صلاح الدين الأيوبي من الأيوبيين .

وفي نفس السنة كان مجد الدين متولي حصون الإسماعيلية بالشام قد سير إلى ملك الروم علاء الدين كيقباذ يطلب منه المقرر عليه وهو ألفا دينار التي كانت جرت عادتهم بحملها إلى قلعة الموت ، فأبوا ذلك وسير الرومي إلى جلال الدين بالموت في ذلك فقال لهُ تحملها إليهم بالشام فقد عيناها لهم ذخيرة فحملوها[3] ، وتتضح من خلال هذه الرواية ما كان عليه نفوذ الحشيشية الذين أجبروا ملك الروم على دفع جزية يؤديها

---

(1) ابن نظيف ، التاريخ المنصوري : 96 .

(*) ربما يكون هنا المقصود خال خوارزمشاه صاحب تفليس ، وهو ما يتفق مع سير الحوادث والخلافات التي حدثت بينه وبين الملك الأشرف . ينظر : ابن العديم ، زبدة الحلب ، مطبعة دار الكتب : 470-471 . وينظر للاستزادة : الحنبلي ، شفاء القلوب : 294-295 .

(**) الملك الأشرف : موسى بن أبو بكر بن أيوب بن شاذي الملك الأشرف أبو الفتح شرف الدين وقيل مظفر الدين ولد بالقاهرة وقيل بالكرك سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وقيل ست وكان أول أمره بالقدس تحت حكم ابن الزنجيلي وأول ما ملك الرها ، سيره إليها والده ، وملك خلال سنة تسع وستمائة وكسر الروم والخوارزمي وأخاه شهاب الدين . ينظر : المصدر نفسه : 290-297 .

(2) ابن نظيف ، التاريخ المنصوري : 140 .

(3) ابن نظيف ، التاريخ المنصوري : 146 .

لهم ، وربما كان ذلك خوفاً من خناجرهم وهو ما ســـنلمس أثره عند ملك هنغاريا الذي كان يدفع الجزية لشيخ الجبل في سنة 655هـ/1257م خوفاً من الاغتيال(1) .

اسـتمر نفوذ الحشـيشـية في هذا المجال عندما اسـتقبل مجد الدين سـفراء من الإمبراطور فريدريك الثاني الذي قدم إلى سورية – كان ذلك سنة 625هـ/1227م– في حملة صـــليبية وقد جلبوا معهم هدايا قيمتها ما يقارب الثمانين ألف دينار ، وبحجة ان الطريق إلى قلعة الموت كان خطيراً جداً بسـبب عبث الخوارزمية فقد احتفظ مجد الدين بالهدايا في سورية ، وقام هو نفسه فأعطى الإمبراطور الأمان الذي طلبه ، وقام وأرسل سفيراً إلى حاكم حلب أعلمهُ بسفارة الإمبراطور وذلك من أجل تنسيق المواقف(2) ، حيث أرسـل رسـول الإسـماعيلية إلى حلب يخبرهم برسـالة الإمبراطور إليهم وبما يطيب به قلوبهم ووعدهم ويقول "لاتابك حلب ان أنتم اتفقتم مع الساحليين انتصرتم عليه وان كنتم عاجزين عرفونا لنصلح أحوالنا معه"(3) .

ونســـتطيع القول ان تلك الروايات كانت تثبت ان الحشـــاشـــين كانوا مرهوبي الجانب وبخصـوص تلك الاتاوات المالية أو الضـرائب التي فرضـوها فانها كانت تشـمل المسـلمين والمسـيحيين معاً بل وحتى من الزائرين إلى الشـرق(4) ، والجدير بالإشـارة ان نقول ان الذي كان يحدث في الغالب هو الصراع عليها ففي سنة 624هـ/1226م هجم الاسبتارية على بلاد الإسماعيلية وكان السبب في ذلك انهم "سيروا يطلبون قطيعة من

---

(1) مسيحيون ومسلمون في زمن الحروب الصليبية : 45 .

(2) ابن نظيف ، التاريخ المنصـوري : 151 ، لويس ، الحشـيشـية : 285 ، ولو ان ابن نظيف يروي ذلك بشي من الاختلاف .

(3) ابن نظيف ، المصدر نفسه : 160 .

(4) لويس ، برنارد ، فرقة الحشـاشـين مذهب راديكالي في الإسـلام ، ط1 ، ترجمة المقدم : الياس فرحات ، منشورات مؤسسة أحمد منصور حسين بالتعاون مع روضـة المعارف ، د.م، 1993م : 144-145 .

الإســـماعيلية قالوا لهم ملككم الإمبراطور يعطينا وأنتم تأخذون منا ومنعوهم فأغاروا عليهم وأخذوا من بلدهم جملة"[1] . ومع ذلك كله يبدو ان الحشـــيشـــية اســـتطاعوا المحافظة على وجودهم في وسطٍ معادٍ وان لم يكن على الدوام .

وقد سـجلت حوادث سـنة 630هـــ/1232م إيفاد الملك شـيركوه بن محمد بن شـيركوه الأيوبي تقديم هدية إلى الصـليبيين والإسـماعيلية[2] ، وهي جزء على ما يبدو من نوع العلاقات السائدة آنذاك ، وفي سنة 635هـ/1237م أُغتيل عماد الدين بن عمر بن شيخ الشيوخ ، وكان سبب اغتياله ان الملك الجواد وصاحب حمص والأمير عماد الدين ابن قلج نائب الملك الجواد بدمشـــق اتفقوا على التخلص من العماد بن شـــيخ الشيوخ فبعثوا إلى نواب الإسماعيلية يخبروهم بذلك فسير هؤلاء فدائيين قتلاه على باب الجامع في ســادس عشــر من جمادى الأول ، وأشــيع انهما غلطا في قتله وأنهما كانا يريدان قتل الملك الجواد الذي كان كثير الشبه به[3] .

لم يكن بعد ذلك ما يمكن الإشـارة إليه ، سـوى ان الإسـماعيلية كانت قد تمتعت بنوع من الاحترام والمكانة بين الأمراء المسلمين ، وبنوع من الخوف من قبل الصليبيين ، حيث أخذت تظهر الإشـــاعات ، وربما كان ذلك ســـببه العمليات التي نفذت ضـــد أهداف صليبية[4] ، ونلمس من ذلك ومن خلال الذي حدث في سنة 637هـــ/1239م

---

(1) ابن نظيف ، التاريخ المنصوري : 151 .

(2) ابن نظيف ، المصدر نفسه : 146 ، هاشم عثمان ، تاريخ الشيعة : 92 .

(3) المقريزي ، الســـلوك : 39/1 ، ولا يذكر ابن واصـــل ان الإســـماعيلية قامت بقتله رغم ان يسـتعرض تفاصـيل مقتله وهي مشـابهة إلى حد كبير لمقتل نظام الملك ، وعملية اغتياله التي حدثت في زمن الحسن بن الصباح ، للاستزادة ينظر : ابن واصل ، مفروج الكروب : 201/5 ، وحول تفاصيل أوفى ينظر كذلك : ابن وصل الحموي ، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم بن واصل أبو عبد الله المازني التميمي (ت697هـــ/1298م) ، من التاريخ الصالحي ، منشور ضمن الموسوعة الشامية للحروب الصليبية : 604/21 .

(4) للاستزادة ينظر: مسيحيون ومسلمون: 44 وما بعدها، ودفتري، خرافات الحشاشين : 122.

حيث اعتقل الملك(*) المجاهد مجموعة من الأكابر من أهل حماة والجند وقيدهم وضيق عليهم ، وكان من بينهم الحكيم موفق الدين محمد بن أبي الخير الطبيب(**) ، والذي شفع فيه صاحب الإسماعيلية ومقدمها "فخلص بعد مدة"(1) بسبب تلك الوساطة ، ولعبوا كذلك دوراً مهماً في وقت أخر فحين أحس القاضي بدر الدين والذي كان حاكماً على سنجار بالوحشة من الملك الصالح(***) إسماعيل مضى إلى دمشق ومنها توجه إلى الإسماعيلية مستجيراً بهم وخائفاً من الملك الصالح إسماعيل "وكان مقدم الإسماعيلية يومئذ رجلاً من العجم ورد من الالموت يقال لهُ تاج الدين"(2) .

ويذكر ابن واصل عن تاج الدين هذا بأنهُ اجتمع به وكانت بينهما مودة ، وقد قبل تاج الدين استجارة القاضي بدر الدين ، ورغم ان الملك الصالح إسماعيل أرسل مطالباً تاج الدين بانفاذ القاضي بدر الدين لكن تاج الدين رفض ذلك(3) . وكانت هذه الأحداث والروايات تشير وبوضح إلى ان الإسماعيلية الحشيشية لم يكونوا ضعيفي الشوكة من جهة وكانوا قد أدوا دوراً مؤثراً في سير الأحداث ، رغم إشارة الروايات إلى انهم عانوا ضعفاً بعد موت راشد الدين .

كان على الجانب الأخر ان تمتع الحشاشون بنفوذ في كثير من المناطق التي كانت تحت نفوذهم أو كان لهم فيها وجود حيث أشار ابن واصل إلى ان الخوارزمية

(*) الملك المجاهد : أسد الدين شيركوه بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوة بن شادي صاحب حمص ولاه إياها الملك الناصر صلاح الدين بعد موت أبيه 581هـ/1185م ، فمكن فيها سبع وخمسين سنة وكان من أحسن الملوك سيرة . ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية : 13/154-155 .

(**) لم أجد لهُ تعريفاً .

(1) ابن واصل ، مفرج الكروب : 5/226-227 .

(***) يذكر في أحد نسخ المخطوطة انهُ الملك الصالح عماد الدين .

(2) ابن واصل ، مفرج الكروب : 5/250-251 .

(3) المصدر نفسه : 5/251 .

حين دخلوا الشام نزلوا قرب الصافية(*) ، ورحلوا إلى سرمين ونهبوها ودخلوا دار الدعوة التي بها والمنسوبة إلى الإسماعيلية ، وذكر ابن واصل في ذلك قائلاً ان بها أمتعة "كثيرة للناس ظناً منهم ان الخوارزمية لا تجسر على قربانها خوفاً من الإسماعيلية ، فدخلوها ونهبوا جميع ما فيها"[1] . وهي إشارة إلى الصورة التي كانت الحشيشية قد حققتها بين الناس .

كانت تلك العلاقات الجيدة مع المسلمين المحيطين بهم ، دافعاً على ما يبدو للحشيشية لأن تنفذ عمليات اغتيال نوعية في معسكر الصليبيين فكان لزاماً عليهم الانتقام من بوهمند(*) الذي اغتالوا ولده وحاصرهم وجعلهم مضطرين لطلب النجدة من صاحب حلب ، فكان ان ارسل أحد الفداوية لقتله ، لكن أمره انكشف ، وألقي القبض عليه[2] ، وجاءت خطة الاغتيال بالفشل رغم انها كانت رسالة مفاداها انهم قادرين على الوصول إلى أي مكان ، وبعد أربع سنوات من ذلك الحادث – أي في سنة 618هـ/1221م – اغتالوا أحد فرسان الصليبيين وأسمهُ أدام دوغاستون وكان يعمل في

(*) الصافية : أو تل الصافية حصن من أعمال فلسطين قرب بيت جبرين من نواحي الرملة . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 42/2 .

(1) مفرج الكروب : 289/5-290 .

(*) يبدو ان أسباب اغتياله ترجع أيضاً إلى انه وجه اهتمامه إلى الجمعيتين الدواية والاسبتارية معاً ورفع تقاريره إلى البابا يُعلمه بمعاهدات بين هاتين الجمعيتين والحشيشية ما حدا بالبابا لأن يبعث بدوره إلى أمراء صيدا وصور وبيروت يطلب إليهم إبلاغ الاسبتارية والدواية إلغاء ارتباطهم بالحشاشين . ينظر : عشري ، الإسماعيليون في بلاد الشام : 178 ، وقد كانت محاولة الاغتيال تلك سنة 614هـ/1227م ، ويبدو ان التعاون الذي زعمه البابا كان ما يقدم من أتاوات وضرائب من قبل الحشيشية لهاتين الجمعيتين حيث لم يكن هناك ما يشير إلى تعاون أو تقارب بين الطرفين .

(2) مسيحيون ومسلمون : 44 .

خدمة ملك ارمينيا[1] ، وكانت تلك الحقبة قد سـجلت نشـاطاً ملحوظاً لاغتيالات نفذها الحشـيشـية أو نسـبت إليهم من قبل المؤرخين الغربيين حيث نسـبت الحوليات الالمانية مقتل لويس الأول دوق بافيير سنة 629هـ/12314م على يد الحشيشية وان شيخ الجبل كان قد أرسـلهم لخدمة الإمبراطور فريدريك الثاني وهو هانشـتوفن[2] ، وقد تمكنوا من اغتيال دوق بافيير . وكان من أثر ذلك الحادث ما دفع بملك هنغاريا لتأدية الجزية لشيخ الجبل كي يدخل في حضوته ويحتمي من حشاشيته وفي سنة 655هـ/1257م كان ملك انكلترا قد تلقى رسالة تحذره من حشاشين أرسلوا إلى انكلترا لقتله هو وولديه ، وكانت سـمعة الحشـاشـين وصـيتهم في طريقة الاغتيال قد أخذت بعداً أخر في أوربا ، وأتضـح ذلك عندما حاول رجل اغتيال ملك انكلترا هنري الثاني فألقي القبض عليه واعترف بانهُ أُرسل من غليوم دوماريه ليقتل ملك انكلترا على طريقة الحشاشين[3] .

- عهد الانحلال وسقوط القلاع :

كان المغول لهم أثر سيء عندما سيطروا سنة 656هـ/1258م على عاصمة الخلافة العباسية وكان هولاكو قد استعد بعد احتلال بغداد للتقدم والاستيلاء على المزيد من البلاد الإسـلامية[4] ، وبعد سنة من ذلك التاريخ تقدم نحو بلاد الشام فنزل حران[*] ، وملكها ثم توجه نحو اعزاز وتسـلهما بالأمان ، بعد صـدام وقتال مع الملك المعظم

---

(1) المصدر نفسه والصفحة . T.Keightley , SECRET SOCIETJES , p : 116-118

(2) المصدر نفسه والصفحة .

(3) مسيحيون ومسلمون : 45 .

(4) سـليمان ، د. احمد عبد الكريم ، المغول والمماليك حتى نهاية عصـر الظاهر بيبرس ، ط1 ، دار النهضة العربية ، مصر ، 1984م : 53 .

(*) حران : كورة من كور ديار مضـر وهي مدينة عظيمة مشـهورة من جزيرة أقور بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصـل والشـام والروم . ينظر : الحموي ، معجم البلدان : 235/2 .

توران شاه ابن السلطان صلاح الدين الذي كان نائباً عن أخيه الملك الناصر يوسف عن حلب[1] .

وكانت دولة الإسماعيلية في بلاد المشرق قد سقطت على أيدي المغول قبل ذلك التاريخ ولابد ان ذلك كان قد ترك أثره النفسي والمعنوي على حشيشية بلاد الشام . وكانت جموع المغول تتقدم في بلاد الشام محققةً انتصارات عدة ليس أقلها سقوط قلعة حلب وميافارقين وقلاع أخرى[2] ، وكانت مدينة دمشق قد استسلمت هي الأخرى لسلطان المغول بعد ان هرب قائدها الناصر يوسف الأيوبي ، فاتجه وفد من أهلها وأعلن طاعته للقائد المغولي[3] .

كان من نتائج تلك الحوادث ان وجد الإسماعيلية الحشيشية أنفسهم وجهاً لوجه أمام المغول ، وقد أصاب الضعف معظم المناطق التي مر بها المغول أو سيطروا عليها . ويبدو ان ما أصاب الحشاشين في بلاد المشرق كان قد ترك أثره على حشيشية بلاد الشام وان أغفلت الروايات ذلك ويمكن الاستدلال بما أشرنا إليه من الأثر الكبير في العلاقة بين الطرفين بعد وفاة راشد الدين الذي شهد عهده نوعاً من الاستقلال عن سلطة ألموت .

ما ان حلت سنة 658هـ/1259م حتى اجتاحت جحافل المغول أربع قلاع إسماعيلية ، كان من ضمنها قلعة مصياف مركز الإسماعيلية وعاصمتها وكان من

---

(1) أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر : 239/3 ، الحنبلي ، شفاء القلوب : 416-417 .

(2) أبو الفداء ، المصدر نفسه : 442/3 وما بعدها .

(3) الجويني ، جامع التواريخ (القسم الخاص بالايلخانيين) : 307-308 .

القلاع الأخرى الكهف والقدموس والخوابي[1] ، وكان يتزعم حركة الحشاشين آنذاك رضي الدين أبو المعالي وكان قد تولى زعامة الحركة سنة 656هـ/1258م[2] .

وكان الحشاشين قد توجسوا خيفة من تقدم المغول ونشاطهم في بلاد الشام فقد قام أحد دعاتهم وهو أبو الفتوح ببناء سور يحيط بقلعة مصياف للدفاع عنها وكان ذلك سنة 657هـ/1258م[3] ، ومن الأرجح ان ذلك السور كان سور ثان من التحصين وعرقلة حركة المهاجمين وهو بمثابة خط دفاع أول للقلعة ولم يكن ذلك السور ليصمد أمام حركة المغول بعد اجتياحهم تلك القلعة ، فتفرق شمل الإسماعيلية وتبعثرت قواهم واضطروا إلى الانزواء ينتظرون جيوش قطز[*]، وشاركوا معه في معركته ضد المغول ، وكانت مشاركتهم في معركة عين جالوت ، ولما انهزم المغول استعاد أبو المعالي ورجاله من الإسماعيلية القلاع التي استولى عليها المغول[4] لكن الصورة أخذت تتغير بعد ذلك ، حيث كان ظهور الظاهر بيرس وانتصاراته دافعاً على الأرجح لأن تتجه أنظاره نحو بلاد الإسماعيلية والذين أصابهم الضعف بسبب ما تعرضوا لهُ سوى في بلاد الشام أو المشرق ، وقد أخذ في إضعاف نفوذهم رويداً رويداً ، رغم أنهم لم يكونوا

---

(1) ميشيل لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 103-104 ، غالب ، سنان راشد الدين : 148-149 ، خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية : 202-203 .

(2) علي حسين ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 177 .

(3) خضور ، المصدر نفسه والصفحة .

(*) قطز : الملك المظفر سيف الدين قطز بن عبد الله المعزى الثالث من ملوك الترك بالديار المصرية . ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 7/7 ، وهو الذي كسر عساكر المغول في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1258م وكان مقدم عساكر الملوك الظاهر بيرس ، وكان ان قتل بعد تلك المعركة بسبب الوحشة التي وقعت بينه وبين الملك الظاهر لأن الأخير وعده ولاية حلب ، وكانت مقتلته على يد جماعة من الأمراء . ينظر : العصامي المكي ، سمط النجوم العوالي : 4/21-22 .

(4) هاشم عثمان، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام: 92، حسين ، طائفة الإسماعيلية : 107 .

مفلولي الشـــوكة وهو ما أشـــار إليه المقريزي في احدى روايته عند حديثه عن ســـنة 662هــ/1263م بالقول "فيها وردت رسل الانبرو (الامبراطور) ورسل الفنش (الفونسو) ورســـل ملوك الفرنج ورســـل ملك اليمن ومصـــر ومعهم هدايا إلى صـــاحب قلاع الإسـماعيلية ، فأخذت منهم الحقوق الديوانية عن الهدية إفسـاداً لنواميس الإسـماعيلية وتعجيزاً لمن اكتفي شـرهم بالهدية"[1] ، وكانت تلك بداية آفول نجم الحشـاشـين ، ولم يكن من خلال هذه الرواية ان يســمح لهم بيبرس بعودة نفوذهم إلى ســابق عهده وهو يحاول الحد من نشـاطهم ، وان اسـتعادوا بعضـاً من نفوذهم بعد اندحار المغول ، غير انهم لم يستطيعوا ان يقفوا بوجه الظاهر بيبرس سنة 664هـــ/1265م عندما هاجمهم فطلبوا ان يكونوا من بين رجاله وكان للأســـباب التي أوردناها أثراً في تراجع دورهم بصـــورة عامة[2] . وقد نتج عن دخولهم تحت طاعة بيبرس ان قطعوا الاتاوات أو الضـرائب التي كانوا يدفعونها إلى التنظيمات العسكرية الصـليبية الداوية والاسـبتارية ، باعتبارهم رعايا الملك الظاهر بيبرس[3] . وكان من نتيجة تلك الحالة – أي دخولهم في طاعة بيبرس – ما أشـار إليه المقريزي في دفعهم جزء مما يقبضـون من الاتاوات من الصليبيين إليه – أي لبيبرس – ، ثم توجه بيبرس بعد ذلك إلى تسلم حصون وقلاع

---

(1) بيبرس المنصوري ، الخطائي الدوادار ركن الدين (ت715هـــ/1325م) ، مختار الأخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ ، ط1 ، تح وتقديم : د. عبد الحميد صالح حمدان ، الناشـر الدار المصـرية اللبنانية ، القاهرة ، 1993م : 44-45 ، أبو الفداء ، المختصـر في أخبار البشر : 11/4 ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 213/2 ، المقريزي ، السلوك : 32/2، بدر الدين العيني ، بدر الدين محمود بن القاضي شهاب الدين أحمد (ت855هـ/1451م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت : 183.

(2) محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية : 107 .

(3) دفتري ، الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسماعيلية : 187 .

الإسماعيلية الحشيشية بالتتابع(*) ففي سنة 668هـ/1269م "جهز الملك الظاهر عسكرا إلى بلاد الإسماعيلية فتسلموا مصياف العشر الأوسط من رجب من هذه السنة"[1] وتسلم بعد ذلك قلاعاً أخرى كالخوابي والعليقة[2] ويبدو ان تسلم تلك القلاع كان بصورة سلمية، ولم يبقى من قلاعهم خارج سلطة بيبرس سوى الكهف والقدموس والمنيقة لا غير[3] وقد صاحب سيطرة بيبرس على القلاع المذكورة كمصياف والخوابي والعليقة بعض الحوادث حيث ذُكر ان بيبرس لما قبض "على نجم الدين الشعراني وولده [شمس الدين] بالقلاع المذكورة وقدموا عليهم مقدماً"[4] كان سبب ذلك هو الجفاء بين نجم الدين صاحب القلاع الإسماعيلية الذي لم يحضر إلى السلطان الظاهر حين وصل إلى بلاد الإسماعيلية ، وطلب من الظاهر "تنقيض القطعة التي حملوها لبيت المال بدلاً مما كانوا يحملونه إلى الفرنج"[5] وكانت الصورة الأكثر وضوحاً في حال الحركة والعلاقة بينهما وبين بيرس وكيف استطاع الأخير ان يستثمر الضعف الذي أصاب

(*) وكان ما حصل بعد ذلك ان عين صارم الدين زعيماً للحركة بدلاً عن نجم الدين وقد نعت بالصحوبية على عادة نواب الدعوة . "وسير السلطان معهُ عسكراً إلى مصياف ... وتسلمها". ينظر : بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار : 44 ، وفي هذا النص يتضح ان بيبرس حل محل المتحكم في تعيين قادة الحركة .

(1) بيبرس المنصوري ، المصدر نفسه : 44-45 ، أبو الفداء ، المختصر في أخبار البشر ، ابن الوردي ، تاريخ ابن الوردي : 213/2 .

(2) ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م) ، تاريخ الملك الظاهر ، باعتناء أحمد حطيط ، طباعة شركة الأمل للطباعة والنشر ،القاهرة ، 2009م : 37 . وينظر كذلك للاستزادة : أبو الفداء ، المصدر نفسه : 12/4 .

(3) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر : 37 .

(4) المصدر نفسه : 37-38 .

(5) المقريزي ، السلوك : 65/2 .

الحركة من جهة والخلافات بين أعضـــائها(*) موظفاً ذلك لصـــالحه في القضـــاء أو إضعاف الحركة عموماً وجعلها تابعة لهُ ، واتضحت صورة دخول الظاهر في الصراع بين قيادات الحشاشين عندما وقع الخلاف بين صاحب قلعة العليقة وهو صارم الدين مبارك بن الرضي والظاهر بيبرس وقد دفع ذلك الخلاف بصاحب قلعة صهيون للتوسط بينهما وأحضر صارم الدين لخدمة الظاهر الذي استغل ذلك الأمر "فقلده السلطان بلاد الدعوة استقلالاً وأعطاه طبلخانة وعزل نجم الدين حسن بن الشعراني وولده من نيابة الدعوة وتوجه صارم الدين إلى مصياف كرسي بلاد الإسماعيلية في سابع عشر جمادي الآخرة(*) وصحبته جماعة لتقرير أمره ويقال بل الذي قام في حقه الملك

(*) ومما يجدر في ذلك الخصوص ان بيبرس حين تولى السلطة أرسل إليه أبو المعالي ابن أبو منصور ، ونجم الدين بن الشعراني وكانا مقدمي الإسماعيلية – وهو ما يمكن معه القول ان قيادات الحشيشية لم تكن موحدة – أرسلا إليه بيد جمال الدين حسن بن ثابت وكان محتوى الرسالة التهديد والوعيد مطالبين بيبرس بما كان لهما من الاقطاعات في الدولة الناصرية والرسوم . ينظر : ابن شداد ، المصدر نفسه : 268–269 ، الداوردي ، كنز الدرر : 8/84–85 . وقد استخدم الملك الظاهر الحيلة في ضرب قيادات الإسماعيلية الحشيشية – نجم الدين إسماعيل والرضي أبو المعالي – حيث أغرى نجم الدين بقيادة الحركة بدلاً عن أبو المعالي والذي زعم الظاهر وفاته وأعطاه تقليداً يقضي بزعامة الحركة لكن نجم الدين حين عاد من عند الظاهر اكتشف ان أبو المعالي لم يتوفى فاخفى وكتم التقليد "فلم يلبث إلا عشرة أيام حتى مرض الرضي أياماً قلايل ثم مات فتولي مكانه فلم ترضى به الإسماعيلية فقتلوه ، وكان السبب في اخراج البلاد عنهم لأنه نقم عليه" . ينظر : ابن شداد ، المصدر نفسه : 269 ، ويتضح من هذا النص ان الظاهر كان قد دس للرضي أبو المعالي من قام بسمهِ وقتله فيما بعد ، وانهُ كان متأكداً من موته ولو بعد مدة ، وهو ما حصل بالفعل ، وقد أثمرت تلك الحادثة بأضعاف الحركة وتصفية زعمائها رغم ضعفهم وتشتتهم وقد أوقعت قيادة الحركة بشكل عام نفسها في خطأ جسيم حين اصطدمت بالملك الظاهر الذي طرح نفسه لقيادة الحركة بعد هزيمة المغول ، ولم تحسب حساب الزمن والأحداث المحيطة بها .

(*) يبدو ان ذلك كان سنة 670هـ/1271م .

المنصـــور(**) ... وانهُ شــفع فيه إلى ان عفي عنه الســلطان وحضـــر بهدية فأكرمه السلطان وكتب لهُ منشوراً بالحصـون كلها وهي قلعة الكهف والخوابي والمنيقة والعليقة والقدموس والرصافة ليكون نائباً عليها عن السلطان وكتب له بأملاكه التي كانت بالشام على ان تكون مصـياف وبلادها خاصـاً للسـلطان وبعث السلطان معهُ نائباً بمصـياف وهو الأمير بدر الدين(***) العديمي"[1] والرواية توضح ان بيبرس أصبح يولي من يشاء ويعزل من يشـــاء ، وكانت الحركة تعاني من خلافات ونزاعات حادة وصـــلت ســـنة 671هـــ/1272م إلى ان تمردت جماعة من الإسـماعيلية بقلعة القدموس على واليها وقتلوه ، وعلى من بقلعة المنيقة وقلعة الكهف "وكاتبوا مولانا(*) السـلطان وسـلموها لهُ ، فبعث إليها نائباً وكتب إلى من في القلعة في تسليمها على ان يعوضـهم عنهما إقطاعاً بمصر فأجابوا"[2] .

ويتضـح من هذه الرواية محاولات الملك الظاهر نقل الحشـاشـين باتجاه مصـر والسـيطرة على حصـونهم ، وكان الملك المنصـور صـاحب حماة يتوسـط بين الطرفين بتخويل من الملك الظاهر "بما وعد مرسلهم من الاقطاعات"[3] .

(**) وكان صاحب حماة قد كافأه الملك الظاهر بان أضاف إلى أملاكه بلاد الإسماعيلية . ينظر: العيني ، عقد الجمان : 133 ، وربما تكون تلك المبادرة ان خضـعت شـكلياً بلاد الإسـماعيلية لصاحب حماة الملك الأشرف وهو ما ذُكر ان الظاهر استقبل الملك الأشرف وصاحب حمص وتلقاهما بالاكرام وحياهما بالانعام وأرســـل إليها شـــعار الســـلطنة فزاد صـــاحب حماة بلاد الإسماعيلية . ينظر : المصدر نفسه والصفحة .

(***) بدر الدين العديمي : أحد مفاردة الشام . ينظر : المقريزي ، السلوك : 66/2 .

(1) المقريزي ، المصدر نفسه : 65/2-66 .

(*) يقصد هنا الظاهر بيبرس .

(2) ابن شداد ، تاريخ الملك الظاهر : 60 .

(3) المصدر نفسه والصفحة .

وكانت قبل ذلك أي في سنة 670هـ/1271م قد شهدت حدثاً أخر دل على ضعف(**) الحشاشين ففي تلك السنة في سادس عشر من شهر صفر قدم شمس الدين بن نجم الدين صاحب الدعوة الإسماعيلية فقبض عليه وعلى أصحابه – أي السلطان الظاهر – وسيروا إلى مصر واستمرت مضايقة حصونهم حتى "تسلم نواب السلطان حصن الخوابي وحصن العليقة"[1] ، ويبدو ان مصر كانت مقصداً لكل من ينفى من الحشاشين ، وهي محاولة ربما قصد منها الظاهر ابعادهم إلى هناك كون المنطقة بقيت لفترة طويلة تحت حكم الفاطميين الذين وقفوا موقف المعادي لهم بسبب قضية الإمامة – أي إمامة نزار – وكانت قائمة المبعدين إلى مصر ضمت أيضاً صارم الدين والذي تم تعيينه من قبل الظاهر زعيماً للحشاشين والذي تمرد على الظاهر فقبض عليه الأخير وأرسله إلى مصر سجيناً وهناك مات ربما مسموماً وأعيد تعيين نجم الدين الذي طرده الملك الظاهر من قبل[2] وكان نجم الدين حين عزل من منصبه قد وصل عمره تسعين سنة فعطف عليه الظاهر وولاه نيابة قلاع الإسماعيلية شريكاً لصارم الدين وقرر عليه حمل 120 ألف درهم في كل سنة[3] ، وربما قصد الظاهر من

(**) يبدو ان ذلك الضعف في أحد جوانبه كان بسبب الوضع العام الذي أشار إليه أبو الفداء وتحديداً بعد سنتين من تلك الحادثة 673هـ/1274م حيث تقدم المغول مرة أخرى نحو بلاد الشام "فجفل الناس" . ينظر : المختصر في أخبار البشر : 15/4 ، ولم يكن الظاهر ليفوت أية فرصة ليفرض سيطرته على كل المناطق التي دخلت ضمن نفوذه .

(1) أبو الفداء ، المصدر نفسه : 13/4 ، المقريزي ، السلوك : 76/2 ، هاشم عثمان ، تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام : 94 ، الحريري ، سيد علي ، الأخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط3 ، الزهراء للاعلام العربية ، القاهرة ، 1985م : 345 ، وللاستزادة ينظر : بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار : 47 .

(2) المقريزي ، السلوك : 65/2-66 ، لويس ، الحشيشية : 288 ، محمد كامل ، طائفة الإسماعيلية : 107-108 .

(3) المقريزي ، المصدر نفسه : 66/2 ، العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان : 206 .

تعيين أكثر من شـخص في قيادة الحركة لاسـتخدام بعضـهم ضـد البعض الأخر في حالة التمرد . كما ان تلك الضـرائب التي فرضـت شـكلت أحدى موارد المال للملك الظاهر فقد فرض على صـارم الدين أيضـاً ألفا دينار وعلى نجم الدين ما ذكرناه وتحولت الحركة تؤدي الأموال إلى الظاهر بعد ان كانت جابية لها[1].

تحول الحشاشـين وقوتهم بعد ذلك إلى قوة بيد الملك الناصـر[*] وهو ما أشـار إليه ابن بطوطة عند مروره[**] أثناء رحلته بقلاع الإسـماعيلية وحصـونها وقد وصـفهم بانهم يسمون بالإسماعيلية أو الفداوية[2] ، وقد طغت تسمية الفداوية بشكل عام على الطائفة ، وهو أمر لهُ مدلولاته عندما يكمل ابن بطوطة روايته وما قد أصبح عليه حال الحركة حيث يذكر انهم كانوا منعزلين ولا يدخل عليهم أحد من غيرهم "وهم سهام الملك الناصـر وبهم يصـيب من يعدو عنه من اعدائه بالعراق وغيرهم ولهم المرتبات ، وإذا أراد السلطان ان يبعث أحدهم إلى اغتيال عدو له أعطاه ديته فان سلم بعد تأتي ما يراد فهي له وان أصيب فهي لولده ولهم سكاكين مسمومة يضربون من بعثوا إلى قتله"[3][*] .

---

(1) المقريزي ، المصدر نفسه والصفحة .

(*) الملك الناصر : أبو الفتح محمد بن منصور سيف الدين قلاوون الصالحي وكان يعرف بالألفي لأن الملك الصالح اشتراه بألف دينا ذهباً وأصله من قفجق ولد سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل وهو السـلطان التاسـع من ملوك الترك بالديار المصـرية وخلع من الرئاسـة سـنة 694هـ/1294م . ينظر : ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة : 8/41-40 .

(**) وكان مروره بتلك الحصـون والقلاع سـنة 727هـ . ينظر : محمد كامل حسـين ، طائفة الإسماعيلية : 108 .

(2) رحلة ابن بطوطة : 93/1 .

(3) ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة : 93/1 ، الخشت ، حركة الحشاشين : 146 .

(*) وقد وقع محمد كامل حسـين في خطأ حين أشـار إلى ان هذه – أي رواية ابن بطوطة – ان قصـد بها الظاهر بيبرس والأصـح الملك الناصـر لان بيبرس كان قد توفي قبل هذا التاريخ . ينظر : طائفة الإسماعيلية : 108-109 ، ولعله أراد القصد بخلفاء بيبرس من المماليك .

والرواية تشابه إلى حد كبير روايات أغلب الرحالة الذين استقوا معلوماتهم عموماً من سماع أخبار الحشاشين من المحيطين ، لكن ذلك لا يعني ان الحركة كانت كسابق عهدها حيث تراجع بشكل كبير دورها وتأثيره في المنطقة ويرجع محمد كامل حسين ان بيبرس اعتمد على أحد الفداوية وكان اسمهُ "شيحة" وهو مدفون الآن بدمياط في مصر ، وقد أصبح أسمهُ مضرباً للأمثال والقصص الشعبية التي وضعها الملك الظاهر بيبرس حتى قيل "مثل ألاعيب شيحة"[1] . ولم يفكر بيبرس أو حتى خلفائه بالقضاء عليهم ، وحصل في بلاد المشرق على أيدي المغول . وربما تخوف بيبرس من سكاكين الفداوية ، وما يؤكد هذا القول تعرض بيبرس لمحاولة اغتيال حيث ألقي القبض على اثنين من الفداوية أتهما بانهما قد أرسلا لاغتياله ولقد قيل بأنهما ذهبا من حصن العليقعة إلى بوهيموند السادس صاحب طرابلس ، ومن هناك رتب لهما القيام باغتياله ، وقد أتهم بتلك المحاولة شمس الدين أحد قادة وزعماء الحركة ، لكن الظاهر أطلق سراحهم جميعاً[2] .

ولم يفت الظاهر وهو في تحالفه من الحشيشية ودخولهم في طاعته لأن يستخدمهم في تهديد الصليبيين وبث الرعب في قلوبهم – وربما استغل بذلك عملياتهم الجريئة ضد هؤلاء – حيث هدد الظاهر البرنس الصليبي والذي أخذ يتحذر من ذلك التهديد ولا يفارق منزله حتى امتنع عن الخروج للصيد الذي كان مولعاً به خوفاً على نفسه من الإسماعيلية[3] ، وبهذا صار يبعثهم لقتل من عاداه وناوأه بعد أو قرب[4] .

---

(1) المصدر نفسه والصفحة .

(2) لويس ، الحشيشية : 288 ، وربما يكون هؤلاء من المنشقين عن الحركة عموماً حيث ان تلك الفترة شهدت علاقات جيدة وطاعة للظاهر بيبرس بصورة عامة .

(3) الداوردي ، كنز الدرر : 158/8 ، وللاستزادة حول ذلك ينظر : تشارز ميلفيل ، أحياناً بالسيف وأحياناً بالخنجر، دور الإسماعيليين في العلاقات المغولية – المملوكية في القرن 14/8 ، منشور ضمن كتابة الإسماعيليون في العصر الوسيط لفرهاد دفتري : 255 وما بعدها.

(4) ابن شداد ، الملك الظاهر : 213 .

وبهذا الأســاليب المتعددة من الترغيب والترهيب والحصــار العســكري والمفاوضــات واستثمار المنازعات استطاع ان يحكم قبضته على قلاع الإسماعيلية[1]، وكذلك فان سنة 670هـ/1271م وما بعدها[2] قد شهدت تجدد غارات المغول وهي ذاتها السنة التي أصبحت فيها جميع قلاعهم – أي الحشاشين – تحت نفوذ الظاهر ورغم انهُ قضى على نفوذهم السياسي إلا انهُ كان قد تركهم بحالة مستقلة في إدارة شؤونهم الخاصة ، ولم يحاول استئصالهم ، وسمح لهم بالإقامة في ملاجئهم التقليدية في جبل البهراء تحت المراقبة الدقيقة للنواب المماليك[3] ، وهو ما أشــار إليه ابن بطوطة في رحلته والتي سبق الإشارة إليه . اما بخصوص ما ذكره المقريزي من ان استيلاء الظاهر على قلاع الإســماعيلية كان قد دفعه لإقامة صــلاة الجمعة في قلاعهم "وأظهرت شــرائع الإسلام وشعائره"[4] ، فلا يوجد ما يشير إلى ان الإسماعيلية ، كانوا قد امتنعوا عن إقامة تلك الشعائر أو غيرها من شعائر الدين ، وقد ذهب ابن شداد إلى ان الظاهر بني في قلاعهم الثمانية التي اســتولى عليها ثمانية جوامع ، ورتب فيها أيمة ومؤذنين وقومة "وكانت لا تعرف الصلاة فيها البتة من ملكوها"[5] ، وفي الاعتقاد فان هذا الرأي تنقضه الوقائع والروايات ومضافاً إلى ما أوردناه من الكثير منها والتي تذكر انهم كانوا كباقي المسلمين ، نذكر ان الحشاشين كانوا قد انشقوا عن الفاطميين وحاولوا تقليدهم ، فكيف امتنعوا عن إقامة الصلاة والفرائض الأخرى ، اما بخصوص المساجد وبنائها فقد دلت بعض المكتشــفات الحفرية عن بناء جامع في عهد راشــد الدين ســنان في قلعة

---

(1) ينظر للاســتزادة : العيني ، عقد الجمان : 213 ، وكذلك دفتري ، الإســماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 655 ، ويذكر فيها كيف سيطر على حصن العليقة بالخديعة وكان صارم الدين هو المسؤول عن ذلك الحصن وكان ذلك سنة 669هـ/1270م .

(2) وبعد ذلك بسنة واحدة ثم فتح بقية حصــون وقلاع الحشيشية كالكهف والمنيقة والقدموس . ينظر : بيرس المنصور ، مختار الأخبار : 49 ، والعيني ، المصدر نفسه : 224 .

(3) دفتري ، المصدر نفسه : 656 .

(4) السلوك : 83/2 .

(5) تاريخ الملك الظاهر : 358 .

العليقة والذي تهدمت جدرانه فلم يبق منه في الوقت الحاضر سوى الأقواس المتقاطعة(1) .

وقد استمرت العلاقة الوطيدة بين الحشاشين والمماليك حتى بعد وفاة الملك الظاهر ، وكانوا رعايا تحت حكم المماليك وهو ما أعطى الحشيشية بلاد الشام فرصة للمحافظة على هويتهم وتقاليدهم وممارستها عكس ما حصل لأخوتهم في بلاد المشرق(2) ، ومنذ ذلك التاريخ فصاعداً انقطعوا عن الاتصال ببعضهم وركدت الإسماعيلية سياسياً وباتت مجرد أقلية في بلاد فارس وبلاد الشام(3) .

وقد حاولوا ربما استعادة بعضاً من أمجادهم حين تمكنوا سنة 674هـ/1275م من الاستيلاء على قلعة الموت في بلاد المشرق ولكن لفترة قصيرة وفشلوا في إعادة أمجادهم القديمة(4) .

المبحث الثالث
النزعات الفكرية عن حركة الحشاشين

- الجويني ومكتبة الموت :

كان الإسماعيلية قد اهتموا بالفلسفة والتعلم ، ولابد وانهم حاولوا عموماً تقليد الفاطميين ، ان لم يكن مضاهاتهم في اقتناء الكتب وفي إنشاء مكتبة على غرار دار الحكمة(*) الموجودة في القاهرة ، والمكتبة التي أنشأها النزاية كانت في امنع قلاعهم

---

(1) خضور ، أهم القلاع الإسماعيلية في سوريا : 148 .

(2) دفتري ، الإسماعيليون تاريخ وعقائدهم : 656 .

(3) لويس ، الحشيشية : 289 ، رحاب عكاوي ، الحشاشون : 198 .

(4) رحاب ، المصدر نفسه والصفحة ، وللاستزادة حول ذلك ينظر : ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 90-91 .

(*) دار الحكمة : من المراكز الثقافية بمصر والتي أسسها الحاكم بأمر الله سنة 395هـ وأطلق عليها هذه التسمية رمزاً إلى الدعوة الشيعية لأن مجالس الدعوة كانت تسمى مجالس الحكمة، وقد زود الحاكم هذه الدار بمكتبة عرفت باسم دار العلم ، ضمت الكثير من الكتب في سائر العلوم والآداب من فقه ولغة

وهي الموت ومركز حكم باقي القلاع ويكاد الجويني المؤرخ الوحيد الذي شـــاهد واطلع على تلك المكتبة من الذين نقلوا إلينا قســـماً من محتوياتها وفي ذلك يقول "حين كنت على ســفح لمســر ، دفعني الهوى إلى مطالعة مكتبتهم الذائعة(**) الصــيت . فذكرت للملك ان مثل هذه المكتبة(***) لا ينبغي ان تضــيع . فقبل الملك هذا الكلام ، وســمح لي بالاطلاع عليها"[1] .

لا يمكن بالطبع ان تكون مكتبة الموت مشـابهة لمكتبة الفاطميين في عدد كتبها أو حتى في مسـاحتها ربما لان دولة القلاع لم تكن دولة بالمعنى العام[2] ، لكن ذلك لا يعني ان تلك المكتبة التي جمعها النزارية ومنذ أيام الحسـن الصـباح أي لمائة وسـبعين عام[3] ، كانت توازي دار الحكمة في مكانتها بين النزارية .

ونحو وكيمياء وطب وســـمح لجميع الناس بالتردد عليها ، ينظر للاســـتزادة : المقريزي، الخطط : 158/1 ، د. محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1995م : 155-156 .

(**) "أو التي اســتطار صــيتها في الأقطار" ينظر : العلي ، علاء الدين وكتابه جهان كشــاي (رســالة ماجستير) : 117 بحسب الترجمة من اللغة الفارسية .

(***) وقد ذكر الأسـتاذ تامر نقلاً عن مصــادره ان مكتبة الموت كانت تحتوي على مليون مجلد عدا عن آلات الرصـد والاسطرلابات والتقاويم وغير ذلك . ينظر : عارف ، الغزالي بين الفلسـفة والدين، رياض الريس للكتب والنشــر ، (لندن – 1987) : 38 ، ولم أجد في أكثر المصــادر التي اطلعت عليها أي رقم لعدد تلك المخطوطات ولم يشــر الجويني صــراحة لعدد الكتب التي ضــمتها تلك المكتبة ، وربما يكون الأستاذ تامر قد استقى معلومات من مصادر متأخرة قدرت حجم تلك المكتبة ومخطوطاتها والتي لم يشر الجويني إلى تلك التفاصيل عنها.

(1) الجويني ، فاتح العالم : 353/2 ، ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 86-87، العلي ، علاء الدين الجويني : 117 .

(2) العزاوي ، دولة النزارية : 296 .

(3) العلي ، علاء الدين الجويني : 118 .

ولم يكن بأي حال ان الحسن نفسه كان معتكفاً في قصره ولم يخرج سوى مرتين طيلة حياته في الموت "وكان بقية أوقاته معتكفاً في قصـــره على مطالعة الكتب"[1] ، وقد كان ملتزماً بتدوين تعاليم الدعوة كتابةً ومشرفاً على إدارة شؤون مملكتهُ[2] . وهو ما كان جزءًا من ذلك النتاج لتلك المكتبة .

ويبدو من خلال ما نقله الجويني ان هناك إشارات عن تلك المكتبة وما فقد منها حتى قبل غزو هولاكو ، ولو بصـورة غير مباشـرة فحين تحول جلال الدين عن اعلان القيامة وطلب اعيان مدينة قزوين الاطلاع على كتب الحســن وأســلاف جلال الدين والتي بحســب زعم الجويني "انها تتضــمن مذهب الإلحاد والزندقة التي خالف عقائد المسـلمين . غير ان جلال الدين أمر باحراقها بحضـور أهل قزوين"[3] ثم يشـير انهُ – أي الجويني – وأثنـاء تجولـه في مكتبـة الموت "وأثنـاء مراجعتي للكتـب عثرت على تاريخ[*] الجيل والديلم المصـــنف باســم فخر الدولة البويهي"[4] ثم يتطرق بعد ذلك لمعلومات حول هذا الكتاب وما يحتويه[5] ويعود لحديثه عن ما قام هو باخراجه من تلك المكتبة فيقول "فانتقيت منها المصــاحف والنفائس خوف عدمها ، على مثال چپ پ

---

(1) الجويني ، فاتح العالم : 319/2 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ (قسمت اسماعيليان) : 176، كاشاني ، زبدة التواريخ : 168 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 336/2 .

(3) الجويني ، المصـدر نفسـه : 336/2 ، قزويني ، لب التواريخ : 217 . وقد يكون ذلك الحدث مما أضاع بعضاً من تراث الحسن الصباح .

(*) يبدو انهُ من الكتب المفقودة ، وقد اسـتفاد منه الجويني ونقل منه نبذة في تاريخ الاصــقاع . ينظر : حسن الأمين ، الإسماعيليون والمغول : 136 .

(4) الجويني ، المصدر نفسه : 353/2-354 .

(5) الجويني ، فاتح العالم : 353/2-354 .

پ پچ(*) كما أخذت آلات الرصد من ذات الكراسي(**) وذات الحلق والاصطرلابات التامة والنصفية الشعاع مما كان موجوداً , اما باقي الكتب والآلات مما يتعلق بضلالتهم وغوايتهم فقد أحرقته ، مما هو منقول أو معقول ، وأفرغت من الخزائن كل ثمين من أجناس الذهبيات والفضيات الكثيرة حتى تركت الخزائن خاوية "اما يا صفراء أصفري ويا بيضاء أبيضي"(***) ثم وزعتها"(1) .

ومن نافلة القول ان المؤرخ الجويني نقل لنا نتفاً عن ذكر تلك المكتبة ، وكانت المرجع الأهم لكل تاريخ تلك الفترة فهناك الكثير من المؤلفات التي لم تسلم من الحرق والنهب وبالتأكيد لم يسلم من تلك الآثار إلا النسخ التي كان يمتلكها أفراد يسكنون في مناطق بعيدة وهذه النسخ شاعت أخيراً وتداولتها الأيدي وأصبحت فيما بعد عرضة للنسخ والتحريف والتلاعب وهكذا ضاعت الحقيقة في طياتها(2) .

اما ما كان قد اهتم به النزارية بصورة عامة لاسيما في حقبة حكم جلال الدين حسن الثالث – والذي أحرقت في عصره بعض نتاجات الحسن الصباح وأسلافه – فهو تصنيف الكتب حيث أمر الإسماعيليون النزاريون مثل الفاطميين من قبلهم بتصنيف أخبار رسمية ، تدون أحداث دولتهم في فارس ، وفقاً لفترة حكم أسياد الموت

(*) سورة الأنعام ، الآية 95 .

(**) زيادة للإطلاع حول تلك الآلات والتي كانت تستخدم في رصد النجوم والتنجيم . ينظر : الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت380/990م) ، مفاتيح العلوم، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت : 135 .

(***) من كلام الإمام علي "عليه السلام" . ينظر : ابن حيون ، شرح الاخبار : 363/2 ، الزمخشري ، محمود بن عمر بن محمد (ت538هـ/1143م) ، الفائق في غريب الحديث ، ط2 ، تح : علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت : 304/2 .

(1) الجويني ، فاتح العالم : 353/2–354 ، د. مصطفى غالب ، اعلام الإسماعيلية : 290 .

(2) عارف تامر ، تاريخ الإسماعيلية : 176/4 .

المتعاقبة[1] ، ويتضـــح أكثر انها ضـــمت مجموعات من الكتب الإســـماعيلية وغير الإسماعيلية ، وكانت هناك مكتبات أخرى في قوهستان وسورية ، يبدو انها حوت كتباً على غرار ما موجود في الموت[2] .

ورغم ذلك فان ايفانوف والذي زارقلعة الموت ووصـــف جغرافيتها وقام برســـم مخطط تقريبي لخارطة القلعة معتمداً في ذلك على روايات ومصـــادر ووثائق بحوزته ، ومع ذلك لم يفلح على ما يبدو في تحديد مكان المكتبة داخل القلعة ، أو خزانة الكتب التي حوت ذلك الجهد[3] .

- النتاج الفكري عند الحشاشين :

بقيت علوم الدين بشكل كبير موضـوع اهتمام مركزي للفكر الإسـماعيلي ، وقد لعبت دوراً رئيساً في تعاليمهم ، ليس على انهُ كلام شـاركت الجماعات الإسـلامية كلها في صـياغته ، ولكن كتقليد أيضـاً أثر في الأنشـطة الفكرية الأخرى لهذه الجماعة[4] . وقد تميز تاريخ الحركة الطويل بالسرية في أقوالها وأعمالها ، بسبب الخوف والاضطهاد ، ونتج عن ذلك ان بقيت الحركة ردحاً طويلاً من الزمن مخفية عن الناس ، وكانت المعلومات عنها مستمدة من مؤلفات خصـومها ، وذلك ولا ريب يبقى ان نظرة الخصـم إلى خصـــمه هي نظرة الاحتقار والكره والازدراء[5]. ومع ذلك كله كانت الإســـماعيلية قادرة على ان تترك لها أثراً حتى قبل ان تصـــل إلى الخلافة – المقصـــود الفاطمية –

---

(1) فرهاد دفتري ، الإسماعيليون في العصر الوسيط : 17 .

(2) المصدر نفسه ، والصفحة .

(3) ايفانوف ، الموت ولاماسار : 27–88 ، وراجع كذلك : 126 مخطط لخريطة الموت .

(4) دفتري ، المصدر نفسه : 235 .

(5) نوح ، الإسـماعيلية بين خصـومها وأنصـارها : 49 ، هالم كوزمولوجية الإسـماعيلين من العهد الفاطمي ، منشور ضمن الإسماعيليون في العصر الوسيط : 83 .

وكان ذلك الأثر قد أظهر نوعاً جديداً من نزوع الفكر ليلائم بذلك مستجدات ومتغيرات مرحلة جديدة عرفتها في طورها وكان ذلك الأثر هو ما قيل عن القرن الرابع الهجري الذي بدأ باعلان الخلافة الفاطمية في المهدية والذي سبقه قبل ذلك دائرة المعارف والموسوعة العظمى التي وضعها "أخوان الصفا" ، يمكن جداً "ان نطلق عليه القرن الإسماعيلي" في تاريخ الإسلام[1] .

وقد نوهنا لأهمية رسائل أخوان الصفا وأهميتها عند الإسماعيلية وقد نوه أحد المستشرقين لأهمية تلك الرسائل عند الحشاشين مستنداً بذلك إلى مخطوط وجد في سوريا بمصياف وان الحشاشين كانوا يكنون في حقيقة الأمر تقديراً عالياً لتلك الرسائل[2] .

استند الحشاشين عبر تاريخهم الطويل منذ امتلاكهم لقلعة الموت حتى توسعهم في بلاد الشام إلى إرث كبير وتاريخ طويل من النتاج الفكري والأدبي الثر الذي أنتجته الحركة الإسماعيلية وكان ان تتوج ذلك الإرث بما عُرف عند الخلافة الفاطمية بـ(دار العلم) التي أنشئت في زمن الحاكم بأمر الله والتي سميت خطأ بـ(دار الحكمة" لأن الحكمة حسب ما ذكر الأستاذ هالم قد فهمت بصورة عامة على انها العلم الباطني الإسماعيلي الخاص الذي كان يأتي من الإمام عبر الدعاة وكانت مؤسسة الحاكم تلك لم تخدم الدعوة وحسب بل خدمت حتى أولئك الذي اختصوا بالعلوم الدنيوية[3] . وقد لعبت تلك المجالس التي كانت تعقد داخل دار العلم بالمجالس المؤيدية نسبة إلى

---

(1) ماسينيون ، المتنبي ازاء القرن الإسماعيلي : 9 . ربما تكون هذه النظرة هي ما أشار إليها الأستاذ مروة عندما ذكر ان المؤرخين والباحثين والمحدثين أشاروا إلى ان القرن الرابع الهجري كان عصر (أخوان الصفا) ، والذي أشرنا إلى ان الدراسات أشارت إلى إسماعيليتهم. ينظر : النزعات المادية : 270/3 .

(2) هالم ، كوزمولوجية الإسماعيليين : 84 .

(3) هالم ، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم : 116 .

المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي أشهر فلاسفة المذهب الإسماعيلي دوراً مهماً في بيان فلسفة الإسماعيلية والحشيشية من بعدها ، وقد تعرضت تلك المجالس بصورة عامة لعقائد الحركة الإسماعيلية في إيجاز لأسباب ليس أقلها محاولة لتسهيل ذلك على المتلقي للدعوة الإسماعيلية[1] ، وعرفت كذلك مجالس أخرى سميت بالمجالس المستنصرية والتي تضمنت محاضرات ألقاها كبار الدعاة في الحكمة التأويلية والتي كانت تعقد أسبوعياً فكان الداعي يكتب هذه المجالس ويرفعها إلى إمام عصره أسبوعياً فيوقع عليها الأخير بعلاقته ويخرجها إلى الداعي ليقرأها على جمهور المستجيبين فتنسب المجالس دائماً إلى الإمام[2] .

وقد استند الحسن بن الصباح على ذلك الجم الوفير من الكتب الإسماعيلية وتزود عند زيارته لمصر وبقائه بها بالكثير من علومها ومعارفه[*]ا وكان ذلك الإرث يشكل الجزء الأكبر عند الحسن وأعوانه على الرغم من التقاطع السياسي مع الفاطميين إلا ان ذلك لم يكن ليعني تقاطعاً فكرياً أبداً .

كان الحسن الصباح عند صعوده لقلعة الموت قد عكف على الدرس والقراءة، وحسب رواية الجويني فانهُ لم يخرج من داره سوى مرتين طيلة إقامته وهي خمس وثلاثون سنة[3] ، وسواء صحت تلك الرواية أم لا فانها تشير إلى تفرغه للبحث والدرس ، وكانت نتيجة أبحاثه تلك بعضاً من المؤلفات ، ربما كانت قاعدة وأساساً لمن جاءوا

---

(1) ينظر : مقدمة كتابه المجالس المؤيدية : 5 ، تح : محمد عبد الغفار .

(2) ينظر : المجالس المستنصرية : 7 من المقدمة ، سيد ، الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد : 573 وما بعدها .

(*) وقد درس هناك دروس في مجالس الحكمة وتفسير وشرح رسائل أخوان الصفا والفلسفة الإسلامية للفارابي وابن سينا وغيرهم واتقن الفلسفة الافلاطونية المحدثة . ينظر : الحمد ، الافلاطونية المحدثة والتوحيد الإسماعيلي : 188 .

(3) فاتح العالم : 319/2 .

من بعده من زعماء الحركة ، وربما بعض أدباءها والذي يشــكل البحث عن أدبهم ربما البحث عن ابرة في كومة قش لان جل أدبهم كان قد أتلف أبان الغزوات ولم يكن ذلك الذي بقي ووصــل إلينا وهو القليل يشــير في غالبيته إلى الأمور العقائدية في محتواها وهي لا توفر إلا معلومات تاريخية قليلة[1] .

مع ذلك كله فقد نُقلت إلينا بعض من كتب الجويني من خلال بعض من نقل عنهُ ، كذلك نقل عن أفكار الحشـيشـية أيضـاً مؤرخين مثل الشـهرسـتاني والغزالي[2] ، وكانت مجمل كتابات الحســن تدور حول عقيدة التعلم من الإمام والتي اكســبت فرقة الحشاشين اسماً وهو التعليمية[3] ، وفي العموم يمكن القول ان علم اللاهوتيات قد بقي بلا ريب المحطة الرئيســة للفكر الإســماعيلية ليس في تعاليمهم بل أيضــاً كتحدار أو منهج مؤثر على النشاطات الفكرية لهذه الجماعة[4] .

وبعموم الحال فأن قلة المصادر عن نتاج الحشاشين الفكري كان السمة البارزة في عهد الموت ، ويرى ايفانوف ان اعلان القيامة الكبرى في سـنة 558هــــ/1162م سبقتهُ مرحلة من الصمت دامت سبعين عاماً ، لم يكتب خلالها النزاريون شيئاً والمذهب الذي قدمه الحســن الثاني يوم القيامة الكبرى ما هو إلا اســتعادة للدراســات الســرية والمناقشات التي أدارها الدعاة ومؤلفو الكتب[5] . ويمكن القول ان دعوة الحسن الصباح

---

(1) حســين ، دراســة في تاريخ الفاطميين وعقائدهم : 1 ، ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 29 .

(2) ينظر : ص من الدراسة .

(3) الملل والنحل : 1/195-198 ، فضــائح الباطنية : 73-131 ، فاتح العالم : 307-310 ، ابن كثير ، البداية والنهاية : 11/62 .

(4) دفتري ، الحياة الفكرية بين الإسماعيليين ، نظرة عامة منشور ضمن كتاب المناهج والأعراف العقلانية : 141 .

(5) سميرة بن عمر ، أيدلوجيا الإرهاب الفدائي : 61 – 62 .

– الجديدة – ما هي إلا نسـخة عن أفكار الإسـماعيلية[*] والتي نوهنا لها في الفصـل الأول وبشـيء من التفصـيل ، ورغم ان علاقة الحسـن بالفاطميين كانت قد قطعت إلا انهُ ومن خلفه ربما حاولوا محاكاتهم في الاهتمام بالفكر والأدب[1] .

افلحت دعوة الحسن الصباح بالبقاء طويلاً فكرياً وعقائدياً ، فقد اندرست الدعوة الإسـماعيلية في المغرب وزال بزوال سيطرتها السياسـية وبصـورة كبيرة أثرها العقائدي والفكري ، وعلى العكس كانت دعوة الحســـن قد حققت نجاحاً فكرياً وعقائدياً رغم الاخفاقات الكثيرة التي تعرضـــت لها ، واندمج رجال الحركة في كثير من الأحيان مع الأنظمة القائمة وهادنوا خشية الملاحقة والمواجهة وركزوا جل جهدهم في العمل الفكري ، حيث نجحوا في جذب عدد من العلماء والمفكرين وصـــار لهم نفوذ قوي في عدد من المراكز العلمية ، وانتهى بهم الأمر إلى ان سـيطروا على السـاحة الفكرية ردحاً طويلاً من الزمن[2] ، وربما يصح ذلك القول على فترة ما بعد الموت كما سنرى .

فضـــلاً عن ذلك ان الحشـيشـية بقت طيلة فترة وجودها – الا فترة قليلة – في وســط معادٍ لكن ذلك لم يكن ليعزلها عن الإطلاع على ثقافات الآخرين[3] ، وهي ميزة ربما أكسبتهم البقاء والتستر ، وقد دفعت تلك الظاهرة لبعض مؤرخي العصور الصليبية

(*) وقد أشار لذلك الشهرستاني عند حديثه عن الدعوة الجديدة قائلاً – أي دعوة الحسن الصباح– "ثم ان أصـحاب الدعوة الجديدة تنكبوا هذه الطريقة حين أظهر الحسـن بن محمد بن الصـباح دعوته وقصـر على الالزامات كلمته" . الملل والنحل : 195/1 ، والمقصـود ان هذه الطريقة ما هي محاكاة لعقائد الدعوة القديمة .

(1) العزاوي ، دولة النزارية من خلال المصادر الفارسية : 38 .

(2) نزار ، أسـرار فرقة الحشـاشـين : 49–51 ، وهو ما نوهنا لهُ نقلاً عن ماسـينيون الذي ذكر ان القرن الرابع الهجري ، كان قرناً إسماعيلياً .

(3) الحمد الافلاطونية المحدثة : 187 .

لان يتهموا راشد الدين سنان مثلاً بانهُ حاول اعتناق المسيحية وانهُ أطلع على كتب تلك الديانة[1] .

حاول الحسـن الصـباح ان يؤسـس للدعوة الجديدة فكراً[*] جديداً وقاعدة يسـتند عليها ، فألف كتاباً بعنوان الفصـول الأربعة نقل منه الشـهرسـتاني تلخيصـاً مهماً ، وتتضح من الذي نقل انهُ حاول تفنيد آراء الآخرين "ثم ذكر فصولاً في تقرير مذهبه اما تمهيداً أو اما كسراً على المذاهب وأكثرها كسر والزام واستدلال بالاختلاف على البطلان على الحق منها فصـل الحق والباطل الصـغير والكبير يذكر ان في العالم حقاً وباطلاً ثم يذكر ان علامة الحق هي الوحدة وعلامة الباطل هي الكثرة وان الوحدة مع التعليم والكثرة مع الرأي والتعليم مع الجماعة والجماعة مع الإمام والرأي مع الفرق المختلفة وهي مع رؤسائهم"[2] .

وعلى الرغم من ان الحسـن عكف لسـنين طويلة على الدرس والتأليف لكن ما وصـل إلينا نصـوص متفرقة كالذي أوردناه أعلاه نقلاً عن الشـهرسـتاني ، وبالإمكان الافتراض ونقلاً عن ما أوردهُ الجويني وغيره ان للحسـن كتابات كثيرة لم تفلح بالبقاء أو الوصول لما تعرضت إليه من الضياع والاتلاف .

---

(1) الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية : 2/966-967 ، مسيحيون ومسلمون : 40 .

(*) والمقصـود هنا تميزاً عن الفاطميين ويرى دفتري ان الكتاب غير الإسـماعيليين قد اعتقدوا ان الفرس ادخلوا دعوة جديدة بالمقابل مع الدعوات القديمة للإسـماعيليين ولم تكن تتضـمن تلك الدعوة صياغة لأية مجموعة جديدة من العقائد بل بالأحرى إعادة صياغة عقيدة قديمة سبق لها ان أصـبحت ذات تاريخ طويل عند الإسـماعيلية وكان الذي عرض تلك العقيدة هو الحسـن الصباح ولم يكن هو موجودها على الأرجح . ينظر : دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 569 .

(2) الملل والنحل : 1/196-197 .

وبعموم الحال فقد أحدثت عقيدة التعلم تلك التي أثارها الحسن جدلاً كبيراً وكانت الكثير من المؤلفات تدور حولها مناقشةً إياهاً ومن ثم أصبح اسم الحسن وفرقته رهناً بتلك العقيدة(1) .

أصبح الحسن شخصاً ذا أهمية عملية في تاريخ الحركة ، وقد نجح نجاحاً كبيراً في المحافظة على أرواح المنتمين وزيادة عددهم ، وربما تكفي بعض الإشارات لإعطاء صورة عن مكانة الحسن وخبرته يذكر عماد الدين الأصفهاني عند حديثه عن الإسماعيلية ورجالها بانهم كانوا معه "وكانوا معنا في المكتب ، وأخذوا حظاً وافراً من الفقه والأدب . وكان منهم رجل من أهل الرأي ساح في العالم وكانت صناعته الكتابة"(2) ، هكذا تتضح صورة الحسن الصباح التي عكفت على الدراسة والتأليف بعد استقراره بالموت وهي صورة يرفضها ايفانوف ويرى ان الحسن لم يترك أي نتاج فكري مستنداً بذلك إلى انهُ كان ينتمي إلى الطبقات الفقيرة من أهل الري طبقة العمال وصغار التجاري ويرى انهُ لم يعثر على كتابات للحسن(3) ، وهذا الأمر تنفيه الأحداث والوقائع والأفضل الاعتراف بضياع تلك المؤلفات بدل الافتراض بان الحسن لم يترك نتاجاً فكرياً ، وبعموم الحال فقد تأثر بذلك التيار الكثيرين ممن أصبحوا في مواقع القيادة أمثال الوزير انوشران بن خالد الذي استوزره الخليفة العباسي المسترشد وكان قبله قد استيزر من قبل السلطان السلجوقي محمود بن محمد بن ملكشاه وكان من عقلاء

---

(1) الشهرستاني ، الملل والنحل : 195/1-197 ، ابن الجوزي ، تلبيس إبليس : 128-132 ، الجويني ، فاتح العالم : 307/2-310 ، رشيد الدين ، جامع التواريخ : 105-107 ، كاشاني ، زبدة التواريخ : 142 . وينظر كذلك : فخر الدين الرازي ، محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن (ت606هـ/1209م) ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م : 69/4-75 .

(2) تاريخ دولة آل سلجوق : 62 .

(3) Alleged Founder of Ismailism , p. 140 .

الرجال ودهاتهم فيه دين وحلم وجود "مع تشـيع قليل"[1] كان منبعه ان تعرف على قادة من الإسـماعيلية وتلقى العلم على بعضـهم ويذهب الأسـتاذ غالب انهُ تتلمذ على يد الحسن الصباح[2] .

كانت الإسـماعيلية كما ذكرنا قد برعت عموماً بنتاجها الفكري الفلسـفي وقد دعموا معتقداتهم بنظريات فلسفية وتأويلات باطنية ، وأصبحت الفلسفة وسيلة بنظرهم لتقييم العقيدة وطريقاً لتكشـف جوهر الخالق والدين[3] وما يفيدنا بهذا الرأي ان الكثير من دعاتهم ورجالهم استطاعوا ان يحولوا أفكارهم الفلسفية والعقائدية إلى اشعار أغنت الثقافة العربية ، وقد شـاعت آنذاك صـناعة الأراجيز في العهد الفاطمي واسـتعملت للدعاية والتعبير عن المواضـيع الفلسـفية والتعاليم العقائدية ، وقد نظم على هذا الوزن شعراء كثيرون ودعاة منهم القاضي النعمان بن حيون ، وهبة الله الشيرازي وآخرون[4] ، وكانت تلك العقائد والأراجيز والدواوين الشـعرية إنما تمثل صـورة أخرى مضـافة إلى الأدب الإسـماعيلي ، ولابد ان ما فقد من ذلك الأدب يزيد أضـعافاً مضـاعفة عن ما وصـل إلينا[5] ، وذلك يصـح على الإرث النزاري فمثلما دمر المغول مكتبة الموت الشـهيرة ، فقد تعرض الإرث الإسـماعيلي النزاري في بلاد الشـام كذلك إلى التخريب والحرق والضـياع ، ولو بعد ما تعرض لهُ إرث أخوتهم في بلاد المشـرق ، وكان ذلك

---

(1) ابن العماد العكبري ، شذرات الذهب : 101/4 .

(2) غالب ، الثائر الحميري : 35 .

(3) غالب ، اعلام الإسماعيلية : 30-31 .

(4) عارف تامر ، الإسماعيلية ، بحث ضمن كتاب الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية : 73-74 .

(5) مثال على القاضـي النعمان ابن حيون الذي حول ليس الأفكار وإنما الأشـعار إلى أراجيز . ينظر : الأرجوزة المختارة في الإمام : 29 وما بعدها ، ينظر كذلك : المؤيد في الدين ، ديوان المؤيد : 69 وما بعدها ، وقد حول عقائد الإسـماعيلية كذلك إلى أشـعار ، وينظر كذلك: علي بن حنظلة ، سمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية : 21 وما بعدها .

سنة 1339هـ/1920م حينما هاجم النصيريون مدينة القدموس ، وأمر زعيمهم الشيخ صالح العلي أتباعه ان يجمعوا كتب الإسماعيلية في المدينة ثم أمر بحرقها ، حتى لا يستفيد منها أحد وهكذا قضى على المكتبة الإسماعيلية في سوريا(1) .

والجدير بالذكر فقد عانت الحركة الإسماعيلية عبر تاريخها الطويل من الانقسامات ، التي اختلفت في شخص الإمام وكان هذا الخلاف قد أدى إلى تبلور فكري لدى الجميع مع الزمان والمكان ، فنشأت طروحات فكرية وفلسفية ومفاهيم حياتية ودنيوية ودينية مختلفة(2)(*) . كان من شأنها ان أغنت الفكر الإسماعيلي وجعلته فكراً خصباً ينتج الجديد دائماً ، على الرغم من ان الفرق جميعها التي انشقت عن الإسماعيلية كانت طروحتها تدور في الغالب عن الإمام وشخصه كما ذكرنا وان "لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويل"(3) . وهو ما نراهُ عند مطالعة الأراجيز الشعرية والفكر الإسماعيلي قد شكل المحور الأساس لتلك الأفكار . ورغم ان البعض كان يرى ان الحسن الصباح وبنظريته حول أصل التعليم المستلزم لانقياد الناس للمعلم أو الإمام

---

(1) غالب ، أعلام الإسماعيلية : 76-77 .

(2) خضور ، موجز التاريخ الإسماعيلي : 20 .

(*) أتضح ذلك مثلاً بما نقلهُ الأستاذ مروة عن طروحات الإسماعيلية فيما يخص الإمامة والذي قالت به أغلب الفرق الإسلامية ، واختلفت نظرتها تباعاً للإمام ، وصفاته فقد وضعوا جملة صفات يجب ان تجتمع في الإمام ، ومنها ان تجتمع فيه ست وأربعون من الصفات ثم يقررون انهُ ان لم "يتفق ان تجتمع تلك الخصال في واحد [أي شخص واحد] لكن متفرقة في جماعتهم ، اجتمعت تلك الجماعة على رأي واحد وتألف قلوبهم على محبة بعضهم بعضاً" ، وهو من الطروحات التي انفرد بها الإسماعيلية ولابد ان تلك الصياغات كان تتبع الواقع المعاش أكثر من أي أمرٍ آخر . ينظر : النزعات المادية : 477/2 .

(3) الشهرستاني ، الملل والنحل : 192/1 ، البقاعي ، مصرع التصوف : 33 ، لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 16 .

كان قد ناقض ما قامت عليه نهضـــة أخوان الصـــفا والإســـماعيلية الأولى من تكريم للعقل[1] .

ان ذلك الرأي وان صح في أول عصر الحسن بن الصباح للظروف التي مرت بها الحركة ، فان ذلك لم يكن لينطبق على كل الأوقات وهو ما أشـــارت إليه الروايات مثلاً بخصوص نور الدين محمد الثاني (561هـ-607هـ/1165م-1210م) والذي كان حاكماً على قلعة الموت ، حين كان متعمقاً بدراسـة الفلسـفة ونظرياتها وذُكر انه سـجل في فصـــول كتبه اصــطلاحات الفلاسـفة ، وأورد بعض نكاتهم متشـبهاً بالحكماء بل مضـارعاً لهم "وقد مزج ألفاظه ومعاني كلامه بالعربية فملأها بالحكم والتفسير والأخبار والأمثال والأشـعار"[2] . وقد يكون ذلك جرياً على عادة بعض دعاة الإسـماعيلية مثل كتاب الزينة لأبي حاتم ، الذي اختفت فيه عقيدة الإســـماعيلية ولم تكن ميوله للمذهب الفاطمي لتخفى على من لهُ إلمام بمبادئ هذه الدعوة[3] والتي اتضـــحت في أثناء هذا الكتاب ، وربما كانت للأجواء المحيطة بنور الدين ذلك أثرها في إنتاجهِ الفكري حيث الثقافة الفارســـية كانت قد بلغت ذروتها في عهد نور الدين فقد عاصـــره كثير من الفلاسفة والشعراء والأدباء والفقهاء[4] .

- أدب الحشيشية وبعض من مؤلفاتها :

لم يكن دعاة الإسـماعيلية – الحشـيشـية – بسـبب ما تعرضـوا لهُ وهم خارج أراضـــي دولتهم من التخفي وكونهم كانوا يعملون في مناخات معادية . ميالين إلى

---

(1) للاستزادة ينظر : رشيد الدين ، جامع التواريخ (قسمت اسماعيليان) : 127 ، الاجيني ، فهرسة المجدوع : 2 .

(2) الجويني ، فاتح العالم : 334/2 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، جلد جهارم : 222 .

(3) كتاب الزينة : 26 من المقدمة .

(4) ينظر : الفصـل الثالث من الدراسـة تحت عنوان نور الدين محمد الثاني بن حسـن الثاني بن بزرك أميد : ص 281 . وللأسـف فان هؤلاء الشـعراء والفلاسـفة وغيرهم الذين عاصـروا نور الدين لم نعثر على ذكر لشخصياتهم وأسمائهم أو حتى إشارة لهم .

تصنيف الحوليات أو غيرها من أنماط الروايات التاريخية ، ويشهد على ذلك ان الحركة الإسماعيلية أنتجت عدداً من الأعمال التاريخية والذي ظهر منها إلى النور أثناء عملية استرداد عدد كبير من نصوص الإسماعيلية تلك ككتاب افتتاح الدعوة للقاضي النعمان[1] والذي اعتمد كأحد المصادر في هذه الدراسة وكان مصدر آخر هو كتاب عيون الأخبار[*] وكان هو الآخر مصدراً من مصادر المعلومات .

وقد كان من المؤمل ان نجد بين أيدينا كتباً عند الحشاشين تحاكي ما كان سائداً أو على الأقل ما وجد عند الفاطميين من ميل واهتمام بالإنتاج الفكري سواء الذي يختص بالعقائد الدينية والتاريخ وحتى الأدب والفنون الأخرى . لكن انشغالهم بتثبيت وجودهم في مناخٍ معاد جعلهم مقلين بشكل عام في إنتاج ذلك النوع من الكتابات ولم يوجهوا اهتمامهم نحو ذلك[2] ، وعلى الرغم من هذا الرأي فان هناك إشارات حول ولع قادة ودعاة الحشيشية عموماً بالأدب والفلسفة فالحسن الصباح كان أديباً[3]، وراشد الدين سنان كان قد قرأ كتب الفلسفة والجدل[4] ، وكان هو الآخر أديباً فاضلاً عارفاً بالفلسفة وشيئاً من الكلام والشعر والاخبار[5] ، وكان قد قرأ كتب التاريخ "وأيام الناس"[6] ، وقد دلت الأشعار التي حفظتها كتب السير والأخبار عن براعة راشد الدين

---

(1) دفتري ، الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط : 251 .

(*) لعماد الدين القرشي ، وقد كان من المصادر المعتمدة في هذه الدراسة .

(2) دفتري ، المصدر نفسه : 253 .

(3) غالب ، الثائر الحميري : 33–38 ، غالب ، الحسن بن الصباح الحميري مؤسس الدولة النزارية ، بحث منشور ضمن مجلة العرفان العدد 9 لسنة 1960م : 819 .

(4) العكبري ، شذرات الذهب : 294/4 .

(5) الذهبي ، سير اعلام النبلاء : 183/21 ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 282/15 .

(6) الذهبي ، سير أعلام النبلاء : 188/21 .

في نظم الشعر[1] ، ولابد ان كثيراً من ذلك الشعر كان نصيبه الضياع وان ما وصل إلينا ما كان ليفلح بالبقاء لولا وجوده داخل بعض تلك الكتب والروايات .

ومن جهة أخرى كان الدور البارز لدار الدعوة التي كانت ببلاد الشام هي التي كانت تشكل الأخرى أماكن لنشر الثقافة والإبداع والفكر وقد نوه لذلك ابن العديم عند حديثه عن دار الدعوة التي كانت بحلب والتي كان يسكنها الحسن بن عجل المعروف بالصوفي والذي ينتسب إليه بنو الصوفي رؤوساء دمشق وكان جد أبي الحسن علي بن مقلد بن منقذ صاحب شيرز لأمه[2] ، وكانت تلك الدار قد تخرج منها فضلاء وشعراء كبار[3] ، وعلى الرغم من ان المعلومات عن عدد هؤلاء الشعراء والأدباء تبدو شحيحة فما لا يمكن تجاهله ذلك الدور الفكري الذي أدته دور الدعوة آنذاك[*] .

كان الإرث الحضاري للحركة يعتمد وبحسب البعض على ذلك التنوع الذي ضمته الحركة إلى صفوفها فقد حاولوا – أي الحشاشون – ان يستخدموا الكتب المقدسة لجميع الأديان لتحقيق غرضهم في جمع مختلف الطوائف تحت لوائهم للقيام بالثورة[4] ، وقد حاولوا الإطلاع وبشكل كثيف على ثقافات الآخرين ، وقد أتضح ذلك مثلاً من صورة الفدائي الذي وصفه بعض المؤرخين بانه أداة فقط لتنفيذ الأغراض (أداة صماء) لكن العكس كان يتضح من خلال ما كان يقوم به هؤلاء ، وقد دلت الأحداث على ان

---

(1) المصدر نفسه والجزء والصفحة ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 286/15 ، ابن كمال ، مرآة الجنان : 387/3 .

(2) ابن العديم ، بغية الطلب : 139/1 .

(3) المصدر نفسه والجزء والصفحة .

(*) ان شحة المصادر عن تلك الدور ودور الإسماعيلية ربما كانت متأتية من ان هؤلاء دائماً يأتون بالبدع (حسب زعم البعض) ولم يكن الحال ليتوقف عند هذا الحد حيث ان درجة الاستهانة بهؤلاء وصلت جداً للتقليل حتى من أصولهم "وما ظهرت البدع والضلالات في الأديان إلا من أبناء السبايا". ينظر : البغدادي ، الفرق بين الفرق : 101 .

(4) لباد ، الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية : 16 .

هؤلاء الفداوية كانوا يجيدون القراءة والكتابة في عدة لغات ، كما يحسنون أصول التصرف والحركة داخل مختلف المجتمعات وبالأخص في بلاطات وقصور الأمراء[1] .

دفع ذلك بمجمله ان أنتج الفكر النظري العقلاني والثوري في الإسلام ان أمن الإسماعيلية بمبدأ التسامح والتعايش مع مختلف الأديان والمذاهب والأجناس إذا لم يكونوا متفوقين عليهم[2] .

كانت بعض مؤلفات دعاة الحشيشية قد أفلحت في الوصول إلينا ، وهي رغم قلتها وندرتها قد تكفي لإعطاء تلك اللمحة المقتضبة عن الحياة الفكرية للحركة بصورة عامة ، كان بعضهم يعود بتاريخه بعد سنين طويلة من ضعف وانهيار الحركة ، ومثال على ذلك الداعية محمد بن سعد بن داود الملقب بالرفنة ورغم ان ولادته كانت سنة 789هـ/1387م أي بعد سنين طويلة من ضعف النفوذ الإسماعيلي في بلاد الشام كما ذكرنا إلا ان صورة الأوضاع عن عصره وثقافته كانت كافية لإعطاء صورة عن اهتمام الحشيشية بالحياة الأدبية حيث كان ذلك الداعية قد شب وترعرع في مصياف ودرس فيها أصول الفلسفة والعقائد الإسماعيلية ثم توجه إلى حمص وأقام فيها مدة طويلة وكان للإسماعيلية فيها مركزاً علمياً ، ثم انتقل إلى قلعة الكهف وتنقل بين قلاع الدعوة حتى مات في مصياف ولهُ رسائل عدة ، كان من ضمنها الرسالة الكافية التي حققت ضمن كتاب خمس رسائل إسماعيلية[3] .

---

(1) ينظر حول ذلك الموضوع ، المنيقي ، مناقب المولى : 185 ، غالب ، الثائر الحميري : 68-69 .

(2) رسلان شرف الدين ، الدين والأحزاب السياسية الدينية العربية ، بحث منشور ضمن كتاب الدين في المجتمع العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، 2000م : 210-211.

(3) تامر : 12-13 .

وكانت كصـياغة الأشـعار الإسـماعيلية الأخرى تعود بموضـوعاتها إلى عقائد الإسماعيلية مثل بعض القصائد التي ضمت ذلك النوع من الشعر [1] .

تضمن ذلك الأدب الذي أنتجه الحشاشون نوعاً آخر من الأشعار التي صيغت بشكل أسئلة وأجوبة ، وكان محور تلك الأسئلة والأجوبة يدور بمجمله تأكيداً لعقائدهم في الأرقام – الرقم السبعة – وعن الوجود والتوحيد ودور الستر وضـمت كذلك مجمل أفكارهم وأرائهم الفلسفية ، وفي الغالب فانها كانت بصيغة الأراجيز الشعرية[2][*] .

ومن الواضـح انها كانت احدى وسـائل الدعاة آنذاك لنشـر الدعوة عن طريق الشـعر [*] والأدب ، والذي احتل مكانة بين المجتمع العربي والإسـلامي ، ويبدو ان

---

(1) ينظر في ذلك مثلاً القصـيدة الشـافية لأحد الدعاة المجهولين ، تح : عارف تامر ، المطبعة الكاثوليكية ، دار المشـرق ، بيروت ، 1967م ، المقدمة وباقي الكتاب الذي ضـم أشـعاراً على ذلك المنوال ، وكذلك ينظر : البصري ، الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية : 9 وما بعدها .

(2) الوداعي ، سـمط الحقائق : 24 وما بعدها ، وكذلك أرجوزة سـمط الحقائق بدء الكون والإيجاد وأسـرار المبدأ والمعاد ، مخطوط منشـور ضـمن مجلة الموسـم العدد 69–70 : 401–224 . وللاستزادة ينظر : ابن حيون ، الأرجوزة المختارة في الإمامة : 29 وما بعدها .

(*) لقد أفرغ الباحث الإسـماعيلي مصـطفى غالب جهداً في تتبع اعلام الإسـماعيلية ودعاتها وشـعرائها وأفرغ لذلك كتاباً أسماه أعلام الإسماعيلية ، وقد تتبع الشـعراء الذين صـاغوا معتقدهم على شكل أراجيز وكان تتبعه لهذه الشخصيات شاقاً نظراً لقلة المعلومات وندرتها معتمداً بذلك على المخطوطات التي حصـل عليها في بلاد الشـام من الإسـماعيلية الذين احتفظوا بها ، ولا يزال الكثير منها لم يحقق . ينظر : 203–208 .

(*) نوه لذلك الباحث عارف تامر إذ يقول عند حديثه عن قصـيدة عامر بن عامر البصـري ، والمسـماة بالقصـيدة التائية وانها وجدت عند إسماعيلية بلاد الشـام وكانت تستخدم كأحد المصـادر في باب علم التوحيد وكان شيوخهم – أي الإسماعيلية – يرددونها ويستشهدون بأبياتها في المناسبات . ينظر : أربع رسـائل إسـماعيلية : 78 ، وكان بعد ذلك لا يزال بعض مشـايخ الإسـماعيلية يحفظون بعض القصـائد لاعلامهم ودعاتهم إلى اليوم ، ولازالوا يحفظون غيباً (ألفية المعدل) نسـبة إلى حسـن بن أحمد بن علي المعدل أحد دعاتهم والذي عاش بين (588–658هـ/1192م–1259م) . ينظر للاستزادة : غالب ،

الحشيشية استمدت ذلك التقليد من الحركة الإسماعيلية حيث استخدمت الأخيرة بعض الشـــعراء بعد ان جذبتهم الحركة بفلســـفتها وأفكارها كدعاة لها أو انهم انظموا للحركة وعملوا كدعاة سريين كالمتنبي والذي رشح المستشرق ماسينيون بانهُ كان إسماعيلياً[1] ، وذهب لذلك الافتراض أيضاً لويس ، إذ ان ذكر المتنبي سعى لإيجاد قاعدة متقدمة في مصـــر قبل ان يفتحها الفاطميون[2] ، وقد رجح بعض المؤرخين انضـــمام أبو العلاء المعري الشاعر إلى الحركة الإسماعيلية مستندين بذلك إلى رسالته في اللزوميات[**] ورسالة الغفران[***] والتي كانت تتضمنها "التعاليم الدعائية السرية للجمعيات الفكرية الإسماعيلية"[3] ، ويبقى هذا الرأي بأي حال قابلاً للكثير من النقاش[*] .

كان اهتمام الإسماعيلية بالأدب نابعاً على الأرجح من أمورٍ عدة يبدو ان احدى جوانبها كان اهتمامهم بالدعاية بشكل كبير – وبالطبع فان ذلك شمل حركة الحشاشين

اعلام الإسماعيلية : 207–208 ، رسالتان اسماعيليتان ، تح : مصطفى غالب، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت، د.ت : 20 وما بعدها .

(1) المتنبي ازاء القرن الإسماعيلي ، والمتنبي إمام العصر الإسماعيلي للإسلام ، إيحاءات حول قرمطية المتنبي ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، العدد 67–68 ، لسنة 2008م : 365–372، غالب ، اعلام الإسماعيلية : 91–94 .

(2) الحشيشية والاغتيال الطقوسي : 88–89 .

(**) ينظر : حول ذلك الموضـــوع ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر علي (ت) ، خزانة الأدب وغاية الأرب ، ط1 ، تح : عصام شقيو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1987م : 433/2 وما بعدها .

(***) ينظر : المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد (449هـ/1105م) ، رسالة الغفران ، ط1 ، مطبعة هندية بالموسكي ، مصر ، 1903م ، الذهبي ، سير اعلام النبلاء : 25/18 .

(3) ماسينيون ، المتنبي إزاء القرن الإسماعيلي : 10 .

(*) حول هذا الرأي أحيل القارئ إلى مراسلات جرت بين أبو العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين أبو نصر بن أبي عمران ضمت خمس رسائل حول فلسفة أبي العلاء المعري واجتنابه أكل اللحم . ينظر : بين أبي العلاء وداعي الدعاة الفاطمي ، خمس رســـائل مفيدة ، نشرها محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1930م .

– "والتي إذا ما قورنت مع أحدث التنظيمات العصرية وأجهزتها الدعائية لتوضح لنا ان الإسماعيلية كانوا السباقين في هذا المضمار من حيث الدقة في التنظيم والبراعة التي لا تحد – على قلة الوسائل في تلك العصور"[1](**) . ولما كان الشعر إحدى الوسائل المهمة في نشر الأفكار والعقائد لشدة تأثيره في النفوس ، ولسهولة تناقله وحفظه بين الناس . فقد أولته الحركة اهتماماً بالغاً .

الأمر الآخر الذي يمكن الإشارة إليه ، هو ان حركة الحشاشين في بلاد الشام كانت أكثر خصباً من الناحية الأدبية ، ويذهب الأستاذ تامر للقول بان نشاط الحركة في الجانب الأدبي هناك كان قديماً حتى قبل قيام الخلافة الفاطمية ، أي منذ استتار الإمام الإسماعيلي في سلمية[2] ، وربما يعود ذلك لأمور عدة من بينها جذور المنطقة العربية والاهتمام قديماً كما ذكرنا بالشعر وفنونه ، ومع ذلك لم يكن للحركة في بلاد المشرق هي الأخرى إلا ان تنتج أدباً رغم قلة الروايات ويذهب دفتري مثلاً للقول ان الحياة الفكرية بلغت ذروتها في اعلان القيامة سنة 559هـ/1164م من قبل الحسن الرابع[3] .

ولاشك ان نتاج الحشاشين في بلاد المشرق كان قد ضم بين ثناياه أدباً كان نصيبه الضياع ويمكننا ترجيح ذلك الرأي بما أورده الجويني عند ذكره لمكتبة الموت ومحتوياتها قائلاً "وقد أطلع مؤلف هذا الكتاب على مستودعات كتبهم ، فاستخرج

---

(1) غالب ، الحركات الباطنية في الإسلام : 119 .

(**) وقد نوه لقوة الدعاية تلك د. محمد كامل حسين حيث ذكر بالقول ان بعض المستشرقين الأمريكيين كانوا يحاولون جاهدين من خلال بعض المقابلات التي أجراها معهم لمعرفة أسرار نظم الدعوة الإسماعيلية ويذكر ان الأمريكيين على الرغم من إجادتهم فن الدعاية واتخاذهم وسائل مختلفة في ذلك غير انهم لم يبلغوا ما بلغته الطائفة الإسماعيلية . ينظر : طائفة الإسماعيلية : 131 .

(2) تاريخ الإسماعيلية : 134/4 .

(3) الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط : 254-255 .

اللائق المناســـب منهـا"[1] . ويمكن بعـد ذلـك ان نقول ونحن مطمئنين ان تلـك المستودعات شـملت كتباً شـتى كان للأدب منها نصـيب وقد يرجح هذا الرأي أكثر ما ذُكر عن تنقل دعاة الإسـماعيلية وشـعرائها بين بلاد الشـام والمشـرق وكان المثال على ذلك مثلاً الشـاعر قيس بن منصـور الداديخي[*] ، وقد عثر على أحد قصـائده التي أنشـدها حاكم قلعة الموت محمد بن علاء الدين ونجله محمود ركن الدين آخر أئمة النزارية وحكامها في قلعة الموت وكان مطلع تلك القصـيدة "قدر الإمام الفاطمي معظم" ويرجح الأسـتاذ تامر ان هذا الداعي – الشـاعر – ترك مسـقط رأسـه داديخ القريبة من سرمين في حلب وتوجه مستقرا في قلعة الموت إلى ان اجتاحها هولاكو بجيوشه فهلك هناك ، ويمكن من هذه الرواية الربط بين "أدب إسماعيلي سوريا والأدب الالموتي"[2] .

لم يقتصـر الأدب الذي انتجه الحشـاشـون على الأشـعار فقط ، فكان نوعاً آخر من نتاجهم يُمثل في محتواه نوعاً من المحاورة بين طرفين احدهما (المستفيد) وهو الذي اعتنق الدعوة ، والآخر (المُفيد) أي الداعي ، الذي استطاع ضم الأول للدعوة يتضـمن الحوار أسـئلة وأجوبة بين الطرفين ربما مثلت أغلب تلك الأسـئلة في محتواها أسـئلة

(1) فاتح العالم : 302/2 .

(*) الداديخي : نسـبة إلى داديخ بدالين مهملتين وأخره خاء معجمة وهي قرية من قرى سـرمين والأخيرة من أعمال حلب . ينظر : السـخاوي ، زين الدين أبو بكر بن عبد الرحمن بن محمد (ت830هـ/1426م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت : 63/4 .

(2) خمس رسـائل إسـماعيلية : 18 ، ويرجح تامر كذلك ان الداديخي هذا كان قد تتلمذ على يد نصـير الدين الطوسـي ، قبل ان يجتاح المغول قلاع الدعوة في إيران . ينظر : تاريخ الإسـماعيلية : 177/4 ، ويشـير إلى ان الداديخي ترك كتاباً بعنوان ازهار الجنان وهو مؤلف ككتاب في التاريخ ولا يزال الكتاب مخطوطاً ولم يحقق . ينظر للاسـتزادة : عارف تامر ، الغزالي بين الفلسفة والدين : 38 .

وأجوبة فلسفية ، وقد نشر الأستاذ تامر احدى أهم تلك الرسائل والتي تُعد من النوادر بعد ان وجد نسخة من مخطوط لأحد الدعاة الذين اثروا ذكر أسمهم[1] .

ان التراث الفكري للإسماعيليين كان هو ركيزة الحركة النزارية التي ورثت ربما عن الفاطميين إرثاً يعالج المسائل الفكرية والدينية والفلسفية والتي كانت تعج بها الحياة الثقافية في ذلك العصر[2] .

كان من نتائج ذلك التراث وسعته ان انتشرت أفكار الإسماعيلية ذكر ماسينيون ان خوف كتاب الفرق ومهاجمتهم للإسماعيلية يكمن في أحد جوانبه بسبب انتشار أفكارهم بصورة واسعة[3] ، وقد نوه لذلك الجويني عند حديثه عن الإسماعيلية بالقول "وهكذا انتشر هذا المذهب وعمت آراؤه في أكثر بلاد الإسلام شرقاً وغرباً"[4] ، وكان جيش الدعاة السريين الذي جهزته الدعوة الإسماعيلية على غاية الأهمية حيث انبثوا في سائر البلدان[5] ، وملأت مؤلفاتهم أماكن تواجدهم ولو بصورة سرية ، وهذا القول تؤكده بعض المصادر التي وصلت إلينا من ذلك الإرث.

الصورة الأخرى من صور الحياة الفكرية هي ما أوردته مخطوطة مناقب المولى راشد الدين والتي تحدثت عن المناظرات التي كانت تقوم بين راشد الدين وعدد من الفقهاء والعلماء حيث أوردت احدى تلك المناظرات عندما أوعز الخليفة العباسي في بغداد إلى عدد كبير من الفقهاء والعلماء – وصل إلى الألف – من فقهاء الشرق

---

(1) ينظر في ذلك رسائل التحاميد الخمس حققها عارف تامر منشورة ضمن مجلة المواسم العدد 43-44 : 190-217 ، بن منصور اليمن ، العالم والغلام ضمن أربع كتب حقانية : 13-76 وهو على غرار ما ذكرناه .

(2) العزاوي ، دولة النزارية : 263 .

(3) المصدر نفسه : 264 .

(4) فاتح العالم : 279/2 .

(5) كاهن ، تاريخ الشعوب الإسلامية : 262/1 .

والعراق في شتى العلوم وقد تم اختيار مئة شخص منهم وانتخب من المئة عشرة لمناظرة راشد الدين حيث أفحم الأخير أولئك العلماء وأبهر العقول بعلمه "وشهد لهُ بعد ذلك الخليفة العباسي"[1] .

ويذكر الأستاذ حسين ان تلك المناظرات كانت كثيرة ، وقد جعلت أتباع راشد الدين ينقادون إليه كل الانقياد ويتبعون تعاليمه وآراءه ، حتى اعتقدوا انهُ هو "الإمام من نسل نزار"[2] .

- الحشاشون والتصوف :

ما ان دُمرت دولة الإسماعيلية في بلاد المشرق ، حتى اضطرت حركة الحشاشين وما تبقى من أعضائها الذين فروا من مذابح المغول إلى الستر والتقية حفاظاً على أرواحهم ومعتقدهم ، وكان ان استتر هؤلاء هذه المرة بعباءة الصوفية[3]، ويذكرنا ذلك بالاغتيالات الحشيشية التي كانت في الغالب تتم بملابس الصوفية كما نوهنا لذلك .

على أية حال فلم يقم هؤلاء أي علاقة رسمية مع الطرق الصوفية المنتشرة في فارس آنذاك[4] ، وقد وضح الباحث الإسماعيلي فرهاد دفتري لأسباب استتار الإسماعيلية بالتصوف قائلاً "وتبقى أصول التطور المبكر لهذه الظاهرة غامضة جداً"[5] .

---

(1) المنيقي : 203–207 .

(2) طائفة الإسماعيلية : 106 .

(3) دفتري ، الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط : 211 .

(4) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 91–92 ، دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 692 .

(5) دفتري ، المصدر نفسه : 692 ، للاستزادة أكثر حول العلاقة بين الإسماعيلية والصوفية ينظر : علي شاه الحسيني ، شهاب الدين شاه بن علي شاه الحسيني (ت مجهول الوفاة) ، رسالة در

في الحقيقة تبقى الإجابة عن هذا السؤال محاطة بالكثير من التعقيد والصعوبة لكن بالإمكان الاستناد إلى بعض الروايات وبناء بعض الافتراضات عليها التي تعود بأصولها ربما لأسباب تلك الظاهرة .

أفادنا ابن اسفنديار بنص مهم حول الحسن الصباح وبعض الممارسات التي سار عليها قبل اشتهار أمره وهي ان نظام الملك الطوسي كتب ذات يوم "من الديوان ومن الحضرة السلطانية انهم رووا له أنهُ يوجد الآن صوفي صاحب فرقة مجتهد متهجد ، لهُ عدة أيام بلياليها لم ينطق بكلمة ، ولا أبدى رغبة في شراب أو طعام فقال الوزير نظام الملك أحضروه أمامي على الفور كي أراه ، ولما حملوا الحسن الصباح أمامه لم يلق السلام فوقف نظام الملك على قديمه وألقى عليه السلام وأراد ان يضمه إلى صدره فضرب بيده على الوزير وقال لهُ ابتعد عني فلا ينبغي ان تحترق بناء معرفتي ، فتطير الوزير من هذا الأمر"[1] ، وبغض النظر عن مصداقية هذه الرواية لكن عبارة "صوفي مجتهد متهجد" ربما تكون بذور للعلاقة التي ربطت الصوفية[*] بالحركة ، وذلك يؤشر إلى ان الحسن ربما استتر لبعض الوقت بالصوفية قبل ان يقوى أمره ، والنص يشير إلى ان ابن استفديار وغيره جعل الحسن في مصاف المتصوفة ، ولم يشر في ذلك إلى

حقيقت مذهب إسماعيلية ، مسمى رسالة در حقيقيت دين ، تح : اصف علي أصغر فيضي ، مطبعة مظفري ، ايران ، 1933م ، حيث تتضح بعض مصطلحات الصوفية عند الإسماعيلية .

(1) تاريخ طبرستان : 335 ، ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا : مج4/199 .

(*) وقد استمر الحسن يحيا بعد ذلك حياة زهد حتى بعد ان سيطر على قلعة الموت كانت حياته حياة زهد وتقشف حيث كان يلبس الصوف ويعيش عيشة الفقراء المتعبدين الزاهدين وكان رجاله مثله وعلى غراره ، وبلغ رجاله أعلى مراحل الإيمان والتصوف . ينظر : الجويني ، فاتح العالم : 2/316-319 ، أبو النصر ، قلعة الموت : 127-128 ، خضور ، المذهب الإسلامي الشيعي الإسماعيلي : 69 ، ويمكن القول ان الحسن وضع بذور التصوف بالنسبة لحركة الحشاشين تصرفاً وسلوكاً وليس عقيدةً .

كونه إسماعيلياً ، كما ان نظام الملك لم يعرف الحركة التي ينتمي إليها الحسن الصباح .

والجدير بالذكر ان حركة الحشاشين استترت بشكل كبير بالصوفية بعد دمار قلاعها في المشرق ، وتشتتت هؤلاء فارين فالتجئوا إلى افغانستان والهند وفي مناطق مجاورة متخفين ومستترين حتى ان تسترهم بالتصوف قد أدى إلى ذوبانهم الكامل ضمن مجتمعاتهم المضيفة في العديد من المناطق وفقدانهم بالتالي هويتهم الإسماعيلية[1] ، وكان ذلك بالطبع لفقدانهم القيادة ربما وللدمار الذي حل بالحركة بشكل عام .

حاولت الحركة في ذلك الوقت ان تشارك الصوفية في الكثير من طقوسها ، وتبنت في الأراضي الناطقة باللغة الفارسية أسلوباً من العمل قريباً من أسلوب الفرق الصوفية ، وانقادت في الوقت نفسه في مناطق مثل شمال غرب الهند من قبل شيوخ جوالين كانوا دعاة نساكاً ومغنيين للأشعار في تقليد الفرق البختية[2] .

وقد انتجت تلك المرحلة احياءً للدعوة الإسماعيلية ونهضة في الأدب الإسماعيلي في اللغات الفارسية والهندية[3] ، وكان تأثير الصوفية وطقوسها ان أطلق البعض على دور تخفي الحركة بلباس الصوفية بدور الإسماعيلية الصوفية وهو يمثل دور الستر الثالث والذي كان الإمام فيه هو شمس الدين محمد أو شمس تبريزي[4] ، وكان ذلك العهد أي عهد الصوفية الإسماعيلية قد أنتج طرقاً جديدة في التعامل حيث استطاع الإسماعيلية الحشاشون ان يتحدثوا بأفكار العقيدة الإسماعيلية بلغة صوفية حتى ارتبط في أذهان البعض ان كل متصوف هو إسماعيلي بالأخص إسماعيليو تلك

---

(1) Von Hammer , The History of the Assassins , p. 201 .

(2) ناديا ايبو جمال ، الناجون من الغزو المغولي : 93 .

(3) المصدر نفسه : 94 ، دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 692–693 ، سميرة بن عمو ، ايدلوجيا الإرهاب الفدائي : 61–62 .

(4) Hollister , The Shi'a of India , p. 331 .

المرحلة[1] ، وربما أتاح لهم تسترهم بالتصوف ان يرتقوا بعض المناصب الرفيعة وان يمارسوا حياتهم بصورة علنية[2] .

يتضح لنا أيضاً من خلال دور الستر في مرحلة الصوفية في حياة حركة الحشاشين أبان القرن الأول من مدة ما بعد الموت ، عندما كان الأئمة النزاريون محرومون من الاتصال المباشر مع أتباعهم ، حيث كانت مختلف الجماعات النزارية في فارس والمناطق المجاورة قد بدأت تخضع تدريجياً لسلطة قادتهم المحليين الذين كان يشار إليهم بمصطلح "بير" الصوفي وهو التعبير الفارسي المقابل لكلمة شيخ ، وكان هؤلاء الشيوخ الدعاة يعينهم الأئمة الذين كانوا يمنحونهم سلطات واسعة ، أو تختارهم محلياً الجماعات النزارية صاحبة العلاقة ، وأصبح منصب الشيخ (البير) يتحول تدريجياً إلى منصب وراثي يقابله إلى حد كبير ان أصبح مكان الأئمة مجهولاً بالنسبة للغالبية العظمى من أتباعهم[*] ، ولكن مع ذلك كان هؤلاء الأئمة النزاريون على اتصال دائم مع دعاتهم من أجل تلقي المشورة والتوجيهات[3] .

لم يكن ذلك التخفي يعني ان الحركة قد اعتنقت الصوفية – وان كان البعض من أعضاء الحركة قد طغت عليهم الصوفية كما أشرنا – فالإسماعيلية مدرسة قامت على أسس فلسفية[4] ، وكان الذي حصل أنهم – أي الحشاشين – ربما أحسوا بان تنظيمات الصوفية قريبة في هيكلها وتنظيمها الخارجي بالحركة وذلك فيما يخص وجود (الشيخ) وطاعته وعلاقته بالأتباع ، وقد أتاح لهم ذلك ليس المحافظة على الأرواح وإنما على البقاء العقائدي ، فبينما ضعف الإسماعيليون في مصر بعد زوال الخلافة

---

(1) خضور ، المذهب الإسلامي الشيعي الإسماعيلية : 77-78 .

(2) بيكلي ، مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية : 15 .

(*) يذكرنا ذلك بالدور الأول دور الستر في تاريخ الإسماعيلية والذي تطرقت الدراسة إليه في الفصل الأول .

(3) دفتري ، الإسماعيليون تاريخهم وعقائدهم : 719-720 .

(4) تامر ، بين الإسماعيلية (الباطنية والصوفية) : 112 .

الفاطمية(**) أفلح الحشيشية بالبقاء والاستمرار حتى وقتنا الحاضر بفضل تلك الأساليب التي حافظت على وجودهم .

- الحشاشون وعلاقتهم بالعلماء والمفكرين :

استعرضنا من خلال هذه الدراسة موقف الكثير من المؤرخين وأصحاب المؤلفات التي اختصت بالفرق الإسلامية وحتى بعض الرجال والتي كانت آرائهم بصورة عامة معادية للإسماعيلية والحشاشين ، وقد تبين ذلك من خلال من كان يوصف به هؤلاء ملحدين – كفرة – فتاكين ... الخ من التسميات التي كان الغرض منها النيل من سمعتهم وتكفيرهم تمهيداً للقضاء عليهم وقد جرت تلك النظرة عليهم في كثير من الأحيان مذابح راح ضحيتها المئات والألوف[1] بالأخص بعد ازدياد نفوذهم .

وما أن أخذت جيوش المغول بالتقدم نحو بلاد المشرق ، وبعد ان أخذت جيوشهم تعبث في الأرض فساداً من قتل وتخريب وازهاق للأرواح كانت الحركة قد تمتعت وأعوانها بنوع من الحماية وفرتها لهم قلاعهم الحصينة والتي أصبحت ملاجئ تحمي الكثيرين من الذين التجأوا إليها خلاصاً من تلك المذابح ، وقد توسع الحشاشون

(**) يرى الدكتور الخشت ان أحد أسباب ضعف النفوذ الإسماعيلي في مصر بعد انهيار الفاطميين يعود في أحد أسبابه إلى ان العقيدة الإسماعيلية في أفريقيا ومصر لم تستطع ان تتجاوز حلقات كبار الدعاة الذين كانت مناقشاتهم في العقيدة والمذهب على المستوى الفلسفي "لا تكاد تتعدى جدران مدارس الحكمة (دار العلوم) المخصصة لهم داخل قصور الخلافة . ينظر : الأصول التاريخية لحركة الحشاشين : 14 ، ميثا ، فاروق ، الغزالي والإسماعيليون العقل والسلطة في إسلام العصر الوسيط ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، طبعة دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2005م : 44 ، وربما يصح هذا الرأي إلى حد بعيد إذا ما علمنا ان الفكر الإسماعيلي أصبح يمثل فكراً نخبوياً . ينظر للاستزادة حول الصراع بين السلطة والمفكرين وانتصار السلطة على الفكر النخبوي الفلسفي وبقاء الأخير حكراً بالمفكرين ، بو عجيلة ، د. ناجية الوريمي ، في الائتلاف والاختلاف ثنائية السائد والمهمش في الفكر الإسلامي القديم ، ط1 ، دار المدى ، دمشق ، 2004م : 365-379 .

(1) للاستزادة ومضافاً إلى ما أوردناه في هذه الدراسة ، ينظمر : د. موسى ، شيوخ الجبل الإسماعيلية : 95-103 ، حيث تطرق للمذابح التي تعرض لها الإسماعيلية وفي الغالب كانت بسبب آراء للمعادين لهم .

في رعايتهم لهؤلاء ومن بينهم العلماء من غير الإسماعيلية على اختلاف نحلهم ومللهم من المسلمين وغيرهم ، ونتيجة لذلك فقد تلقت الحياة الفكرية للحشيشية زخماً خاصاً من تدفق هؤلاء العلماء ليس لأجل الاحتماء فقط والتخلص من خطر المغول وإنما للانتفاع بكتب مكتبة قلعة الموت(1) ، وكان من بين هؤلاء العلماء والاعلام الذين وصـــلوا إليهم هو المنجم نصـــير الدين الطوســـي(*) ، وقد قضـــى ثلاث عقود من حياته في قلاع الحشـــاشـــين في بلاد فارس(*) ، مســـاهماً بابحاث عدة كان في مقدمتها كتابه أخلاق

---

(1) دفتري ، الحياة الفكرية بين الإسماعيليين : 169 .

(*) نصـــير الدين الطوســـي : محمد بن محمد بن الحســـن نصـــير الدين أبو عبد الله الطوســـي الفيلسوف صـاحب علوم الرياضـيات والرصـد كان رأسـاً في علم الأوائل لاسـيما في الارصـاد والمجســـطي فانه فاق الكبار كان ذا حرمة وافرة عالية عند هولاكو ، وقد بنى له مرصـــداً في مراغة فيه قبة ورصـــداً عظيماً واتخذ في ذلك خزانة عظيمة فســـيحة الأرجاء وملأها من = = الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى وصل عدد الكتب إلى أربع مائة ألف مجلد وقرر بالرصـد المنجمين والفلاسفة الفضـلاء ، كان حسن الصـورة سمحاً جليل القدر داهية وله في ذكائه وفطنته الكثير من القصـــص والحكايات والتي تدل على ذلك كانت وفاته ســـنة 672هـ/1273م ، الصفدي ، الوافي بالوفيات : 1/147-148 ، فوات الوفيات : 2/252 وما بعدها ، المجلســـي ، بحار الأنوار : 48/318 ، وللاســـتزادة ينظر : الأمين ، الإســـماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي : 9-56 .

(*) يبدو من خلال هذه الرواية ان نصير الدين الطوسي التحق مبكراً بقلاع الحشاشين .

ناصري الذي كرسه لراعيه الأصلي ناصر الدين(**) عبد الرحيم (ت665هـ/1257م) (1) ، وقد ألف أثناء وجوده داخل القلاع عدد من الكتب والرسائل وكانت توجهاته الإسماعيلية لها أثرٌ فيها(2) ، وتمثل مرحلة وجود الطوسي نموذجاً من نماذج دور النزارية ، ليس في حماية العلماء والمفكرين الذين فروا من نير ومذابح المغول فقط وإنما باحتضان هؤلاء لهم فقد لقى الحفاوة والتكريم وبقي مؤلفاً للكتب وهو داخل القلاع ومن تلك المؤلفات الرسالة المعينية في الهيئة ، وهي فارسية على أربع مقالات وألف كتباً أخرى(3) ، ولقد تحولت قلاع الحشاشين في تلك الفترة إلى أماكن ليس لاستقبال الغرباء والفقراء اللاجئين فقط ، وإنما ضمت بعضاً من أعظم العلماء شهرة وتميزاً في تلك الحقبة(4) . ويُعد الطوسي أحد تلك الأمثلة .

(**) ناصر الدين عبد الرحيم : كان هذا الرجل متولي قهستان ، وقد ولي الأمر على قلاع الإسماعيلية في خراسان قبل علاء الدين محمد زعيم الإسماعيليين آنذاك ، وكان من أفاضلة أهل زمانه يعني بالعلماء والفضلاء ، وهو إنسان صاحب علوم ومعارف لا تحد ، عارفاً بالفلسفة مع حكمة وعلم وهو حكيم إلى درجة كبيرة بحيث لا يوجد في خراسان من يقارن به . ينظر : الجوزجاني ، طبقات ناصري : 182 ، حسن الأمين ، نصير الدين الطوسي ، بحث منشور ضمن مجلة العرفان ، العدد السابع والأربعون ، بيروت ، 1959م : 330 ، وللاستزادة ينظر : رضوي ، أحوال وآثار خواجة نصير الدين الطوسي : 137-138 .

(1) وقد ألفهُ وهو بقوهستان أثناء وجوده عند الإسماعيلية الحشيشية ، وبالتماس من ناصر الدين أيضاً لما التمس الأخير ترجمة كتاب الطهارة في الحكمة العلمية لعلي الدين بن مسكويه فضم إليه قسمي المدني والمنزلي ، حاجي خليفة ، كشف الظنون : 38/1 ، رضوي ، المصدر نفسه : 136-138 .

(2) Tusi , Nisir al-Din Muhammad , Rawdat al-Taslim , ed . and traduit w.I vanowf , London , 1950 .

(3) حاجي خليفة ، كشف الظنون : 289/1 ، الأمين ، نصير الدين الطوسي : 332 .

(4) جوزجاني ، طبقات ناصري : 182-183 . ينظر كذلك حول علاقة الطوسي بالحشاشين : AN ANTHOLOGY OF ISMAILI TERATURE ASHI'I VISION OF ISLAM , EDITED BY HERMANN LANDOLT , SAMIRA SHEIKH , LONDON , 2008 , P : 234-241 .

ذهب البعض من المؤرخين إلى ان نصـــير الدين الطوســـي ليس له صـــلة بالحشاشين ولكن ذهب إليهم مرغماً وأقام عندهم مكرهاً وأشار البعض إلى انهم اختطفوه ، وحمله إلى قلعة الموت بعض الفدائيين الذين ترصـدوه في أطراف بسـاتين نيسـابور وطلبوا إليه مرافقتهم وهددوه بالقتل ، وانه قضى تلك السنين، وهو شبه أسير وسجين[1] ، ونستطيع ان نقول ان نصير الدين حتى ولو أقام مرغماً إلا وقد تأثر بالإسماعيلية[*]

---

(1) ينظر في ذلك : الأمين ، نصـــير الدين الطوســـي : 332-333 ، وقد جمع مجمل آراء المؤرخين الذين وصـفوا حال الطوسـي هناك وللاسـتزادة ينظر كذلك : رضـوي ، أحوال وأثار خواجة نصـير الدين الطوسـي : 113 وما بعدها ، نصـير الدين الطوسـي ، محمد بن محمد بن الحسن (672هـ/1273م) آداب المتعلمين ، تح وتوثيق : السيد محمد رضا الحسيني الجلالي ، ط1 ، مطبعة سـتارة ، ايران ، 1995م ، مقدمة المحقق: 36-37 ولم تكن قصـة اختطافه تلك لتروق لمؤرخي وباحثي الإسماعيلية الذين كذبوها ، مؤكدين ان نصير الدين كان إسماعيلياً وان والده كان أحد دعاتهم ، وانه بقي مخلصـاً لهم . ينظر : تامر، تاريخ الإسـماعيلية : 165/4-183 ، وينظر كذلك : مقدمة كتاب . Rawdat-alTaslim , p. 17-24 . ايفانوف ، وكانت حجة باحثي الإسماعيلية ان تامر نقل نصـاً عن مخطوط إسماعيلي بعنوان فصـول وأخبار ذكر ان أحد شـعراء الإسـماعيلية الذين انتقلوا إلى قلعة الموت تتلمذ على يد نصـير الدين الطوسـي الذي وصلت مرتبته في قلاع الدعوة إلى داعي الدعاة . ينظر: تامر ، المصدر نفسه : 177/4 .

(*) في الحقيقة ان تأثر الطوســـي بالإســـماعيلية أمرٌ وارد ، وان لم يكن قبل قدومه لقلاعهم إسماعيلياً – يرجح بعض المؤرخين انهُ كان من الاثنى عشرية – فلابد وانه من جذور مشتركة ، وقد تأثر بالفكر الإسـماعيلي قبل الطوسـي ألد أعدائهم ، ومثال على ذلك الغزالي الذي ألف الكتب والرســـائل في نقض معتقداتهم ومهاجمتهم ، لكنه في أواخر حياته زار مصـــر وتأثر بالكتابات الإسـماعيلية والفكر الإسـماعيلي حتى انهُ وضـع كتابه مشـكاة الأنوار على غرار أفكارهم وكتبهم الخاصـة بترتيب العقول والتي قال بها دعاتهم . للاسـتزادة من هذا الموضـوع ينظر: حسـين ، محمد كامل ، أدب مصـر الفاطمية ، ملتزم الطبع والنشـر دار الفكر العربي ، بيروت ، د.ت : 67 ، وللاستزادة ومقارنة بين كتابات الغزالي وتأثره بالفكر الإسماعيلي : ينظر : الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـــ/) ، مشـكاة الأنوار ، تح : أحمد عزت المصـري ، مطبعة الصـدق ، مصـر ، 1905م: 28 وما بعدها ومنها إشـارات يبدو فيها أثر الفكر الإسماعيلي إذا ما قورنت مع مؤلفات مهمة للإسماعيلية ككتاب راحة العقل للكرماني .

وأفكارها ، ونتيجة هذا التأثر فقد ألف بعضاً من الكتب وأشار الأستاذ الأمين ان هذه الكتب نُسبت إليه ولم تكن من مؤلفاته ، ومن تلك الكتب رسالة في النعم والمتع واللذائذ ، وهي مكتوبة على الطريقة التعليمية لحركة الحشاشين ، ورسالة باسم مطلوب المؤمنين وهي مكتوبة في تأييد الإسماعيلية وينسبها ايفانوف إلى الطوسي ، وقد قام بطبعها ويستدل الأمين بان تلك الرسائل نسبت إلى الطوسي وان سياقها وطريقة أسلوبها وكتابتها ليس كأسلوب الطوسي[1] ، وقد نشر الأستاذ الأمين أغلب مؤلفات الطوسي وعناوينها مصنفاً إياها حسب التسلسل[2] ، رغم انهُ أغفل أحد الكتب أو الرسائل والتي يرجح انها كتبت خلال فترة وجود الطوسي داخل قلاع الحشاشين وكان الكتاب بعنوان أخلاق محتشمي[3] . ويمكن الاستدلال على الأفكار الإسماعيلية ، من خلال ما موجود في ثنايا ذلك الكتاب ومن عباراته[4] .

---

(1) الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي : 39-40 ، ومستدركات أعيان الشيعة : 237-238 ، وسميرة بن عمو ، ايدلوجيا الإرهاب الفدائي : 67-68 ، رغم انها لا ترجح ان تلك الكتابات منسوبة إلى الطوسي وإنما هي من مؤلفاته . والحقيقة ان هذا الأمر أوقع بعض الباحثين في حيرة فهل من المعقول ان تكتب تلك المؤلفات وتبذل فيها الجهود ثم تنسب إلى غير أصحابها . وهل كتبت لتحمل اسماءً غير أسماء أصحابها الحقيقيين ، والفكر الإسماعيلي لم يعرف تلك الظاهرة سوى ما أثير حول رسائل أخوان الصفا .

(2) الأمين ، المصدرين أعلاهما نفس الصفحات .

(3) وهو من مؤلفات نصير الدين الطوسي وقد مر ذكره والإشارة إليه .

(4) أخلاق محتشمي : 26-25 ، وقد رجح أحد الباحثين ذلك الرأي أيضاً حيث رشح ان كتاب أخلاق محتشمي كتب للرئيس ناصر الدين عبد الرحيم أيضاً وباسمه ، وقد أضاف كذلك رسائل عدة وكتب مهمة منها شرح الإشارات ، والإشارات والتنبيهات وهي لابن سينا وقد علق عليها الطوسي ، وأنتج رسالته الأساسية في المنطق وهي رسالة الاقتباس . ينظر للاستزادة: حاجي خليفة ، كشف الظنون : 131/6 ، دبشي ، حميد ، الوزير والفيلسوف خواجه نصير الدين الطوسي والإسماعيليون ، ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط: 240 .

يبدو ان شهرة الطوسي فاقت الآخرين الذين إلتجأوا إلى قلاع الدعوة الإسماعيلية وان الأضواء سلطت على الرجل أكثر من غيره[1] . وقد أدى الطوسي دوراً مهماً فيما بعد ، وبعد انضمامه إلى هولاكو بعد ان استسلمت القلاع ، حيث اقنع الأخير بالإبقاء على حياة الكثير من العلماء الذين استقدمهم للعمل معه من جهة كما أفلح بإنقاذ الكثير من الكتب التي نهبت من بغداد وبلاد الشام والتي نقلها معهُ إلى مراغة حيث أنشأ مكتبة ضمت (400) ألف مجلد[2] .

- الإسماعيليون والغزالي والأثر الفكري للكتابة بينهما :

الغزالي أحد الذين أفرغ جهداً فكرياً في الرد على الباطنية ، والذي خص بهم الإسماعيلية والنزارية تحديداً[3] ، وعلى الرغم من اننا نوهنا إلى إشارات من أسباب تأليف الكتاب في الفصل من هذه الدراسة ، وان الكتاب الذي حمل اسم – فضائح الباطنية أو المستظهري – كُتب عموماً ابان الطور الأول لنشاط الحسن بن الصباح ، وقبل وفاة المستنصر الفاطمي بقليل ، لكن مما يتضح ان الغزالي كان قد أحس بخطورة موقف الحسن ونشاطه ودعوته بصورة عامة[4] .

---

(1) للاستزادة ينظر : الأمين ، نصير الدين الطوسي : 334 ، حيث ذكر ان اثنين من الأطباء وهما موفق الدولة ورئيس الدولة كانا مع الطوسي وتم ضمها إلى حاشية هولاكو . ينظر حول ترجمة هؤلاء ، رضوي ، أحوال وآثار خواجة نصير الدين الطوسي : 223 .

(2) الصفدي ، الوافي بالوفيات : 2/252–253 ، حمد الله مستوفي ، نزهة القلوب : 100 ، الأمين ، نصير الدين الطوسي : 335 .

(3) ميثا ، الغزالي والإسماعيليون : 40 .

(4) المصدر نفسه : 42 .

من الواضـح ان عوامل عدة دفعت الغزالي لمهاجمة الإسـماعيلية – الباطنية – كان منها مقتل زميله نظام الملك ، وطلب الخليفة العباســي منه تأليف كتاب يذكر ما ينقض أفكارهم[1] . وقد ذكر الغزالي ان تأليفه لكتاب المستظهري استند على الكثير من الكتب والرسائل التي حصل عليها من كل صقع وناحية ، وانهُ كان لهُ صديق دخل في نحلتهم – أي الإســماعيلية – وبعد ان ارتد عنهم نقل إليه هذه الكتب ، فكانت دافعاً يضاف إلى طلب الخليفة المستظهر بالله منه ذلك[2] ، مع ما وفرته من معلومات عنهم بحسب الرواية .

افرغ الغزالي قسماً من كتاباته إلى احدى الأسس التي قامت عليها الدعوة الإسـلامية النزاريـة إلا وهي عقيـدة التعلم ، التي اكســبـت حركـة الحشــاشــين اســمهـا – التعليمية – وقد ادخلت على ما يبدو تلك العقيدة الغزالي في جدل اســتمر يشــغل خاطره بقية حياته[3] ، وقد نقل الغزالي في ذلك آراء فرقة النزارية بخصـوص هذا الموضـوع ، ويرى العزاوي ان هناك احتمالاً قوياً في ان الغزالي أطلع بطريقة ما ونقل عن كتابات الحســن بن الصـباح نفسـه ، ويقوي هذا الاحتمال انهُ كان معاصـراً للصـباح الذي انفرد مدة من الزمن بالكتابة وتقرير قواعد المذهب وأصـوله[4] وهو رأي غير مسـتبعد ، ولو صـح ذلك الافتراض فان الغزالي يكون قد سـاهم وبطريقة غير مباشـرة بانقاذ بعض من كتابات الحسن الصـباح ،

---

(1) العزاوي ، دولة النزارية : 174 ، وكذلك ص167_170 من الدراسة .

(2) الغزالي ، فضـائح الباطنية : 5/2 ، كذلك المنقذ من الظلال ، ط1 ، وضـع حواشـيه وأخرج أحاديثه وقدم له : أحمد شـمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م : 48-49 ، ذكر أحد المستشرقين ان مهاجمة الغزالي للإسماعيلية كانت تحمل بين ثناياها مهاجمته للفلسفة الإســماعيلية وقوتها . ينظر : نورمان كالدر ، حدود العقيدة القومية والراشـدة (الارثوذكسـية) الإسلامية ، منشور ضمن كتاب المناهج والأعراف العقلانية : 132 ، وهو رأي لا يمكن نكرانه بضوء مهاجمة الغزالي عموماً للفلاسفة .

(3) ميثا ، الغزالي والإسماعيليون : 46 ، القاضـي ، أحمد عرفات ، الفكر السياسـي عند الباطنية وموقف الغزالي منه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1993م : 36-37.

(4) دولة النزارية: 177، ينظر الهامش، الحمد الافلاطونية المحدثة والتوحيد الإسماعيلي: 189-190.

هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الغزالي دفع بالفخر الرازي بعد ما يقرب من قرن من الزمن للرد على مؤلفات الغزالي[*] متهماً إياه بســوء فهم الإســماعيلية[1] ، وثم جاء العمل الأكثر نضـجاً ولو بعد ردح طويل من الزمن على أيدي أحد دعاة الإسماعيلية الذين سكنوا اليمن ، وهو الداعي المطلق علي بن محمد بن الوليد الانف العبشـــي القرشـــي ، وكان كتابه دامغ الباطل وحتف المناضـــل والذي يقع في جزأين قد ضـــمنه رداً على كتاب فضـــائح الباطنية وكتابات الغزالي الأخرى[2][**] . ولم يكن صاحب الرد وان – كان إسماعيلياً – إلا انه لم يكن من النزارية ، لكن سـعة معلوماته كانت قد أهلته للرد على الغزالي وربما يكون لما وقع بين يديه من كتب الفاطميين بعد ســـقوط خلافتهم ، حيث جمع تراثهم الموزع في جميع أنحاء البلدان[3] ، ويبدو مع ذلك كله ان الغزالي قد أعجب بعقيدة الحسن الصباح ، والتي اطلق عليها عقيدة التعليم أو التعليمية ، ولأجل انها وبحسـب قول أحد الباحثين قد سحرته – للغزالي – وقادته إلى الإشارة إلى حركة الحسن بن الصباح وأدت به إلى وضــع تحدي هذه العقيدة وأثرها باعتبارها تصـــنيفاً مســتقلاً إلى جانب تصـــنيفات علم الكلام والفلسفة والصوفية موضعه[4] .

(*) كانت عدة كتب ورســائل ألفها الغزالي وهاجم فيها الإســماعيلية منها مثلاً كتاب حجة الحق ومفصــل الخلاف وكتاب الدرج وكتاب القســطاس المســتقيم . ينظر : الغزالي ، المنقذ من الضـــلال ، مقدمة المحقق : 17 ، حسين ، أدب مصر الفاطمية : 67 .

(1) العزاوي ، دولة النزارية : 178 .

(2) ينظر : مقدمة كتاب دامغ الباطل لمصطفى غالب : 15/1 وما بعدها .

(**) يذكر البعض ان الإســـماعيلية تأخروا بالرد على الغزالي تلك الفترة كلها – وهي قرن أو أكثر من الزمن – لقوة حجة آرائه فيهم . ينظر : القاضـي ، الفكر السياسـي عند الباطنية : 211 ، والحقيقة ان ذلك الرأي ربما يكون مجانباً للصـواب فالإسماعيلية لم تكن تنقصـها حجج الفلاسـفة والمفكرين بصـورة عامة ، لكن انشـــغالهم بفرعيهم النزاري والمســـتعلوي ربما أخر ذلك الرد الذي جاء على يد أحد دعاة الفاطمية فيما بعد وبعد سقوط الفاطميين .

(3) ينظر : دامغ الباطل : 1/20–21 و28–31 .

(4) ينظر : ميثا ، الغزالي والإســماعيليون : 47 ، وقد قســم تلك الفرق ورد عليه في كتابه المنقذ من الضلال .

ورغم تحامله على الإسماعيليين لكن إعجابه بهم وبالأخص بالحسن الصباح وبعقيدته كان يتضح أحياناً وهو ربما دفع الغزالي لتبني نظريتهم في ترتيب العقول التي اتضحت في كتابه مشكاة الأنوار[1] . وقد يكون لذلك أسباباً أخرى ، منها ان الغزالي تتلمذ على يد أحد دعاة الإسماعيلية المشهورين[2] .

بعموم الحال فقد تضمنت الكتب الأخرى والتي ألفها الغزالي رداً على الإسماعيلية الحشيشية محاوراته لبعض من أتباعهم ، والتي يبدو انها كانت من بنات أفكار الغزالي تضمنت أسئلةً وأجوبةً وليس بالضرورة انها كانت محاورات حقيقية لأشخاص التقى بهم الغزالي أصلاً بل كانوا أشخاصاً مفترضين[3] ، وهو في ذلك ينهج منهجاً فريداً يشبه إلى حد ما محاورات أفلاطون ، فهو يبني الكتاب كله على حوار يدور بينه وبين أحد رفاق النزارية ، ويتضح ان الرفيق النزاري غالب الغزالي على أمره ، ثم لا نمضي غير بعيد حتى نجد الغزالي تعلو يداه ويتخذ من الرفيق المعلم الناصح بعد ان تبين صدق وصحة ما ذهب إليه[4] .

---

(1) حسين ، أدب مصر الفاطمية : 67 .

(2) تامر ، الغزالي بين الدين والفلسفة : 41 ، ويرجح تامر ان هذا الداعية هو إسماعيل بن سعدة مستنداً بذلك إلى رواية السبكي ، وقد ذكر الأخير ان الغزالي درس على يد الإمام أبي النصر الإسماعيلي "وعلق عنه التعليقة ثم رجع إلى طوس" . ينظر : تاج الدين السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى : 195/6 .

(3) الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ/1111م) ، القسطاط المستقيم ، مطبعة التقدم ، مصر ، د.ت : 66-67 و110 ، شرف ، دولة النزارية : 239 .

(4) المصدر نفسه : 110 .

الخاتمة

بعد الانتهاء من دراسة الاتجاهات السياسية والفكرية عند الحشاشين وأثرها في بلاد المشرق وبلاد الشام ، لابد ان نبين أبرز النتائج وأهمها :

حيث بينت هذه الدراسة أسباب تسمية الحشاشين وكشفت عن بعض ما كان سائداً عند الكثيرين عن طبيعة هذه الفرقة وما لحق من أكاذيب في خصوص التسمية ، وبينت ان التسمية إنما جاءت من العداء المستعر لهم ولا علاقة لهُ مطلقاً بتناولهم مادة الحشيش المخدر ، وبينت هذه الدراسة أهم وأبرز العقائد التي آمن بها الحشاشون وهي بجوهرها عقائدها فرقة الإسماعيلية ، وان وجه الخلاف مع الأخيرة كان حول أحقية الإمامة ، وليس عن عقائد الفرقة وان ذلك الخلاف هو ما أفضى إلى انفراق الحشاشين – أو النزارية – عن الإسماعيلية – المستعلية – كما بينت هذه الدراسة الأثر الكبير لذلك الانقسام والذي أفضى إلى نتائج خطيرة على كافة الأصعدة فللمرة الأولى تفلح فرقة أو حركة دينية بالبقاء ردحاً طويلاً من الزمن أمتد لأكثر من 170 عاماً وسط أعداء مختلفين يفوقون الحركة عدة وعدداً كما تقاسمت الخلافتين العباسية والفاطمية كذلك عداء الحركة مع السلاجقة ولم تستطع تلك القوى القضاء على حركة الحشاشين وقد بينت الدراسة أبرز جوانب قوة الحركة والعائدة إلى جملة من الأسباب منها حسن التنظيم واختيار أماكن نائية وقلاع وحصون يصعب اختراقها ، كما أوضحت الدراسة إيجاد زعيم الحركة ومؤسسها لجناح أو فئة الفداوية أو الفدائيين الذين ارعبوا كل تلك القوى المجتمعة وكان أثرهم أنكى وقعاً من أثر الجيوش الجرارة ، وقد أماطت الدراسة كذلك اللثام عن تهم الآخرين للفرقة تارةً بالإلحاد أو الإباحية وتوصلت إلى ان فرقة الحشاشين ما هي إلا احدى الفرق الإسلامية ، وان سبب العداء كان بمجمله سياسياً بعد ان خرجت الفرقة في موقفٍ ضد ما كان سائداً من فسادٍ وتفسخ اجتماعي وسياسي ، وهو ما أوضحته الدراسة ، سبباً لحملات قادها كثيرون اشتملت على حصار قلاعهم ومذابح عدة تعرض لها الحشاشون لم تفرق بين كبير وصغير ، يقابلها حملات تشويه

وتكفير أوضـــحت الأطروحة ان ســـببها كان ولع الحركة كجزء من فرقة الإســـماعيلية بالفلســـفة والتي بقيت ردحاً طويلاً ترمز إلى الكفر والخروج عن الدين ، كما بينت الدراسة أيضاً ان الحشاشين لم يكونوا مجرد قتلة ولصوص وقطاع طرق وانهم رفضوا تنفيذ أحكام القتل رغم مقدرتهم ببعض قادة المناوئين لهم ، وانهم كانوا يحســـبون لكل الأمور حساباتها الدقيقة وقد أتضح ذلك مثلاً بعلاقتهم بسنجر السلطان السلجوقي الذي أفلح أحد الفداوية بالوصـــول إليه وترك عنده خنجراً ورســـالة تهديد ، وأتضـــح ذلك من الذي جرى مع الســـلطان صـــلاح الدين الأيوبي ، وما بينت الدراســـة كذلك موقف الحشـــاشـــين من المغول عند تقدمهم في بلاد المشـــرق واغتيالهم لبعض من قيادات المغول ، وانهم احتضنوا اللاجئين في قلاعهم قبل سقوطها بيد المغول .

وبينت هذه الدراسة إصرار وقوة وبقاء الحركة ردحاً طويلاً من الزمن على الرغم من سقوط الخلافة الفاطمية وزوال السلاجقة وتعاقب كثيرين ممن كانوا أعداء للحركة .

وأشارت هذه الدراسة كذلك إلى الحركة وبداياتها في بلاد الشام وأوضحت مدى المطاولة والصـــبر الذي تحلى به قادة الحركة هناك على الرغم ما لاقوه من عداء وســـياســـة الحكام المحليين هناك تجاه الحركة وأوضـــحت التجارب الكثيرة التي فشـــلت أغلبها في الحصـــول على موطئ قدم ، وبينت ان ذلك في احدى أســـبابه يعود لوجود قيادة كفوءة للحركة تستطيع الأخذ بزمام الأمور وهو ما أتضـح من ظهور راشد الدين وقيادتها الناجحة للحركة ، وبينت ان ذلك الضعف كان ربما يعود باسبابه إلى الاعتماد على زعماء الحركة في بلاد المشرق وان تلك الظاهرة كانت ربما أفقدت الحشاشين في بلاد الشـــام اتخاذ قرارات جريئة وســـريعة ، تلائم المحيط المختلف والموجود في بلاد الشام عنه في بلاد المشرق ، وبينت الدراسة وكشفت موقف الحشاشين من الصليبيين واغتيالهم للكثير من قادة الصليبيين ، وتعاونهم مع صلاح الدين الأيوبي لوقف نفوذهم وانهم تحملوا جزءًا من تلك المواجهة لموقع قلاعهم المحاذي والمواجه للوجود الصـــليبي ، وبينت أســـباب ضـــعف الحركة عموماً في بلاد الشـــام ونهاية الحركة ، كان ســـببه

الصراعات الداخلية ، وظهور زعامات متعددة للحركة في بلاد الشام وانهيار حشيشية بلاد المشرق الذين كانوا لمدة طويلة عوناً لحشاشي بلاد الشام .

وأوضحت الدراسة الأثر الفكري الذي أفلح بالبقاء ونتاج الحشاشين الأدبي الذي أفلح بالوصـــول إلينا وهو لا يتعدى كونه نتاجاً نادراً وذلك لما تعرضـــت لهُ كتبهم من ضياع وإحراق وإتلاف .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

* المخطوطات :

- الباكوري ، عبد الرشيد صالح بن نوري (كان حياً حتى سنة 816هـ/1413م) :

1- تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار ، ترجمه وعلق عليه : د. ضـــياء الدين أبو موســى بونياتوف ، دار النشــر إدارة التحرير الرئيســة للآداب الشــرقية ، موســكو ، 1971م .

- داع مجهول :

2- رسـالة التنزيه لعمل الموحدين نشـرها عبد الحميد الدجيلي ، ضـمن مجلة الموسـم، مجلة فصلية مصورة تعني بالتراث والآثار ، العدد 67-68 ، هولندا ، 2008م .

- الآلوســي ، محمود شـكري بن عبد الله بن شـهاب الدين محمود الألوســي الحسـيني (ت1342هـ/1923م) :

3- مختصــر تحفة الاثنى عشـرية مخطوط موجود في مكتبة الرياض بالمملكة العربية السعودية ، تحت الرقم 457 .

- الوداعي ، علي بن حنظلة ابن أبي سالم (ت626هـ/1228م) :

4- ارجوزة سـمط الحقائق بدء الكون والإيجاد وأسـرار المبدأ والمعاد ، مخطوط منشـور ضمن مجلة الموسم ، موسوعة فصلية مصورة تعني بالآثار والتراث ، العدد 69-70 ، هولندا ، 2008م .

- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (ت630هـ/1232م) :

1- التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، تح : عبد القادر أحمد صليمات ، طبعة مصر ، القاهرة ، 1963م .

2- الكامل في التاريخ ، ط2 ، تح عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1994م .

3- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، 1980م .

- أسامة بن منقذ ، مؤيد الدولة أبو مظفر أسامة بن مرشد الشيرزي (ت584هـ/1188م) :

4- كتاب الاعتبار ، حررهُ فيليب حتي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، د.ت .

- ابن اسفنديار ، بهاء الدين محمد بن حسن بن اسفنديار (ت بعد سنة 750هـ/1349م) :

5- تاريخ طبرستان ، ط1 ، ترجمة وتقديم : أحمد محمد نادي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2002م .

- إسماعيل الغساني ، إسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي (ت803هـ/1401م) :

6- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك ، تح : شاكر محمود عبد المنعم ، دار التراث الإسلامي ، بيروت ، 1975م .

- ابن أبي اصيبعة ، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي (ت668هـ1269م) :

7- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تح : د. نزار رضا ، دار النشر مكتبة الحياة، بيروت ، د.ت .

- الإمام أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق (عليه السلام) :

8- الرسالة الجامعة ، ط2 ، تح : مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1981م .

- أخوان الصفا :

9- جامعة الجامعة ، ط2 ، تح وتقديم : د. عارف تامر ، منشورات مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .

10- رسائل أخوان الصفا وخلان الوفا ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

- ابن اياس ، محمد بن أحمد بن الياس المصري (ت930هـ/1523م) :

11- البدائع الزهور في وقائع الدهور ، ط1 ، المطبعة الكبرى الأميرية ، ببولاق ، مصر ، 1893م .

- ب -

- ابن بابويه القمي ، أبو الحسن علي بن الحسين القمي (ت329هـ/940م) :

12- الإمامة والتبصرة من الحيرة ، ط1 ، مدرسة الإمام المهدي ، قم ، 1983م .

- ابن الابار ، محمد بن عبد الله بن أبي القضاعي البلنسي (ت658هـ/1259م) :

13- التكملة لكتاب الصلة ، تح : عبد السلام مهراس ، دار الفكر للطباعة ، لبنان ، 1995م .

14- الحلة السيراء ، ط2 ، تح : د. حسني مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985م .

15- المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ، دار النشر ، دار صادر ، بيروت ، 1885م .

- البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت256هـ/869م) :

16- الجامع الصحيح المختصر ، ط3 ، تح : د. مصطفى ديب البغا ، دار النشر دار ابن كثير ، اليمامة وبيروت ، 1987م .

- بدر الدين العيني ، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (ت855هـ/1451م) :

17- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

18- عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار احياء التراث ، بيروت ، د.ت .

- البرقي ، أحمد بن محمد بن خالد (ت274هـ/887 أو 280هـ/893م) :

19- المحاسن ، ط1 ، تصحيح وتعليق : جلال الدين الحسيني ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، 1950م .

- برهانبوي ، قطب الدين سليمان جي (ت1241هـ/1825م) :

20- منتزع الأخيار في أخبار الدعاة الأخيار ، تح : سامر فاروق الطرابلسي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2008م .

- البصري ، عامر بن عامر (ت700هـ/1300م) :

21- الأسرار الخفية في أشعار الإسماعيلية ، تح : المستشرق ايف ماركيه ، دار بيلبون ، باريس ، 2008م .

- ابن بطوطة ، محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي أبو عبد الله (ت779هـ/1387م) :

22- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة ، ط4 ، تح : د. علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م .

- البعلي ، بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي (ت778هـ/1376م) :

23- مختصر الفتاوى المصرية ، ط2 ، نتح : محمد حامد ، دار ابن القيم ، السعودية ، 1986م .

- البقاعي ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (ت885هـ/1480م) :

24- مصــرع التصــوف ، تح : عبد الرحمن الوكيل ، دار النشــر عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة ، 1980م .
- البكري الأندلسي ، عبد الله بن عبد العزيز أبو عبيد الله (ت487هـ1094م) :
25- معجم ما اســتعجم ، ط3 ، تح : مصـــطفى الصـــقا ، عالم الكتب ، بيروت ، 1982م .
- أبو بكر الرازي ، أبو بكر محمد بن زكريا (ت313هـ/925م) :
26- الحاوي في الطب ، ط1 ، تح واعتناء : هيثم خليفة طعيمي ، دار احياء التراث ، بيروت ، 2002م .
- البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279هـ/892م) :
27- فتوح البلدان ، عني بمراجعته والتعليق عليه : رضوان محمد رضوان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1978م .
- البنداري ، الفتح بن علي الاصفهاني (ت583هـ/1187م) :
28- سنا البرق الشـامي ، تح : د. فتحية النبراوي ، الناشـر مكتبة الخانجي ، القاهرة، 1979م .
- أبو البناء المقدسي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت414هـ/1023م) :
29- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تح : غازي طليمات ، وزارة الثقافة والإرشـاد القومي ، دمشق ، 1980م .
- بورتشارد ، راهب يرجيل صهيون (ت679هـ/1280م) :
30- رحلة بورتشارد ، ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية ، تأليف وتحقيق وترجمة : أ.د سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر ، دمشق ، 1999م.
- بيبرس المنصوري ، الخطائي الدوادار ركن الدين (ت715هـ/1325م) :

31- مختار الاخبار تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ ، ط1 ، تح وتقديم : د. عبد اللطيف الحميد صالح حمدان ، الناشر الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، 1993م .

- ت -

- تاج الدين السبكي ، عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/1369م) :

32- طبقات الشافعية الكبرى ، ط2 ، تح : محمود محمد الطناجي ود. عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، د.م ، 1992م .

- ابن تغري بردي ، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت874هـ/1469م) :

33- مورد اللطافة في من ولي السلطة والخلافة ، تح : نبيل عبد العزيز أحمد ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1997م .

34- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار النشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د.ت .

- التطيلي ، الربي بنيامين بن يونة النباري الأندلسي (ت569هـ/1173م) :

35- رحلة بنيامين التطيلي ، ط1 ، ترجمة : عزرا حداد ، تقديم عباس العزاوي ، دار الوراق للنشر المحدودة ، بيروت ، 2011م .

- التفرشي ، مصطفى بن الحسين الحسيني (ت في القرن الحادي عشر) :

36- نقد الرجال ، ط1 ، مطبعة ستارة ، قم ، 1997م .

- التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت بين 360هـ/970م و400هـ/1009م) :

37- الامتاع والمؤانسة ، صححه وضبطه وشرح غريبه : أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1953م .

- ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله (ت728هـ/1327م):

38- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ، ط1 ، تح : د. موسى سليمان الدوش ، دار النشر مكتبة العلوم والحكم ، د.م ، 1987م .
39- بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ، ط1 ، تح : محمد بن عبد الرحمن قاسم ، دار النشر دار الحكومة ، مكة المكرمة ، 1972م .
40- شرح العقيدة الاصفهانية ، ط1 ، تح : إبراهيم سعيداي ، مكتبة الرشد للنشر ، الرياض ، 1994م .
41- الرد على المنطقيين ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .

- ج -

- الجرجاني ، علي بن محمد بن علي (ت816هـ/1416م) :
42- التعريفات ، ط1 ، تح : إبراهيم الانباري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1984م .
- أبو جعفر الطوسي ، محمد بن الحسن بن علي (ت460هـ/1067م) :
43- اختيار معرفة الرجال ، تصحيح وتعليق : مير داما الاسترابادي ، وتح : مهدي الرجائي ، مطبعة بعثت ، قم ، 1983م .
- الجعفي ، المفضل بن عمر (ت كان حياً زمن الإمام جعفر الصادق "ع") :
44- الهفت الشريف من فضائل مولانا جعفر الصادق (عليه السلام) ، ط2 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1977م .
- ابن أبي جمهور العراقي ، محمد زين الدين علي بن حسام الدين إبراهيم بن حسن (ت880هـ/1475م) :
45- عوالي اللئالي ، ط1 ، تح وتقديم : اقا مجتبى العراقي وشهاب الدين النجفي ، مطبعة سيد الشهداء ، قم ، 1983م .

- الجندي اليمني ، بهاء الدين أبو عبد الله يوسف بن يعقوب (ت723هـ/1323م) :
46- السلوك في طبقات العلماء والملوك ، ط2 ، تح : محمد بن علي بن الحسين ، دار النشر مكتبة الإرشاد ، صنعاء ، 1995م .
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج (ت597هـ/1200م) :
47- اخبار القرامطة ، تح : محمد الصباغ ، ط34 ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت ، 1970م .
48- تلبيس ابليس ، ط1 ، تح : د. السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1985م .
49- تلقيح فهوم الأثر في عيون التاريخ والسير ، ط1 ، دار النشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، 1997م .
50- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1939م .

- ح -

- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت1067هـ/1656م) :
51- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1992م .
- الحامدي ، إبراهيم بن الحسين (ت557هـ/1161م) :
52- كنز الولد ، تح : د. مصطفى غالب ، دار صادر ، طبع بمساعدة المعهد الألماني ، بيروت ، 1971م .
- الحباني ، عبد الله بن محمد بن جعفر بن حبان الاصبهاني (ت369هـ/979م) :
53- طبقات المحدثين باصبهان والواردين عليها ، ط2 ، تح : عبد الغفور عبد الحق حسين البلوشي ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م .

- أبو الحجاج الزكي ، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن زكي الدين عبد الرحمن بن يوسف بن علي (ت744هـ/1341م) :
54- تهذيب الكمال ، ط1 ، تح : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1980م .
- ابن حجة الحموي ، تقي الدين أبو بكر علي (ت837هـ/1433م) :
55- خزانة الأدب وغاية الأرب ، ط1 ، تح : عصام سقيو ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1987م .
- حجة العراقيين ، حميد الدين أحمد بن عبد الله الكرماني (ت411هـ/1020م) :
56- الأقوال الذهبية ، ط1 ، تح : د. مصطفى غالب ، منشورات دار محيو ، بيروت ، 1977م .
57- الرسالة المذهبة ، ضمن خمس رسائل إسماعيلية ، تح وتقديم : عارف تامر ، دار الانصاف للطبع والنشر والتأليف ، سوريا – سلمية ، 1956م .
58- رسالة النظم في مقابلة العوالم بعضها بعضاً ، ضمن مجموعة رسائل الكرماني ، ط2 ، المجموعة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م .
59- راحة العقل ، تح وتقديم : د. محمد كامل حسين ود. محمد مصطفى حلمي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .
60- الرياض في الحكم بين (الصادين) صاحبي الاصلاح والنصرة ، تح وتقديم : عارف تامر ، دار الثقافة ، بيروت ، 1960م .
61- الرسالة الوضية في معالم الدين وأصوله ، ط1 ، تح ودراسة د. محمد عيسى الحريري ، دار القلم للنشر والتوزيع ، الكويت ، 1987م .
62- الرسالة الموسومة بالحاوية في الليل والنهار ، مجموعة رسائل الكرماني ، ط2 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالبة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م .

- ابن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت852هـ/1448م) :
63- الإصــابة في تمييز الصــحابة ، ط1 ، تح : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، 1992م .
64- لسان الميزان ، تح : دار المعارف النظامية الهند ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1986م .
- ابن حجر الهيثمي ، أحمد بن محمد بن محمد بن علي (ت974هـ/1566م) :
65- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ط2 ، تح : مركز الدراســات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى ، دار النشر المكتبة العصرية ، صيدا ، 1999م .
66- الفتاوى الفقهية الكبرى ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
- ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله بن محمد الحســيني عز الدين أبو حامد (ت655هـ/1257م) :
67- شــرح نهج البلاغة ، تح : محمد أبو الفضــل إبراهيم ، دار احياء التراث العربي عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، بيروت ، 1962م .
68- حملات الغزو المغولي للشرق فصل من شرح نهج البلاغة ، ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه : د. مختار جبلي ، دار لارماتون ، باريس ، 195م .
- ابن الحريري ، أحمد بن علي بن المغربي (ت نحو 1520/926م) :
69- الاعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين ، تح : د. سهيل زكار ، مكتبة الفلاح ، دمشق ، 1984م .
70- الاخبار السنية في الحروب الصليبية ، ط3 ، الزهراء للاعلام العربية ، القاهرة ، 1985م .
- ابن حزم ، علي بن أحمد بن سعيد أبو محمد (ت456هـ/1064م) :
71- الاحكام في أصــول الاحكام ، ط1 ، دار الحديث للنشــر والتوزيع ، القاهرة ، 1983م .

72- الفصل في الملل والأهواء والنحل ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، د.ت .
- حسن المعدل ، علي بن حسن الهواري (ت659هـ/1260م تقريباً) :
73- رسالة مبتدأ العوالم ودور الستر والتقية ، ضمن كتاب أربع كتب حقانية ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م .
- الحسيني ، صدر الدين أبو الحسن علي بن السيد أبو الفوارس ناصر بن علي (ت622هـ/1225م) :
74- اخبار الدولة السلجوقية ، اعتنى بتصحيحه : محمد اقبال ، طبعة الهند ، لاهور ، 1933م .
75- زبدة التواريخ ، ط2 ، تح : د. محمد نور الدين ، دار اقرأ للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، 1986م .
- الحموي ، محمد بن علي بن نضيف (ت بعد سنة 628هـ/1230م) :
76- تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان والمعروف بالتاريخ المنصوري ، تح : د. أبو العبد دودو ، دار النشر مطبعة الحجاز مطبعة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، د.ت .
- الحنبلي ، أحمد بن إبراهيم (ت876هـ/1471م) :
77- شفاء القلوب في مناقب بني أيوب ، تح : ناظم رشيد ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1978م .
- ابن حوقل ، أبو القاسم محمد النصيبي (ت367هـ/977م) :
78- صورة الأرض ، مكتبة الحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م .
- الحميري ، محمد بن عبد المنعم (ت900هـ/1494م) :
79- الروض المعطار في خبر الأقطار ، ط2 ، تح : احسان عباس ، مطابع السراج ، بيروت ، 1980م .

- ابن حيون ، النعمان بن محمد بن منصور أبو حنيفة التميمي (ت363هـ/973م):
80- اختلاف أصول المذهب ، ط3 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م .
81- أساس التأويل ، تح وتقديم : عارف تامر ، منشورات دار الثقافة ، بيروت ، 1960م .
82- افتتاح الدعوة ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 2005م .
83- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام ، تح : أصف بن علي اصغر فيضي ، دار المعارف ، القاهرة ، 1963م .
84- الارجوزة المختارة في الإمامة ، تح : إسماعيل قربان بونوالا ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م .
85- شرح الاخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح : السيد محمد الجلالي ، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1993م .
86- المجالس والمسايرات ، ط1 ، مزيدة ومنقحة ، تح : الحبيب الفقي وآخرون ، دار المنتظر ، بيروت ، د.ت .
87- المناقب والمثالب ، ط1 ، تح : ماجد بن أحمد العطية ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 2002م .
88- الهمة في آداب اتباع الأئمة ، نشر وتحقيق : د. محمد كامل حسين ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر مطبعة الاعتماد ، القاهرة ، د.ت .
- الحمادي المعافري ، أبو عبد الله محمد بن مالك بن أبي القبائل (ت أواسط القرن الخامس الهجري) :
89- كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة ، حققه وعلق عليه : محمد بن علي بن الحسين الاكوع ، ط1 ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، 1994م .

- الحموي ، ياقوت بن عبد الله الرومي أبو عبد الله شهاب الدين (ت626هـ/1228م) :

90- ارشـــاد الاريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدباء ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م .

91- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

- خ -

- الخطيب البغدادي ، احمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت643هـ/1070م) :

92- تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .

- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسـن ابن محمد بن جابر الحضرمي (ت808هـ/1405م) :

93- مقدمة ابن خلدون ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، 1984م .

94- المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصـرهم من ذوي السـلطان الأكبر والمعروف بتاريخ ابن خلدون ، ط5 ، دار القلم ، بيروت ، 1984م.

- ابن خلكان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت681هـ/1282م) :

95- وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تح : احسـان عباس ، دار الثقافة ، لبنان ، د.ت .

- الخوارزمي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (ت380هـ/990م) :

96- مفاتيح العلوم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

- د -

- داعي مجهول :

97- القصـــيدة الشـــافية ، تح : عارف امر ، المطبعة الكاثوليكية ، دار المشـــرق ، بيروت ، 1967م .

- داعي إسماعيلي مجهول :

98- رسـالة التحاميد الخمس ، تح : د. عارف تامر ، منشـورة ضـمن مجلة المواسم، مجلة فصلية تراثية مصورة ، العددين 43-44 ، هولندا ، 1999م .

- الادريســـــي ، أبو عبـد الله محمـد بن عبـد الله بن إدريس الحموي الحســـــني (ت560هـ/1164م) :

99- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط1و ، عالم الكتب ، بيروت ، 1989م .

- ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن (ت321هـ/933م) :

100- جمهرة اللغـة ، ط1 ، تح : رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت، 1987م .

- الدمشـــقي ، ابن ناصـــر الدين شـــمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد القيســـي (ت842هـ/1438م) :

101- توضـيح المشتبه في ضـبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، ط1 ، تح: محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993م .

- الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت736هـ/1335م) :

102- كنز الدرر وجامع الغرر ، قسـم الدرة المضـية في اخبار الدولة الفاطمية ، تح: صلاح الدين المنجد ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1961م .

- ابن أبي دينـار العريني ، أبو عبـد الله محمـد بن أبي القـاســـم الرعيني القيرواني (ت1110هـ/1698م) :

103- المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ط1 ، مطبعة الدولة التونســـية ، تونس ، 1869م .

- الدنيوري ، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/895م) :

104- كتاب النبات ، تح : بزولين ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1935م .

- ذ -

- الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1347م) :

105- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، ط1 ، تح : د. عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1987م .

106- دول الإسلام ، ط1 ، حققه وعلق عليه : حسن إسماعيل مروة ، وقرأه وقدم له : محمود الارناؤوط ، دار صادر ، بيروت ، 1999م .

107- سير اعلام النبلاء ، ط9 ، تح : شعيب الارناؤوط ، ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1992م .

108- العبر في خبر من غبر ، ط2 ، تح : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1984م .

109- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، ط1 ، تح : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1995م .

- ر -

- الرازي ، محمد بن أبو بكر بن عبد القادر شمس الدين (ت660هـ/1261م) :

110- مختار الصحاح ، تح : محمود خاطر ، طبعة جديدة ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، 1995م .

- الراوندي ، محمد بن علي بن سليمان (كان حياً سنة 603هـ/1206م) :

111- راحة الصدور وآية السرور ، نقله إلى العربية ، د. إبراهيم أمين الشواربي وآخرون ، وراجعه ونشر مقدماته : د. إبراهيم أمين الشواربي ، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، 1960م .

- الرفنة ، محمد بن سعيد بن داود (ت854هـ/1450م) :

112- الرسالة الكافية ، ضمن كتاب ثلاث رسائل إسماعيلية ، ط1 ، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983م .

- ز -

- ابن الازرق ، محمد علي بن محمد الازرق الغرناطي أبو عبد الله الأندلسي (ت896هـ/1490م) :

113- بدائع السلك في طبائع الملك ، ط1 ، تح : د. علي سامي النشار ، وزارة الاعلام العراقية ، العراق ، د.ت .

- الزمخشري ، محمود بن عمر بن محمد (ت538هـ/1143م) :

114- الفائق في غريب الحديث ، ط2 ، تح : علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .

- ابن زهرة الحلبي ، حمزة بن علي (ت585هـ/1189م) :

115- غنية النزوع ، ط1 ، تح : إبراهيم البهادري ، إشراف : جعفر السبحاني ، مطبعة اعتماد ، قم ، 1996م .

- الازهري ، محمد بن أحمد الأزهري الهروي (ت370هـ/980م) :

116- تهذيب اللغة ، ط1 ، تح : محمد عوض مرعي ، دار النشر دار احياء التراث العربي ، بيروت ، 2001م .

- س -

- سبط ابن الجوزي ، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي (ت654هـ/1256م) :

117- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ط1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف ، الهند، 1951م .

- سبط ابن العجمي ، إبراهيم بن محمد بن خليل برهان الدين الحلبي (ت814هـ/1411م) :

118- الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث ، ط1 ، تح : صبحي السامرائي ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، بيروت ، 1987م .

- السجستاني ، إسحاق بن أحمد السجزي (ت331هـ/942م) :

119- الينابيع ، ط1 ، تقديم وتحقيق : د. مصطفى غالب ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، 1965م .

- السجستاني ، أبو يعقوب إسحق (كان حياً بعد سنة 331هـ/942م) :

120- رسالة تحفة المستجيبين ، ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية ، ط1 ، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1983م .

121- كتاب الافتخار ، ط1 ، حققه وقدم له : إسماعيل قربان بوناوالا ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000م .

122- كشف المحجوب ، نشره كورين ، طبعة طهران ، 1941م .

- السخاوي ، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت830هـ/1426م) :

123- البلدانيات ، ط1 ، تح : حسام بن محمد القطان ، دار النشر دار العطاء ، السعودية ، 2001م .

124- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار ومكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .

- سعيد بن بطريق ، افتيشيوس (ت بعد سنة 321هـ/933م) :

125- التاريخ المجموعة على التحقيق والتصديق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1905م .

- الاسفراييني ، طاهر بن محمد أبو المظفر (ت471هـ/1078م) :

126- التبصير في الدين وتمييز الفرق الناجية عن الهالكين ، ط1 ، تح : كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، 1983م .

- السلاوي ، احمد بن خالد بن حماد بن محمد الناصري (ت1315هـ/1897م) :

127- الاستقصا لاخبار دول المغرب الأقصى ، تح : جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب للنشر ، الدار البيضاء ، 1997م .

- الإسماعيلي السليماني ، ضياء الدين إسماعيل بن هبة الله (مجهول الوفاة) :

128- مزاج التسنيم تفسير للجزء 11-20 من القرآن ، عنى بتصحيحه : ر.شتروطمان ، المجمع العلمي ، غوتينغن ، د.ت نقلاً عن النسخة الخطية (هـ76) المحفوظة في مكتبة امبروسيانه ميلانو .

- السمعاني ، أبو سعيد عبد الكريم محمد بن منصور التميمي (ت562هـ/1166م):

129- الانساب ، ط1 ، تح : عبد الله عمر البارودي ، دار الفكر ، بيروت ، 1998م .

- سهراب :

130- عجائب الأقاليم السبعة إلى نهاية المعمورة ، اعتنى بنسخه وتصحيحه : هانس فون مثريك ، مطبعة ادولف هولز هوزن ، فينا ، 1929م .

- ابن سنان ، إبراهيم بن ثابت بن قرة الحراني (ت335هـ/946م) :

131- تاريخ أخبار القرامطة ، تح : د. سهيل زكار ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1971م .

- السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت911هـ/505م) :

132- تاريخ الخلفاء ، ط1 ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة، مصر ، 1952م .

133- الاتقان في علوم القرآن ، ط1 ، تح : سعيد المندوب ، دار الفكر ، لبنان ، 1996م .

134- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1906م .

135- الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الفكر ، بيروت ، 1993م .

- الاسيوطي ، محمد بن الحسين بن علي الأسيوطي ، شمس الدين المصري (ت807هـ/1404م) .

136- جواهر العقود ومعين القضاة والشهود ،دار النشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

- السواسي ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد (ت861هـ/1456م) :

137- شرح فتح القدير ، دار الفكر العربي ، بيروت ، د.ت .

- ش -

- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان (ت665هـ/1266م):

138- الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية ، ط1 ، تح : إبراهيم الزيبق ، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1997م .

- ابن الشحنة ، أبو الفضل محمد (ت890هـ/1485م) :

139- الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، تقديم : عبد الله درويش ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، 1984م .

- ابن شداد ، بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ت632هـ/1234م):

140- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، سيرة صلاح الدين ، ط1 ، تح : د. جمال الدين الشيال ، مكتبة ومطبعة الخانجي ، القاهرة ، 1964م .

- ابن شداد ، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت684هـ/1285م) :

141- الاعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، تح : زكريا عبارة ، وزارة الثقافة ، دمشق ، 1991م .

142- تاريخ الملك الظاهر ، باعتناء : أحمد حطيط ، طباعة شركة الأمل للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2009م .

- الشـــريف المرتضـــى ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ/1022م) :
143- الفصول المختارة ، ط2 ، تح : علي مير شريفي ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م .
- الاشعري ، علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن (ت324هـ/935م) :
144- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ط3 ، تح : هلمرت دينر ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- ابن شـــهراشـــوب ، زين الدين محمد بن علي ابن شـــهر اشـــوب المازندراني (ت588هـ/1192م) :
145- مناقب آل أبي طالب ، ط1 ، تصحيح وشرح ومقابلة : لجنة من أساتذة النجف الأشرف ، المطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1956م .
- الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبو بكر (ت548هـ/1153م) :
146- الملل والنحل ، تح : محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت ، 1983م .
- الشيرازي ، داعي الدعاة المؤيد في الدين هبة الله (ت470هـ/1077م) :
147- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة ، تح وتقديم : محمد كامل حسين ، ط1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1949م .
148- المجالس المؤيدية ، ط1 ، حققه وعلق عليه : محمد عبد الغفار ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1994م .
149- المجالس المؤيدية ، المائة الأولى ، تح وتقديم : د. مصـــطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1974م .
150- المجالس المؤيدية ، المائة الخامسة ، تح وتقديم : د. حسام خضور ، دار الغدير ، سورية – سلمية ، د.ت .

- الشـــيخ الصـــدوق ، أبو جعفر محمد بن علي بن الحســـن بن بـابويـه القمي (ت381هـ/991م) :

151- معاني الاخبار ، تصـــحيح وتعليق : علي أكبر غفاري ، مؤســـســـة النشـــر الإسلامي ، قم ، 1959م .

- الشـــيخ المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان ابن عبد الســـلام بن جابر (ت413هـ/1022م) :

152- الامالي ، ط2 ، تح : حســـين الاســـتاذ ولي أكبر غفاري ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م .

- ص -

- الصفار، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار أبو جعفر القمي (ت290هـ/902م):

153- بصـائر الدرجات ، تصـحيح وتعليق وتقديم : ميرزا حسن كوجه باغي ، مطبعة الاحمدي ، طهران ، 1983م .

- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت764هـ/1362م) :

154- الشـعور بالعور ، ط1 ، تح : د. عبد الرزاق حسـين ، دار النشـر داور عمار، الأردن – عمان ، 1988م .

155- الوافي بالوفيات ، تح : أحمد الارناؤوط ، وتركي مصـــطفى ، دار احياء التراث ، بيروت ، 2000م .

- ابن الصـــلاح ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصـــلاح عبد الرحمن الشـــافعي (ت643هـ/1245م) :

156- طبقات الفقهاء الشـافعية ، ط1 ، تح : محيي الدين علي نجيب ، دار البشـائر الإسلامية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م .

- الصنهاجي، محمد بن علي بن حماد بن عيسى أبو عبد الله (ت628هـ/1278م):

157- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح وتعليق : جلول أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د.ت .

158- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، تح : فوندر جيدن ، طبعة باريس ، لسنة 1927م .

- صديقي خان الهندي ، محمد صديق خان بن السيد حسن بن علي (ت1307هـ/1886م) :

159- لقطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1985م .

- الاصطخري ، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي (ت346هـ/957م) :

160- مسالك الممالك ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1937م .

- الصوري ، محمد بن علي بن حسن (ت490هـ/1096م) :

161- القصيدة الصورية ، تح وتقديم : عارف تامر ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م .

- الصيرفيني ، تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد (ت مجهول الوفاة) :

162- المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابوري ، تح : خالد حيدر ، داور الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م .

- ابن الصيرفي ، علي بن منجب بن سليمان الصيرفي المصري (ت542هـ/1129م) :

163- الإشارة إلى من نال الوزارة ، تح : عبد الله مخلص ، طبع بمطبعة المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية ، القاهرة ، 1936م .

- ط -

- ابن طاووس ، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ت664هـ/1265م) :

164- أقبال الاعمال ، ط1 ، تح : جواد الفيومي الاصفهاني ، مطبعة مكتب الإسلامي ، قم ، 1993م .
- الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (ت360هـ/970م) :
165- مسند الشاميين ، ط1 ، تح : حمدي بن عبد المجيد ، دار النشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/922م) :
166- تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .
- الطقطقي ، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا العلوي أبو جعفر (ت709هـ/1309م) :
167- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، عني بنشره : د. محمود توفيق الكتبي ، المطبعة الرحمانية ، مصر ، د.ت .
- الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن (ت460هـ/1067م) :
168- الرسائل العشر ، ط2 ، تح : علاء آل جعفر ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1993م .
- الطوسي ، نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن (ت672هـ/1273م) :
169- أخلاق محتشمي ، تصحيح وتحقيق : محمد تقي دانشي بزوده ، مؤسسة انتشارات دانشكاه ، طهران ، 1957م .
170- آداب المتعلمين ، تح وتوثيق : السيد محمد رضا الحسيني الجلاني ، ط1 ، مطبعة ستارة ، إيران ، 1995م .
171- قواعد العقائد ، تح : علي رباني ، الناشر لجنة الحوزة العلمية ، قم ، 1995م .
- الطيبي ، شمس الدين بن أحمد بن يعقوب (ت673هـ/1274م) :

172- رسالة الدستور ودعوة المؤمنين للحضور ، منشورة ضمن كتاب أربع رسائل إسماعيلية ، ط2 منقحة ، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار ومكتبة الحياة، بيروت ، 1978م .

- ظ -

- ابن ظافر ، جمال الدين علي بن ظافر (ت623هـ/1226م) :

173- أخبار الدول المنقطعة دراسة (تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب اندريه فريه) ، مطبعات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1972م .

174- أخبار الدول المنقطعة ، ط1 ، تح : د. عصام مصطفى هزايمة وآخرون ، دار الكندي للنشر والتوزيع ، الأردن – أربد ، 1999م .

- ع -

- عبد اللطيف البغدادية ، عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي (ت629هـ/1231م) :

175- نصوص من تاريخه ورحلته ، منشور ضمن الموسوعة الشامية للحروب الصليبية ، تأليف وتحقيق وترجمة : أ.د. سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1995م .

- ابن العبري ، غريغوريوس أبو الفرج بن اهرون الطبيب الملطي المعروف بابن العبري (ت685هـ/1259م) :

176- تاريخ مختصر الدول ، ط2 ، وقف على تصحيحه وفهرسته : الأب انطون صالحاني اليسوعي ، دار الرائد اللبناني ، لبنان ، 1994م .

- ابن العديم ، عمر بن القاضي مجد الدين أحمد بن هبة الله جرادة العقيلي كمال الدين (ت660هـ/1261م) :

177- بغية الطلب في تاريخ حلب، تح : سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت.
178- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط1 ، تح : د. سهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، دمشق والقاهرة ، 1997م .
179- زبدة الحلب من تاريخ حلب ، ط1 ، وضع حواشيه : خليل المنصور دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م .
- ابن عذارى المراكشي ، أبو عبد الله محمد بن عذارى الأندلسي (ت في حدود 695هـ/1295م) :
180- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ط3 ، تح ومراجعة : ج.س. كولان ، وأ. ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983م .
- عريب القرطبي ، عريب بن سعد (ت369هـ/979م) :
181- صلة تاريخ الطبري ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، د.ت .
- ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله (ت603هـ/1206م) :
182- تاريخ مدينة دمشق ، تح : محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، 1995م .
- العصامي المكي ، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي الشافعي (ت1111هـ/1699م) :
183- سمط النجوم العوالي في ابناء الأوائل والتوالي ، تح : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م .
- عضد الدين الايجي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت756هـ/1355م) :
184- كتاب المواقف ، ط1 ، تح : عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، 1997م .
- العظيم ابادي ، محمد اشرف بن امير علي حيدر أبو الطيب (ت1329هـ1911م) :

185- عون المعبود وشـــرح ســـنن أبي داود ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1995م .

- العظيمي ، محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن نزار أبو عبد الله التنوخي الحلبي (ت556هـ/1161م) :

186- تاريخ حلب والمعروف بتاريخ العظيمي ، حققه وقدم له : إبراهيم زعرور ، طبعة دمشق ، لسنة 1984م .

- العكبري ، الحسن بن محمد بن عبد الرحمن أبو البقاء البغدادي (ت690هـ/1291م) :

187- ديوان المتنبي ، تح : مصطفى السقا وآخرون ، دار المعرفة ، بيروت ، د.ت .

- أبو العلاء المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد (ت449هـ/1105م):

188- رسالة الغفران ، ط1 ، مطبعة بالموسكي ، مصر ، 1903م .

- العلوي ، علي بن محمد بن علي (ت709هـ/1309م) :

189- المجدي في أنســاب الطالبين ، ط1 ، تح : أحمد المهداوي الدامغاني وآخرون، مكتبة آيبة الله المرعشي ، ايران ، 1988م .

- علم الإسـلامي ثقة الإمام ، داعي من دعاة الفاطميين وهو شـخصـية مجهولة عاش زمن الإمام والخليفة الفاطمي المستنصر بالله والذي توفي سنة (487هـ/1094م) :

190- المجالس المستنصرية ، ط1 ، مؤسسة النور للمطبوعات ، بيروت ، 2006م .

- عماد الدين الاصفهاني ، محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/1200م) :

191- البســتان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ، دراســـة وتحقيق : محمد علي الطعاني ، دار اليازوري العلمية ، الأردن ، د.ت .

192- البرق الشـامي ، ط1 ، تح : د. فالح حسـين ، مؤسـسـة عبد الحميد شـومان ، عمان – الأردن ، 1987م .

193- تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار الفتح بن علي بن محمد البنداري ، طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية ، مؤسسة الموسوعات ، مصر ، 1903 .

194- الفتح القسي في الفتح القدسي ، ط1 ، دار المنار ، د.م ، 2004م .

- عماد الدين القرشي ، إدريس بن الحين عبد الله بن علي بن محمد بن حاتم (ت872هـ/1467م) :

195- تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب (القسم الخاص من كتاب عيون الاخبار) ، ط1 ، تح : محمد البعلاوي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985م .

196- زهر المعاني ، ط1 ، تقديم وتحقيق : د. مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1991م .

197- عيون الأخبار وفنون الآثار ، تحقيق وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، د.ت .

- ابن العماد العكبري ، عبد الحي بن أحمد بن محمد أبو الفلاح الدمشقي (ت1089هـ/1678م) :

198- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ط1 ، تح : عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ، 1985م .

- ابن أبي عمران هبة الله بن موسى (مجهول الوفاة) :

199- بين أبي العلاء المعري وداعي الدعاة الفاطمي ، خمس رسائل مفيدة نشرها محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ومكتبتها ، القاهرة ، 1930م .

- غ -

- الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت505هـ/1111م) :

200- سـر العالمين وكشـف ما في الدارين ، تقديم : الطباطبائي الحسـني ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، 1965م .

201- فضـائح الباطنية ، تح : د. عبد الرحمن بدوي ، الناشـر الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1964م .

202- القسطاس المستقيم ، مطبعة التقدم ، مصر ، د.ت .

203- مشـكاة الأنوار ، تح : أحمد عزت المصـري ، مطبعة الصـدق ، مصـر ، 1905م .

204- المنقذ من الظلال ، ط1 ، وضع حواشيه واخرج أحاديثه وقدم له : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م .

- ف -

- الفاروقي ، أحمد بن يوسف بن علي الازرق (ت577هـ/1181م) :

205- تاريخ امد وميافارقين ، منشـور ضـمن الموسـوعة الشـاملة في تاريخ الحروب الصـليبية ، تأليف وتحقيق وترجمة : د. سـهيل زكار ، دار الفكر العربي ، دمشـق ، 1995م .

206- تاريخ الفاروقي ، حققه وقدم له : د. بدوي عبد اللطيف عوض ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1974م .

- فخر الـدين الرازي ، محمـد بن عمر بن الحسـين أبو عبـد الله القرشـي (ت606هـ/1209م) :

207- اعتقادات فرق المسـلمين والمشـركين ، تح : علي سـامي النشـار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1981م .

208- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م .

209- الشجرة المباركة في أنساب الطالبية ، ط2 ، تح : مهدي الرجائي ، إشراف: محمود المرعشي ، مطبعة حافظ ، قم المقدسة ، 1998م .

- الفخري ، علي بن محمد (القرن التاسع الهجري) :

210- تلخيص البيان في ذكر أهل الأديان ، ط1 ، تح : رشيد الخيون ، الناشر دار مدارك ، بيروت ، 2011م .

- أبو الفداء ، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر شاهنشاه بن أيوب (ت732هـ/1331م) :

211- المختصر في أحوال البشر ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د.ت .

- ابن الفرات ، محمد بن عبد الرحيم بن علي بن محمد بن ناصر الدين (ت807هـ/1404م) :

212- تاريخ الدول والملوك والمعروف بتاريخ ابن الفرات ، حققه وعلق عليه : د. حسن محمد الشجاع ، مصر ، 1970م .

- أبو الفرج الأصفهاني ، علي بنت الحسين بن الهيثم القرشي (ت256هـ/869م):

213- الأغاني ، تح : علي مهنا وسمير جابر ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .

- الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت170هـ/786م) :

214- كتاب العين ، تح : د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، د.ت .

- ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني (ت365هـ/75م) :

215- مختصر كتاب البلدان ، مطبعة ابريل – ليدن ، 1884م .

- ابن الفوطي ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد كمال الدين (ت723هـ) :

216- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، تح : د. بشار عواد معرو ود. عمار عبد السلام رؤوف ، طبعة ايران ، د.ت .

- الفيرزابادي ، محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم (ت817هـ/1414م) :
217- القاموس المحيط ، دار الرسالة ، بيروت ، د.ت .
- الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي أبو العباس (ت770هـ/1368م) :
218- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، دار النشر المكتبة العلمية ، بيروت ، د.ت .

- ق -

- القاري ، علي بن سلطان بن محمد الهروي (ت1014هـ/1605م) :
219- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ط1 ، تح : جمال عتياني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2001م .
- القاضي الجرجاني ، أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني أبو العباس (ت482هـ/1089م) :
220- شرح المواقف ، ط1 ، تح وشرح : علي بن محمد الجرجاني ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1970م .
- ابن قاضي شهبة ، أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت874هـ/1469م) :
221- طبقات الشافعية ، تح : د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب ، بيروت ، 1986م .
- ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276هـ/889م) :
222- المعارف ، ط2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2003م .
- القرماني ، أحمد بن سنان بن يوسف بن أحمد (ت1019هـ/1610م) :

223- اخبار الدول وأثار الأول ، ط1 ، دراسة وتحقيق : د. أحمد حطيط ، ود. فهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، 1992م .

- القرمطي ، عبدان (مجهول الوفاة) :

224- كتاب شجرة اليقين ، ط1 ، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م .

- القزويني ، عبد الكريم بن محمد الرافعي (ت622هـ/1225م) :

225- التدوين في اخبار قزوين ، تح : عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987م .

- القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ/1283م) :

226- أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

- ابن القطان ، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي أبو الحسن (ت628هـ/1230م) :

227- جزء من كتاب نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، ط2 ، تح : د. محمود علي مكي ، دار الغرب الإسلامي ، تطوان ، 1964م .

- القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف (ت646هـ/1248م) :

228- كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ط1 ، عني بتصحيحه : محمد أمين الخانجي الكتبي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1908م .

- القلانسي ، أبو يعلى حمزة بن أسد بن علي بن محمد (ت555هـ/1160م) :

229- ذيل تاريخ دمشق ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1908م .

- القلقشندي ، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (ت821هـ/1418م) :

230- مآثر الأنافة في معالم الخلافة ، ط2 ، تح : عبد الستار أحمد فراج ، دار النشر مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، 1985م .

231- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، تح : عبد القادر زكريا ، دار النشر وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 1981م .

- القمي ، سعد بن عبد الله الاشعري (ت300هـ/912م) :

232- المقالات والفرق ، تعليق : محمد جواد مشكور ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1963م .

- ابن قيم الجوزية ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي (ت751هـ/1350م) :

233- حاوي الأرواح إلى بلاد الافراح ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

234- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ط3 ، تح : د. علي بن محمد الدخيل ، دار النشر دار العصمة ، الرياض ، 1998م .

235- المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، ط2 ، تح : عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، حلب ، 1982م .

- ك -

- الكتبي ، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد الداراني (ت764هـ/1365م) :

236- عيون التواريخ ، تح : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داود ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1977م .

237- فوات الوفيات ، ط1 ، تح : علي محمد بن يعوض الله وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م .

- ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء (ت774هـ/1372م) :

238- البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، د.ت .

- الكشي ، أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت340هـ/951م) :

239- معرفة أخبار الرجال المعروف برجال الكشي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.
- الكليني ، محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت329هـ/940م) :
240- الأصول في الكافي ، ط4 ، مطبعة حيدري ، طهران ، 1945م .

- م -

- الالوسي ، شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله بن محمود بن درويش (ت1270هـ/1853م) :
241- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار النشر دار احياء التراث ، بيروت ، د.ت .
- ابن ماجة ، محمد بن يزيد الربعي القزويني أبو عبد الله (ت273هـ/886م) :
242- سنن ابن ماجة ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
- ماركو بولو :
243- رحلات ماركو بولو ، ترجمها إلى الانجليزية : وليم مارسدن وإلى العربية : عبد العزيز جاويد ، ط2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1995م .
- المازندراني ، محمد صالح (ت1081هـ/1670م) :
244- شرح أصول الكافي ، ط1 ، تح وتعليق : أبو الحسن الشعراني وعلي عاشور ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د.ت .
- المتقي الهندي ، علاء الدين علي المتقي بن حسان (ت975هـ/1567م) :
245- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ط1 ، تح : عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998م .
- المتوكل على الله ، أحمد سليمان بن محمد بن علي بن الإمام الناصر أحمد بن الإمام الهادي إلى الحق (ت560هـ/1164م) :

246- كتاب حقائق المعرفة ، مراجعة وتصحيح : حسن بن يحيى اليوسفي ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1935م .

- المجدوع ، إسماعيل بن عبد الرسول (ت في القرن الثاني عشر للهجرة) :

247- فهرسة الكتب والرسائل ولمن هي من العلماء والأئمة والحدود الأفاضل ، المعروف بفهرست المجدوع ، حققه وعلق عليه : علينقي منزوي ، منشورات مكتبة الأسدي ، طهران ، 1966م .

- المجلسي ، محمد باقر بن محمد بن تقي بن مقصود علي الاصبهاني (ت1111هـ/1699م) :

248- بحار الأنوار ، ط2 المصححة ، مؤسسة الوفاء ، بيروت ، 1983م .

- المحبي ، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محب الدين (ت1111هـ/1699م) :

249- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .

- مرتضى الزبيدي ، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق أبو الفيض (ت1205هـ/1790م) :

250- تاج العروس من جواهر القاموس ، تح : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د.م ، د.ت .

- المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي (ت421هـ/1030م) :

251- الامالي ، ط1 ، تح : د. يحيى الجبوري ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1995م .

- المرعشي، سيد ظهير الدين بن سيد نصير الدين (ت بعد سنة 881هـ/1476م):

252- تاريخ طبرستان ورويان ومازندان ، باهتمام برنهارد داران ، مطبعة دار السلطنة ، بطربورغ ، 1885م .

- المستنصر بالله ، أبو تميم معد بن علي (ت487هـ/1094م) :

253- السجلات المستنصرية ، سجلات وتوقيعان وكتب الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، تقديم وتحقيق : د. عبد المنعم ماجد ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1954م .

- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت346هـ/957م) :

254- التنبيه والاشراف ، طبعة دي خويه ضمن سلسلة المكتب الجغرافي ، ليدن ، 1893م .

255- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، عني بتحقيقها وتصحيحها : شارل بلا ، طبعة بريه دي منار وبافيه دي كرتاي ، بيروت ، 1970م .

- مطهر المقدسي ، مطهر بن طاهر (ت355هـ/965م) :

256- البدء والتاريخ ، دار النشر مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، د.ت .

- أبو المعالي ، حاتم بن عمران بن زهرة (ت497هـ/1103م) :

257- رسالة الأصول والأحكام ، ضمن خمس رسائل إسماعيلية ، تح وتقديم : د. عارف تامر ، دار الانصاف للتأليف والطباعة والنشر ، سوريا ، 1956م .

- أبو المعالي ، محمد بن عمر المظفر بن شاهنشاه الايوبي (ت617هـ/1221م) :

258- مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تح : حسن حبشي ، دار الكتب ، القاهرة ، د.ت .

- أبو المعالي الحسيني ، محمد الحسيني العلوي (ت485هـ/1092م) :

259- بيان الأديان ، تصحيح عباس أقبال ، ترجمه عن الفارسية ، د. يحيى الخشاب ، منشور ضمن مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مطبعة جامعة القاهرة، عدد خاص في ذكرى المرحوم الأستاذ عبد الوهاب عزام ، لسنة 1960م .

- المعري، أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد أبو العلاء (ت449هـ/1057م):

260- رسالة الغفران ، تح : عائشة عبد الرحمن ، دار المعارف ، القاهرة ، 1969م .

- المعز لدين الله الخليفة الفاطمي ، أبو تميم معد بن منصور بالله أبو الطاهر إسماعيل (ت365هـ/975م) :

261- أدية الأيام السبعة ، ط1 ، تح وتقديم : إسماعيل قربان بوناوالا ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 2006م .

- ابن مفلح ، برهان الدين بن محمد بن عبد الله (ت884هـ/1479م) :

262- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، ط1 ، تح : د. عبد الرحمن سليمان ، مكتبة الرشد ، الرياض ، 1989م .

- المقدسي ، عبد الله بن بري بن عبد الجبار (ت582هـ/1186م) :

263- في التعريب والمعرف والمعروف بحاشية ابن بري ، تح : إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985م .

- مقديش ، محمود بن سعيد مقديش أبو الثناء (ت1228هـ/1813م) :

264- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار ، ط1 ، تح : علي الزاوي ومحمد محفوظ ، دار الغرض الإسلامي ، بيروت ، 1988م .

- الامر بأحكام الله ، المستعلي بأمر الله أبو القاسم أحمد بن المستنصر العلوي (ت495هـ/1101م) :

265- الهداية الامرية في ابطال دعوى النزارية ، عني بتصحيحها : أصف بن علي اصغر فيضي ، الناشر سفري لمفرد ، اكسفورد ، لندن ، 1938م .

- القمري التلمساني ، أحمد بن محمد (ت1041هـ/1631م) :

266- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تح : د. احسان عباس ، دار النشر دار صادر ، بيروت ، 1968م .

- المقريزي ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت845هـ/1441م) :

267- اتعاظ الحنفا باخبار الفاطميين الخلفا ، تح : د. محمد حلمي أحمد ، مطابع الأهرام التجارية ، القاهرة ، 1971م .

268- اتعاظ الحنفا باخبار الفاطميين الخلفا ، ط2 ، تح : د. جمال الدين الشـــيال ، لجنة احياء التراث ، القاهرة ، 1996م .

269- اغاثة الأمة بكشـف الغمة ، أو تاريخ المجاعات في مصــر ، طبعة خاصــة ، دار الثقافة والنشر ، دمشق ، 2003م .

270- الســلوك لمعرفة دول الملوك ، ط1 ، تح : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997م ز

271- المقفى الكبير ، تراجم مغربية ومشرقية ، ط1 ، اختيار : محمد البعلاوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987م .

272- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، تح : د. أيمن فؤاد السيد ، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن ، 1995م .

- الملطي ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت377هـ/987م) :

273- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، تح : محمد زاهد بن الحســن الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر ، 1997م .

- المناوي ، محمد عبد الرؤوف (ت952هـ/1622م) :

274- التوقيف على مهمات التعاريف ، ط1 ، تح : د. محمد رضـــوان الداية ، دار الفكر ودار الفكر المعاصر ، بيروت ودمشق ، 1981م .

- منصـــور اليمن ، جعفر بن الحســـن بن فرج بن حوشـــب بن زادان الكوفي (ت380هـ/990م) :

275- سرائر وأسرار النطقاء ، ط1 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1984م .

276- كتاب العالم والغلام ، منشور ضمن أربع كتب حقانية ، ط2 ، تح وتقديم : د. مصطفى غالب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1987م .

277- كتاب الكشف ، تأويل إسماعيلي لآيات القرآن ، تح : المستشرق : ر. شتروطمان ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م .

- أبو منصور البغدادي ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت429هـ/1037م) :

278- الفرق بين الفرق ، دراسة وتحقيق : محمد عثمان الخشت ، ط2 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1977م .

- ابن منظور الأفريقي ، محمد بن مكرم (ت711هـ/1311م) :

279- لسان العرب ، ط1 ، دار صادر ، بيروت ، 1955م .

- مؤلف مجهول :

280- كتاب هفت باب (في سبع فصول) ، منشور ضمن كتاب ايدلوجيا الإرهاب الفدائي لسميرة بن عمو ، ط2 منقحة ، مراجعة لغوية : د. عبد الكريم حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1996م .

- مؤلف مجهول :

281- أربعة كتب إسماعيلية ، مسائل ورسائل عني بتصحيحها : قسم الدراسات في دار التكوين اعتماداً على نسخة رودلف شتروطمان ، ط3 ، دمشق ، 2003م .

- مؤلف مجهول :

282- رسالة الرشد والهداية ، نشرها : إسماعيل التميمي ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .

- مؤلف مجهول :

283- العيون والحدائق في أخبار الحقائق ، تح : نبيلة عبد المنعم داود ، طبعة مطبعة النجف الأشرف ، 1972م .

- ابن الموقع ، محمود بن عبد المحسن الحسيني (ت1321هـ/1903م) :

284- الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تح : عهدنان يونس عبد المجيد نباته ، دار النشر مكتبة دنديس ، عمان ، 1999م .

- الميرزا القمي ، جواد بن علي رضا الرضوي (ت1231هـ/1815م) :

285- غنائم الأيام ، ط1 ، تح : عباس تبريزان وآخرون ، مطبعة مكتب الاعلام الإسلامي ، قم ، 1996م .

- ابن ميسر ، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب (ت677هـ/1278م) :

286- اخبار مصر ، انتقاه : تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1441م) ، حقق مقدمته وحواشيه ووضع فهرسه : د. أيمن فؤاد السيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1981م .

- المنيقي ، شهاب الدين بن نصر بن ذي الجوشن الديلمي أبو فراس (ت883هـ/1478م) :

287- رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس ، ضمن أربعة رسائل إسماعيلية ، ط2 منقحة، تح : د. عارف تامر ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1978م.

288- مناقب المولى راشد الدين سنان ، تح : د. مصطفى غالب ، إصدارات دار اليقظة ودار منشورات حمد ، بيروت ، 1967م .

289- الإيضاح ، ط1 ، حققه وقدم له : د. عارف تامر ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1965م .

- ن -

- ناصر خسرو ، أبو معين القيادياني المروزي (ت بعد 450هـ/1058م) :

290- جامع الحكمتين ، ترجمه عن الفارسية وقدم له : د. إبراهيم الدسوقي شتا ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1974م .

291- ســـفرنامة ، ط3 ، تح : د. يحيى الخشـــاب ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1983م .

- ابن النجار البغدادي ، محمد بن محمود بن الحســـن بن هبة الله بن المحاســـن (ت643هـ/1245م) :

292- ذيل تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د.ت .

- النجدي ، أحمد بن إبراهيم عيسى الشركي السديري (مجهول الوفاة) :

293- توضـيح المقاصـد وتصـحيح القواعد في شـرح قصـيدة ابن القيم ، ط3 ، دار النشر المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1985م .

- ابن النديم ، محمد بن إسحاق (ت438هـ/1047م) :

294- الفهرست ، دار النشر دار المعرفة ، بيروت ، 1978م .

- النسائي ، أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان ابن بحر (ت303هـ/915م) :

295- السـنن الكبرى أو سـنن النسـائي الكبرى ، ط1 ، تح : د. عبد الغفار سـليمان البنداري وسيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1991م .

- النسوي ، محمد بن أحمد النسوي الخوارزمي (كان حياً سنة 639هـ/1241م) :

296- سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، نشر وتحقيق : حافظ أحمد حمدي ، دار الفكر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1953م .

- نشوان الحميري ، نشوان بن سعيد أبو سعيد (ت573هـ/1177م) :

297- الحور العين ، ط1 ، مطبعة مصر ، مصر ، 147م .

298- شمس العلوم ودواء العرب من الكلوم ، ط1 ، تح : أ.د. حسين عبد الله العمري وآخرون ، دار الفكر ، دمشق ، 1999م .

- أبو نصـــر البخـاري ، ســـهـل بن داود بن ســـليمـان ابن ابـان بن عبـد الله (ت341هـ/952م) :

299- سر السلسلة العلوية ، المكتبة والمطبعة الحيدرية ، النجف الأشرف ، 1962م
.
- نظام الملك الطوسي ، حسن بن علي بن إسحاق بن عباس (ت485هـ/1092م):
300- سياست نامة أو سير الملوك ، ط2 ، تح : يوسف حسين بكار ، دار الثقافة للنشر ، مصر ، 1986م .
- النوبختي ، الحسن بن موسى بن الحسن بن محمد (ت310هـ/922م) :
301- فرق الشيعة ، دار الأضواء ، بيروت ، 1984م .
- النوبختي والقمي ، الحسن بن موسى (ت310هـ/922م) ، وسعيد بن عبد الله (ت300هـ/912) :
302- فرق الشيعة ، حققه وصحح نصوصه وعلق عليه وقدم له بدراسة وافية : د. عبد المنعم الحنفي ، دار الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1992م .
- النويري ، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكري (ت733هـ/1332م)
:
303- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط1 ، د. نجيب مصطفى فواز ود. حكمت كشلي فواز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004م .
- النيسابوري ، أحمد بن إبراهيم (ت في أوائل القرن الخامس الهجري) :
304- اثبات الإمامة ، تح : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1996م .
305- استتار الإمام وتفرق الدعاة في الجزائر لطلبه ، منشور ضمن كتاب اخبار القرامطة في الاحساء والشام واليمن ، ط2 مزيدة ومنقحة ، جمع وتحقيق ودراسة : د. سهيل زكار ، دار حسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1982م .
- النيسابوري ، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري (ت261هـ/874م) :

306- صـحيح مسـلم ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار النشـر دار احياء التراث ، بيروت ، د.ت .

- و -

- ابن واصل ، محمد بن سالم بن نصر الله بن سالم أبو عبد الله (ت697هـ/1298م) :

307- مفرج الكروب في اخبار بني أيوب ، حققه وعلق عليه : د. جمال الدين الشيال ، طبعة مصر ، القاهرة ، 1953م .

308- من التاريخ الصـالحي ، منشور ضـمن الموسوعة الشـاملة للحروب الصـليبية ، تأليف وتحقيق وترجمة : أ.د. سهيل زكار ، دار الفكر ، دمشق ، 1995م .

- والد الجميع ، علي بن محمد بن الوليد (ت612هـ/1215م) :

309- دامغ الباطل وحتف المناضـل ، تقديم وتحقيق : د. مصـطفى غالب ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982م .

- الوداعي ، علي بن حنظلة ابن أبي سالم (ت626هـ/1228م) :

310- سـمط الحقائق في عقائد الإسـماعيلية ، حققه وعلق عليه : المحامي عباس العزاوي ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، 1953م .

- الوليد ، حسين بن علي بن محمد بن الوليد (ت667هـ/1268م) :

311- تاج العقائد ومنبع الفوائد ، ط2 منقحة ، تح : عارف تامر ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982م .

312- جلاء العقول وزبدة المحصـول ، ضـمن كتاب منتخبات إسـماعيلية ، تح : د. عادل العوا ، مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ، 1958م .

313- المبدأ والمعاد في الفكر الإسـماعيلي ، ط1 ، تح : خالد المير محمود ، دار علاء الدين للنشر ، دمشق ، 2007م .

- ابن الوردي ، زين الدين عمر بن مظفر (ت749هـ/1348م) :
314- تاريخ ابن الوردي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1996م .
- ابن أبي الوفاء القرشي ، عبد القادر بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن سالم (ت775هـ/1356م) :
315- الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، دار النشر مير محمد كتب خانة ، كراتشي ، د.ت .

- ي -

- اليافعي ، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان (ت768هـ/1366م) :
316- مرآة الجنان وعرة اليقظان ، دار النشر دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، 1993م .
- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت بعد 292هـ/904م) :
317- تاريخ اليعقوبي ، دار صادر ، بيروت ، د.ت .
- اليماني ، محمد بن محمد (كان حياً في القرن الرابع الهجري) .
318- سيرة الحاجب جعفر بن علي وخروج المهدي صلوات الله عليه وآله الطاهرين من سلمية ووصوله إلى سجلماسة وخروجه منها إلى رقادة ، تح : و.ايفانوف ، نشر في مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، العدد (4) سنة 1936م ، وكذلك مجلة المواسم العددين 69-70 .
- اليماني ، محمد بن الحسن الديلمي (من علماء أوائل القرن الثامن الهجري) :
319- قواعد عقائد آل محمد ، عرف الكتاب وقدمه : محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، 1987م .
- اليماني ، علي بن الوليد (ت612هـ/1215م) :

320- الذخيرة في الحقيقة ، تح : محمد حسن الاعظمي ، دار الثقافة ، بيروت ، 1971م .

- اليماني الحارثي ، الداعي الفاطمي طاهر بن إبراهيم الحارثي (ت بعد 510هـ/1116م) :

321- كتاب الأنوار اللطيفة في فلسفة المبدأ والمعاد ، تح : د. مصطفى غالب ، دار الأندلس ، بيروت ، د.ت .

- اليونيني ، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين اليونيني البعلبكي (ت726هـ/1326م) :

322- ذيل مرآة الزمان ، ط1 ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدكن ، الهند ، 1954م .

* المراجع الثانوية :

- أ -

- إبراهيم مصطفى وآخرون :

1- المعجم الوسيط ، تح : مجمع اللغة العربية ، دار النشر داور الدعوة ، مصر ، د.ت .

- أس . بيكلي :

2- مدخل إلى تاريخ الإسماعيلية ، دار الباحث ، سلمية ، 1994م .

- أسعد ، منير الخوري عيسى :

3- تاريخ حمص من ظهور الإسلامي حتى يومنا هذا ، ط1 ، نشرته مطرانية حمص الارثوذكسية ، سوريا ، 1984م .

- إسماعيل ، د. محمود :

4- اخوان الصفا رواد التنوير في الفكر العربي ، ط1 ، عامر للطباعة والنشر ، مصر ، 1996م .

5- الحركات السرية في الإسلام ، ط1 ، دار القلم ، بيروت ، 1973م .

- اغابزرك ، محسن بن علي بن محمد رضا الطهراني (ت1389هـ/1969م) :

6- الذريعة إلى تصانيف الشيعة ، ط2 ، دار الأضواء ، بيروت ، د.ت .

- ايبو جمال ، ناديا :

7- الناجون من الغزو المغولي ، نزاري قوهستاني واستمرارية التقليد الإسماعيلي في ايران ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2004م .

- ايفانوف ، فلاديمير :

8- الموت ولامسار ، ترجمة : جمانة رستم ، مراجعة وتقديم : د. علي حسن موسى ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، دمشق ، 2007م .

9- المنتخب من بعض الكتب الإسماعيلية ، تقديم وتحقيق : د. صباح جمال الدين ، مراجعة وتعليق : عمار المير أحمد ، الفرات للنشر والتوزيع ، بيروت ، 2011م .

- ب -

- بارتولد . ف :

10- تاريخ الحضارة الإسلامية ، ط3 ، ترجمة : حمزة طاهرة ، دار المعارف ، القاهرة ، 1958م .

- ابن بدران ، عبد القادر بن أحمد بن مصـــــطفى بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الرحيم الدمشقي :

11- منادمة الاطلال ومســـامرة الخيال ، ط2 ، تح : زهير الشـــاويش ، دار النشـــر المكتب الإسلامي ، بيروت ، 1985م .

- بدوي ، عبد الرحمن :

12- شـــخصـــيات قلقة في الإســـلام ، ط2 مزيدة ، دار النهضـــة العربية ، القاهرة ، 1964م .

13- مذاهب الإسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1997م .

14- من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ط2 ، دار ابن سينا للنشر ، القاهرة ، 1993م.

- بروان ، ادورد جرانفيل :

15- تاريخ الأدب في ايران ، ط1 ، نقله إلى العربية : د. إبراهيم أمين الشـــورابي ، الناشر مكتبة الثقافة الدينية ، بورسعيد ، 2004م .

- بروكلمان ، كارل :

16- تاريخ الشـــعوب الإســـلامية ، ط5 ، نقله إلى العربية ، نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1968م .

- بو عجيله ، د. ناجبة الوريمي :

17- في الائتلاف والاختلاف ثنائية السائد والمهمش في الفكر الإسلامي القديم ، ط1 ، دار المدى ، دمشق ، 2004م .

- بورلو ، جوزيف :

18- الحضـــارة العربية ، نقله إلى العربية : ريمة الفوال ، وراجعه وقدم له : د. ســـهيل زكار ، دار الكتاب العربي ، دمشق ، 2001م .

- بيضون ، إبراهيم :

19- تاريخ بلاد الشام إشكالية الموقع والدور في العصور الإسلامية ، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1995م .

- ت -

- تامر ، عارف :

20- تاريخ الإسماعيلية ، ط1 ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، قبرص ، 1991م .

21- سنان وصلاح الدين ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1965م .

22- حقيقة رسائل اخوان الصفا ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1957م .

23- الحاكم بأمر الله – خليفة – إمام – مصلح ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، 1982م .

24- معجم الفرق الإسلامية ، دار المسيرة ، بيروت ، 1990م .

25- الإمامة في الإسلام، ط1 ، دار الأضواء للطباعة والنشر ، بيروت ، 1998م.

26- القائم والمنصور الفاطميان امام ثورة الخوارج ، ط1 ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1982م .

27- الغزالي بين الفلسفة والدين ، رياض الريس للكتب والنشر ، لندن ، 1987م .

- التستري ، محمد تقي :

28- قاموس الرجال ، ط1و ، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1998م .

- تيمور ، أحمد :

29- تصحيح لسان العرب ، ط1 ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، 2002م .

- ث -

- الثامري ، د. احسان ذنون :

30- الحياة العلمية في زمن السامانيين ، التاريخ الثقافي لخراسان وبلاد ما وراء النهر في القرن الثالث والرابع الهجري ، ط1 ، دار الطليعة للطباعة والنشـــر ، بيروت ، 2001م .

- ج -

- جولد تسهير ، اجناس :

31- العقيدة والشريعة في الإسلام ، نقله إلى العربية : محمد يوسف موسى وآخرون ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1946م .

- جلي ، د. احمد محمد أحمد :

32- الباطنية في التاريخ أصولهم وأهم أفكارهم ، ط1و ، الناشر دار الكتاب الجامعي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، 2010م .

33- دراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين الخوارج والشيعة ، ط2 ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، 1988م .

- جمال بدوي :

34- الفاطمية دولة التفاريخ والبتاريح ، ط1 ، دار الشروق ، القاهرة ، 2004م .

- جمال الدين ، د. محمد السعيد :

35- دولة الإسماعيلية في ايران ، ط1 ، الدار الثقافية للنشـر ، المطبعة العصـرية ، بيروت ، 1999م .

- الجميلي ، د. رشيد عبد الله :

36- تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، العصور العباسية المتأخرة ، ط1 ، حقوق الطبع محفوظة للجامعة المستنصرية ، بغداد ، 1989م .

- الجنزوري ، علية عبد السميع :

37- الحروب الصليبية المقدمات السياسية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1999م .

- أبو جوهر ، محمد أمين :

38- الإســماعيليون بين الاعتزال والتشــيع ، ط2 ، دار التكوين للطباعة والنشــر ، دمشق ،2006م .

- الجوير ، د. محمد بن أحمد :

39- الإسماعيلية المعاصرة ، تقديم : عبد الله بن عبد الرحمن ، ط4 ، مكتبة الرشد، الرياض ، 2008م .

- ح -

- حسن وشرف ، إبراهيم حسن وطه أحمد :

40- عبيد الله المهدي إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسســة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب ، مطبعة الشبكشي ، مصر ، 1947م .

- حسن ، إبراهيم حسن :

41- تاريخ الدولة الفاطمية ، ط3 ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشــر ، القاهرة، 1964م .

42- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط14 ، دار الجيل ومكتبة النهضة المصرية ، بيروت والقاهرة ، 1996م .

- حسن ، د. علي إبراهيم :

43- تاريخ جوهر العقلي قائد المعز لدين الفاطمي ، ط2 ، مطبعة الســعادة ، القاهرة، 1963م .

- حسنين ، د. عبد المنعم محمد :

44- سلاجقة ايران والعراق ، ط2 ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1970م .
- حسين ، محمد كامل :
45- أدب مصر الفاطمية ، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي ، بيروت ، د.ت.
46- دراســة في تاريخ الفاطميين وعقائدهم وموقفهم من الأديان ، دار بيبلون ، باريس ، 2008م .
47- طائفة الإســماعيلية ، تاريخها – نظمها – عقائدها ، ط1 ، مكتبة النهضــة المصرية للنشر والطبع ، القاهرة ، 1959م .
- الحسني ، هاشم معروف :
48- الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، 1990م .
- الحفظي ، عبد اللطيف عبد القادر :
49- تأثير المعتزلة في الخوارج والشــيعة أســبابه ومظاهره ، ط1 ، دار الأندلس الخضراء ، جدة ، 2000م .

- الحمد ، محمد عبد الحميد :
50- الافلاطونية المحدثة والتوحيد الإســماعيلي ، ط1 ، منشــورات الحمد ، ســوريا ، 2003م .
- حمدي ، حافظ أحمد :
51- الدولة الخوارزمية والمغول ، دار الفكر العربي للطبع والنشـر ، تقديم : د. حســن إبراهيم حسن ، القاهرة ، د.ت .
52- الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، دار الفكر العربي للطبع والنشر ، القاهرة ، 1950م .
- الحنفي ، د. عبد المنعم :

53- المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2001م.

- خ -

- خافار ، فرهاد خسرو :

54- شهداء الله الجدد في سوسيولوجيا العمليات الانتحارية ، ط1 ، ترجمة : جهنية لاوند ، مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون ، بغداد ،2007م .

- الخاقاني ، علي :

55- رجال الخاقاني ، ط2 ، تح : محمد صادق بحر العلوم ، مكتب الاعلام الإسلامي ، د.م ، 1983م .

- الخالدي ، إسماعيل عبد العزيز :

56- العالم الإسلامي والغزو المغولي ، ط1 ، مطابع دار القبس ، الكويت ، 1984م .

- الخشت ، د. محمد عثمان :

57- حركة الحشاشين تاريخ وعقائد أخطر فرقة سرية في العالم الإسلامي ، دار النصر للطباعة الإسلامية ، القاهرة ، 1988م .

- خضور ، حسام :

58- موجز التاريخ الإسماعيلي ، ط1 ، دار الغدير للطباعة والنشر ، سورية – سلمية ، 2003م .

- الخفاجي ، د. مزهر :

59- البحث عن جنة الفردوس دراسة في أساطير الحضارات القديمة ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2008م .

- خليل ، محمد محمود :

60- الاغتيالات السياسية في عصر الدولة الفاطمية (358-567هـ) ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2006م .

- الخيون ، رشيد :
61- لا إسلام بلا مذاهب ، ط1 ، الناشر دار مدارك ، بيروت ، 2011م .

- د -

62- دائرة المعارف الإسلامية أصدر بالألمانية والانكليزية والفرنسية واعتمد في الترجمة العربية على الأصلين الانجليزي والفرنسي ، يصدرها بالعربية أحمد الشنتاوي وآخرون .
- داود ، نبيلة عبد المنعم :
63- نشأة الشيعة الإمامة ، ط1 ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، 1994م .
- دخيل ، د. محمد حسن :
64- الدولة الفاطمية ، الدور السياسي والحضاري للأسرة الجمالية ، ط1 ، مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت ، 200م .
- الدسوقي ، عمر :
65- اخوان الصفا ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ، 1947م .
- دفتري ، فرهاد :
66- خرافات الحشاشين وأساطير الإسماعيليين ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 1996م .
67- الإسماعيليون تاريخ وعقائدهم ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2012م .
68- الإسماعيليون والدراسات الإسماعيلية ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار المدى ، دمشق ، 1999م .
69- الإسماعيلية في العصر الوسيط ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة والفنون والنشر ، دمشق ، 2003م .

70- الإسماعيليون في مجتمعات العصر الوسيط الإسلامية ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار السياقي ، بيروت ، 2008م .
71- مختصر تاريخ الإسماعيليين ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2001م .
- الدوري ، عبد العزيز :
72- دراسات في العصور الإسلامية المتأخرة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2007م .
- دي ساسي ، سيلفستر :
73- دراسة في سلالة الحشاشين والأصل اللغوي لأسمهم ، ترجمها إلى الانكليزية: عزيز ازودي ونقلها إلى العربية : سيف الدين القصير ، دار المدى ، دمشق ، 1996م ، الكتاب موجود ضمن كتاب خرافات الحشاشين لفرهاد دفتري .
- ديوريورنت ، ول وابريل :
74- قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، دار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع، وجامعة الدول العربية ، بيروت وتونس ، د.ت .

- ر -

- ر. لالاني ، الزينة :
75- الفكر الشيعي المبكر ، تعاليم الإمام محمد الباقر ، ترجمة : سيف الدين القصير ، ط1 ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2004م .
- رستم ، سعد :
76- الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات – النشأة – التاريخ – العقيدة – التوزيع الجغرافي ، ط3 ، الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، 2005م .
- الرؤوف ، د. عصام الدين :

77- الدول الإسـلامية المسـتقلة في المشـرق الإسـلامي ، مطبعة دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .

- ز -

- زامباور :

78- معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، تح : زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود ، دار بيروت ، بيروت ، 1980م .

- الزركلي ، خير الدين :

79- الاعلام ، قاموس تراجم لأشـــهر الرجال والنســـاء من العرب والمســـتعربين والمستشرقين ، ط15 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م .

- زكي ، أحمد :

80- موسـوعة العلوم العربية وبحث رسـائل اخوان الصـفا ، ط1 ، المطبعة الاميرية ببولاق ، مصر ، 1860م .

- زهرة ، احمد علي :

81- دولة القلاع قراءة في المذهب الإسـماعيلي واحلام المدينة الفاضـلة ، ط1 ، دار نينوى للدراسات والنشر ، دمشق ، 2004م .

- أبو زهرة ، محمد :

82- تاريخ المذاهب الإسـلامية السـياسـية والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت .

- زيد ، اسامة زكي :

83- الصليبيون وإسماعيلية الشام في عصر الحروب الصليبية (القرن 6هـــ/12م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الاسكندرية ، 1980م .

- س -

- سعدييف وسلوم ، د. ارثور ود. توفيق :

84- الفلسفة العربية الإسلامية الكلام والمشائية والتصوف ، ط1 ، دار الفارابي ، 2001م .

- السعداوي ، حمدي :

85- الحشاشين ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، مصر ، 1989م .

- سرور ، د. محمد جمال الدين :

86- تاريخ الدولة الفاطمية ، دار الفكر العربي ، مصر ، 1995م .

- سعيد ، خير الله :

87- النظام الداخلي لحركة اخوان الصفا ، ط1 ، تقديم : هادي العلوي ، دار كنعان للدراسات والنشر ، دمشق ، 1993م .

- سليمان ، د. أحمد عبد الكريم :

88- المغول والمماليك حتى نهاية عصر الظاهر بيبرس ، ط1 ، دار النهضة العربية ، مصر ، 1984م .

- سميرة بن عمو :

89- ال - موت وايدلوجيا الإرهاب الفدائي ، ط2 منقحة ، المراجعة اللغوية : د. عبد الكريم حسن ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1996م .

- سمينوفا ، ل.أ :

90- تاريخ مصر الفاطمية ، ترجمة وتحقيق : حسن بيومي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2001م .

- السلومي ، د. سليمان عبد الله :

91- أصول الإسماعيلية ، دار الفضيلة ، الرياض ، 2001م .

- سورمايان ، أردفازد :

92- تاريخ حلب ، ترجمه عن الارمنية : د. الكسندري كشيشيان ، ط2 ، دار النهج، حلب ، 2003م .

- سيد ، د. أيمن فؤاد :

93- الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 2007م .

- السيد ، د. عبد اللطيف عبد الهادي :

94- الحشاشون دراسة في ظاهرة الإرهاب في الماضي والحاضر ، منشورات المكتب الجامعي الحديث ، مصر ، 2011م .

- ش -

- الشاكري ، حسين :

95- نشوء المذاهب والفرق الإسلامية ، ط1 ، مطبعة ستارة ، ايران ، 1997م .

- شرف ، د. طه أحمد :

96- دولة النزارية أجداد اغاجان ، ط1 ، مطبعة الشبكشي بالأزهر ، القاهرة ، 1950م .

- الشمالي ، عبده :

97- دراسات في تاريخ الفلسفة الإسلامية وآثار رجالها ، ط3 ، مطبعة النسر ، بيروت ، 1960م .

- شوقي خليل :

98- غوستاف لوبون في الميزان ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ودار الفكر ، بيروت ودمشق ، 1990م .

- الشيال ، د. جمال الدين :

99- مجموعة الوثائق الفاطمية وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة ، ط1 ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، 2002م .

- الشيخلي ، د. صباح إبراهيم سعيد :

100- الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، 1976م .

- ص -

- صبرة ، د. عفاف سيد :

101- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ط1 ، الناشر دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، 1987م .

- الصوري ، وليم :

102- تاريخ الحروب الصليبية (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) ، نقله إلى العربية : د. سهيل زكار ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ت .

- الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي :

103- مؤرخ المغول الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني ، ط1 ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1967م .

104- المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1980م .

- ط -

- طعيمة ، د. صابر :

105- الغلو والفرق الغالية بين الإسلاميين ، ط1 ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 2009م .

- طقوش ، أ.د. سهيل :

106- تاريخ السلاجقة في خراسان والعراق ، ط1 ، دار النفائس للطباعة والنشر ، بيروت ، 2010م .

- ظ -

- ظهير ، احسان الهي :

107- الإسماعيلية ، تقديم : د. سيد بن حسين ، ط1 ، دار ابن حزم ، القاهرة ، 2008م .

- ع -

- عاشور ، سعيد عبد الفتاح :

108- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ، طبعة جديدة مزيدة ومعدلة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1996م .

- عبدة ، سمير :

109- الإسماعيليون في سوريا – نشأتهم – تطورهم – تعدادهم ، ط1 ، دار حسن ملص للنشر ، دمشق ، 2008م .

- العبادي ، د. احمد مختار :

110- في التاريخ العباسي والفاطمي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .

- عباس ، د. احسان :

111- شذرات من كتب مفقودة في التاريخ ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1988م .

- عباس ، قاسم محمد :

112- الحلاج الاعمال الكاملة ، ط1 ، دار الرسالة ، بيروت ، 2002م .

- عثمان ، د. حسن :

113- منهج البحث التاريخي ، ط8 ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

- عثمان ، هاشم :
114- الإســماعيلية بين الحقائق والأباطيل ، ط1 ، مؤســســة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1998م .
- عبد الله المرتضى :
115- تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام الشمالي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 1994م .
116- الفلك ، الدوار في أسماء الأئمة الأطهار ، طبعة حلب ، 1933م .
- عزيز ، حسين قاسم :
117- البابكية ، ط1 ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 2000م .
- عزام ، د. عبد الوهاب :
118- رسائل الصاحب بن عباد ، مطبعة مصر ، القاهرة ، د.ت .
- الاعظمي ، محمد حسن :
119- عبقرية الفاطميين أضـواء على الفكر والتاريخ الفاطمي ، منشـورات دار ومكتبة الحياة ، مصر ، د.ت .
- عشري ، عبد الحميد :
120- الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية ، المكتبة التاريخية للنشر ، القاهرة ، 1983م .
- عكاوي ، د. رحاب :
121- الحشاشون حكام الموت نشأتهم تاريخهم ، ط1 ، دار الحرف العربي ، للطباعة والنشر والتوزيع ودار المناهل ، بيروت ، 1994م .
- علي ، محمد كرد :
122- خطط الشام ، طبع في المطبعة الحديثة ، دمشق ، 1925م .
- العلوي ، هادي :
123- من تاريخ التعذيب في الإسلام ، ط4 ، دار المدى للثقافة ، دمشق ، 2004م.

- عمران ، د. محمود سعيد :

124- تاريخ الحروب الصليبية (1095-1291م) ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 2000م .

- عمرو ، فروخ :

125- تاريخ الأدب العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، د.ت .

- العوا ، عادل :

126- حقيقة أخوان الصفا ، ط1 ، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1993م .

- عيسى ، حاتم :

127- فلسفة العقائد الإسماعيلية - الإسماعيلية مذهب ديني أم فلسفي ، ط1 ، دار الأوائل للنشر والتوزيع ، دمشق ، 2010م .

- غ -

- غالب ، د. مصطفى :

128- أربع كتب حقانية ، ط2 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، مصر ، 1987م .

129- اعلام الإسماعيلية ، دار اليقظة العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1965م .

130- تاريخ الدعوة الإسماعيلية ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، د.ت .

131- الثائر الحميري الحسن بن الصباح، ط2 ، دار الأندلس ، بيروت ، 1979م.

132- الحركات الباطنية في الإسلام ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 2006م .
133- سنان راشد الدين ، ط1 ، دار اليقظة العربية ، بيروت ، 1967م .
134- القرامطة بين المد والجزر ، ط1 ، دار الأندلس للطباعة والنشـــر والتوزيع ، بيروت ، 1979م .
135- مفاتيح المعرفة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1982م .
136- رسالتان إسماعيليتان ، منشورات دار ومكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت .

- ف -

- الفاخوري والجر ، حنا وخليل :
137- تاريخ الفلسفة العربية ، ط3 ، دار الجيل ، بيروت ، 1993م .
- فاروق ، عمر فوزي :
138- الخلافة العباسية السقوط والانهيار ، مطبعة دار الشروق ، د.م ، 1998م .
- فان فلوتن :
139- الشيعة والسيادة العربية والاسرائيليات ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1934م .
140- السيطرة العربية والتشيع والمعتقدات المهدية في ظل خلافة بني أمية ، ترجمة : د. إبراهيم بيضون ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1996م .
- فلهاوزن ، يوليوس :
141- أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الإسلام والخوارج والشيعة ، ترجمه عهن الألمانية : د. عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1958م .
- فيليب حتي :
142- تاريخ ســورية ولبنان وفلســطين ، ط1 ، ترجمة : د. جورج حداد وعبد الكريم رفيق ، إشراف : د. جبرائيل جبور ، دار الثقافة ، بيروت ، 1951م .
143- تاريخ العرب ، مراجعة : د. ادورد جرجي ود. جبرائيل جبور ، مطابع الغندور ، مصر ، 1965م .

- الفيومي ، د. محمد إبراهيم :

144- الشيعة العربية والزيدية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2002م .

- القاسم ، محمود عبد الرؤوف :

145- الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ ، ط1 ، دار الصحابة للطباعة والنشر ، بيروت ، 1987م .

- أبو القاسم ، الحسين بن محمد :

146- مفردات غريب القرآن ، تح : سيد كيلاني ، دار المعرفة ، لبنان ، د.ت .

- القاضي ، أحمد عرفات :

147- الفكر السياسي عند الباطنية وموقف الغزالي منه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1993م .

- القصير ، سيف الدين :

148- ابن حوشب والحركة الفاطمية في اليمن ، دار الينابيع للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 1993م .

- قلعجي ، قدري :

149- صلاح الدين الأيوبي ، ط5 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1979م .

- القمي ، عباس :

150- الكنى والألقاب ، تقديم : محمد هادي الأميني ، مكتبة الصدر ، طهران ، د.ت .

- القمني ، سيد محمود :

151- الأسطورة والتراث ، ط3 ، الناشر المركز المصري لبحوث الحضارة ، القاهرة ، 1999م .

- كاشف الغطاء ، محمد حسين :
152- أصل الشيعة وأصولها ، ط1 ، تح : علاء آل جعفر ، دار النشر مؤسسة الإمام علي (عليه السلام) ، مطبعة ستارة ، طهران ، 1994م .
- الكاظمي ، د. جاد الحق سيد :
153- براءة الإسماعيلية من تهم الضلالية ، دار نينوى ، دمشق ، 2010م .
- كلد كاهن :
154- تاريخ العرب والشعوب الإسلامية ، ط2 ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1972م .
- كوربان ، هنري :
155- تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ط2 ، ترجمة : نصير مروة وحسن قبيسي ، راجعه: موسى الصدر وعارف تامر، عويدات للنشر والطباعة ، بيروت ، 1998م.
- كوركيس ، اليان :
156- معجم المطبوعات العربية ، مطبعة بهمن ، قم ، 1989م .

- ل -

- لباد ، ميشيل :
157- تاريخ قلعة مصياف ، مطبعة الاتحاد ، بيروت ، 1965م .
158- الإسماعيليون والدولة الإسماعيلية بمصياف ، ط2 ، مطبعة الاتحاد ، بيروت، 1962م .
- لسترنج ، كي :
159- بلدان الخلافة الشرقية ، نقله إلى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ، 1954م .
- لويس ، برنارد :

160- أصول الإسماعيلية بحث تاريخي في نشأة الخلافة الفاطمية ، نقله إلى العربية : خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، وقدم له : د. عبد العزيز الدوري ، طبع بدار الكتاب العربي ، مصر ، د.ت .

161- الحشاشون فرقة ثورية في تاريخ الإسلام ، ط2 ، تعريب : محمد العربي موسى ، دار ازال للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1986م .

162- الحشيشية الاغتيال الطقوسي عند الإسماعيلية النزارية ، ط2 ، ترجمه وقدم له وزاده : أ.د. سهيل زكار ، دار قتيبة للطباعة والنشر ، دمشق ، 2006م .

163- الدعوة الإسماعيلية الجديدة ، نقله إلى العربية : د. سهيل زكار ، ط1 ، دار الفكر ، د.م ، 1971م .

164- فرقة الحشاشين مذهب راديكالي في الإسلام ، ط1 ، ترجمة المقدم : الياس فرحات ، منشورات مؤسسة أحمد منصور حسين بالتعاون مع روضة المعارف ، د.م ، 1993م .

- م -

- ماجد ، عبد المنعم :

165- ظهور الخلافة الفاطمية في مصر ، ط4 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1994م .

- مارس ، د. كمال :

166- العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل وحلب) ، ط1 ، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، 2004م .

- ماسينون ، لويس :

167- الأم الحلاج ، ترجمة : الحسين مصطفى حلاج ، قدمس للنشر والتوزيع ، دمشق ، 2004م .

168- المتنبي ، بازاء القرن الإسماعيلي في تاريخ الإسلام ، ترجمة وتعليق ودراسة : د. إبراهيم عوض ، منشورات منتدى سور الازبكية ، مصر ، 1988م .
- ماسينيون وكرواس ، لويس ولويس :
169- أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاج ، دار ومكتبة بابليون ، باريس ، 2008م.
- المجددي ، محمد عميم الاحسان الجددي البركتي :
170- قواعد الفقه ، ط1 ، دار النشر الصدف ببلشرز ، كراتشي ، 1986م .
- مجموعة من المستشرقين :
171- الإمام الصادق في نظر علماء الغرب ، نقله إلى العربية : د. نور الدين آل علي، وراجعه : الأستاذ وديع فلسطين ، دار الفاضل للتأليف والترجمة ، دمشق ، 1995م .
- مجموعة مؤرخين :
172- أخبار القرامطة ، ط2 ، مزيدة ومنقحة ، جمع وتحقيق : د. سهيل زكار ، دار احسان للطباعة والنشر ، دمشق ، 1982م .
- مجموعة مؤرخين ومستشرقين :
173- مسيحيون ومسلمون زمن الحروب الصليبية بين المواجهة واللقاء ، طبعة باريس ، لسنة 2007م .
- محسن الأمين ، محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين :
174- أعيان الشيعة ، تحقيق وتخريج : حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، د.ت .
- محمد ، د. سوادي عبد :
175- دراسات في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، دار الكتب ، البصرة ، 1993م .
- محاسنة ، د. محمد حسين :

176- تاريخ مدينة دمشــق خلال الحكم الفاطمي ، ط1 ، دار الأوائل للنشــر والتوزيع والخدمات الطباعية ، دمشق ، 2001م .

- المدني ، محمد نمر :

177- الإسماعيلية ومذاهبها ، ط1 ، مطبعة جوهر الشام ، دار النشر دار دمشق ، دمشق ، 2010م .

- المرزوقي ، د. أبو يعرب :

178- اصــلاح العقل في فلسفة العربية من واقعية ارسطو وأفلاطون إلى أسمية ابن تيمية وابن خلدون، ط3 ، اعداد مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2001م.

- مروة ، د. حسين :

179- النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، ط2 ، دار الفارابي ، بيروت، 2008م .

- مظفر ، محمد حسين :

180- فهارس رياض السالكين ، ط1 ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم ، 1998م .

- معلوف ، أمين :

181- الحروب الصــليبية كما رآها العرب ، ط6 ، ترجمة : د. عفيف دمشــقية ، دار الفارابي ، بيروت ، 2010م .

- المقدم ، د. محمد عبد الله :

182- الاغتيالات في بلاد الشام والجزيرة العربية زمن الحروب الصليبية ، ط1 ، دار العالم العربي ، القاهرة ، 2009م .

- مقلد ، د. علي محمود :

183- النبوة والإمامة عند نصير الدين الطوسي ، ط2 ، مراجعة وتحرير : هيثم مزاحم ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، 2010م .

- معصوم ، د. فؤاد :

184- أخوان الصفا فلسفتهم وغايتهم ، ط1 ، الناشر دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، 1998م .

- مغنية ، محمد جواد :

185- الشيعة في الميزان ، ط4 ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، 1979م .

- منيمنه ، د. حسن :

186- تاريخ الدولة البويهية السياسي والاقتصادي والاجتماعي (334-447هـ) ، الدار الجامعية ، دمشق ، 1987م .

- المهاجر ، جعفر :

187- التأسيس لتاريخ الشيعة في لبنان وسورية ، ط1 ، دار الملاك للطباعة والنشر ، بيروت ، 1992م .

- موسى ، د. علي حسن :

188- الستر والتقية في تاريخ الإسماعيلية، ط1 ، طبعة سوريا ، دمشق ، 2009م.

189- شيوخ الجبل الإسماعيلية ، ط1 ، طبعة دمشق ، سوريا ، 2007م .

- ميثا ، فاروق :

190- الغزالي والإسماعيليون العقل والسلطة في إسلام العصر الوسيط ، ط1 ، ترجمة : سيف الدين القصير ، طبعة دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2005م .

- الميرزا النوري ، حسين النوري الطبرسي :

191- خاتمة المستدرك ، ط1 ، تح : مؤسسة آل البيت عليه السلام لاحياء التراث، الناشر مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) ، مطبعة ستارة ، ايران ، 1994م .

- الأمين ، حسن :

192- الإسماعيليون والمغول ونصير الدين الطوسي ، ط3 ، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي ، قم المقدسة ، 2005م .

193- مستدركات أعيان الشيعة ، ط2 ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، 1997م .

- ن -

- ندا ، د. طه :

194- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1975م .

- نزار ، محمد بن هادي :

195- أسرار فرقة الحشاشين ، ط1 ، دار الفتح ، الشارقة ، 2004م .

- النشار ، د. علي سامي :

196- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، ط8 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1968م .

- نصر ، مرسل :

197- الموحدون الدروز في الإسلام ، ط2 ، تقديم : محمد حسين فضل الله ، الدار الإسلامية ، بيروت ، 1997م .

- أبو النصر ، عمر :

198- قلعة الموت ، الحسن الصباح ، ط2 ، تصدر عن مكتب عمر أبو النصر للتأليف والترجمة والصحافة ، بيروت ، 1970م .

- أبو النصر ، د. محمد عبد العظيم :

199- السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، ط1 ، الناشر عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، 2001م .

- النقيب ، مرتضى حسن :

200- تاريخ ايران دراسة في التاريخ السياسي لبلاد فارس خلال العصور الإسلامية الوسيطة (21-906هـ/641م-1500م) ، منشورات بيت الحكمة ، مطبعة التعليم العالي ، بغداد ، 1989م .

- نوار ، د. صلاح الدين محمد :

201- الخلافة والإمامة وتطورها السياسي والديني ، الناشر منشأة المعارف ، الاسكندرية ، 1996م .

- نوح ، علي :

202- الخطاب الإسماعيلي في التجديد الفكري الإسلامي المعاصر ، إشراف : د. علي زيعور ، دار الينابيع للطباعة والنشر ، دمشق ، 1994م .

- هـ -

- هالم ، هانيس :

203- الغنوصية في الإسلام ، ترجمة : رائد الباش ، ومراجعة : د. سالمة صالح ، منشورات الجمل ، بيروت وبغداد ، 2003م .

204- الفاطميون وتقاليدهم في التعليم ، ط1 ، تعريب : سيف الدين القصير ، مراجعة : د. مجيد الراضي ، دار المدى ، دمشق ، 1999م .

- هاملتون ، أ.ر :

205- صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الإسلامي ، حررها : يوسف ايبش، الناشر بيان للنشر والتوزيع والاعلام ، بيروت ، 1996م .

- هشي ، سليم :

206- الإسماعيلية عبر التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، 1969م .
- الهمذاني ، حسين بن فيض الله الهمذاني اليعربي الحرازي ، بالاشتراك مع د. حسن سليمان محمود الجهني :
207- الصليحيون والحركة الفاطمية باليمن (من سنة 268هـ/881م إلى سنة 626هـ/1228م) ، ط3 ، شركة دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، 1986م .

* المصادر الفارسية :
- البيهقي ، علي بنت زيد ظهير الدين أبو الحسين علي بن أبي القاسم (ت565هـ/1169م) :
1- تاريخ بيهق ، ط1 ، ترجمه عن الفارسية وحققه : يوسف الهادي ، دار اقرأ للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، 2004م .
- جوزجاني ، صدر جهان أبو عمرو منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد (ت658هـ/1259م) :
2- طبقات ناصري ، صحيح ومقابلة الحواشي وتعليق : عبد الحي حبيبي قندهاري، مطبعة كابل ، كابل ، 1923م .
- الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن الصاحب بهاء الدين محمد (ت683هـ/1284م) :
3- تاريخ فاتح العالم ، جهالكشاي ، ط1 ، نقله إلى العربية : د. محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر ، حلب ، 1985م .
- حمد الله مستوفي ، حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي قزويني (ت730هـ/1329م) :
4- تاريخ كزيدة ، تح : عبد الحسين نوائي ، مؤسسة انتشارات أمير كبير ، طهران، 1917م .

5- نزهة القلوب ، مقابلة الحواشي والفهارس : محمد دبير سياقي ، الناشر كتابخانه طهوري ، طهران ، 1917م .

- خواند امير ، غياث الدين بن همام الدين الحسيني (ت903هـ/1497م) :

6- حبيب السير في أخبار أفراد البشر ، تح ومراجعة : د. محمد دبير سياقي ، دار الخيام ، ايران ، 1960م .

- رشيد الدين ، فضل الله الهمذاني (ت718هـ/1318م) :

7- جامع التواريخ (القسم الخاص بالإسماعيلية ، قسمت إسماعيليان وفاطميان ونزاريان وداعيان ورفيقان) ، باهتمام وتحقيق : محمد تقي دانشبز بروة ومحمد مدرسي زنجاني ، طهران ، 1919م .

8- جامع التواريخ القسم الخاص بالايلخانيين ، نقله إلى العربية : محمد صادق نشأت وآخرون ، راجعه وقدم له : د. يحيى الخشاب ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، د.ت .

- السمرقندي ، نظام الدين أبو الحسن أحمد بن عمر (ت560هـ/1164م) :

9- جهار مقالة ، ط1 ، نقله إلى العربية : عبد الوهاب عزام ويحيى الخشاب ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1949م .

- القزويني ، يحيى بن عبد اللطيف (ت960هـ/1552م) :

10- لب التواريخ ، بخط : محمد باقر (يزوهند) بن إسماعيل ، واعتناء : دانشمند كرافي ضياء الدين بن محمد كاظم ، مطبعة مقدم ، ايران ، 1943م .

- علي شاه الحسيني ، شهاب الدين شاه بن شاه علي (ت مجهول الوفاة) :

11- در حقيقت مذهب إسماعيليى مسمى در حقيقت دين ، تح : اصف علي أصغر ، مطبعة مظفري ، ايران ، 1933م .

- كاشاني ، أبو القاسم عبد الله بن علي (ت836هـ/1432م) :

12- زبدة التواريخ ، ط2 ، تح : محمد تقي دانشبازوة ، طبعة طهران ، 1987م .

- مؤلف مجهول :
13- كلام بير ، نشره : فلاديمير ايفانوف ، بومباي ، 1933م .
- أبو المعالي ، محمد الحسيني العلوي (ت485هـ/1092م) :
14- بيان الأديان ، تح وتصــحيح : جعفر واعظي ، دار النشــر دار اقبال ، طهران، 1967م .
- مير خواند ، مير محمد بن سيد برهان الدين خواوشانده (ت911هـ/1505م) :
15- تاريخ روضة الصفا ، الناشر كنا بفروشيهاي ، طهران ، 1920م .

* المراجع الفارسية :
- اقبال ، عباس :
1- الوزارة في عهد الســــلاجقة ، ترجمة وتعليق : أحمد كمال الدين حلمي ، مطبعات جامعة الكويت ، الكويت ، 1984م .
- رضوي ، محمد تقي مدرسي :
2- أحوال وآثار خواجة نصير الدين الطوسي ، دار انتشارات ، طهران ، 1997م.
- زنجاني ، محمد نجمي :
3- تاريخ فرق إسلامي ، انتشارات دانشكاه ، طهران ، 1921م .
- سنودة ، د. منوجهر :
4- قلاع إسماعيلية ، الناشر دانشكاه ، طهران ، 1926م .
- نجمي ، محمد :
5- تاريخ فرق إسلامي ، انتشارات دانشكاه ، طهران .

* الرسائل والأطاريح :
- حسن ، علي ناجي :

1- الحسن الصباح ونزارية ال – موت ، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا ، رسالة غير منشورة ، بغداد ، 2010م .

- دهش ، سهيل نجم :

2- الحركة الإسماعيلية في بلاد الشام من (150هـ/767م – 672هـ/1273م) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة بغداد ، سنة 2006م .

- العبد ، عبد اللطيف :

3- الإنسان عند اخوان الصفا ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة القاهرة ، رسالة غير منشورة ، مكتبة دار العلوم ، القاهرة ، 1972م .

- العزاوي ، السيد محمد :

4- فرقة النزارية تعاليمها ورجالها على ضوء المراجع الفارسية ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه إلى كلية الآداب – جامعة عين شمس ، رسالة غير منشورة ومكتبة على الآلة الطابعة ، 1968م .

- العلي ، فيصل كاظم أحمد :

5- علاء الدين الجويني وكتابه (تاريخ جيهان كشاي) ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى مجلس كلية الآداب – جامعة البصرة ، باشراف : أ.د. تحسين حميد مجيد ، سنة 1416هـ/1996م .

- غضبان ، علي حسن :

6- البويهيون في فارس ، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية التربية ابن رشد – جامعة بغداد لسنة .

- مطر ، ازهار غاري :

7- قبيلة الاشعريين ودورهم في التاريخ الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مقدمة إلى مجلس كلية التربية – جامعة ديالى ، 2005م .

* المجلات والدوريات :
- تامر ، عارف :
1- بين الإسماعيلية الباطنية والصوفية ، بحث منشور ضمن مجلة الباحث (مجلة فكرية) ، العدد الثاني والستون ، السنة الثالثة عشر ، لسنة 1994م .
2- الإسماعيلية والقرامطة ، بحث منشور ضمن مجلة المشرق تصدرها كلية الآباء القديسين ، السنة الثالثة والخامسة ، بيروت ، 1959م .
- الجميلي ، د. رشيد عبد الله :
3- مظاهر الوحدة في إقليم المشرق الإسلامي خلال العصر العباسي ، بحث منشور ضمن مجلة الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب ، العدد السابع ، بغداد ، 1983م .
- الخشت ، محمد عثمان :
4- الأصول التاريخية لحركة الحشاشين ، بحث منشور ضمن مجلة كان التاريخية ، مجلة دورية ، مصر ، 2008م .
- سزكين ، فؤاد :
5- الحشاشون ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، مجلة فصلية تعنى بالآثار والتراث ، العدد (69-70) ، السنة العشرون لسنة 2008م .
- العبد الجادر ، عادل سالم :
6- العهد الإسماعيلي قسم المستجيبين للدعوة الإسماعيلية ، بحث منشور ضمن المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، مجلة فصلية محكمة ، العدد الخامس والتسعون ، السنة الرابعة ، الكويت ، 2006م .
- غالب ، د. مصطفى :
7- الحسن بن الصباح الحميري مؤسس الدولة النزارية ، بحث منشور ضمن مجلة العرفان ، العدد التاسع ، بيروت ، 1960م .

- العزاوي ، عباس :
8- الرموز السرية ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم فصلية تعنى بالآثار والتراث، العدد (69-70) ، هولندا ، 2008م .

- فوزي ، د. حسين :
9- الأفكار والحضارات ، بحث منشور في المجلة المصرية ، مجلة شهرية العدد (18) للسنة الثانية ، القاهرة ، 1951م .
- فياض ، نبيل :
10- الطائفة الإسماعيلية ، جسد يربط العقل بالدين ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم، مجلة فصلية تعنى بالتراث والآثار، العددين (43-44) ، هولندا ، 1999م.
- الكبيسي ، د. حمدان عبد المجيد :
11- قرمط وأصول الحركة القرمطية ، بحث منشور ضمن مجلة دراسات في التاريخ والآثار ، مجلة علمية محكمة تصدرها جمعية المؤرخين والآثاريين ، العراق، 2001م .
- كرامز : J.H.Kramers
12- سلمية مركز الدعوة الإسماعيلية ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، موسوعة فصلية تعنى بالآثار والتراث ، تصدر في هولندا ، العددين (69-70) .
- ماسينون ، لويس :
13- المتنبي امام العصر الإسماعيلي للإسلام ، إيحاءات حول قرمطية المتنبي ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، العدد (67-68) ، لسنة 2008م .
- الأمين والجلالي ، حسين ومحمد حسين :
14- قلعة الموت أو عش العقاب ، بحث منشور ضمن مجلة الموسم ، مجلة فصلية مصورة تعنى بالتراث ، العددين (69-70) ، هولندا ، 2008م .

- الأمين ، حسن :
15- نصـير الدين الطوسـي ، بحث منشـور ضـمن مجلة العرفان ، العدد السـابع والأربعون ، بيروت ، 1959م .

- المالكي ، حيدر :
16- الحشـاشـون رؤية تاريخية ، بحث منشـور في مجلة الينابيع ، العدد 25 لسـنة 2008م .
- هيئة تحرير مجلة الموسم :
17- علماء كانوا وراء حملة هولاكو ضـد الإسـماعيلية ، بحث منشـور ضـمن مجلة الموسـم ، مجلة فصـلية تعنى بالآثار والتراث ، العدد (69-70) ، هولندا ، لسـنة 2008م .

* بحوث منشورة داخل بعض الكتب :
- بانيك غوترون :
1- الحشاشون والدروز والنصيريون وفقاً للمراجع في القرون الوسطى ، منشور ضمن كتاب مسيحيون ومسلمون في زمن الحروب الصليبية .
- تشارلز ، ميلفيك :
2- احياناً بالسـيف وأحياناً بالخنجر ، دور الإسـماعيليين في العلاقات المغولية المملوكية في القرن 8هـ/14م ، منشسور ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط تاريخهم وفكرهم ، ط1 ، دار المدى ، دمشق ، 1999م .
- دبشي ، حميد :
3- الوزير والفيلسوف خواجة نصـير الدين الطوسـي والإسـماعيليون ، ضـمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط لفرهاد دفتري .

- دفتري ، فرهاد :

4- الحسـن الصـباح وأصـول الحركة الإسـماعيلية النزارية ، مقالة ضـمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط .

5- الحياة الفكرية بين الإسـماعيليين ، مقالة في كتاب المناهج والاعراف العقلانية في الإسـلام ، ط1 ، دار السـاقي بالاشـتراك مع معهد الدراسـات الإسـماعيلية ، بيروت، 2004م .

- رسلان ، شرف الدين :

6- الدين والأحزاب السـياسـية الدينية العربية ، بحث منشـور ضـمن كتاب الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2000م .

- كارول هيلتراند :

7- صـراع السلطة بين السـلاجقة وإسماعيلية الموت (ت487هــ-518م) ، منظور سلجوقي، بحث منشور ضمن كتاب الإسماعيليون في العصر الوسيط لفرهاد دفتري.

- نورمان ، كالدر :

8- حدود العقيدة القويمة والراشـدة (الارثوذكسـية) الإسـلامية ، منشـور ضـمن كتاب المناهج والأعراف العقلانية ، ط1 ، تح : فرهاد دفتري ، ترجمة : ناصـح ميرزا ، دار الساقي بالاشتراك مع معهد الدراسات الإسماعيلية ، بيروت ، 2004م .

- هالم ، هاينز :

9- كوزمولوجية الإسـماعيليين من العهد ما قبل الفاطمي ، منشـور ضـمن كتاب الإسماعيليون في العصـر الوسيط تاريخهم وفكرهم ، ط1 ، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق ، 1999م .

- هيوكنيدي :

10- الحياة خلال القرون الأربعة الأولى للإسـلام ، مقالة منشـورة في كتاب المناهج والأعراف العقلانية في الإسلام .

* المصادر الأجنبية :
1- AN ANTHOLOGY OF IS,AILI LITERATURE , ASHI'I VISION OF ISLAAM , EDITED BY HERMANN LANDOLT , SARMIRA SHELKH . Kutab kassamo , London , 2008 .
- Boyle , Jon :
2- The Ismaili sacnd the mongol Invasions in , Nasr , ed Ismaili con triobutions to Islamic culture , London .
- Corbin , Henry :
3- Cyclical Time and Ismaili Gnosis IN TERNATIONAL London, Boston Melbourne and Henley , in association with Islamic Publications , London , 1982 .
- Delacy O'LEAARY D.D :
4- As HORT HISTORY OF THE TATIMD KHALIFATE , Printed in Great Britain by Jon Roberts press , London , 1923 .
- DUSSAUD , RENE :
5- HISTORE ETRLIGON DESNOSAIRIS , LIBRAIRIE EMILE BOUILLON , PARIS , 1900 . مصدر باللغة الفرنسية
- I Vanowf , Flademer :
6- Alleged founder of Ismails , Bombay , 146 .
7- The Riss if the fatimida , Calcuta , 1942 .
8- Studies in Early perian Ismailism , Lenden , 1948 .
- Jean dejoin ville :
9- Viede saint louis , Jacques monfrined trad , paris , 1995 .
- Jon Norman :
10- Holister The shi'a of India secondetition , oriental Books , Reprint croup , Ne WSelhi , 1979 .
- Jemes of Vitry , Bongards :
11- Geste Deiper francos , Hanover :
- Pouzet , Louis :

12- Chretienset Musulmans autemps descroisades , entere I'affrontementet Iaren contre , 2007 .
- Stern , S.M :
13- The Early Ismaili Missionaries in north west Persia in khurasan and Trans Xani , London , 1960 .
- Skessir Perey :
14- History of perisia , Oxford , 1922 .
- Prince Mamore :
15- Polemicson thorigon of the fatimid Caliphs .
- R.Levy :
16- The History Of Imaili its Literatnra during the Isar phase of the Fatimid Empire J.R.A.S , 1932 .
- T. Keightley :
17- SECRET SOCIETIES OF THE MIDDIEAGES , printed by WILLIAM Clowks and SONS , London .
- Tusi , Nisir al-Din Mahaammad :
18- Rawdat al-Taslim , ed and traduit w . I vanof , London , 1950.
- Von Hammer :
19- Burgaastal History del' ordered Assassion , Tr.Par Hellert , 1833 .
- Willey , By PETER :
20- The castles of The Assasins first publishedin Great Britain , London , 1963 .